



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

ذكورة الأنا الساردة؛ قراءة نفسية في مبدأ اللذة بين الهيمنة والخضوع: رواية الشخّاذ، لنجيب محفوظ نموذجاً

ليث نيس

قسم اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين
الباحث المراسل: laithnees@gmail.com

Received: 21/01/2024.

Revised: 03/02/2024.

Accepted: 29/05/2024.

Published: 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.1

الملخص

يتناول البحث الأنا الساردة من حيث كونها أساساً يرتكز عليها قوام الهوية النفسية، ويقدم الوجه الذكوري لهذه الأنا بوصفه مكوناً رئيساً من مكوناتها، يسهم في توجيه سردها استناداً إلى ما يعتمد عليه من إمداد الذاكرة بشطريها؛ الشعوري واللاشعوري، انطلاقاً من إفرازات مبدأ اللذة وما يليه من أثر يطبع هذه الذكورة بطابع شقيّ يخلق فيها مراوحة بين الهيمنة والخضوع، ويعرض عدداً من الموارد النظرية التي تمهد السبيل إلى معالجة هذه الأطروحات في ضوء ما استوحاه من منجزات نظرية التحليل النفسي، التي كانت أداة فاعلة في قراءة البنى السردية في نموذج روائي، شكّل مساحةً رحبةً لممارسة هذه المعالجات، وهي رواية (الشخّاذ) لنجيب محفوظ. ويخلص البحث إلى عددٍ من الخلاصات؛ ومنها أنّ ذكورة الأنا الساردة أساساً في قوام هويتها النفسية، ويرى أنّ الذكورة يصعب تجلّي وجهها الحقيقيّ بغير سياق مباشر يجمعها بنظيرها الأنوثة، وأنها مدعنةٌ في كثيرٍ من تداعياتها إلى مبدأ اللذة، الذي قد يفرض عليها المراوحة والتأرجح بين الهيمنة والخضوع، فما هاتان سوى وسيلتين لقضاء اللذة فحسب، وأخيراً يرى الحاجة والرغبة معيارين رئيسين في تنامي هيمنة الأنا الساردة الذكورية أو نقصانها.

الكلمات المفتاحية: الذكورة، الأنا الساردة، الهيمنة، الخضوع، مبدأ اللذة.

1. المقدمة

تُعَدُّ الأنا الساردة بوجهها الذكوريّ مرتكزاً رئيساً من مرتكزات الهوية النفسية، في ضوء ما يتصل بها من سياقاتٍ واقعية، تُوظف فيها الذاكرة بشطريها؛ الشعوري واللاشعوري، وما تستعين به من استرجاع سرديّ في خضم الصراع الناشئ بين مبدأي اللذة والواقع؛ لقياس مدى تأرجح ذكورة هذه الأنا بينهما، وتفاعلها معهما؛ بغية تتبع النوازع التي تميّز الأنا بين كونها ساردة، وأي هيئة لها خلاف ذلك، لا سيما في إطار العلاقة المباشرة بين قطبي الذكورة والأنوثة، اعتماداً على ما طرحه نجيب محفوظ في روايته (الشخّاذ)، من تشابكٍ تواصلٍ تدور في فلكه الذكورة؛ إن مهيمنة وإن خاضعة.

مشكلة البحث وأسئلته: يحاول البحث الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

- ما مدى هيمنة ذكورة الأنا الساردة في رواية الشخّاذ لنجيب محفوظ؟، ومدى خضوعها لمبدئي اللذة والواقع؟
- كما أنّه يحاول الإجابة عن عددٍ من الأسئلة الأخرى، ومنها:
- كيف تكون الأنا الساردة مكوناً أساسياً من مكونات الهوية النفسية؟
- ما أهمّ الوشائج التي تربط السرد بالتحليل النفسي؟
- ما السبل التي يتجلّى فيها الوجه الذكوري للأنا الساردة؟

- كيف أفلحت رواية الشخّاذ في أن تُعدّ نموذجًا حقيقيًا لتمثيل ذكورة الأنا الساردة؟

فرضية البحث: يفترض البحث عددًا من الفرضيات، ومنها:

- الأنا الساردة مزيجٌ في نظامها السردي بين الشعور واللاشعور، لكنّها لا تتخلّى عن واقعيتها؛ فطبيعتها سردها انتقائيّةٌ وواعيةٌ، ما يجعلها قادرةً على إدارة مسرودها بصورة عقلانيّة، إلّا أنّها تبقى مشفوعةً ببعض الغرائزيّة المنبعثة من كون طرحها لا يخلو من جرأة اكتسبها من الفجوة الزمانيّة الفاصلة بين عيش الأحداث وسردها.
 - الذكورة وجهٌ طاغٌ للأنا الساردة، لكنّه يصعب تجلّيه إلّا في حدود علاقة مباشرة مع نظيره الوجه الأنثوي، ويتجلّى أثرها إذا جُرّدت من ثوبها العضوي وكُسيّت ثوبًا ثقافيًا واجتماعيًا مجازيًا؛ لقياس مدى أثر جانبها العضوي في سائر الجوانب.
 - تكتسب الذكورة هيمنتها من قدرتها على منح صاحبها قوّةً ومتعةً في الوقت نفسه، فإذا امتنعت هذه القدرة لأيّ سببٍ من الأسباب، اضطربت هذه الهيمنة وأحيلت إلى الخضوع.
 - وأخيرًا يحاول هذا البحث الاستفادة من هذه الفرضيات في قراءة ذكورة الأنا الساردة في رواية الشخّاذ، التي تُعدّ نموذجًا متهينًا لشغل هذا الحيز؛ لما فيها من رصدٍ لهواجس نفسيّة أسهمت في رسم طبيعة العلاقات المتعدّدة للذكورة بالأنوثة، ونظرة الأولى للأخرى بفوقيّة لا تخلو من شقيّة منصاعةٍ لمبدأ اللذة.
- هدف البحث:** يهدف البحث إلى معالجة ما يفترضه، مستعينًا باستيحاء أسس التحليل النفسي؛ لتحديد معالم الهوية النفسيّة للأنا الساردة في الرواية، ورصد ذكورتها وما يتجلّى فيها من الهواجس والنوازع التي أفضت بها اللذة إلى التآرجح بين الهيمنة والخضوع؛ قياسًا إلى ما سيجري إيضاحه في فرشه النظريّ.
- أهميّة البحث:** يستقي البحث أهمّيّته من اتّخاذه نظريّة التحليل النفسي أساسًا يوجّه انطلاقه لتفكيك البنية السردية التي قامت عليها الأنا الساردة، في رواية الشخّاذ، مستعينًا بما أفرزته هذه النظرية من أدوات ومنجزاتٍ من شأنها أن تمدّ بساطًا من الآليات المعينة على تفكيك ذكورتها، بعد رصد العمليات الانفعاليّة لمكوّنات الجهاز النفسيّ للأنا الساردة، ومراوحتها في استيحاء محتويات الشعور، ومخزون الطاقة الغرائزيّة في اللاشعور؛ لصوغ قوام الذكورة في هيمنتها وخضوعها.

2. منهجية البحث

ارتكز البحث على ركيزة نظريّة، فيها عرضٌ لأهمّ المقترضات التي ينبغي إيضاحها، وأخرى إجرائيّة استوتحت كنهها ممّا سبقها من فرشٍ نظريّ يعينها على قراءة الرواية، وأمّا منهجه فوصفيّ تحليليّ يقف على مخرجات نظريّة التحليل النفسيّ وأدواتها كمبدأي اللذة والواقع، ومفهومي الحاجة والرغبة؛ لاستلهاهما جميعًا في رصد ذكورة الأنا الساردة وتجليّاتها بصورة موسّعة.

3. الدراسات السابقة

هناك عددٌ من الدراسات والأبحاث التي تتناول رواية الشخّاذ قراءةً وتحليلًا، ومن أهمّها:

- الشخّاذ والخلاص الحائر بين المقدّس والمدنّس، للباحث حسن حمّاد:

تُعنى هذه الدراسة بتركيز الضوء على شخصيّة بطل الرواية، محاولةً البحث عن معاني الحياة المتجدّدة فيها، وتعتمد في سبيل ذلك على تقديم قراءة أدبيّة فلسفيّة خالصة، مركّزة على بعض إفراغات الفلسفة العيبيّة، وبعض مخرجات الفلسفة الصوفيّة، وهو ما يختلف معه هذا البحث، الذي سعى إلى تفكيك البنية الذكوريّة للأنا الساردة لشخصيّة بطل الرواية في ضوء ما تحسن الاستعانة به من منجزات نظريّة التحليل النفسيّ.

- الجهة وصياغتها لعوالم النهاية في الشخّاذ، للباحث المنجي الطرابلسي:

تعنى هذه الدراسة بتفكيك البنية الحكائيّة للخطاب السردية في رواية الشخّاذ، اعتمادًا على ما جرى فيها من اتّصالٍ وثيقٍ وتفاعلٍ بين عوالمها المختلفة، في ضوء نظريّة العوالم الممكنة، ويختلف معها هذا البحث من حيث المنهج المتّبع، فيركّز على قوام النظرية النفسيّة وإفراغات التحليليّة في قراءة إحدى أهمّ أسس البنية السردية فيها، وهي الذكورة.

4. فرش نظري

4.1 الأنا الساردة مكوّنًا من مكوّنات الهوية النفسيّة

لقد حاولت نظرية التحليل النفسي الاستعانة بمختلف الوسائل التي تمكّنها من سبر أغوار النفس البشرية؛ بغية الوصول إلى ذاتيتها وتفكيك أجزاء هويتها، ونظرت إلى السرد بوصفه بسطاً تستطيع أن تمدّ عليه أدواتها وآلياتها في سبيل ذلك، فقامت على إحداث خلقٍ جديدٍ للمعنى من اللفظ، وإعادة بناء الواقع وتشكيل رؤاه بالتأويل (وارد وزاريت، 2005)، ما جعل سرّد المريض لشعوره وهو جسد مفضيلاً إلى سرّد المحلل النفسيّ للاشعوره، بعد أن أعاد خلق المعاني من كلامه وفق أدواته التحليلية ورؤاه التأويلية، فالسرد كان أساساً رئيساً، ومرتكزاً راسخاً، في صرح جوهر النظرية النفسية، إن تشخيصاً وإن معالجةً.

غير أنّ التحليل النفسي يوجّه عنايته بالهامش الزمني الذي يفصل بين عيش التجربة وسردها؛ أي بالفجوة الشعورية التي يمرّ بها السارد بين كونه عاش الواقعة وأدرك كنهها، وكونه ينقل أحداثها بآلية استرجاعية؛ فهذه الفجوة النفسية المنبعثة من ذلك الهامش الزمني الذي يفصل بينهما، أثر بارزٌ في توجيه أنا السارد وتشكيل وعيه (مارتن، 1998)، فالحالة الشعورية تختلف إزاء الوقائع بين الفعل والقول، نتيجة اختلاف التجربة، ونمو الوعي، وزوال المحيط المؤثر عند الاسترجاع السردية، وتنامي الحياء الذي ينبعث جزاء زوال الحاجة العاطفية، أو هدوء وهجها قليلاً بعد هذا الفاصل الزمني، ما يعطي للأناس ساعة كونه ساردة شكلاً مختلفاً عن أي هيئة لها خلافت ذلك؛ لتكون الأنا الساردة قياساً إلى هذا كليه ذات خصوصية بارزة في رسم ملامح الهوية النفسية لصاحبها؛ لما تشهده من تقلباتٍ شعورية، واضطرابٍ في استقرار مكوّناتها.

وهذه التقلبات الشعورية باعثها الأساسي يتجلى في أنّ الأنا أكثر التصاقاً بالواقع، وأشدّ إدراكاً للمخاطر التي قد تنجم عن أي مخالفةٍ له؛ لأنها هي التي تمثل كلّ ما في شعور المرء من موازين منطقية ومعايير واعية، تسعى إلى إشباع لذاتها بغير أن تقترب محظوراً ما؛ لذا فهي منشغلة في صراعٍ حتميٍّ مع الهو الذي يمثل الجزء اللاشعوري، بكلّ ما فيه من موروثاتٍ ومكتسباتٍ غرائزية لا تراعي الأخلاق والواقع (فرويد، 1982)، وكونها في هذا الصراع يحتم أن تكون الغلبة متبدلةً بينهما، ويسوّغ لها ضعفها وإذعانها إن سقطت في مهاوي الغرائزية ولم تقاوم دوافعها، ويسوّغ عدم قابليتها للاعتراف بهذا الضعف إن وقع؛ حفاظاً على كبريائها، وحرصاً على مظهرها أمام الناس والتقاليد على حدّ سواء، ما يجعلها تسوق المسوغات والأعذار؛ احتياطاً لتدافع بها عن موقفها وتبرّئ صورتها ممّا قد يعرفها جرّاء ذلك.

فبناءً على ما تقدّم، يمكن تعريف الأنا الساردة بكونها الجزء النفسي الواقعي في الشخصية، المسؤول عن قصّ مشاعرها والتعبير عنها، بما يتوافق مع هواجسها الذاتية ونوازعها الشعورية، واضطرابات التي تعيش فيها؛ جرّاء ما تمرّ به من صراعٍ محتدمٍ مع الجانب الغرائزي في هذه الشخصية، فيشترك كلاهما بالرغبة العارمة في تحقيق اللذة وإشباعها، لكنهما يتميّزان في كون الأنا تبحث عن تحصيل ذلك بما لا يتجاوز حدود الواقع وقيود المنطق، بخلاف الجانب الآخر الذي يرغب في إشباعها ولا يقيم وزناً لآلية اعتبارات واقعية.

وتحسن الإشارة إلى أنّ الأنا الساردة، تُوظف لنقل الواقع الذي جرى بكلّ مشاهدته وتداعياته، فهي وعاءٌ يضمّ الشعور واللاشعور في آنٍ معاً؛ لأنّ ابتعادها عن واقع العمليات الانفعالية، أدّى إلى إخماد جذوة ذلك الصراع قليلاً، ما يهيئ لها المجال لتقبل الهو بغرائزه وأخلاقيته وإغفاله للواقع، فالخطر الذي قد ينجم جرّاء ذلك أقلّ أثراً، فتكون طبيعة سردها أقرب إلى الحياء منها إلى الانحياز، لكنها تبقى طبيعة واعية على كلّ حال، وانتقائية بالرغم من جرأة طرحها، فبوسعها كبت ما لم تُرد إفشائه، إن كان التصريح به يجرّ جريرة لا تُحمد عقباها، وهذا ما يجعلها أنا ساردة، وليس هو سارداً.

ومن أجلّ ما تشترك به الأنا والأنا الساردة، أنّ كليهما حقيقة، وليستا مزيفتين، بالمعنى الذي تقضيه الدوافع الداخلية النابعة من الذات، وهي مجردة من الشخصية، أو كامنة وراءها، تحرّكها وفق ما تشاء، ولا تشترك معها في الدلالة أو الأثر، فالأنا أعمق غوراً، والشخصية نظامٌ من الاستجابات المكتسبة التي تمدّ صاحبها بالقدرة على التفاعل مع محيطه (هاوكنز، 2017)، وليس شرطاً أن تُمثّل حقيقته أو جوهر ذاته، بل قد تكون قناعاً يتزيّى به؛ ليُخفي وراءه جزءاً من نفسه الفردية أو الجماعية؛ لأنّ هذا القناع لا يتمتّع بآية واقعية، ولا يعدو كونه تشكيلاً للاتفاق بين الفرد والمجتمع في المظهر والصورة الخارجية (بونج، 1997).

4.2 بين السرد والتحليل النفسي

إنّ هذا التمازج بين الأنا والأنا الساردة من تشابه واختلاف، ولّد حاجةً ماسةً لتوسيع المدارك التي تربط السرد بالتحليل النفسي، وهو ما أفرز ما يُعرف بالسرد النفسي، الذي حاول تجاوز المستوى اللفظي للنص الأدبي، والصياغة الشفوية التي أفرزت كلّ ما هو منطوق في الحوارات التي تدور بين شخصياته، والولوج إلى العوالم الداخلية والبواطن الذاتية للشخصيات، من أجل الوقوف عند أهمّ المشاعر والأحاسيس والعوامل الجوهرية والنوازع النفسية التي سبقت المستوى اللفظي، ومهدت إليه، فهو بمنزلة خطاب الراوي عن الحياة الباطنية والعوالم النفسية لشخصية ما (القاضي وآخرون، 2010). ليعدّ بذلك – كما تراه الناقدة الهولندية (دوريت كوهن) – أول من نادى بهذا المذهب ودعا إليه، فضاءً رحباً يحوي أسلوب تفكير الشخصية قبل منطوقها، أي أنّه ينظر في كلّ ما لم تُقلّ الشخصية وما لم تكشف عنه بوضوح من خلال ما تفكّر وتشعر به، وليس ما تلفظه فقط (درموش، 2014)، فالسرد النفسي لا يعنّي بما تقوله الشخصية على لسانها في حديثها عن نفسها فحسب، إنّما يسعى – كذلك – إلى كشف كلّ ما لم يُقل؛ لأنّ بذلك تحليلاً لأفكارها، ومستوياتها العقلية، فهي نابعة من لاشعورها ومعبرة عنه (مارتن، 1998)، بخلاف القول الذي يكون انعكاساً عن الوعي أو الشعور.

وقد كان باعث هذا التوجّه وقادح شرارته، ما وقفت عليه دراسات علماء النفس الذين أولوا المراحل التي تسبق الكلام اهتماماً كبيراً، في ضوء النظرية النفسية التي يرى رائدها الأول (سيجموند فرويد) أنّ كلام المرء وسلوكه لا بدّ أن يمرّ بثلاث

مراحل هنّ مكونات جهازه النفسي: الشعور، وما قبل الشعور، واللاشعور (فرويد، 1982)، إذ تتفاوت مستويات اللغة بين هذه المراحل، فهي لا تعدو كونها لغةً صوريّة رمزيّة لا ترقى إلى المستوى التلقّطي في اللاشعور، وهي لغةً تلقّطيّة بدرجات متباينة، وأشكال متفاوتة بين الشعور وما قبل الشعور، قياساً إلى طبيعة مكونات الجهاز النفسي الذي تتباين عملياته الانفعالية بين كلّ فردٍ وآخر.

وعلى هذا ارتكز منظرو السرد النفسي، فأولوا ما تمرُّ به الشخصية الروائيّة من نوازع باطنيّة، وهاجس نفسيّة، وصراعات فكريّة، وعمليات انفعاليّة، ومحتويات مكتوبة، ومشاعر وأحاسيس قد يُدرّك بعضها فيصاغ لفظاً ونطقاً، وقد لا يُدرّك بعضها الآخر فلا يُصاغ، إلّا أنّ عدم انتقاله من المستوى الشعوريّ غير الشعوريّ إلى المستوى التلقّطي النطقيّ، لا يجزّئنا من ضرورة تحليله وتفحصه والنظر في أبعاده كلّها؛ لما له من انعكاس قد يطرأ بشكل غير مباشر على كلام الشخصية وسلوكها في الفضاء الروائيّ، وهذا هو جوهر السرد النفسيّ، الذي اعتنى بهذا الجانب الذي أغفله السرد البنيويّ، أو لم ينظر إليه نظرة متعمّقة متفرّدة.

4.3 الوجه الذكوريّ للأنثى الساردة

لا يُدرّك المعنى الأشدّ خطراً للذكورة والأكثر تأثيراً في توجيه الأنثى الساردة وانفعالاتها وتجليّاتها، الواعية وغير الواعية على حدّ سواء، إلّا إذا نُظر إليها نظرة تُجرّدها من ثوبها العضويّ (البيولوجي)، وتُكسيها ثوباً ثقافياً واجتماعياً، بأبعاد مجازيّة (ضاهر، 2011)، وهذا طابع لا يسلم من الأثر العضويّ للذكورة، لكنّه يمتدّ ليشغل حيزاً واسعاً من المساحة الثقافية والاجتماعيّة في تجلّيات الأنثى الساردة، ويسهم في رسم انطباعاتها، وتفاعلها مع المحيط بعناصره كلّها، انطلاقاً من مكونات الذكورة الأولى، التي تتمثّل بالملامح المحيلة إلى الفروق التشرّحية بينها وبين نظيرها المقابل وهي الأنوثة، قبل أن تتسلّل هذه الفروق إلى سائر ميادين الحياة، (كوزن، 2010)، ومن أهمّ هذه الميادين تلك التي تدور في فلكها العلاقة المباشرة بين هذين القطبين المتناظرين؛ الذكورة والأنوثة، فالأشياء لا تُماز إلاّ بأضدادها، وفق مفهوم المخالفة، الذي يرى ضرورة مقارنة المضامين بغيرها؛ لتحديد ملامح فحواها. (عبد العال وآخرون، 2014)

فالوجه الذكوريّ يصعب تجلّيه في غير علاقة مباشرة للأنثى الساردة بالأنثى، التي تكون مسروداً عنه تُفرض عليه هيمنة الأنثى الساردة الذكوريّة، أو تضطرب هذه الهيمنة فتخضع لسحر الأنوثة، وهذا ما يرسم معالم طبيعة ذكورة الأنثى الساردة، بين كونها مُهيمنة أو خاضعة، أو معتدلة في مرحلة وسطى بينهما، في أثناء الاسترجاع السردّي لهذه الأنثى، وهذا يمكن قياسه بما أسماه (فرويد) مبدأ اللذة ومبدأ الواقع، يُعدّ الأوّل مسرّحاً لإطلاق عنان مكونات اللاشعور الغرائزيّة، التي تنظر إلى الأشياء من حولها نظرة شبيّة قائمة على استخلاص اللذة وتحقيق الرغبة، بكلّ تحلّل من عقل المنطق، (فرويد، دت)، وأمّا الثاني فلا يعدو كونه مُنطلقاً منه ليعدّله ويضبط شهوانيّته بقيود واقعيّة، فهو - أيضاً - يسعى إلى تحقيق اللذة لكن بما لا يخالف المنطق وحدوده، (فرويد، 1938)، وذكورة الأنثى الساردة تتحدّد ملامحها قياساً بمدى قدرتها على أن تتخذ هذين المبدئين معياراً في عمليّتها السرديّة، ومدى تأثيرها بهما، وتفاعلها معهما، وخضوعها لهما.

علامة على ذلك، فإنّ الذكورة إذا نُظر إليها بوصفها أحد طرفي ثنائية قطبيّة مع الأنوثة، في علاقة عاطفيّة مباشرة بينهما، لا يمكن تجريدها من مفهومي الحاجة والرغبة؛ لدواعٍ فطريّة تقتضي ضرورة وجود كلّ منهما لإكمال النقص عند الآخر، فالحاجة تتمثّل في الحافز الذي يملك الأنثى لتحقيق أهدافٍ معيّنة، وتشعرها بالرضا الكامل ساعة تحقيق هذه الأهداف (مارتن، 1998)، ما يعني أنّ الحاجة باعثها الأنثى، تتولّد بوعي كاملٍ لما يمكن إحرازه وما لا يمكن، قياساً بالقدرة والواقع المحيط، بخلاف الرغبة، التي تتجسّد على هيئة مطالبة الأنثى بتحقيق ما يتجاوز حاجتها؛ ذلك لأنها منبعثة من اللاشعور (حب الله، 2004)، فهي ذات جوهر غرائزيّ شبيّ، لا يقيّم وزناً للواقع وقيوده، ولا للمنطق وما يفرضه من حدود، فإذا ألحّت الرغبة إلحاحاً شديداً لم تحسن الأنثى كبح جماحه والتصديّ لوهجه، أدّى ذلك إلى إفراز سلوكٍ غير سويّ سينتج أنا مضطربة في طبيعة الحال.

والذكورة قد تجد نفسها محتاجة إلى فرض هيمنتها على الأنوثة؛ إرضاء لغرورها الذي ولّدته أصول ثقافيّة متراكمة في اللاوعي الجمعيّ في العقلية البشريّة؛ لقوّة المركزيّة الذكوريّة في هذه الثقافة (بورديو، 2009)، وذلك لما أسهم النظام الأبويّ وسلطته المسيطرة بترسيخه جذوراً أصيلة وثابتة منذ مرحلة متقدّمة من التاريخ، قامت على استبعاد المرأة ومعاملتها بوصفها وسيلة لقضاء الرغبة وإشباع اللذة (شرابي، 1992)، ما من شأنه أن يلقي أثراً مباشراً في سردية الأنثى، ويحيطها بهالة من الميل إلى هذه الحاجة، والخطر الحقيقي يكمن إن تحوّلت هذه الحاجة إلى رغبة، فالأنثى الساردة التي تُعدّ مزيّجا من الشعور واللاشعور، تبدو عرضة لهذا الخطر بشكلٍ حقيقيّ.

ويمكن إجمال ما تقدّم بإشارة موجزة إلى أنّ ذكورة الأنثى الساردة لا يتّممّ تمامها، إلّا إذا أكسبت سرداً صاحبها ملمحين اثنين، هما القوّة والمتعة، فإن أدركت الأنثى الساردة هذين الملمحين في سرديّها تكن ذات ذكورة مكتملة، وإن لم تُحقّقهما تكن ذكورتها ناقصة، فالقوّة باعثها الهيمنة الراسخة في اللاشعور الجمعيّ، والمتعة باعثها اللذة التي تمضي الأنثى حياتها في سبيل تحصيلها وإشباعها؛ لذا فإنّ فقدان أحد هذين الملمحين في تجربة الأنثى الساردة يُعرّضها لاضطرابٍ في مكوناتها، سينعكس أثره بوضوح على سردها.

5. إجراء تطبيقي

5.1 عتبة العنوان: الشحاذ ذكراً

لقد شغلت العتبات النصية حيزاً واسعاً من اهتمام الدراسات السردية الساعية إلى تتبع البنى الروائية، بمختلف سياقاتها، وصرف إليها الدارسون عنايتهم انطلاقاً من كونها علامات دالة على معانٍ وإشارات قد تحيط بالنص الأدبي، فتعدّ مفتاحاً مهماً للقراء والنقاد معاً لفهم أي نص، كما أنها لا تخلو من وشائج تعمل على ربط النص الأدبي بسياقات خارجية كثيرة (الحجمري، 1996)، علاوة على كونها قد تشكل حيزاً تشغله الكتابة ذاتها بوصفها أحرفاً طباعية على مساحة من الورق، وتشمل أهم العتبات التي يجري الالتفات إليها قبل الشروع الفعلي بقراءة النصّ ودراسة أفضيته، كالعنوان، والغلاف، والإهداء، وغيرها (الحميداني، 1991)، فكلها إشارات مهيّدة للعمل الأدبي، قد تعطي القارئ انطباعاً عاماً عن بعض الأفكار التي يرمي إليها الأديب في نصّه قبل أن يشرع القارئ بقراءته.

والعنوان واحدٌ من هذه العتبات النصية، التي قد يوظفها الأديب؛ خدمة لغرض يساعده في إيصال بعض الرسائل، أو بعض الدلالات؛ لتصير العتبات وسيلةً تعبيريةً معينةً للأديب إلى جانب اللغة، إذا أفلح في تسخيرها وتطويرها؛ لموافقة مرامه ومبتغاه، وما يساعد على كون العنوان قابلاً لأداء هذه الوظيفة أنّه مقطعٌ لغويٌّ قد يكون أقلّ من جملة، إلّا أنّه يحمل في مساحته الضيقة دلالة نصّ أو عملٍ فنيٍّ كامل (علوش، 1984)، وهذا ما أفلح نجيب محفوظ بالإفادة منه في رواية الشحاذ، لكن بخصوصية فريدة، فعنوان هذه الرواية يظنّه القارئ للوهلة الأولى بسيطاً في تركيبه، واضحاً في مدلوله، إلّا أنّ هذا لا يدوم طويلاً؛ فسرعان ما يكتشف القارئ أن وراءه معاني أعمق غوراً وأبعد أثراً من حدود الفهم الأول المتشكّل من النظرة الأولى إليه (رزيق وحفاف، 2022).

ولعلّ المفارقة الموظفة في عنوان الرواية هي الأكثر إثارةً للانتباه، فالشحاذ الذي يعنيه المؤلف مختلفٌ عن أيّ شحاذٍ آخر قد يطرق ذهن المتلقّي عند سماع هذه الكلمة، فشحاذ هذه الرواية ليس ذا صورةٍ مزريّةٍ وهيئةٍ رثّة، كما هو مطبوعٌ في الأذهان عند سماع الكلمة، بل هو رجلٌ مثزّنٌ رزينٌ ثريٌّ عصريٌّ غيرٌ متسوّلٍ بالكيفية التي يتصوّرها المتلقّون عن المتسوّل المألوف، الذي يمضي حياته على أرصفة الطرقات مستجدياً عابري السبيل، فهو مختلفٌ حتّى في تسوّله، فهو قد تسوّل شبيهاً غربياً، أشار الباحث حسن حماد إلى أن شحاذ هذه الرواية كان يتسوّل معنى الحياة والحقيقة التي منعه وعيّه الوصول إليها، بعد أن أخفق في إيجاد نفسه منسجماً مع واقع حياته الجديد (حماد، 2012، ص104)، إلّا أنّ بطل الرواية، عمر الحمزاوي، كان مستسلماً لأناه التي لا تكفّ عن إلحاحها الدائم باستعادة شريط ذكريات الماضي، لاستلهاً ما فيه من نشوةٍ لم تعد تحسّ بها، وقد بعث هذه النشوة من مرقدها معرفته بأنّ ابنه بئينة تكتب الشعر، وهو ما كان أحد مرتكزات نشوة ماضيه، التي يفنقدها الآن، فأدّى هذا إلى تضخيم ألمه، وإثارة كوامن نفسه، وبعث ومضة الماضي الذي كان يشوّق إلى استرجاعه في ظلمة واقعه وغربته، وبدا هذا باعتراّف ساقته أنه الساردة على لسانه في حوارهِ مع صديقه مصطفى: "هل هناك حلم يراودك؟

تردد بعض الوقت ثم قال بنبرة اعترافية:

- حدث أن كتبت بئينة شعراً..

- بئينة؟!

- قرأته ودار بيننا حديث فانبعثت في نفسي أشواق غامضة إلى الكتب القديمة التي هجرتها منذ عشرين سنة!

- أوه.. كم خطر ذلك ببالي!

- صبرك!.. حقاً لقد دبّت الحركة في الركود الأدبي، ورحلت أبحاث عن نعمة ضائعة، وتساءلت: ترى هل يمكن أن أبدأ من جديد؟.. ولكنها كانت مجرد حركة طارئة ثم ما لبثت أن تجمدت..

- لكنك تراجعت بسرعة!

- بل عاودت القراءة، وسطرت كلمات، ولكن ذلك كله لم يكن شيئاً، وذات ليلة وأنا في السينما رأيت وجهاً جميلاً فدبّت الحركة فيّ مرة أخرى..

- أهى الحركة ما تنشد؟

- حركة أو نشوة.. أحيت الكائن دفعة واحدة.. وأمنت ساعتها بأن الحركة أو النشوة هي مطلبي، لا العمل ولا الأسرة ولا الثراء.. هي هذه النشوة العجيبة الغامضة.. كأنها النصر الدائم وسط الهزائم المتلاحقة.. وهي التي سحقته الشك والخمول والمرارة.. (محفوظ، دت، ص56 و57)، فالنشوة هي ضالة نفسه التي كان يتسوّلها، ويسعى إلى استرداد الشعور بها، فالركود الذي يملأ حياته المستقرّة كان يمنعه من إيجادها وإشباعها، ولم تقلح محاولات أنه باستعادة قراءة الكتب القديمة بعد أن رأى نبوغ ابنه شاعراً، في بثّ ما خمد به من جنوة الماضي المتوقّدة، فزاد ذلك ألماً على ألم، ووُلد فيه رغبة عارمة لتسوّل النشوة واللذة التي وُجدت، فأفضى ذلك به إلى أن يكون شحاذاً مجازياً، لم يترك سبيلاً لإشباع لذّته إلّا سلّكه؛ بغية تحقيق النشوة التي يتسوّلها، وكانت ذكوره جسر عبوره إلى ذلك، في إشارة حقيقية إلى إبداع محفوظ في الربط بين عنوان روايته، وطبيعة الواقع السردية الذي بُنيت عليه شخصية بطلها.

5.2 رواية الشخاذا نموذجاً لذكورية الأنا الساردة

ليست الشخاذا من الروايات التي يسهل قراءتها بمعزل عن الغوص في البنى النفسية التي تشكل الهويات السردية لشخصياتها، فهي فضاء معقد من الأفكار المتزاخمة، والنوازح النفسية المركبة، التي وُظفت بصورة تعبر عن مدى هذا التعقيد الذي يشوب هذه الهويات المتشابكة، انسجاماً مع كون الهوية في المقام الأول تعبيراً عن مركب من العناصر المتباينة، وكلية من الجزئيات المتفاوتة، التي يؤدي اختلاطها معاً إلى خلق مركب جديد ذي خصوصية مختلفة (ميكيشيلي، 1993)، والذكورة بوصفها مؤثراً رئيساً في التركيبة النفسية لبناء الهوية الفردية، لما يتسلل من جانبيها العضوي للفرد من أثر في جوانب أخرى ثقافية واجتماعية في حياته، تُعدّ واحداً من تلك العناصر المشتركة في بناء مركب الهوية. والأنا الساردة ذات التشابك البارز في مكونات هويتها قد يطغى وجهها الذكوري إن تصافرت الحاجة إلى ذلك والرغبة به، لا سيما إن توافرت سياقات بيئية محيطة تشجّع ذلك وتدعو إليه، وهذا ما أفلح نجيب محفوظ بتوظيفه وطرحه في روايته الشخاذا، التي تُعدّ نموذجاً تتجلى فيه الذكورة الحقيقية للأنا الساردة، سواء في عبئيتها وجديتها، أم في غرائزيتها وواقعيتها، بالمراوحة بين هيمنة ذكورة هذه الأنا الساردة في أطوار، واضطرابها في أطوار أخرى، قياساً بمدى التفاعل بين العمليات الانفعالية، والنوازح الذاتية في مكونات الجهاز النفسي لشخصيات هذا العمل، الذي بُني على تركيبة فلسفية معقدة لا يمكن تفكيك هيكليتها إلا بأدوات تحليلية نفسية؛ لما صوّره نجيب محفوظ من نوازح واضطرابات تموج في أعماق شخصيات هذا العمل، كان لها الأثر في رسم طبيعة تفاعلها مع الأحداث، وحوك نسج الواقع الروائي الذي دارت في فلكه، وسيجري فيما هو قادم عرض لأهم شخصيات الرواية؛ بغية تحليل مسرودها نفسياً، لاستشفاف مكان تآرجح ذكورة الأنا الساردة بين الهيمنة والخضوع.

5.3 عمر الحمزاوي

تُعدّ شخصية بطل الرواية، عمر الحمزاوي، هي النموذج الأكثر تجلياً للأنا الساردة، فقد قامت الرواية على اتّخاذ حياتها وأبعادها النفسية وهواجسها الذاتية محوراً أساسياً يدور فيه الواقع السردية، وهي الأكثر تمثيلاً لذكورة هذه الأنا، لا سيما في ضوء علاقاتها المتعددة مع نموذج المقابل (الأنثى)، وعمر الحمزاوي رجلٌ محام، يبدو على قدرٍ مريح من الثراء المادي، متزوِّج من زينب، التي كانت مسيحية ثم عند زواجهما غيرت دينها، واسمها الأول كاميليا فواد، إلى هذا الاسم الذي تبدو فيه مسحة إسلامية، وعندهما ابنتان؛ بئينة وجميلة، وولدٌ آخر وُلد لهما في مرحلة متأخرة أسموه (سميرا). وكان عمر ذا مرجعية اشتراكية في ماضيه، رفقة صديقيه مصطفى الميناوي وعثمان خليل، قبل أن تُحبط محاولاتهم التمردية وتُخمد جذوتهم الثورية بعد اعتقال عثمان، الذي رفض أن يشي بصديقيه، فأضى عشرين عاماً من عمره في السجن وحده، وذهب صديقه إلى الحياة لينخرط بواقعها بعيداً عن أيّ اتّصالٍ بماضيهما، فصار عمر محامياً ناجحاً، وصديقه مصطفى كاتباً صحفياً ومؤلفاً إبداعياً مشهوراً، وتزوِّج كلّ منهما، وانطلقا بحياتهما الخاصة، لكنهما ظلّا محتفظين بصداقتهما. غير أنّ انخراط عمر بالواقع لم يكن انخراطاً قوياً، بل كان مفتاحاً رئيساً لإثارة الشكوك في ذهنه، وتسلسل اليأس والملل والإحباط إلى نفسه، بعد أن فقد الشغف الذي كان يحيا لأجله، ووجد نفسه مضطراً إلى أن يبقى في حلقة مفرغة من عجلة الروتين اليومي الذي يدور على وتيرة مستمرة، فيسبب هذا كلّ نوعاً من الحاجة إلى التجديد، وخلق أفضية أخرى يفرغ فيها ما كُبت في ذاته من طاقات لم يُعدّ ثمّ سبيلٌ لإفراغها، كما كان عهده في ماضيه الاشتراكي، الذي كان يهيئ له مساحة يبسط فيها حاجته إلى إثبات قوته وعرضها، ليراها هو، وليس ليراها الآخرون، وهي القوة المتمثلة بالنزعة التمردية والأعمال الثورية ضد الحكومة بسبب مرجعيته الاشتراكية، فلما غابت هذه المساحة واختفى حيزها في حياته، تناقص شعوره بقوته وتأثيره وقيمة وجوده التي كان يدركها بكونه ملاحاً تطارده الحكومة التي تعتنى بإلقاء القبض على مثيري هذه النزعات؛ لإيقاف أيّ خطرٍ قد ينجم عن تحركاتهم، وهذا الشعور بكونه مهمماً أضحى سراً بعد أن قامت الثورة في مصر، وتغيّرت الظروف السياسية التي كانت تدعو إلى قيام حركاتهم، وفقد الأنيس الذي يسانده بهذه المهمة بعد اعتقال عثمان، ونجاح مصطفى فيما لم ينجح به هو، وهو الانخراط في الواقع الجديد. فلم يكن من هذا الفشل إلا شغفٌ مفقود، ورغبة خامدة بكلّ شيء، ونزعة دائمة إلى الهروب من واقعه، والسأم المستمر من كلّ ما يحيط به، الأمر الذي أدّى به إلى زيارة طبيب كان على صداقة قديمة معه؛ ليحاول أن يجد لنفسه خلاصاً ممّا هي فيه، فما كان منه حين أراد أن يصف علته للطبيب إلا أن قال: "لا أعتقد أنني مريض بالمعنى المألوف." (محفوظ، دت، ص7)، ثمّ أكمل: "أعني أنني لا أشكو عرضاً من الأعراض المرضية المألوفة. ولكنني أشعر بخمود غريب." (محفوظ، دت، ص7)، ثمّ استطرد في وصفه: "الحق أنه نتيجة لذلك الخمود ماتت رغبتني في العمل بحال لا تصدق.. ليس تعباً بالمعنى المألوف، يخيل لي أنني ما زلت قادراً على العمل ولكنني لا أرغب فيه، لم تعد لي رغبة فيه على الإطلاق، تركته للمحامي المساعد في مكنتي، وكل القضايا تؤجل عندي منذ شهر" (محفوظ، دت، ص8). ثمّ أكمل متجاهلاً تعقيبات الطبيب وأسئلته: "وكثيراً ما أضيق بالدنيا، بالناس، بالأسرة نفسها، فافتتعت بأن الحال أخطر من أن أسكت عنها." (محفوظ، دت، ص8)

لقد بدت الأنثى الساردة صريحةً في هذا التعبير، تطرح فقدان شغف صاحبها ورغبته الخاملة بكل شيء؛ انسباقاً لموجة عارمة لم يحسن التصدي لها من تمازج الذكريات، الذي أفرزه انقلاب أصاب حاله وبذل واقعه، إلى المدى الذي لم يألف فيه هذا الواقع الجديد، ولم يحسن الانسجام مع نمطه وطبيعته عيشه التي تميل إلى الهدوء والاستكانة والبعد عن الأضواء، فهو معتاد على أن يكون ذا سلطة على غيره، وقادراً على التأثير بمن حوله، وهذا ما لم يُفلح نمط حياته الجديد بمنحه إياه، فوجد نفسه غريباً لا يعرف ذاته في هذا المحيط، فقد فقدت أنه شعورها بكونها مثار الاهتمام، ومحط الأنظار، ولم تعد تحسن بهذه المتعة.

وما زاد من وضوح هذا الأمر، ما كان يرد في حوار مع صديقه الطبيب، الذي مرَّ أمدً طويلاً لم يلتق به، من إشارات عابرة بين الحين والآخر على لسانه، تشي بهذه الهواجس التي تتملكه، فيعد أن استغرب من معرفة الطبيب إياه بالرغم من هذا الفراق الطويل بينهما، قال: "وكثيرون يسمعون عن الطبيب الناجح ولكن هل يعرف المحامي الفذ إلا أصحاب القضايا؟" (محموظ، دت، ص6)، قالها بحسرة وتأسف، كأنه أخذ الحنين إلى ذلك الماضي الذي كان الطبيب نفسه جزءاً من مكوناته المترسبة في ذاكرته اللاشعورية، الماضي الذي كان يشكل فيه محورية ما، ومركزية تشعره بقيمة بات يفترق إليها الآن، ثم أردف حوارهما الطويل بعد أن استفاض الطبيب بقصص الذكريات القديمة، "الحقيقة يا دكتور ما أجمل كل زمان باستثناء الآن". فهو عالقٌ بذلك الزمان الذي كان فيه ذا حظوة، وهي حظوة اكتسب بعضها؛ لأنه كان شاعراً في ذلك الزمان، وأصدر ديواناً، لكنه لم يعد يستطيع نظم الشعر في هذا العهد، كأنه تنمَّ لسوء زمانه، ما يزيد حسرتة على ما مضى، حتى كأنه خجل حين ذكره الطبيب بكونه شاعراً؛ ليقُلل من شعوره بالدونية الذي يتسلل إليه موازاةً مع تذكره تفوقه في ماضي الزمان.

- "يا لسوء الحظ! هجرت الشعر؟

- طبعاً.

- ولكنك طبعت ديواناً فيما أذكر.

فخفض عينيه حتى لا يقرأ فيهما توتره وضيقه وقال:

- عبث طفولة لا أكثر ولا أقل. " (محموظ، دت، ص13)، فلم تجرؤ أنه الساردة على أن تزيد عن قولها إنه حظ سيئ وعبث طفولة؛ هرباً من ماضٍ تولمها ذكراه؛ لعجزها عن استعادته، فحدثت صاحبها: "ذكرى غرباء كالطقس المنحوس فمتى يسكت عنها" (محموظ، دت، ص13).

إن هذا العجز الذي أخذ يتسلل إلى الأنثى الساردة، وما كان يصحبها من رغبة جارفة في استعادة ماضيها، ولَد فيها استسلاماً للطاقة اللاشعورية التي أغلق الواقع الجديد ونمط هذه الحياة المنافذ لإفراغ جزء من مكوناتها، فهي ملحةٌ عليها أن تتخلى عن هذا السكون الدائم، والاستقرار المستمر؛ لكونها تفتقر إلى المساحة التي تتجلى فيها القوة المركزية التي ما تزال الذاكرة اللاشعورية محتقظة بسيرتها وتأبى إلا أن تجد لها سيقاً جديداً يُعاد فيه توظيف جزء منها فيه، فأدى ذلك بصاحبها إلى اتخاذ خطوات حقيقية للعزوف عن نمط حياته، وخلق فيه رغبة بكسر كل ما فيها من رتابة وجمود؛ لأنه أدرك عند الطبيب أن مرضه ليس عضوياً، إنما هو (برجوازي)، كما وصفه الطبيب، فما كان لشكّه إلا أن يزداد، ولحيرته إلا أن تتعمق، فسعى إلى التخلص من كل دواعي ذلك وبواعثه (الطرابلسي، 2020)، لعله يستعيد الشعور بالنشوة التي افتقدتها، بالرغم من صعوبة الواقع الذي يمنع ذلك، بظروفه ومعطياته وحدوده وقيوده، فما رأت أنه لها إلا النافذة الغرائزية المتمثلة بإشباع اللذة وإفراغها فيما هو يعود عليها بالمعطيات نفسها التي كان يعود بها محتوى التجربة المخزونة باللاشعور، وهو الإحساس بالمركزية والقوة والأهمية.

هذا كان الباعث الأول لإعادة بث الحياة بذكورة الأنثى الساردة، فالذكورة تحقق لصاحبها قوةً وهيمنةً ومركزيةً ومتعةً من شأنها أن تسد هذه الثلمة التي أحدثها الواقع الجديد، فما كان من عمر الحمزاوي إلا اللجوء إلى هذا السبيل لإطلاق العنان لذكورته؛ كي تغزو آفاق الواقع، وتكسر قيوده، بعلاقات متعددة في سياق مباشر يُوظف فيه الاتصال الوثيق بالأنوثة؛ بقصد استعادة الماضي وإدراك ما فاتته من لذة بات يفتقر إليها، وهذا ما سيجري الوقوف عند تفاصيله في قابل الموارد، فستُعَرَضُ الشخصيات النسائية في الرواية؛ لتتبع مدى طواعيتها لذكورة الأنثى الساردة، ورصد تفاعلها معها، ما أدى إلى خلق صورتين منها، إحداها كانت مهيمنة والأخرى خاضعة، وهذا يأتي انسجاماً مع ما كانت تنسم به ذكورة الأنثى الساردة في هذه الرواية من عدم الاستقرار والأتزان، ما جعلها تبدو بأشكالٍ عدّة وحُلٍ مختلفة، تماهياً مع حالة الاضطراب التي كانت تضج بها مكونات الجهاز النفسي لعمر الحمزاوي من جانب، ولتعدد النساء في حياته من جانب آخر، فكل أنثى كان يقابلها وجه ذكوري لأنها قد تختلف عن غيره ببعض التفاصيل، إلا أن ذكورته قد تردت ثوبين جليئين يمكن رصدتهما، فهي قد تأرجحت بينهما، قياساً إلى النموذج الأنثوي الذي يقابلها، وهذا بيان ذلك.

5.4 زينب

إن ما ينبغي الالتفات إليه، أن من أشد تجليات الهيمنة الذكورية اقترانها بالمكانة، فكلماً أحسّت الأنثى بمكانتها زادت البواعث الداعية إلى هيمنتها؛ استمراراً في حفاظها على هذه المكانة، فالمكانة - كما يصفها آلان دو بوتون - رغبةٌ مُستنهأة عند أي فرد، وقد يؤدي تقاوم هذه الرغبة إلى إحداث قلق عند من يحاول السعي إليها بكل ما أوتي من قوة، وهذا ما قد يورثه الحسرة والأسف (دو بوتون، 2018، ص5)، والناظر إلى علاقات عمر النسائية في الرواية يجدها تدور حول هذا المحور، بدءاً من علاقته بزوجه زينب، التي تعرّف إليها في إحدى الحداثق، وكانت تحول دون الظفر بها قيود اجتماعية شتى؛ نظراً لاختلاف دينها، وممانعة أهلها لهذا الارتباط، فقد شدّه جمالها وملاحظتها بمجرد أن رآها بثوبها الأسود حداً على عمها، أي

أنّ ما شدّه إليها كان محضاً من المتعة الحسّية التي قادّه إليها جمالها الأخاذ، بغير إغارة أدنى اهتمام لما يفرضه الواقع من قيود، تحول دون تمام اكتمال إشباع هذه اللذة، وهذا بادٍ في حديثه مع مصطفى ساعة رؤيتها، وحديثه معها من أجل إقناعها بضرورة التغلب على هذه العراقيل كلّها بحجة قوة الحبّ الذي يجمعهما.

- "مصطفى ها هي الفتاة!

- الخارجة من الكنيسة؟

- ها هي.. انظر إلى فستانها الأسود حدادا على عمها.. أي ملاحه!

- ولكن الدين!

- لم أعد أكثرث لهذه العوائق..

- وقلت له يسعدني أنك تنازلت بقبول معرفتي. في حديقة العائلات قدم عمر الحمزاوي المحامي نفسه فتمت بصوت لا يكاد يسمع «كاميليا فواد». يا عزيزتي حبنا أقوى من كل شيء وسوف نتغلب على أي عائق، فقالت وهي تنتهد «لا أدري» (محفوظ، دت، ص 47 و 48).

فعدم اكترائه بأيّ عائق يعيق ارتباطهما كان دليلاً على انسياقه لمبدأ اللذة ووطأته، فهو يعتني بقضاء اللذة وحسب، بغير إقامة وزن لما قد يترتب على هذا، وبغير الاكتراث بقيود الواقع وحدوده، وقد أثمرت محاولاته، وتحقق أربّه بالفلاح في إتمام زواجهما بعد تغيير دينها، وتغيير اسمها من كاميليا إلى زينب، وهذا كان أول محفز لتنامي المكانة التي أحست بها أناه، فالفتاة التي كان الارتباط بها تحدياً يحتاج إلى مجابهة القيود الاجتماعية والتغلب عليها لإتمامه، أتيج له ذلك وأفلح في كسب هذا التحدي، ليس ذلك فحسب، بل إنّها غيرت دينها واسمها فقط من أجله هو، وهذا ما كان له أثر بارز في تضخيم هذه الأنا، وإشعارها بمكانة متعالية؛ جرّاء هذه التنازلات التي قدّمتها لإتمام نجاح زواجها به.

وقد زاد هذا الشعور وعزّزه في نفسه، ما قاله مصطفى له، بعد اكتمال الإنجاز الذي حقّقه، "لا تنس الأيام الأليمة، لا تنس الحب أبداً، تذكر أنه لم يعد لها أهل في هذه الدنيا، مقطوعة من شجرة، ولا أحد لها سواك." (محفوظ، دت، ص 48)، الأمر الذي سينمي الأنا عنده، ويجعلها تظن أنّها محورية إلى المدى الذي يشعرها أنّها يُحتاج إليها، ولا تحتاج هي إلى غيرها، ما من شأنه أن يزدها بزینب، ويفقدها الرغبة التي كانت تتملّكها إزاءها في وقت ماضٍ، فهي موجودة ومتاحة في كل وقت، لا داعي لأي قلق من خشية فقدانها أو رحيلها، فليس لها ملجأ أو مرجعية أخرى تؤوّل إليها، ما أفضى بتراكم هذا الإحساس، عبر الزمان إلى إطفاء شغف أناه بها، وفقدانه الانجذاب إليها، فكانت نتيجة ذلك وعاقبته، أنّه لم يشعر بأيّ عاطفة عندما أخبرته بأنّها حاملٌ بولّي عهده، ونقلت أناه الساردة هذا الاضطراب الذي يعصف بنفسه حين ألحت عليه إلحاحاً عجيبةً ناقلةً تمرّدها وسخطها عن كلّ ما يمرّ بها في علاقتها مع زينب بسرديّة مقارنة: "هي تترنم بأهازيج الغرام وأنا أبكم، هي تطارد وأنا شارد اللب، هي تحب وأنا كاره، هي حبلى وأنا عقيم، هي حساسة حذرة وأنا بليد، وقالت أنت لا تتكلم كعادتك فقلت بل لا يسمع لي صوت" (محفوظ، دت، ص 50).

فشعور الأنا المتضخم بمكانتها، في إطار علاقتها بزینب، جعلت ذكورتها ذات هيمنة مكتسبة من جرّاء تلك المكانة المتنامية، لا سيّما أنّ هذا كان مشفوعاً بشعور أناه بحاجة زينب الماسة إليها، إلى المدى الذي جعله لا يطيقها، "لا أدري كيف أتكلّم ولكن للأسف لم أعد أطيعها، البيت نفسه لم يعد بالماوى المحبوب!

- أتقول ذلك عن مكان يضم بثينة وجميّة؟

- من حسن الحظ أنّهما ليستا في حاجة إليّ.. (محفوظ، دت، ص 53)، ولم يكن خافياً هذا عندما ذكره مصطفى بابنتيه، فلم يتردّد بإشارته إلى أنّه سعيدٌ لأنّهما ليستا محتاجتين إليه كثيراً كأمّهما، فلو كانتا في حاجة إليه لرّبما لقينا ما لاقتّه زينب منه، فالحاجة إليه تزده بصاحبها.

ليس ذلك فحسب، بل يُلمح ممّا سبق أيضاً، أنّ هذا الزهد المنبعث من الفوقيّة التي اكتسبته أناه الساردة إزاء زينب، أورث سرد أناه بنيةً حكايةً قائمة على تطويع كلّ ما يحيط بها وصوغه وفق رؤيتها الذاتية لطبيعة الواقع، فقد سخّرت كلّ ما فيه لخدمة ما تعرفه، وما ترغب بمعرفته، وهذه إشارة صريحة إلى هيمنة هذه البنية وسعيها إلى إقصاء كلّ ما يخالفها، وطغيانها عليه، وهذا ما يُعرف بالسارد العليم (الكردي، 2006، ب)، فكانت هيمنة هذه البنية منبعثةً من هيمنة صانعها؛ أي الأنا الساردة التي آلت بها ذكورتها إلى هذا المأل.

لذا لم تكن مستغرّبة محاولة أناه الهروب من هذا البيت الذي يضمّ زينب، بكلّ ما تمثّله من معاني الألفة التي لم يعد قادراً على انتلافها أكثر، وهربت إلى الملاهي الليلية؛ بحثاً عن معانٍ أنثويّة جديدة، فقد فرغت طاقتها الغرائزيّة، وصارت ذكورته بحاجة إلى أنوثة أخرى تفرّغ فيها طاقتها، فلم يعد بوسعه أن يعاملها بغير البرود والتجاهل واللامبالاة القاتلة.

- "كان يجب أن تكوني نائمة..

فقالت بأساطة راحتها في يأس:

- هذه ثالث ليلة..

ببرود وهو ينزع ملابسه:

- شيء لا بد منه..

تساءلت في شيء من الحدة:

- أهو البيت ما يضايقك؟

- كلا ولكن الضيق واقع!

- وكيف تمضي الليل كله؟
- ليس مكان محدد، سينما، قهوة، أتجول بالسيارة.
- وأنا هنا فريسة للأفكار..
- بل يجب أن تنامي ملء جفنيك..
- وسوف أمرض في النهاية.
- اعملي بنصحتي..
وهي تنفخ:
- أنت تعاملني ببرود قاتل..
- لا مرأى في ذلك. رجلك القديم انسلخ من جلده. ها هو يركض لاهثا وراء نداء غامض. مخلفا وراءه حفنة من تراب. مسرات
الأمس وحتى المدينة الفاضلة.. حفنة من تراب. وحتى فتاة النضارة الواعدة عندما دقت أجراس الكنيسة. ونظرت في عينيها
الخضراوين بافتتان وقلت:
- الحب يهزأ بالمخاوف..
فتمتمت وهي تتعلق بك:
- ولكن أهلي..
- أنا أهلك، أنا كل شيء. وستقوم القيامة قبل أن يتخلى عنك حبي!
واليوم تتعلق حياتك بأغنية داعة.
- نامي يا زينب رحمة بنفسك وبي.. " (محفوظ، د.ت، ص 65 و 66)
حاولت زينب أن تذكّره بشغفه القديم، وبوعوده لها يوم أن تخلّت عن كلّ شيء لأجله، لكنّ سيفت الواقع سبق عدلّها، ولم
تعد هذه المحاولات مجدية، إذ لم يعد يقابل دونيتها إلا بهذا التفوق والتعالي الذي أفقده القدرة على الجدل ومواصلة الحديث
معه.
وكلّما كانت تحاصره نفسه بأسئلة عنها بنبرة فيها عتاب وزجر ولوم على ما يعاملها به من برود وتعالي، أو ابنته بثينة،
أو حتى زينب نفسها، كانت أنه تلجأ إلى حيلة دفاعية تتخذها لتخلص نفسها من مسؤولية هذا الأمر ولتتهرب من وزره، وهي
التمارض، وهو نفسه الذي اعترف بكونه غير مريض بالمعنى المألوف، أو لا يعاني من أيّ عرض مرضيّ عند الطبيب،
لكنّه إذا حاصره حرج العتاب واللوم، احتالت أنه بهذه الحيلة لتتجنب أعباء ما قد يجزّه هذا السلوك، والخطر يكمن في أنّ أنه
لم تتمارض لتخلص نفسها من المسؤولية فحسب، إنّما حاولت أن تألف هذا التمارض وتعيش به، وتتخبط بأحكامه كأنه واقع
وليس خيالاً، فأخذت تعامل نفسها والآخرين قياساً بهذه الأحكام، وهذا يسمونه في علم النفس اضطراباً مستحدثاً، يتميز من
التمارض الطبيعي بكونه مزوجاً بسيطرة إرادية من الأنا وتحكم منها في ادعاء أعراض غير حقيقية بناءً على قدرة الأنا
على محاكاة المرض، وفق التوقيت الذي تريده؛ تحقيقاً لغاية ما، أو إخفاءً لعيب لم تُردّ إظهاره (عوّاد، 2011). والواقع
السرديّ لأنّاه بُني على هذا الأساس، فلم تجد أنه الساردة حرجاً من سؤق المرض حجةً ومسوغاً في كلّ حوارٍ لا تجد فيه
مهرباً من اللوم الذي تلقاه.
- لم أسمع منك هذه اللهجة منذ تزوجتك.
وارتدى بيجامته في صمت فهتفت:
- لم أسمع أبداً..
فتمتم واجماً:
- هكذا المرض.
- وكيف لي باحتمال الحياة؟
- نهاري منغص فلا تنغصي ليلي..
- البنّتان تسألان..
- أه.. فلنواجه الأزمة بشيء من الحكمة.. " (محفوظ، د.ت، ص 74 و 75)، فالحجة كلّما ألحت زينب عليه جاهزة ومعدّة قبلاً،
"هكذا المرض"، فلا داعي ليتعب نفسه بمحاولة المجادلة والإقناع، فكانت حجته مشفوعة بهذا البرود والتراخي في الرد دائماً.
وليس هذه الحجة معدّة مع زينب وحدها فحسب، بل كذلك مع ابنته بثينة، التي كلّما حاصرت بالحديث عن أمّها ومعاناتها
في البيت، بادرها بهذه الحيلة؛ لعلّه يخلص نفسه من المسؤولية أمام ابنته؛ كيلا تراه سبباً مباشراً لانهايار أمّها وتدميرها،
- ألا يعجبك الحديث عن ماما؟
فقال مقطباً:
- لم تعد تفهمني في مرضي " (محفوظ، د.ت، ص 86).
وهي حجة اتخذت حيلة حتى مع نفسه، فإن رأى زينباً نائمة بجواره، وهو مفتقد كلّ مشاعره القديمة إزاءها، خاطبتها أنه
الساردة في سرّها قائلة: " وهذا يعني أنني لم أعد أحبك. بعد الحب القديم والعشرة الطويلة والذكريات المليئة بالوفاء لم أعد
أحبك. لم تبق ذرة حب واحدة. ليكن عرضاً يزول بزوال المرض ولكني الآن لا أحبك. وهو أشقى ما ألاقى من مر التجارب." (محفوظ، د.ت، ص 47)

إن ذكورة الأنثى الساردة لعمر الحمزاوي في علاقته مع زوجته زينب قائمة على الهيمنة المحضة، انطلاقاً من كون الانجذاب إليها والزواج بها كان أشبه برغبة منه في تحدي العوائق ومجابهة المصاعب التي تحول دون إتمام هذا الزواج، وبعد أن ظفر بها، أحسّت أنه بنصر حقيقته جعلها تدرك مكانة لم تكن تدركها من قبل، فتضخم هذه المكانة، الذي انبعث من كون زينب دائمة الحاجة إليه، وانعدام المرجعية التي من الممكن أن تؤول إليها وتلوذ بها، ولّد بهذه الأنثى زهداً بها، وانقلاباً شعورياً مطلقاً، فلو كان حبه لها أول الأمر صادقاً خالصاً لأجل الحب، لما عرف هذا الانقلاب الكلي، وهو ما كان مفضياً في نهاية المطاف إلى خلق هيمنة بهذه الذكورة، لم تعد الأنثى الساردة تجد فيها حرجاً من معاملتها ببرودٍ وتعالٍ واضحين، ومن رغبة جارفة في الهروب إلى نساء أخريات في ملاه ليلية؛ لعلها تستعيد فيهن شعورها باللذة الذي لم تعد تحس به معها، فاللذة المنبعثة من فوقية الأنثى ودونية الآخر، مألها ألا تطول كثيراً، وأن تفقد جوهرها مع كثرة استهلاك هذه المشاعر، وسرعان ما تجسد ذلك حقيقة بمجرد سماعه كلمات أغنية مثيرة من مارجریت في الملهى، ولقائه السريع معها بعد ذلك، الذي أفرغ فيه شيئاً يسيراً من لذته، لهذا وصل واقع طبيعة علاقة عمر بزينب إلى هذه الحال.

5.5 وردة

لم يكن واقع طبيعة علاقة عمر بوردة مختلفاً كثيراً، فهي الفتاة التي رأى فيها خلاصاً من مازقين، مازق حياة الجمود التي كان يعيشها مع زينب في بيته، ومازق الخيبة التي لقيها من مارجریت التي أخلفت موعودها معه، وسافرت من غير أن ترضي له القدر الكافي من اللذة التي كان يصبو إليها، وهذا موردٌ سيجري تناوله فيما بعد، فوردة كانت وسيلة اتخذتها أنا عمر لتكون فضاء تنفّس فيها ذكورتها الصعداء، وترخي فيها أحبال الغواية لتفرغ مكبوت غرائزيتها؛ استهلاكاً للذة التي حُرمتها دهرًا طويلاً، وهذا ما تُرجم سردياً بقولها ساعة التقاء عمر بها للمرة الأولى في الملهى: " أنا لم أحضر لأنني أحب ولكنني حضرت لأحب" (محفوظ، دبت، ص71).

ثم بغير تمهيدٍ أو استدراج، قادها إلى طريق الهرم الصحراوي ليقضي شيئاً من مكبوتيه الغرائزيّ معها؛ إشباعاً للذته التي فقدتها منذ أمدٍ بعيدٍ مع زينب، ولم تكتمل مع مارجریت؛ لذا أخذها إلى المكان نفسه الذي ضمّ لقاءه السريع بمارجریت، وهذا ما يعرّز كوّن وردة وسيلة استبدالية، تلجأ الذكورة المهيمنة إلى اتخاذها إرضاء لغرورها الذي خُدش قبلاً مع غيرها، ثم باشر بتحضير شقة لهما يمارسان فيها كلّ ما لا يستطيعان ممارسته من صنوف اللذة والنشوة خارجاً، وسط ذهولٍ من وردة التي لم تكن تتصوّر أنّ أحداً يبادرها بهذا الاهتمام كلّ، فهي فتاة منبوذة من عائلتها؛ بسبب امتهازها الفن، فلم يشعرها أحدٌ بقيمتها كما فعل عمر، وهذا ما جعلها أكثر تعلقاً به، فقد رأت في حبه سعادة يلخص معاني الحياة كلّها، ويصوّرها في نظرها عبثاً ما لم تكن حباً.

- أحبك.

- من كل قلبي.

- ما أعز أمنية في حياتك؟

- الحب.

فتمادى في عبثه البريء متسائلاً:

- هل فكرت يوماً في معنى الحياة؟

- لا معنى لها إلا الحب.

- وهل فرغت من زينتك؟

- لم يبق إلا القليل.

فاستطال تماديه وهو يسأل:

- عزيزتي ألا يفلّك أن نعبث والعالم من حولنا يجد؟

وهي تضحك عالياً:

- ألا ترى أننا نجد والعالم من حولنا يعبث؟" (محفوظ، دبت، ص82 و83).

ولم يكن بعد ذلك إلا أن اتخذت علاقته بها ما اتخذته علاقته بزينب من قبل، فقد هجرت وردة عملها في الملهى؛ لتسلم نفسها كلّها له، وليشكّل هو عالمها الأوحّد، كما فعلت زينب بتركها دينها وعائلتها للزواج به، وهو يوهمها بأنه سيبقي معها حياته كلّها، لكن ما أن فرغت طاقتها الغرائزية من حاجتها إلى إشباع لذتها منها، تبدّل حاله في التعامل معها، وما أن التقى بمارجریت صدفةً في الملهى بعد عودتها من سفرها، تسلّل إليه ما كان يعانيه في علاقته مع زوجته، وأخذت أنه تزدهد بالمبدول بين يديه، وتغريه بما هو غير متاح، فتاقت نفسه إلى مارجریت، كما تاقت إليها قبلاً، وزاد من توقها إليها أنها كانت الرغبة التي لم تتحقّق، فلم يكن مصير وردة مغايراً عن مصير زينب، فكلتاها ضحيتان لذكورته المهيمنة، فزينب وقعت في شرك فراغ الحاجة إليها بعد أن أعطته كفايته من المكانة العظيمة التي كان يصبو إلى شغلها، ووردة وقعت في شرك فراغ اللذة، التي لا بدّ أن تبلغ أقصى درجات الإشباع، وأن تُستهلك طاقتها؛ فهي ليست دائمة النشوة، فكان نتيجة ذلك، أنهما فتاتان شغلنا حيزاً ما لإرضاء هيمنة ذكورة أنه، ثم انتهى دورهما عند هذا المدى.

ولأن الهيمنة الذكورية لا تنتظر إلى المُهيمن عليه إلا من زاوية واحدة، مهما اختلفت التفاصيل بين واحدٍ وآخر، كان سلوك الأنثى الساردة في خضمّ المواجهة مع وردة نفسه سلوكها مع زينب، فلجأت إلى التمارض حيلة دفاعية لتبعد اللوم وتزيح عن نفسها قليلاً؛ تخليصاً لها من أوزار المسؤولية.

- كنت مع امرأة؟
تردد قليلا وقال:
- إن أردت الحقيقة فإنني لم أبرأ بعد من المرض!
فقلت بحدة لأول مرة:
- لكنه مرض لا يجد علاجاً إلا عند امرأة..
ثم بهدوء قالت:
- ليس عندي لك إلا الحب فإن زهدت فيه انتهى كل شيء.. وراقبت صمته بيأس ثم استطردت:
- وتقلب الأهواء في الشباب داء له علاج، أما في العقلاء أمثالك فلا علاج له.
وأجال بصره في الحجرة يائسا وقال:
- هل أنا مجنون؟
- العجيب أن شخصيتك لا توحى بأي نزق!
- لكني متهم بالجنون لسلوكي..
هتقت بحدة:
- إن كنت تقصد معاشرتك لي فارجع إلى زوجتك!
- لا زوجة لي.
- إذن فلأذهب أنا، مشكلتي أبسط من مشكلة زوجتك لأنني لن أعدم عملا أو مسكنا..
وخزه قولها وأوشك أن يصرخ في وجهها «أذهبي» ولكنه مد ساقيه وأغمض عينيه. " (محفوظ، د.ت، ص 109 و 110)
فوردة كانت أكثر وعياً من زينب، وأكثر قدرة على استشفاف العلة؛ وذلك لأنها استندت في تجربتها معه إلى ما جرى في تجربة زينب، فكان إدراكها أسرع من إدراك زوجته، ولربما أحسّت بإحساسها حين عاشت تجربتها، فرفضت أن تستمرّ كثيرا؛ لإدراكها أن الخلاص مستحيل من هذا المأزق، فاقترحت مغادرتها، كي لا تطيل عذابها، بخلاف زينب التي لم يكن منها إلا التذمر والعتاب، ثم أردفت قائلة:
"كنت مع امرأة؟
فقال باستهانة وضجر:
- أنت تعرفين.
- من؟
- امرأة.
ولكن من تكون؟
- لا يهم.
- عرفتها قبل أن تعرفني؟
- مقابلة عابرة.
- تحبها؟
- كلا.
- لم ذهبت معها إذن؟
- هه..
- لعلها رغبة طارئة؟
- يعني!
- وهل ترضخ لأي رغبة؟
- ليس في جميع الأحوال.
- متى؟
- باستهانة وضجر:
- عند الإحساس بالمرض.
- هل أنت مولع بالنساء؟
- كلا.
- ألم تكن تحبني؟
- بلى.
- ولكنك لم تعد تحبني.
- أحبك ولكن عاودني المرض..
فقلت بحدة:
- لاحظت تغيرك منذ أيام.
- منذ عاودني المرض.

فهتفت بحنق:

- المرض.. المرض!

ثم وهي تنظر نحوه بسحنة منقلبة:

- هل ستقابلها مرة أخرى؟

- لا أدري..

- أيسرك أن تعذبي؟

ففنخ قائلًا:

- قليلا من الراحة من فضلك. " (محفوظ، دت، ص 110 و 112 و 113)

فالبرود واللامبالاة والزهد الذي سادَ علاقته مع زوجته يُعَادُ مع وردة بلا أي اختلاف، وظلّ التمارض الشّماعَة التي يعلّق عليها كلّ انحرافٍ ينجم عن ذكوريّة التي أبت هيمنتها أن تحافظ على وفائها بعد فراغها من الحاجة التي انقضت بإشباع اللذة، وإفراغ الطاقة الغرائزيّة المنبعثة من المحتوى المكبوت في اللاشعور، وعادت البنية الحكائيّة للأنا الساردة تتخذُ شكلاً من الهيمنة الإقصائيّة، لكنّها كانت بنبرة أحد، فأتسمت بجعل نفسها في موقع سامٍ، يعلو فوق مستوى إدراك وردة، وهذه سمّة أخرى من سمات السارد العليم، الذي يعطي صاحبه الحقّ في رؤية الجانب الكامل من الحقيقة، وينطق من حوله بها، فيحسب أنّه الوحيد القادر على فهمها وإدراكها، وأنّه يرى ما لا يراه الآخرون (الكردي، 2006، أ)، ليكونَ هذا تجليّاً حقيقياً لذكورة الأنا الساردة المهيمنة، التي تقابل الأنوثة بوقيّة مستوحاة من نظرتها إليها من حيث كونها وسيلة لقضاء أرب ما، تزول بزوال الحاجة إليها، وكلّما بدّلت أكثر رُهدَ بها، ودنا وقت التخلّص منها بأيّ وسيلة كانت.

5.6 مارجريت

سبق القول إنّ ذكورة الأنا الساردة في الرواية، تأرجحت بين الهيمنة والخضوع، وتجلّى واقع هيمنتها إزاء زينب ووردة على حدٍ سواء، أما خضوعها فكان تجلّيه بحاجة إلى الاصطدام بفتاة كمارجريت، لكن تحسن الإشارة قبلاً إلى أنّه لا يُدْرَك مفهوم خضوع ذكورة الأنا الساردة في الشّخّاذ إلا إذا قرّنت بالهيمنة، والهيمنة كما جرى إيضاحها كان باعثها حاجة الطرف الآخر وخضوعه من جانب، والرغبة بإدراك المكانة المتضخّمة وقضاء اللذة الشهوانيّة من جانب آخر، فإذا أُعيقَ أحد هذين الباعثين أو كلاهما، انقلب مفهوم الهيمنة الذكوريّة واضطرب، واضطرباها قد يؤدي إلى خضوعها؛ لأنّ النزوع إلى الهيمنة مقرونٌ باللذة، والخضوع مشفوعٌ بالألم، واللذة كلّما زاد الألم في سبيل إشباعها كانت الرغبة في تحقيقها أكبر، والنشوة المتحصّلة بعد قضائها أعلى، انسجاماً مع ما يقوله فرويد: "إنّ اللذة تلازم نقصانها" (فرويد، دت، ص 24)، أي أنّها تزداد اشتهاً إلى النفس كلّما مُنعت من إدراكها، إلى المدى الذي قد يجعل اللذة والألم شعورين متمازجين، بحيث لا تحسّ الأنا باللذة إلا إذا تألمت في سبيل الوصول إليها (فرويد، 1989، ص 46).

والأنا الساردة لعمر الحمزاوي التي بلغت أقصى مراتب الهيمنة الذكوريّة في علاقتها مع زينب، إلى الحدّ الذي جعله ينفر منها بوقيّة، وأفضى به إلى الهروب منها والبحث عن غيرها، اصطدمت بنموذج أنثويّ مختلفٍ تمام الاختلاف، وهو المتمثّل بمارجريت، المغنّية الفرنسيّة التي تعرّف إليها في الملهى الليلي، ويكمن اختلافها عن زينب في أنّها كانت أقلّ مبالاة به، وأكثر ممانعة لرغباته؛ فهو لم يعتد إلا على احتياج زينب المتنامي له، ما كان يشعره بتضخّم مكانته ومركزيّته، وعلى طاعتها الخالصة في كلّ شيء، أما مارجريت فلم تبد له هذا القدر من الطاعة، الأمر الذي جعل ذكورة أناه إزاءها مفعمة الرغبة بها، وحينما واجهت منها الممانعة غير المألوفة، تفاقمّت هذه الرغبة، وكان خضوعها إليها.

وقد بدا هذا الخضوع في حوارهما الأوّل، عندما بادر مصطفى إليها ليعرّفها بصديقه: "صديقي محام كبير، أرجو ألا تحتاجي إليه بصفته المهنية!

فضحك ثغرها ضحكة خالية من الصوت وقالت:

- إني أحتاج دائماً لمن يدافع عني، أليس ذلك تعريفاً لا بأس به للمرأة؟

فقال عمر مستعينا بلباقة خاصة لم تستعمل من سنين طويلة:

- باستثناء من لهن جمالك أو صوتك.. " (محفوظ، دت، ص 60 و 62)، فمارجريت قد أصابت طرقياً من النموذج الأنثوي الذي عهدت أناه الهيمنة عليها، النموذج المحتاج، إلا أنّ أناه لم تفلح في السيطرة على انفعالها إزاء غوايتها، فخضعت هذا الخضوع المنافي لسيرتها مع الأنوثة التي اعتادت التعامل معها، ولم يفت هذه الأنا الإشارة إلى الجمال بسرديتها هذه؛ تلميحا منها إلى أنّ المعيار الذي تتمايز به أنثى من غيرها هو الجمال المحض، وهي إشارة إلى نظريّة الغرائزيّة المفضية إلى اعتداد المرأة وسيلة لإشباع اللذة فحسب، ثم بدأت ممانعة مارجريت تتجلّى عندما حاول مصطفى أن يختصر الطريق على صديقه، بجرأة كفاه احتمال وزرها؛ كي تبقى أناه محافظة على رزانتها، - وهو يبحث عن الجمال علاجاً لداء طريف ألم به في الأيام الأخيرة..

وانطلقت طقة السدادة وهام في الكؤوس الحباب.

- أيعني هذا أنني نوع من الدواء؟

فيبدرها مصطفى باسمًا:

- أجل، لم لا، من النوع الذي يؤخذ قبل النوم..

- لا تتعجل، الشفاء لا يجيء بالسرعة التي تتصورها.. " (محفوظ، دت، ص 62)

فهذا التناقض بقدر ما كان يُرغَّبُ أنا عمر بها، كان غريباً عليها وغير مألوفٍ لها؛ فلم تعد ذكورتها على أن تكون طرفاً غير مهيمٍ في علاقاتها بالأنثى، وهذا كان داعياً إلى خضوع أكبر منها، وإن كان قد بدا بصورة لباقة في تعاملها مع جراءة مارجريت وعدم طواعتها، "متزوج!.. أنتم أيها المتزوجون لا تتركون للعزاب فرصة.. فقال مصطفى ضاحكاً:

- إنكما تتقدمان بسرعة مذهلة، أراهن على أنكما ستخرجان الليلة معا..

- خسرت الرهان!

- لماذا يا عزيزتي مارجريت؟.. صاحبنا محام لا يعرف التأجيل..

- إذن فعليه أن يعرفه!

- اللعنة على التقاليد الجامدة..

ولكن عمر قال برفقة:

- على أي حال سيارتي تحت أمرك لتوصلك إلى أي مكان. " (محفوظ، دت، ص 63)

وبالرغم من كونه أفلح بأن يقنعها بإيصالها بسيارته، وأخذها إلى طريق الهرم الصحراوي؛ ليفرغ شيئاً من طاقته الغرائزية المكبوتة معها، لم تسمح له بإطلاق العنان لمحاولاته النيل منها، وظلت تمنع وتوجل ولم تُبلِّه إلا قليلاً من مبتغاه، فجعله ذلك أكثر رغبة بها، وأشد حاجةً إلى إشباع لذته، فلم يكن لذكورة أنه سبيل تواجه به هذه الممانعة سوى الخضوع لها والإذعان؛ لعلها تظهر ببيغيتها في وقت لاحق، "فلنبق حتى الصباح..

- لا تحلم، وصلني من فضلك.

- ألم تسمعي عن مغامرات الليل في الهرم؟

- حدثني عنها غدا..

ومال نحوها فتبادلا قبلة، وهم بالإعراب عن رغبة أشد ولكنها قالت برجاء:

- قلت غدا..

ولثم خدها بخفة إعلاناً عن تراجعه. وتحركت السيارة فوق الرمال.

- لا تزل من فضلك..

- علي أن أذن للقوانين الأبدية.

- الأبدية؟

- أعني قوانين الأنوثة. " (محفوظ، دت، ص 64 و 65)

لم تجد أنه حرجاً في أن تصرح باعتراف سردي واضح بأنها لا بد لها أن تدعن لقوانين الأنوثة، وهذا ملمح يدل على أن ذكورتها لم تكن تفكر بشيء سوى قضاء اللذة بصرف النظر عن الوسائل المتبعة في سبيل ذلك، حتى لو كلفها هذا الخضوع للأنوثة، ومخالفة عهدها بالهيمنة الذي ظلت عليه طوال علاقتها مع زينب، فاللذة والنشوة هما مقصد ذكورة أنه الساردة وغاية أربها، ولا يهم ما إذا كانت مهيمنة أو خاضعة في سبيل تحقيق ذلك.

لكن الصدمة التي تلقاها في اليوم التالي بعد أن أخبره مصطفى بأن مارجريت غادرت البلد بشكل مفاجئ، من غير أن تنجز له وعدها، كانت أقوى من أن تحتلها ذكورة أنه التي اعتادت أن تكون مركزية ومهيمنة ورغباتها تُقضى بمجرد اشتهاها، بغير تأجيل أو تعطيل في سالف تجاربها، فكانت هذه الصدمة سبباً في محاولة أنه البحث عن فتاة غيرها؛ ليكمل فيها النقص الذي أحسّت به ذكورتها بعد أن خاب أملها، وكانت وردة ضحية لهذه الذكورة التي خُدش كبرياؤها، واهتزت مركزيتها، ولم تتحقق رغبتها.

وهذا ما يفسر انقلابها على وردة، وازدراءها بوقية بعد أن جرى استهلاك اللذة وإشباعها منها، بمجرد رؤية مارجريت ثانية تغني على المسرح، فنسيت ذكورة أنه الساردة خيبة أملها من سفرها المفاجئ، والألم الذي سببته صدمة رحيلها غير المنتظر، وعادت إليها بخضوع كامل ليُنتم ما نقص في اللقاء الأول من إشباع لرغبتها، وتحقيق لذتها، قبل أن تخوض بعد ذلك عدداً من العلاقات العابرة مع نساء أخريات، لم يكن لهن حيز حقيقي يشغله في حياته، بإشارة صريحة إلى أنه كن وسائل مؤقتة لتفريغ مكبوت الطاقة الغرائزية، ثم تتلاشى الحاجة إليهن بعد استهلاك النشوة، الأمر الذي ولد في هذه الأنثى زهداً عاماً بالأنوثة؛ إثر استنزاف طاقته، فلم تعد تشعر بالحاجة الرغبة نفسها التي كانت تلاحقها في ماضي التجارب، فحاول أن يسترد شكل حياته القديم، بعد أن تذكر أنه أب، لكنه فشل في ذلك، وهجر بيته ثانية ليغرق في وحل أحلامه وأوهامه التي لم تعد الحياة كافية لإزالة غشاوة اليأس التي أحاطت بها في نظره. لتكون بذلك ذكورة الأنثى الساردة عند عمر الحمزاوي متأرجحة في تجلياتها بين الهيمنة والخضوع في إطار علاقاتها مع الأنوثة، لكنها كانت مرهونة باللذة، فالنشوة التي تسعى إلى تحقيقها من جراء إشباع هذه اللذة، كانت هي الغاية الكبرى، بغير أن تقيم الذكورة وزناً لكونها مهيمنة أو خاضعة ما دامت اللذة هي النتيجة، لكن اعتياد هذه الأنثى الساردة على كونها مهيمنة في علاقتها مع نموذج الأنثى المحتاجة، ما ولد في هذه الأنثى تنامياً وتضخماً ملموساً في شعورها بالمكانة والمركزية، وإشباعاً للذة الشهوانية، خلق فيها فوقية أفضت إلى زهد وبرود ولا مبالاة تتوجت باليأس الشديد من معاني الحياة كلها في نهاية المطاف؛ لفرط تسولها النشوة، إلى الحد الذي أضرب بها، وأبداها على هذا القدر الكبير من الاضطراب والتهيه والضياع.

6. الخاتمة

- بعد ما جرى طرحه في هذا البحث، يُستخلص عددٌ من النتائج أهمّها:
- لا يمكن أن يتجلى الوجه الحقيقي للذكورة إلا إذا جرى تجاوز مفهومها العضويّ إلى مضامين أخرى ثقافية واجتماعية، في سياق اتصال مباشر بينها وبين الأنوثة، بغير أن يُغفل أثر الجانب العضويّ في هذه المضامين؛ لرصد ما يمكن أن تفرزه من معاني الهيمنة والخضوع، قياساً بمدى تأثرها بوطاة مبدأي اللذة والواقع على حدٍ سواء.
 - يشغل مبدأ اللذة حيزاً واسعاً من تحديد ملامح الذكورة، انطلاقاً من كونه يسعى إلى إشباع الرغبة وتحصيل النشوة بغير إقامة وزنٍ للواقع، وهذا أمرٌ قد تحقّقه الذكورة لصاحبها مستفيدةً من هيمنتها التي شكّلت جزءاً رئيساً من مكونات اللاشعور الجمعيّ.
 - تُعدُّ رواية (الشحاذ) لنجيب محفوظ نموذجاً ذكورياً للأنثى الساردة، في ضوء ما شهدته العلاقات المباشرة بين الذكورة والأنوثة، وظفّت فيها الأولى توظيفاً متماهياً مع الهواجس النفسية التي تتأثر بمبدأ اللذة تأثراً يجردّها من واقعيتها، ويجعلها ذات طابع غرائزيّ تحكمه الشبقة الخالصة.
 - شهدت ذكورة الأنثى الساردة في (الشحاذ) تأرجحاً ظاهراً بين الهيمنة والخضوع؛ قياساً إلى اختلاف النموذج الأنثويّ المقابل، لكنّها كانت ذكورةً تسعى إلى تحقيق اللذة وتتسوّل النشوة، بغير اكتراثٍ لكونها مهيمنةً أو خاضعةً؛ ما دامت اللذة مُلبّةً.
 - بعد النتائج التي توصّل إليها البحث، يُستشفُّ أنّ سبل الاستفادة من نظرية التحليل النفسي ومخرجاتها في دراسة الواقع السردية في الرواية العربية متاحة، وعليه يوصي الباحث بضرورة استيعاب بعض الأسس التي أنجزتها دراسات علم النفس في الدراسات النقدية الحديثة؛ بغية رصد البنية السردية وقراءة عناصرها قراءة نفسيةً مُجدّدة.

7. المصادر والمراجع

7.1 المراجع العربية

- بورديو، بيار، (2009)، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، مراجعة ماهر تريمش، ط1، بيروت، المنظمة العربية. حب الله، عدنان، (2004)، التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد إلى لاكان، ط1، بيروت، دار الفارابي.
- الجمري، عبد الفتاح، (1996)، عتبات النصّ البنية والدلالة، ط1، المغرب، منشورات الرابطة.
- حماد، حسن، (2012)، الشحاذ والخلاص الحائر بين المقدّس والمدنّس، مصر، كرسى اليونسكو للفلسفة فرع جامعة الزقازيق، ع34.
- الحميداني، حميد، (1991)، بنية النصّ السردية من منظور النقد الأدبي، ط1، بيروت، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع.
- درموش، نور الدين، (2014)، النصّ الروائي من الداخل (مقاربة تلقّظية)، إربد- الأردن، عالم الكتب الحديث.
- دوبوتون، آلان، (2018)، قلق السعي إلى المكانة، ترجمة محمد عبد النبي، ط1، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر.
- رزيق، مريم، وحفاف، شيماء، (2022)، سيمياء العتبات النصّية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب واللغات.
- شرابي، هشام، (1992)، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- ضاهر، غيداء، (2011)، الذكورة والأنوثة في لبنان: دراسة في أوساط طلاب الجامعة، ط1، بيروت، منتدى المعارف.
- الطرابلسي، المنجي، (2020)، الجهة وصياغتها لعوالم النهاية في الشحاذ لنجيب محفوظ، تونس، الجمعية التونسية للدراسات الأدبية والإنسانية، ع9.
- عبد العال، راوي، وهيريرا، ويوشيكو، وجونستون، أليستير إيان، ومكديرم، روز، (2014)، قياس الهوية (دليل المتخصصين في العلوم الاجتماعية)، ط1، أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- علوش، سعيد، (1984)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، المغرب، منشورات المكتبة الجامعية.
- عواد، محمود، (2011)، معجم الطب النفسي والعقلي، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع.
- فرويد، سيجموند، (1938)، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمود علي وعبد السلام القفاش، مصر، مكتبة الأسرة.
- فرويد، سيجموند، (1982)، الأنثى والهوى، ترجمة محمد عثمان نجاتي، ط4، بيروت، دار الشروق.
- فرويد، سيجموند، (1989)، الكف والعرض والقلق، ترجمة محمد عثمان نجاتي، ط3، لبنان، دار الشروق.
- فرويد، سيجموند، (د.ت)، ما فوق مبدأ اللذة، ترجمة إسحق رمزي، ط5، مصر، دار المعارف.
- القاضي، محمد، والخبو، محمد، والسماعي، أحمد، والعمامي، محمد نجيب، وعبيد، علي، وبنخود، نور الدين، والنصري، فتحي، ومهيوب، محمد آيات، (2010)، معجم السرديات، ط1، الرابطة الدولية للنشر المستقلين، لبنان، دار الفارابي.
- أ. الكردي، عبد الرحيم، (2006)، الراوي والنص القصصي، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب.
- ب. الكردي، عبد الرحيم، (2006)، السرد في الرواية المعاصرة، تقديم طه وادي، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب.
- كوزن، بيتر، (2010)، البحث عن الهوية، الهوية وتشتتها في حياة إيريك إريكسون وأعماله، ترجمة سامر جميل رضوان، ط1، العين، دار الكتاب الجامعي.
- مارتن، والاس، (1998)، نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- محفوظ، نجيب، (د.ت)، الشحاذ، مكتبة مصر، القاهرة، دار مصر للطباعة.
- ميكشيللي، ألكس، (1993)، الهوية، ترجمة علي وطفة، ط1، دمشق، دار النشر الفرنسية، تنفيذ دار الوسيم للخدمات الطباعة.

هاوكنز، ديفيد، (2017)، عين الأنا، ترجمة محمد ياسر حسكي وبسام عدي، شركة دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع.
 وارد، إيفان، وزاريت، أوسكار، (2005)، أقدم لك التحليل النفسي، ترجمة جمال الجزيري، مراجعة فيصل يونس، تقديم إمام عبد الفتاح إمام، ط1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
 يونج، كارل، (1997)، جدلية الأنا واللاوعي، ترجمة نبيل محسن، ط1، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع.

7.2 رومنة المراجع العربية

- bwrdyw, Pierre, (2009), al-haymanah aldhdkwryyh, tarjamat Salmān q'frānī, murāja'at Māhir Tīrīmish, T1, Bayrūt, almnzzmh al-'Arabīyah.
- ḥubb Allāh, 'Adnān, (2004), al-Taḥlīl al-nafsī llrjwlh wa-al-unūthah min Frūyid ilā lākān, T1, Bayrūt, Dār alfārābī.
- al-Hajmārī, 'Abd alftāh, (1996), 'Atabāt alnṣṣ al-binyah wa-al-dalālah, T1, al-Maghrib, Manshūrāt al-Rābīṭah.
- Ḥammād, Ḥasan, (2012), alshhḥādh wa-al-khalāṣ al-hā'ir bayna almqdds wālmḍnns, Miṣr, Kursī al-Yūniskū lil-falsafah Far' Jāmi'at al-Zaqāzīq, '34.
- al-Ḥamīdānī, Ḥamīd, (1991), Binyat alnṣṣ al-srdī min manzūr al-naqd al'dbī, T1, Bayrūt, al-Markaz althqāfī lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī'.
- Darmūsh, Nūr al-Dīn, (2014), alnṣṣ alrwā'ī min al-dākhil (muqārabah tlfzzyh), irbd-al-Urdun, 'Ālam al-Kutub al-ḥadīth.
- dwbwtwn, Ālān, (2018), Qalaq al-sa'y ilā al-Makānah, tarjamat Muḥammad 'Abd alnbī, T1, Bayrūt, Dār al-Tanwīr lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr.
- Rizzīq, Maryam, whfāf, Shaymā', (2022), Sīmīyā' al-'atabāt alnṣyih fī riwāyah alshhḥādh li-Najīb Maḥfūz, Risālat mājistīr, al-Jazā'ir, Jāmi'at Muḥammad Būdyāf al-Masīlah, Kullīyat al-Ādāb wa-al-lughāt.
- Sharābī, Hishām, (1992), al-nīzām al'bwī w'shkālyih tkhlīf al-mujtama' al'rbī, T1, Bayrūt, Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-'Arabīyah.
- Ḍāhir, Ghaydā', (2011), al-dhukūrah wa-al-unūthah fī Lubnān : dirāsah fī awsāt ṭullāb al-Jāmi'ah, T1, Bayrūt, Muntadā al-Ma'ārif.
- al-Ṭarābulusī, al-Munjī, (2020), al-jihah wṣyāghthā l'wālm al-nihāyah fī alshhḥādh li-Najīb Maḥfūz, Tūnis, aljm'yih altwnsyih lil-Dirāsāt al'dbyih wāl'nsānyih, '9.
- 'Abd al-'Āl, Rāwī, whyryrā, wywshykw, wjwnstwn, alāstir iyān, wmkdyrmt, Rūz, (2014), Qiyās alhwyih (Dalīl almtkḥṣṣyn fī al-'Ulūm alājtmā'yih), T1, abwzby, Markaz al-Imārāt lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth alāstrātyyih.
- 'Allūsh, Sa'id, (1984), Mu'jam al-muṣṭalahāt al'dbyih al-mu'āṣirah, al-Maghrib, Manshūrāt al-Maktabah aljām'yih.
- 'Awwād, Maḥmūd, (2011), Mu'jam alṭbb alnfsī wāl'qlī, al-Urdun, Dār Usāmah lil-Nashr wa-al-Tawzī'.
- Frūyid, syjmwnd, (1938), al-Mūjaz fī al-Taḥlīl alnfsī, tarjamat Sāmī Maḥmūd 'Lī wa-'Abd al-Salām alqffāsh, Miṣr, Maktabat al-usrah.
- Frūyid, syjmwnd, (1982), al-anā wālhaw, tarjamat Muḥammad 'Uthmān Najātī, t4, Bayrūt, Dār al-Shurūq.
- Frūyid, syjmwnd, (1989), alkff wa-al-'arḍ wa-alqalaq, tarjamat Muḥammad 'Uthmān Najātī, t3, Lubnān, Dār al-Shurūq.
- Frūyid, syjmwnd, (D. t), mā fawqa Mabda' alldhdh, tarjamat Ishāq Ramzī, t5, Miṣr, Dār al-Ma'ārif.
- al-Qāḍī, Muḥammad, wālkḥbw, Muḥammad, wālsmāwy, Aḥmad, wāl'māmy, Muḥammad Najīb, w'byd, 'Alī, wbnkhwd, Nūr al-Dīn, wālnsry, Fathī, wmyhw, Muḥammad āyāt, (2010), Mu'jam al-srdyyāt, T1, al-Rābīṭah aldwlyih lil-Nāshirīn almtqllyn, Lubnān, Dār alfārābī.
- U. al-Kurdī, 'Abd al-Raḥīm, (2006), al-Rāwī wa-al-naṣṣ al-qīṣāṣī, T1, al-Qāhirah, Maktabat al-Ādāb.
- b. al-Kurdī, 'Abd al-Raḥīm, (2006), al-sard fī al-riwāyah al-mu'āṣirah, taqdīm Ṭāhā Wādī, T1, al-Qāhirah, Maktabat al-Ādāb.
- kwzn, Bītir, (2010), al-Baḥth 'an alhwyih, alhwyih wtshtthā fī ḥayāt Īrīk irykswn wa-a'māluh, tarjamat Sāmīr Jamīl Raḍwān, T1, al-'Ayn, Dār al-Kitāb aljām'ī.
- Mārtin, wālās, (1998), nṣryyāt al-sard al-ḥadīthah, tarjamat ḥayāt Jāsim Muḥammad, al-Qāhirah, al-Majlis al-A'lā lil-Thaqāfah.
- Maḥfūz, Najīb, (D. t), alshhḥādh, Maktabat Miṣr, al-Qāhirah, Dār Miṣr lil-Ṭibā'ah.

- mykshylly, alks, (1993), alhwyh, tarjamat 'lī Waṭfah, Ṭ1, Dimashq, Dār al-Nashr alfrnsyyh Tanfīdh Dār al-wasīm lil-Khidmāt alṭbā'yyh.
- hāwknz, Dīfīd, (2017), 'Ayn al-anā, tarjamat Muḥammad Yāsir ḥsky wbssām 'Abdī, Sharikat Dār al-Khayyāl lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī'.
- Wārid, iyfān, wzāryt, Ūskār, (2005), aqddm laka al-Taḥlīl alnfsī, tarjamat Jamāl al-Jazīrī, murāja'at Fayṣal Yūnus, taqdīm Imām 'Abd alfttāḥ Imām, Ṭ1, al-Qāhirah, al-Majlis al-A'lá lil-Thaqāfah.
- Yūngh, Kārl, (1997), jdlyyh al-anā wāllāw'y, tarjamat Nabīl Muḥsin, Ṭ1, Sūriyā, Dār al-Ḥiwār lil-Nashr wa-al-Tawzī'.

Masculinity of the Narrative Ego; A Psychological Reading of the Pleasure Principle between Dominance and Submission in Najeeb Mahfoudh's "Al-Shahat (The Beggar)"

Laith Maher Nees

Department of Arabic Language, An-Najah National University, Palestine

Corresponding author: laithnees@gmail.com

Received: 21/01/2024.

Revised: 03/02/2024.

Accepted: 29/05/2024.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.1

Abstract

This research explored the narrating ego as the foundation upon which the structure of psychological identity relies. The study presented the masculine aspect of this narrating ego as a crucial component, contributing to guiding its narrative based on the memory supply of both its conscious and unconscious dimensions. The research delved into the emanations of the pleasure principle, imprinting this masculinity with a passionate character that generates oscillation between dominance and submission. It also introduced several theoretical resources, paving the way to address these propositions in light of insights drawn from the accomplishments of psychoanalytic theory. This theory has been an effective tool in deciphering narrative structures within a novelistic model, exemplified by Nagib Mahfouz's novel "Al-shahath."

The research concluded several findings, including the assertion that the masculinity of the narrating ego is fundamental to its psychological identity. It posited that expressing its true face outside a direct context that aligns it with its feminine counterpart is challenging, and it is often subject to oscillations between dominance and submission imposed by the pleasure principle. Finally, the study concluded with the significance of the need and desire as two principal criteria in the growth or decline of the dominance of the masculine narrating ego.

Keywords: Masculinity, Narrating ego, Dominance, Submission, Pleasure Principle.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

السياسة الجهادية للأمير الأندلسي الحكم الرَبْضِيّ تجاه مملكة أستورياس الإسبانية (180-206هـ/796-822م)

عامر أحمد القبح

قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والتربوية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين
الباحث المراسل: amer.qobbaj@najah.edu

Received: 25/04/2024.

Revised: 02/07/2024.

Accepted: 08/07/2024.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.2

الملخص

تتناول هذه الدراسة السياسية الجهادية للأمير الأموي الأندلسي الحكم الرَبْضِيّ (180-206هـ/796-822م)، تجاه مملكة أستورياس الإسبانية والقوى المتحالفة معها، بالاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، فعُرِجت في مقدماتها على العلاقات الحربية بين الأندلسيين والإسبان، فُيبل عهد الحكم، خلال عهد الأمير هشام الرضا (180-172هـ/788-796م)، ثُمَّ تَتَبَعَت الحملات الرئيسية السبع التي جَرَدَهَا الحكم، منذ العام الذي تولى فيه الحُكْمَ حَتَّى حَمْلَتِهِ الأخيرة عام 200هـ/816م، وتبين من خلال الدراسة، الاهتمام الكبير الذي أولاه الحكم للدفاع عن المدن الأندلسية الشمالية، ومنع التمدد الإسباني على حساب الأراضي الأندلسية. وبالرغم من طول مدته، والحملات القوية التي وجهها، والانتصارات التي حققتها جيوشه؛ فإنه لم يتمكن من التمثيل بالسير الجهادية الحافلة لأبيه، من حيث عدد الحملات ونتائجها، بسبب الأوضاع الداخلية المضطربة التي ألمت بعهد، فضلاً عن ذلك؛ فإن جيوشه لم تقم باستثمار انتصاراتها الميدانية من خلال وضع حاميات عسكرية في المناطق المفتوحة؛ بهدف إدامة الاحتفاظ بها، بل كانت تركز على ممارسة سياسة الحرب الاقتصادية ضد مملكة أستورياس، وبخاصة في منطقة ألبه والقلاع؛ من خلال تخريب المزروعات والممتلكات، ولهذا فإن هذه الحملات لم تتمكن من إحداث تغييرات استراتيجية مُستدامة في خارطة السياسة الأندلسية الشمالية، فلم تتمخض عنها فتوح ثابتة، وبخاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار، كما اتضح من خلال الدراسة، تعقيدات الحالة الداخلية في مدن الشمال وتنافس المتغربين فيها خلال عهد الأمير الحكم، والتي تراوحت بين التمرد والولاء، ما مكن الإسبان من المحافظة على حدودهم السابقة، مع التوسع بشكل جزئي في النواحي الشمالية الشرقية من بلاد الأندلس.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الحكم الرَبْضِيّ، الإمارة الأموية، السياسة الجهادية، أستورياس، ألفونسو الثاني.

1. المقدمة

موضوع هذه الدراسة هو السياسة الجهادية للأمير الأندلسي الحكم الرَبْضِيّ (180-206هـ/796-822م) تجاه مملكة أستورياس الإسبانية والقوى الحليفة في المنطقة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة الإيبيرية، خلال عهد الأمير المذكور، الذي دام ما يقرب من ستة وعشرين عاماً. وتسعى الدراسة لتحقيق الأهداف المتوخاة منها؛ من خلال تلخيص مشكلاتها والإجابة عن تساؤلاتها، وتتمحور حول: النزعة الجهادية لدى الأمير الحكم الرَبْضِيّ، والحملات العسكرية التي شنها ضد مملكة أستورياس الإسبانية وفعاليتها وإنجازاتها الميدانية، والمناطق الإسبانية التي بلغت، ومدى النجاح الذي حققته في وقف التمدد الإسباني على حساب الأراضي الأندلسية، والحملات الإسبانية المضادة، وأثر التمردات الداخلية في الأوضاع الأندلسية في الشمال، ودور النغر الأعلى الأندلسي في وقف الزحف الإسباني، وأخيراً؛ أثر الحملات العسكرية الأندلسية في الأوضاع الداخلية لدى مملكة أستورياس وحلفائها الباسكيين.

وكانت سيرة الأمير الحكم وعلاقاته مع مختلف القوى الإقليمية قد حظيت بنصيب وافر في المصادر والمراجع التاريخية، ولكن الباحث لم يعثر على دراسة مستقلة حديثة بعينها، تتناول سياسته الجهادية تجاه مملكة أستورياس الإسبانية، ومن الدراسات التي تقاطعت بصورة أو بأخرى مع موضوعنا هذا:

"الثورات في الأندلس على عهد الحكم بن هشام (206-180هـ/796-822م)"، للباحثين: حكيمة لكعص، وعائشة بودرهم، (2019)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية، الجزائر. واختصت بالأحوال الداخلية في عهد الأمير المذكور، وعرجت على بعض مظاهر علاقاته الحربية مع الإسبان والفرنجة باختصار شديد.

ومنها أيضاً: "الإمارة الأموية على عهد الحكم بن هشام الرّبيضي وأوضاعها الداخلية وعلاقاتها الخارجية (180-206هـ/796-822م)"، للباحثين: حياة شراحي، وفوزية باكرا، (2019)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشهيد جمعة لخضر، الجزائر. وهذه الدراسة تُشبه سابقتها إلا أنها تختلف عنها بتناولها السياسة الجهادية للأمير الحكم تجاه مسيحيي الشمال، بشكل تقليديّ موجز، بالاعتماد على المراجع الحديثة دون المصادر في معظم الأحيان.

وأما بحث: "صاحب الصّوائف عبيد الله بن عبد الله البُلنسي (238-180هـ/796-852م)" للباحثة شاهدة سعيد منصور، (2020)، جامعة بني سويف، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، مج5، ع9، ص(81-58)، فتناول سيرة البُلنسي، والحملات قليلة العدد التي قادها ضدّ الفرنجة خلال عهد الحكم.

وأخيراً: "التّحدّيات الداخليّة والخارجيّة في الأندلس في عهد الأمير الحكم بن هشام الرّبيضي (180-206هـ/796-822م)"، للباحثة عرين عبد الله المومني، (2021)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن. وتناول فصلها الثالث سياسة الحكم تجاه الأطماع الإسبانية والفرنجية في الأندلس، اعتماداً على المصادر والمراجع العربية دون الأجنبية والإسبانية.

وبناءً على ما ذكر؛ تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها امتداداً للجهود العلميّة السابقة، من خلال تناولها لمشكلة بحثية محدّدة، والنتائج التي خلصت إليها، علّها تُسهم في ملء بعض جوانب النقص في الدراسات الحديثة حول موضوعها. وتبعت المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، فاستقرت المعلومات من مصادرها العربية والأجنبية، وحلّلتها، ووصفت ما فيها، لتساوق عناوينها النازمة لإطارها التاريخي الزماني والمكاني.

2. التمهيد

بدأ الصّراع الإسلاميّ الإسبانيّ في الأندلس منذ أن وطئت أقدام المسلمين أرضها، في نهاية القرن الأوّل الهجري/السابع الميلادي، واشتدت وتيرته خلال عصر الولاة (138-95هـ/714-755م)، بعد تأسيس القوط الغربيين لمملكة أستورياس (Asturias) (للاطلاع على مدنها، وسائر مواقع الشمال الأندلسي؛ يُنظر: خريطة 1)، في أقصى شمال غرب البلاد، على يد الملك ألفونسو الأوّل (Alfonso I) (121-139هـ/739-757م)⁽¹⁾، الذي نشط في ممارسة ما عُرف بسياسة إعادة الاسترداد (Reconquista)؛ بهدف طرد المسلمين والسيطرة على أراضيهم ومدنهم. وكان قد استغلّ انشغال الأمير عبد الرّحمن الداخل (172-138هـ/755-788م)⁽²⁾ بالنّصديّ للفتن الداخليّة، فتمكّن من السيطرة على عديد من المدن والمناطق الأندلسيّة الشماليّة، ما أدّى إلى توسّع مملكة أستورياس، التي أصبحت تتكوّن من: ألبّة والقلاع (Castilla la Vieja y Alava)⁽³⁾، ولاريوخا (La Rioja) وكانتبيريا (Cantabria)⁽⁴⁾، وغاليسيا (Galicia)⁽⁵⁾، فشكّل نهر دويرة (Duero)⁽⁶⁾ حدّاً طبيعياً جنوبياً بين مناطق النفوذ الإسلاميّة والإسبانيّة (للتفاصيل؛ يُنظر: عنان، 1977، ج1، ص70، 208-218؛ عبد الحليم، د. ت، ص34-41؛ Mariana, 1794, II, p.294؛ O'callagan, 1975, p.100).

(1) ألفونسو الأوّل: دوق كانتبيريا، ولقب بالكاتوليكي؛ لتعصّبه الديني، واشتهر بكثرة حملاته ضدّ الأراضي الأندلسيّة، فعبر نهر دويرة غير مرّة، وسيطر على عديد من المدن الأندلسيّة وطرد سكانها، ما مكّنه من تأسيس مملكة أستورياس، وتوفي عام 139هـ/757م. للمزيد يُنظر: (عنان، 1977، ج1، ص213-215).

(2) عبد الرّحمن الداخل: ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، صقر قریش، مؤسس الإمارة الأمويّة في الأندلس عام 138هـ/755م، بعد التّخلص من آخر وولاتها: يوسف الفهري، وبقي على رأس إمارته حتى وفاته عام 172هـ/788م. للتفاصيل يُنظر: (ابن الأبار، 1985، ج1، ص35-42).

(3) ألبّة والقلاع: من المناطق التي كانت الحملات الإسلاميّة تستهدفها باستمرار، وتقع بين بلاد البشكنس (Vascos) وجبال كانتبيريا، على ضفاف نهر إبرو في الطرف الشرقي من مملكة أستورياس، وكلمة ألبّة أصلها الأبا (Alava)، من اللاتينية، وهي إحدى ولايات بلاد البشكنس، وتمتدّ غرباً حتى برغش وشمالاً حتى خليج الباسك (Golfo de Vizcaya). وأما القلاع أو قشتالة (Castilla) القديمة فتقع إلى الغرب من ألبّة، واشتملت على المنطقة الواقعة من برغش شمالاً إلى ما بعد نهر دويرة جنوباً، وتكثر فيها القلاع. يُنظر: (بروفنسال، 2000، ص163؛ عنان، 1977، ج1، ص217).

(4) كانتبيريا: منطقة تقع بين جبال بينا أمايا (Pena Amaya) وجبال لاريوخا جنوب بلاد الباسك، وتصل حوافها إلى بحر كانتبيريا، ومنها ينبع نهر إبرو ودويرة، وتشرّف على الأطلسي، وهناك يُطلق على الساحل: بحر كانتبيريا. يُنظر: (حاتمة، 1996، ص36؛ Anton, 2010, p.18).

(5) غاليسيا: تقع في أقصى شمال غرب البلاد، بين أورتيغال (Ortegal) وفنستير (Finisterre)، وتتجه اتّجهاً شمالياً جنوبياً حتى رأس بنتت (Vicent)، وتشتمل على جبال شاهقة وأودية وخلجان عميقة. يُنظر: (حاتمة، 1996، ص55).

(6) نهر دويرة: يسمّيه العرب الوادي الجوفي، ويقع في الشمال الشرقي من جبال الكنتبريك (Cantabric) في الشرق، والسلسلة الوسطى في الجنوب، ويصبّ في المحيط الأطلسي بالقرب من برتغال (Porto). يُنظر: (حاتمة، 1996، ص85).



الشكل 1: خريطة منطقة الدراسة، المصدر (بتصرف): (Anton, 2010, p.213)

وشكّلت منطقة الشمال الأندلسي عموماً، وإقليم النّهر الأعلى (7) على وجه الخصوص، المسرح الأساس للصّراع الإسلاميّ المسيحيّ الذي استمر حتى سقوط سرقسطة (Zaragoza) (8) عاصمة النّهر المذكور عام 512هـ/1118م، ثمّ طرطوشة (Tortosa) (9) في العام نفسه. وبسبب اشتداد وتيرة الهجمات الإسبانية، فقد استمر الأمراء الأندلسيون في تجريد الحملات والصّوائف بهدف الدّفاع عن مدنهم ومعاقلهم وأراضيهم، ومحاولة استعادة ما فقد منهم. وممّن نشطوا في ذلك، قبيل عهد الأمير الحكم الرّبيضيّ؛ أبوهُ الأمير هشام الرّضا بن عبد الرّحمن الدّاخل (180-172هـ/788-796م)، سيراً على سنّة أسلافه، فأصدر تعليماته بحشد الجيوش وتجريد الحملات إلى أراضي أستورياس، وبلاد البشكنس (Vasconia) (10)، التي كان سكّانها يتّخذون من بملونة (Pamblona) (11) عاصمة لهم (Lafuente, 1887, II, p.161). ومن أهمّ الحملات التي جرّدها الأمير هشام تلك التي تمخّضت عنها معركة نهر بوربيا (Burbia) عام 175هـ/791م، في منطقة ألبّة والقلاع، بالقرب من قرية فيلافراكانا ديل بيريثو (Villafranca del Bierzo)، الواقعة في مقاطعة ليون، وذلك في نهاية عهد ملك أستورياس برمودو الأوّل (Bermudo I, Vermudo I) (172-175هـ/788-791م) (12)، ووقف على رأس هذه الحملة القائد أبو الحجاج يوسف بن بخت الفارسي (ت. بعد 176هـ/792م) (13)، ما أدّى إلى مقتل عديد من الإسبان والاستحواذ على غنائم كثيرة (ابن الأثير، 1987، ج5، ص289؛ المقرئ، 1988، ج1، ص337؛ Quadrado, 1885, p.67).

(7) النّهر الأعلى: ولاية الحدود الشماليّة، وقاعدته مدينة سرقسطة وأعمالها. يُنظر: (السّمّاراني، 1976، ص39).

(8) سرقسطة: المدينة البيضاء، تقع في شمال شرق الأندلس، على ضفّة نهر إبرو، لها أسوارٌ قديمةٌ من الرّخام، كثيرة الفواكه والبساتين. يُنظر: (الحميري، 1984، ص317).

(9) طرطوشة: مدينة ساحليّة تتّصل بكورة بلنسية (Valencia)، وتشتهر بالتجارة. يُنظر: (الحموي، 1977، ج4، ص30).

(10) بلاد البشكنس: تقع جنوب خليج الباسك، إلى الشّرق من أستورياس، وتمتدّ رقعتها حتى نهر الجارون (Garonne) جنوب بلاد الفرنجة. يُنظر: (عبد الحليم، د. ت، ص42، 91)، وتُعرف ببلاد الباسك.

(11) بملونة: عاصمة بلاد الباسك، بينها وبين سرقسطة 125 ميلاً، وتحيط بها جبالٌ شاهقة. يُنظر: (الحميري، 1984، ص104).

(12) برمودو الأوّل: الابن الثّاني لبيمارانو (Bimarano) الذي قُتل على يد أخيه فرويلا الأوّل (Fruela I de Asturias) (139-757هـ/757-768م)، وقيل إنّ ابن فرويلا نفسه، وكان يفتقر إلى الشّجاعة والمهارة العسكريّة، ويميل إلى حياة الرّهينة، وحظي بتأييد شعبه، وحاول المحافظة على كيانه من السّقوط للتّفاصيل؛ يُنظر: (Quadrado, 1885, p.57).

(13) يوسف بن بخت: دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري (ت. 124هـ/743م)، وكان أحد القائمين بأمر الأمير الدّاخل، فاستحبه واستخلفه على قرطبة، وثوفاً بطليطلة في عهد هشام الرّضا. يُنظر: (ابن الأثير، 1985، ج2، ص375؛ المقرئ، 1988، ج3، ص45).

وما أن اعتلى ألفونسو الثاني (Alfonso II) (175-227هـ/791-842م) ⁽¹⁴⁾ عرش مملكة أستورياس حتى اتخذ من مدينة أوفييدو (Oviedo) ⁽¹⁵⁾ عاصمةً لمملكته، لأهميتها الدفاعية واشتمالها على عديد من الأماكن المقدسة؛ اللازمة لاستلزام العزيمة نحو الاستمرار في السيطرة على المزيد من الأراضي الأندلسية (Quadrado, 1885, p.71; González, and Avelino, 2013, p.424; Cuevas, 2016, p.8). ولهذا اضطُغت حملاته تجاه الأراضي الأندلسية بطابع ديني صليبي (عنان، 1977، ج1، ص242). ومن الصّوائف المهمة التي شهدتها عهد الأمير هشام؛ تلك التي استهدفت منطقة ألبة والقلاع وغاليسيا في مملكة أستورياس، عام 178هـ/794م، بقيادة كل من عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث (ت. 309هـ/824م) ⁽¹⁶⁾، وأخيه عبد الملك (ت. 178هـ/794م) ⁽¹⁷⁾، فخرّب جيشهم ممتلكاتها وكنائسها، وحاز على غنائم وفيرة، ووصل إلى مدينة أستورقة (Astorga) ⁽¹⁸⁾، ولكنه لم يتمكن من دخولها (ابن الأثير، 1987، ج5، ص304، 306؛ التويري، 2004، ج23، ص209؛ المقرئ، 1988، ج1، ص338).

ولم يتوقف الأمير هشام عن تجريد الحملات، ففي العالم التالي أرسل صائفة بقيادة عبد الكريم بن مغيث، الذي تمكن هذه المرة من السيطرة على أستورقة، ثم اشتبك مع قوة كان يقودها الملك ألفونسو الثاني بنفسه، جنوبي العاصمة أوفييدو، ونجا الأخير بأعجوبة من الأسر (ابن عذاري، 1980، ج2، ص64-65؛ بروفنسال، 2000، ص132). وبالمقابل تمكن الإسبان خلال المراحل اللاحقة من السيطرة على بعض المواقع الأندلسية في بلاد البشكنس بمساعدة الفرنجة (Mariana, 1794, II, p.286).

وعُدَّ عهد الأمير هشام الرضا، من فترات القوة في عصر الإمارة الأموية في الأندلس، وفي نهايته كانت الحدود المسيحية الإسلامية تمتد على طول الضفاف الجنوبية لنهر دويرة، ثم سلسلة جبال جواداراما (Guadarrama) التي تفصل بين حوضي نهرَي دويرة والتاج (Tajo) ⁽¹⁹⁾ في الجهات الشمالية الغربية والوسطى من البلاد، وتسير الحدود بالاتجاه الشمالي الشرقي حتى شمال سرقسطة، لتتأخم جبال ألبرت (Pyrenees) عند الحدود مع المملكة الفرنجية، وهناك شكّل نهر إبرو (Ebro) ⁽²⁰⁾ حدًا طبيعيًا منيعاً بين الأندلسيين والإسبان (Lane-Poole, 1898, p.40). توفي الأمير هشام الرضا عام 180هـ/796م، وصلى عليه ابنه الحكم؛ الذي أخذ البيعة لنفسه من الناس (ابن عذاري، 1980، ج2، ص61، 65). وكان الأخير قد وُلِدَ بقرطبة (Cordoba) عام 154هـ/771م، وأمه أم ولد تدعى زُخْرَف، ويكنى بأبي العاص، ويُلقب بالمرتضى والمظفر. وما أن اعتلى عرش الإمارة حتى بدأت الأخطار الداخلية تعصف بدولته؛ بسبب الثورات والتمردات التي نشبت في عديد من المدن الأندلسية، كطليطلة (Toledo) ⁽²¹⁾ وماردة (Merida) ⁽²²⁾ وبعض مدن النُعر الأعلى. ومن الثورات المموية التي شهدتها هذه الفترة تلك التي حدثت في العاصمة قرطبة، بتحريض من رجال الدين والفُقهاء، وكادت تُطيح بعرشه لولا أن استخدم القوة والبطش، فنكب الثائرين في وقعة الرّبط عام 202هـ/818م ⁽²³⁾، ولهذا عُرف بالرّبطي. ومن ناحية أخرى؛ كان الأمير أديباً وشاعراً مُجيداً، يهتمّ بالعلم ويكرم العلماء، وحكم بلاد الأندلس لما يقرب من سبعة وعشرين عاماً، حتى وفاته عام 206هـ/822م ⁽²⁴⁾.

(14) ألفونسو الثاني: العفيف (El Casto)، تولّى الحكم عام 150هـ/791م، فعمل على تحصين النُعر، وجعل مدينة أوفييدو عاصمةً له، وقام بعدة حملات داخل الأراضي الإسلامية، ولكنه بالمقابل تعرّض لعديد من الهزائم، وتوفي عام 227هـ/842م، تاركاً العرش لابنه راميرو الأول (Ramiro I) (842-850هـ/227-235هـ). يُنظر: (عنان، 1977، ج1، ص354).

(15) أوفييدو: تقع في منطقة منخفضة في أقصى شمال غرب البلاد، شرقي غاليسيا، في القسم الأوسط من خليج الباسك، وتحدها من الجنوب جبال كانتيريا، وفي منطقتها نشأت نواة أولى الممالك المسيحية. يُنظر: (عنان، 1977، ج1، ص361-362).

(16) عبد الكريم بن عبد الواحد: أبو حفص، الكاتب، الوالي، الحاجب لهشام الرضا وابنه الحكم ولأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/822-852م)، وكان أبوه من قبله يتولّى هذه المناصب. ولّى هشام عبد الكريم كورة جيان، وولّى أخاه عبد الملك كورة سرقسطة. وكان بليغاً مفوهاً شاعراً. أخرجه الحكم لقتال المتمردين في الشمال، وقاد الصّوائف ضدّ مملكة أستورياس، ومات خلال قيادته لإحداها عام 209هـ/824م. يُنظر: (ابن الأثير، 1985، ج1، ص135-136؛ الحجي، 1981، ص247).

(17) عبد الملك بن عبد الواحد: أحد أهم رجال الدولة في عصر الإمارة، جمع الجبابة والوزارة والكتابة وقيادة الجيوش، مع حسن الأدب والعفاف والدين والتواضع والكرم. يُنظر: (التويري، 2004، ج23، ص210).

(18) أستورقة: تقع على بعد 27 ميلاً جنوب غرب مدينة ليون (Leon)، وسيطرت عليها مملكة أستورياس في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل. يُنظر: (عنان، 1977، ج1، ص361).

(19) نهر التاج: أو تاجه، أطول أنهار الأندلس، ينبع من مويلا دي سان خوان (Muela de San Juan)، ثم يعبر وادي الحجارا، ويخترق طليطلة وطلبريرة (Talavera)، ويصبّ في خليج أشبونة. يُنظر: (حاتمة، 1996، ص85-86).

(20) نهر إبرو: يُسمى عند العرب بالنهر الكبير، وينبع من جبال البشكنس وجبال قطلونيا (Cataluna)، ويمرّ بسرقسطة، ويصبّ عند طرطوشة وطركونة (Tarragona) على البحر المتوسط. يُنظر: (حاتمة، 1996، ص91، 95).

(21) طليطلة: تقع في وسط بلاد الأندلس على نهر التاج، جنوب غرب مدريد (Madrid) ووادي الحجارا، وتبعد عن الأخيرة 65 ميلاً، وتشتهر بكثرة مزارعها وأشجارها. يُنظر: (الحميري، 1984، ص393-394).

(22) ماردة: تقع غرب الأندلس، في إقليم بطليوس (Badajoz). فيها قنطرة عظيمة، ومن ماردة إلى بطليوس عشرون ميلاً. يُنظر: (الحميري، 1984، ص518-519).

(23) وقعة الرّبط: حدثت عام 202هـ/818م، وجاءت على خلفية الثورة التي قامت بها العامة ضدّ الأمير الحكم، بذريعة انشغاله عن أمور الدولة بقضاء وقته مع جواريه، وفي الصّيد. ورفع أهل الرّبط القبلي السلاح، وحاصروا القصر، مدفوعين بتحريض من الفقيه يحيى بن يحيى الليثي (ت. 234هـ/849م) وغيره، فواجه الأمير ثورتهم بشدة، وأحرق منازلهم، وقتل زعماءهم. يُنظر: (التويري، 2004، ج23، ص217-218).

(24) للتفاصيل حول سيرته؛ يُنظر: (ابن حيان، 2003، ص89-271؛ ابن سعيد المغربي، د. ت، ج2، ص38-45؛ ابن الأثير، 1987، ج5، ص308-309، 315-314، 325، 335-336، 344-346؛ التويري، 2004، ج23، ص210-219).

وبالرغم من الأحوال الداخلية الأندلسية المضطربة خلال عهد الربضي، فإنه وضع الجهاد ضد الإسبان في الشمال، على رأس أولوياته، بهدف الوقوف في وجه سياستهم التوسعية على حساب الأراضي الأندلسية، ومحاولة استرداد المدن والحصون التي وقعت في قبضتهم، أو على الأقل، المحافظة على الوضع الحدودي القائم. وأشدت المصادر التاريخية بمدى استعداده الدائم للجهاد؛ ومن ذلك استنكاره الخيول اللازمة لهذا الأمر، فكان يحتفظ بشكل دائم بباب قصره بألفي فرس، تحت رعاية عشرة من العرفاء. فضلاً عن ذلك، يُعدُّ الأمير الحكم أول من أدخل الممالك المرتزقة إلى الجيش الأندلسي، وبلغ عددهم في عهده خمسة آلاف، وكانوا يُسمَّون الخُرس لعجمة أسننتهم، كما استكثر من الأسلحة والعناد الحربي، وقاد الجيوش بنفسه في غير مرة (مجهول، 1989، ص 117-118؛ ابن سعيد المغربي، د. ت، ج 1، ص 39؛ الثوري، 2004، ج 23، ص 219).

3. العلاقات الحربية الأندلسية الإسبانية في مطلع عهد الحكم الربضي (182-180هـ/796-798م)

3.1 الحملة الإسلامية إلى منطقة ألبه والقلاع عام 180هـ/796م

حرص الحكم منذ مطلع عهده، على البدء بتجريد الحملات العسكرية ضد مملكة أستورياس الإسبانية، فكانت أولها الصائفة التي وقف على رأسها الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، واتفقت الروايات التاريخية حول وجهتها، ولكنها اختلفت في استخدام المصطلحات الخاصة بذلك بدقة؛ فقد أشار ابن حيَّان أنَّ وجهتها كانت ألبه والقلاع (قشتالة القديمة) (ابن حيَّان، 2003، ص 103؛ بروفنسال، 2000، ص 147)، أما ابن الأثير والثوري فذكرًا: "بلاد الفرنج" (ابن الأثير، 1987، ج 5، ص 309؛ الثوري، 2004، ج 23، ص 209)، في حين كانت رواية ابن عذاري عامَّة؛ فذكر أنَّ ابن مغيث توجه على رأس جيش عظيم إلى "دار الحزب"، ووصل إلى "التغر" (ابن عذاري، 1980، ج 2، ص 82)، وعادة ما يُفصِّد بهذين المصطلحين؛ المناطق الشمالية الواقعة تحت سيطرة الممالك المسيحية⁽²⁵⁾.

وعندما وصل الجيش الأندلسي إلى نهر إبرو، سار محاذياً لضفته الجنوبية (بروفنسال، 2000، ص 147). ويبدو أنه قد تلقى مدداً عسكرياً من حكام المدن الأندلسية الشمالية الشرقية حينذاك، وهذا ما يظهر من رواية ابن عذاري الذي انفرد بالقول "وتوافت عليه الجيوش" (ابن عذاري، 1980، ج 2، ص 82)، ما مكَّنه من الاستيلاء على قلعة قلهرَّة (Calahorra)⁽²⁶⁾ المنيع (ابن حيَّان، 2003، ص 103؛ بروفنسال، 2000، ص 147)، التي كانت قبيل ذلك معقلاً لمملكة أستورياس (Bermejo, 2001, p.777). ومنها أرسل فرقة استطلاع من الفرسان نحو أقاصي شمال النواحي الغربية، وأتبعها ببقية القوات، فاجتازت جميع الأراضي التي صادفتها دون مقاومة (بروفنسال، 2000، ص 147).

وكان بعض سكان النواحي الإسبانية قد نقلوا عيالهم وماشييتهم وأمواهم إلى المناطق الشمالية الغربية، ظناً منهم أنَّ أحدًا لا يستطيع العبور إليهم، بعد أن أخبر الجيش الإسلامي بأمرهم بعض الأسرى، فباغتتهم الأندلسيون، وقتلوا عدداً كبيراً من رجالهم، وأسروا آخرين، وسبوا نساءهم، وغنموا ما وجدوه لديهم (ابن عذاري، 1980، ج 2، ص 82؛ ابن الأثير، 1987، ج 5، ص 309؛ الثوري، 2004، ج 23، ص 210-211). ويبدو أنَّ هذه الحادثة هي نفسها التي ذكرها كلُّ من ابن الأثير والثوري، ولكن الأمر التبس عليهما عندما ذكرا بأن تلك الأراضي "بلاد فرنسية"، أو تابعة "للفرنج" (ابن الأثير، 1987، ج 5، ص 309؛ الثوري، 2004، ج 23، ص 211).

وأضاف ابن عذاري بأن القائد عبد الكريم بن مغيث، قبل أن يستأنف سيره نحو النواحي الشمالية الغربية، قسَّم جيشه إلى ثلاثة أقسام، وقَدَّم على كلٍّ منها رئيساً، وأمر كلَّ واحدٍ منهم بأن يُغيّر خلال الزحف على ناحية معينة معلومة (ابن عذاري، 1980، ج 2، ص 82). ثم وصلت القوات إلى "شاطئ البحر" (ابن عذاري، 1980، ج 2، ص 82؛ ابن حيَّان، 2003، ص 103)، والمقصود به - هنا - ساحل سانتندير (Santader) في كانتبريا شمالي البلاد (بروفنسال، 2000، ص 147).

وخلال سير القوات المذكورة، قامت بنهب الممتلكات والعيث في الأراضي الزراعية الإسبانية، وقتل من صادفته من الرجال (ابن حيَّان، 2003، ص 103؛ ابن الأثير، 1987، ج 5، ص 309؛ الثوري، 2004، ج 23، ص 209؛ Bermejo, 2001, p.777)، ثم قفلت منتصرة ومُتقلّة بالغنائم (ابن حيَّان، 2003، ص 103). وكانت هذه الحملة قد حدثت قبل عبور سليمان (ت. 184هـ/800م) وعبد الله (ت. 208هـ/823م)⁽²⁷⁾ عمي الأمير الحكم الربضي إلى الأندلس من بلاد المغرب (Bermejo, 2001, p.777)، ويُضح ممَّا ذكر بأن المناطق التي استهدفت خلال هذه الحملة تعود لمملكة أستورياس، في كلٍّ من ألبه والقلاع، والنواحي الواقعة في الشمال الغربي من قلعة قلهرَّة حتى سواحل كانتبريا.

(25) يُطلق الثوري مصطلح "الفرنج" على غير الأندلسيين في الشمال، مهما كانت جنسياتهم؛ وتبيّن هذا في غير موضع، وبخاصة عندما أطلقه على سكان مملكة أستورياس الإسبان، خلال حديثه عن حملة 810هـ/194م. يُنظر: (الثوري، 2004، ج 23، ص 216).

(26) قلعة قلهرَّة: تقع على الضفة الجنوبية من نهر إبرو في بلاد البشكنس. يُنظر: (حاتمة، 1996، ص 97).

(27) عبد الله وسليمان: ابنا عبد الرحمن الداخل. عبد الله: قام بالأمر لأخيه الأمير هشام الرضا في غيابه، ثم ثار عليه، وفي عهد الحكم ثار ببلنسية والثغر الأعلى، ثم استدعى أخاه سليمان من بلاد المغرب، وبعد أن عقد الصلح مع الحكم استقر ببلنسية، فلقب بالبلنسي، وكانت له إسهامات جهادية. يُنظر: (ابن الأثير، 1985، ج 2، ص 363-364). سليمان: بقي على تمرده، إلى أن قتله الأمير الحكم عام 184هـ/800م. يُنظر: (المصدر نفسه، ج 1، ص 42). وللمزيد عن تمردهما وأحوالهما؛ يُنظر: (ابن حيَّان، 2003، ص 93-102؛ ابن الأثير، 1987، ج 5، ص 308-309).

3.2 أثر التمرّدات الداخليّة عام 181هـ/797م في الصّراع مع مملكة أستورياس

شكّل النّغز الأندلسيُّ الأعلى بؤرةً لعددٍ من حركات التّمرد والعصيان ضدّ الحكومة المركزيّة في قرطبة، منذ عهد الأمير عبد الرّحمن الدّاخل. فما أن عاد ابنُ مغيث من الصّائفة المذكورة حتّى عصفت بالإمارة عديدٌ من الثّورات، ما أتاح المجال للإسبان الفرصة لتدعيم أركان مملكتهم، والاستمرار في شنّ هجماتهم. ففي عام 181هـ/797م تمرد في النّغز الأعلى أبو الحجاج بهلول بن مرزوق (ت. 186هـ/802م)⁽²⁸⁾، وسرعان ما بسط نفوذَه على المنطقة الواقعة من سرقسطة إلى طرطوشة (ابن سعيد المغربي، د. ت، ج1، ص40؛ 44، Lacarra, 1972, I, p.45)، ووجّه الدّعوة للإمبراطور شارلمان (Charlemagne) (151-198هـ/768-814م)⁽²⁹⁾، للسيطرة على المدن الأندلسيّة الحدودية (Lafuente, 1887, II, p.198).

وفي العام ذاته ثار عمّا الحكم عبد الله بن عبد الرّحمن الدّاخل وأخوه سليمان طمعاً في تولّي الحُكم بدلاً منه (ابن حيّان، 2003، ص166؛ ابن خلدون، 2000، ج4، ص161). وكان عبد الله أخطرهما، فدعا بهلولاً بن مرزوق الثّائر في مدينة وشقة (Huesca)⁽³⁰⁾ للانضمام إليه، فرفض، وحينها توجّه إلى شارلمان في مدينة آخن (Aachen) الفرنجيّة، لطلب المساعدة ضدّ الأمير الحكم (ابن حيّان، 2003، ص97؛ الزّهيري والعليلوي، 2023، ص448-441، Lafuente, 1887, II, p.195؛ Lacarra, 1972, I, p.44-45)، كما حرّض شارلمان على إرسال حملة بهدف السيطرة على مدينة برشلونة (Barcelona) (بروفنسال، 2000، ص150).

وأبدى لافوينتي (Lafuente) استهجاناً من موقف عبد الله قائلاً: "إلى هذا الحدّ، يُمكن أن يطغى الطّمع في الحُكم على رابطة الدّم والدين!!" (Lafuente, 1887, II, p.195). وبالرّغم من عدم التّيقن التي كان الفرنجة يكتونها تجاه الخارجين على قرطبة، فإنّ شارلمان وافق على مساعدة عبد الله والتّعاون معه (Wreglesworth, 1995, p.152). ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ؛ ففي مطلع عهد الحكم، زار "حسن" أحد حكام مدينة وشقة شارلمان وقَدّم له مفاتيح مدينته، ووعد بتسليمها لقوّاته عندما تصل إلى أبوابها (Lacarra, 1972, I, p.46)، وأبدى والي مدينة برشلونة سعدون الرّعيني هو الآخر الاستعداد ذاته (بروفنسال، 2000، ص150؛ Lafuente, 1887, II, p.195). وعيّر ألفونسو الثّاني ملك أستورياس عن مباركته لهذا التّعاون المشترك، وأرسل وفداً من طرفه لحضور الاجتماع الذي عقده لويس الأوّل (198-237هـ/814-852م)⁽³¹⁾، بهدف التّحضير لتجريد الحملات ضدّ الأراضي الأندلسيّة، وحضره ممثلون عن بهلول بن مرزوق (Lacarra, 1972, I, p.45؛ بروفنسال، 2000، ص147، 150). وتمخّض عنه قيام لويس الأوّل عام 181هـ/797م بهمّاجمة عديد من المدن الأندلسيّة (محمود، 1986، ص195).

وبالرّغم من انشغال الأمير الحكم في ذلك الوقت بمقارعة ثورة عمّيه في طليطلة؛ فإنّ ذلك لم يمنعه من اتّخاذ قرار بتوجيه حملة عسكريّة إلى الشّمال عام 181هـ/797م، بقيادة الوالي فطيس بن سليمان (ت. 205هـ/821م)⁽³²⁾، وعندما وصل تلقّى أخباراً، بوساطة قاضي وشقة عبد السّلام بن وليد (كان حيّاً عام 206هـ/822م)⁽³³⁾، تفيد بأنّ حسن والي مدينته قد سلّمها للفرنجة، الذين تمكّنوا - أيضاً - من السيطرة على بملونة، وعندما علم الأمير الحكم، ترك عمروساً بن يوسف (ت. 198هـ/814م)⁽³⁴⁾ محاصراً لطليطلة، وتوجّه على رأس قوّة من الفرسان إلى الشّمال⁽³⁵⁾، فتمكّن من استعادة مدينتي وشقة

(28) بهلول بن مرزوق: ثار في النّغز الأعلى بين عاميّ 181-182هـ، ودخل سرقسطة، وصار يشنّ غاراته على ما حولها، فأرسل له الحكم عمروساً بن يوسف، فدخل سرقسطة بعد هروب بهلول، الذي ما لبث أن قُتل عام 186هـ/802م. يُنظر: (العذري، د. ت، ص27؛ ابن الأثير، 1987، ج5، ص314-315؛ التّويري، 2004، ج23، ص211).

(29) شارلمان: ابن بيبين القصير (Pepin le Bref) (133-151هـ/751-768م)؛ مؤسس البيت الكارولنجي الحاكم. عمل على توطيد أركان حكمه، وتوسيع مملكته ونشر المسيحيّة بين الشّعوب الوثنيّة، ومحاربة الأندلسيين وقيابل البرابرة الجرمان، ومنحته البابويّة لقب إمبراطور الإمبراطوريّة الرومانيّة المقدّسة عام 184هـ/800م، وتوفي عام 198هـ/814م. يُنظر: (الشّيبخ، 1981، ص20-21).

(30) وشقة: أو أشقة، مدينة من أعمال بريطانيا (Barbitania) في النّغز الأعلى، شمال شرق الأندلس، ذات حصون ومعقل، وتقع على بعد 83 كم شمال شرق سرقسطة. يُنظر: (الحموي، 1977، ج1، ص199).

(31) لويس الأوّل: الثّقفي، ابن شارلمان، دوق أفيطانية، توجّه أبوه ولياً للعهد عام 813م، ثم اعتلى العرش بعد وفاته في العام الثّالي، وتميّز بأنّه كان واسع الثّقافة، عظيم الثّدين، ولهذا رفع من شأن الكنيسة، إلّا أنّه تخلّص من الهيمنة الدّينيّة والسياسيّة لروما على شؤون دولته، وتوفي عام 237هـ/852م. يُنظر: (الشّيبخ، 1981، ص23-28).

(32) فطيس بن سليمان بن عبد الملك بن زيّان: الوزير، الكاتب للأميرين هشام الرّضا والربضي. يُنظر: (ابن الأثير، 1985، ج2، ص365).

(33) عبد السّلام بن وليد: من وشقة، استقضاه الأمير الحكم فيها، وكان عالماً متفقيّاً؛ يُنظر: (ابن الفرضي، 2008، ج1، ص375؛ الحميدي، 2008، ص423). ومن الجدير بالذّكر أنّ عديداً من العلماء والقضاة كانوا يفضّلون المُرابطَة في النّغز الأعلى لجهاد الإعداء، ومنهم القاضي فرج بن كنانة (ت. 215هـ/830م)؛ قاضي قضاة قرطبة في عهد الحكم، وشارك في بعض الحملات ضدّ الممالك المسيحيّة. يُنظر: (السّامرائي، 1976، ص158).

(34) عمروس بن يوسف: كان في خدمة مطروح بن سليمان الأعرابي، فقتله، ولما قديم قرطبة ولّاه الحكم طليطلة، وأرسله للقضاء على تمرد بهلول بن مرزوق في سرقسطة، ففعل، وولّاه الأمير عليها، وغزا بملونة غير مرّة، ومات بسرقسطة عام 198هـ/814م، ويُقال بتطيّة عام 193هـ/809م. يُنظر: (العذري، د. ت، ص28).

(35) اعتادت معظم الجيوش الإسلاميّة الدّاهية لمحاربة مسيحيي الشّمال، على سلوك الطّريق الرّوماني القديم المارّ بطليطلة، ثم وادي الحجارّة، فمدينة سالم (Medinaceli)، ثم النّغز الأعلى، وبعد ذلك تنطلق إلى وجهتها. يُنظر: (السّامرائي، 1976، ص157).

ولاردة (Lerida)⁽³⁶⁾، وقتل عدداً كبيراً من الرجال، وسبى النساء والأطفال، وعاد بثروات لا تُحصى، فلُقّب بالمظفر، وأبقى عبد الكريم بن مغيث وفطيساً بن سليمان يحرسان الحدود في الجهة الشمالية الشرقية، وعاد إلى طليطلة لاستئناف مقارعة المتمردين (Lafuente, 1887, II, p.195-196; Conde, 1900, I, p.244-245).

3.3 حملة ألفونسو الثاني على لشبونة عام 182هـ/798م

استمرّ الملك ألفونسو الثاني ملك أستورياس في مهاجمة الأراضي الإسلامية في الأندلس؛ ففي عام 182هـ/798م، زحف بنفسه على رأس قواته نحو الجنوب الغربي وتوغّل مخترباً أرض لوسيتانيا (Lusitania)، التي تشغلها دولة البرتغال اليوم، وبعد اجتيازه نهر التاج، وصل إلى مدينة لشبونة (Lisbona)⁽³⁷⁾، فعاث خراباً في ريفها وقتلاً وأسرّاً لسكانها المسلمين، وسلباً لممتلكاتهم، وبعد عودته إلى أفييدو، أوفد النبيلين القوطيين باسيليكو (Basilico) وفرويا (Froya) إلى بلاط شارلمان في مدينة آخن، واصطحب الوفد معه من حملة لشبونة سبعة آلاف أسير مسلم مع عددٍ مُماثلٍ من الخيول، فضلاً عن عديدٍ من النفائس، بهدف تعزيز عُرى التحالف والصداقة بين الطرفين، اللذين ظلّا يحافظان عليها طوال فترة حكم شارلمان وابنه لويس الأول من بعده (Lafuente, 1887, II, p.197; Wreglesworth, 1995, p.154). ويفترض البعض من خلال هذه الرواية أنّ الحملة المذكورة قد تمّت بناء على تعليمات الفرنجة وبرعايتهم وتشجيعهم، ولكنّ ريجلزورث (Wreglesworth) ينفي هذه الفرضية، ويقول بأنّه لا يوجد دليل على ذلك (Wreglesworth, 1995, p.153).

4. الصراع الأندلسي الإسباني خلال (185-194هـ/801-810م)

4.1 نكبة فجّ أرغنون عام 185هـ/801م

سقطت مدينة برشلونة بيد الفرنجة عام 185هـ/801م⁽³⁸⁾، وذكر ابن حيان أنّ الأمير الحكم، وفي محاولة متأخّرة منه لإنقاذ المدينة، جرّد في شهر رمضان من العام المذكور جيشاً بقيادة أخيه معاوية (ت. 185هـ/801م)، ولكنّ الأخير ابتعد عن الهدف الرئيس، فقصّد منطقتي ألبّة والقلاع في مملكة أستورياس، وتعرّض عسكره لهزيمة قاسية في فجّ أرغنون (Puebla de Arganzón)⁽³⁹⁾، حيث اشتبك مع القوات الفرنجية والبشكنسية، ما أدّى إلى مقتل عددٍ من قادته، منهم: عبدوس بن السّمح، منصور الخصي الصّقليّ، ذو القرنين، ابن الخولانيّ وامروء القيس بن حيوة، وقفل بالجيش إلى قرطبة حزناً؛ بسبب ما حلّ بقواته، فمات بعد اثنين وستين يوماً، في ذي القعدة من عام 185هـ/نوفمبر 801م (ابن حيان، 2003، ص117). وتبنّى برميخو هذه الرواية، وأضاف بأنّ الفجّ المذكور يقع في منطقة تريفيينو (Trivino) في مقاطعة برغش (Burgos)⁽⁴⁰⁾، وسط شماليّ البلاد (Bermejo, 2001, p.777)، وتبدو أنّها هي ذاتها الحملة التي أشار إليها آخرون (بروفنسال، 2000، ص151؛ Bermejo, 2001, p.778؛ Quadrado, 1885, p.75)، ووُصفت بكارثة حلت بالمسلمين، ونصر مؤرّر "المؤمنين" المسيحيين (Quadrado, 1885, p.75). وأما المصادر الإسلامية المتأخّرة فتذكر بأنّ قوات الحملة كانت بقيادة الحاجب عبد الكريم بن مغيث، ووصلت إلى غاليسيا، وتمكّنت من إحداث القتل والدمار في بعض نواحيها، واشتبكت مع القوات الإسبانية في أحد ممّرات سلسلة جبال كانتبريا، وحينها لجأ القائد المسلم إلى إعادة تعبئة جيشه وتنظيمه، ما مكّنه من الظفر بالنصر (ابن خلدون، 2000، ج4، ص161؛ المقرئ، 1988، ج1، ص339)، وهذه الرواية لا تبدو أنّها صحيحة، وبخاصّة أنّ المصادر التاريخية على اختلاف أنواعها لا تشير خلال حديثها عن العلاقات الحربية الإسلامية الإسبانية إلى أيّ نصر إسلامي في العام المذكور.

4.2 صانعة عبد الكريم بن مغيث، والهدنة وأثارها (187-190هـ/803-806م)

لم تسجّل الأعوام الخمسة التي تلت نكبة فجّ أرغنون أيّ نشاطٍ حربيّ بين قرطبة ومملكة أستورياس، سوى صانعة عام 187هـ/803م، وهو العام الذي تمّ فيها الصلح بين الأمير وعيّه عبد الله البلنسي، وكانت هذه الصانعة بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث، الذي اصطحب معه فيها عبد الرحمن ابن الأمير الحكم (ت. 238هـ/852م)⁽⁴¹⁾. وكانت وجهتها منطقة ألبّة

(36) لاردة: تقع شرقي وشقة، وتتّصل أعمالها بأعمال طركونة، وينسب إليها عديد من الحصون، وتشتهر ببساتينها وبكثرة الكتّان. يُنظر: (الحموي، 1977، ج5، ص7؛ الحميري، 1984، ص507).

(37) أشبونة: أو لشبونة، من كُور باجة (Beja)، وتقع في غربها على الأطلسي؛ يُنظر: (الحموي، 1977، ج1، ص195؛ الحميري، 1984، ص61).

(38) للأطّلاع على سقوطها؛ يُنظر: (السامرائي، 1976، ص247-249).

(39) فجّ أرغنون: شعب أو ممّر جبليّ، يقع بالقرب من مصبّ نهر زادورا (Zadorra) في نهر إيرو، في منطقة ألبّة. يُنظر: (ابن حيان، 2003، الحواشي الختامية، ص476).

(40) برغش: تقع أقصى شمال الأندلس، وكانت تمثّل قاعدة مملكة ليون، وهي مدينة كبيرة اخترقها نهر، ولها سورٌ منيع، وكرومٌ كثيرة. يُنظر: (الحميري، 1984، ص88).

(41) عبد الرحمن بن الحكم: كان سنداً لأبيه، وشارك في بعض الحملات، ووُلّي سرقسطة في عهد الحكم، وعند وفاة الأخير عام 206هـ/822م، بويع أميراً على البلاد، وكان فصيحاً، شاعراً، واسع العلم. شاد القصور وأعاد للدولة هيبتها. وتوفي عام 238هـ/852م. يُنظر: (ابن الأبار، 1985، ج1، ص113-119).

والقلاع، فدخلها بعد تخلف عبد الرحمن بسرقسطة، وبعد أن أدّى عبد الملك مهمته، قفل راجعاً إلى قرطبة، ومراً في طريقه بطليطلة (ابن حيان، 2003، ص 119-120).
ويبدو أن الأمر قد اختلط على ابن حيان عندما نسب قيادة هذه الصانفة لعبد الملك، والصحيح أن قائدها هو أخوه عبد الكريم، لأن عديداً من المصادر الأجنبية تؤكد أن عبد الملك كان قد قُتل عام 178هـ/794م في أستورياس، خلال قيادته لإحدى الحملات (42).

4.3 إبرام الهدنة عام 188هـ/804م

وفي العام المذكور عُقدت هدنة طويلة الأمد بين الملك ألفونسو الثاني والأمير الحكم. وفي الوقت الذي أتاحت فيه هذه الهدنة للأمير التفرغ لمقارعة حركات التمرد وتوطيد أركان حكمه؛ فقد جرّت على الملك ألفونسو نقمة كبيرة من جانب أبناء شعبه، وازداد بغضاً عندهم، بسبب رفضهم لمثل هذه الهدن الطويلة، فكان حسب رأيهم أن تكون قصيرة، لأن فترات الهدوء الطويلة من شأنها أن تسمح "للعنوّ" بالتجهيز والأخذ بأسباب القوة، الأمر الذي سيجرّب عليه المزيد من الحملات الأندلسية، التي سوف تتجتاح مدنها وقرىهم وتطردهم منها، وتوسع رقعة الإمارة الأندلسية (Quadrado, 1885, p.73-74).
وبدوره ذكر لافوينتي (Lafuente) بأن هذه الهدنة قد أبرمت عام 189هـ/805م، وليس في العام الذي سبقه، وذلك خلال تواجد الأمير الحكم في مدينة سرقسطة، وأضاف بأن مدتها ثلاث سنوات، وأن من أسباب إبرامها في ذلك الوقت، وصول الطرفين إلى قناعة بأن العمليات العسكرية المتبادلة، بدت عبثية ولا تحقق أية نتائج، فضلاً عن بروز مُعطيات جديدة على الأرض، ذلك أن بمبلونة ومساحات كبيرة من المناطق الواقعة حولها في بلاد البشكنس قد خرجت من دائرة السيطرة الإسلامية، لمصلح دوق أقيطانية لويس الأول، وبخاصة بعد تمكن الأخير من السيطرة على برشلونة عام 185هـ/801م، وتحويلها إلى عاصمة للإقليم الجديد الذي استحدث باسم (Marca Hispanica). وبخصوص الأندلسيين، فقد حلت طرطوشة مكان برشلونة، وأصبحت تمثل لهم قاعدة مهمة يمكن الانطلاق منها نحو الأراضي الواقعة في حوض نهر إبرو، ولهذا سخرُوا طاقاتهم كلها من أجل المحافظة عليها وتحسينها وإمدادها بعوامل القوة والصمود (Lafuente, 1887, II. p.205).
وخلال هذه الفترة، عمل الأمير الحكم على تدعيم نفوذه في سرقسطة أيضاً، خوفاً عليها من الضياع، مثلما حصل لبرشلونة، فولى عليها عام 190هـ/806م قائده المخلص عمرو بن يوسف، كما أولى الحكم مدينة تطيلة (Tudela) (43) اهتماماً خاصاً، فرمّم أسوارها وزاد عدد أفراد حاميتها، وأوكل لعمروس مهمة التصدي لأطماع بني قسي (44)، الذين كانوا يترددون في ولائهم ما بين الفرنجة والبشكنس وأمراء ألبه والقلاع الإسبانية، فقام عمرو بن يوسف بإسناد أمر تطيلة لابنه يوسف، ولكن ذلك لم يرق لبني قسي، وكانوا يحظون بنفوذ كبير فيها، فلجأوا إلى التحالف مع الفرنجة، وتمكنوا من السيطرة على المدينة وأسر أميرها يوسف، وإيداعه في مكان يُدعى صخرة قيس (La Peña de Echauri) (45)، حينها انطلق عمرو بن يوسف على رأس قوة عسكرية، وتمكن من انتزاع المدينة وتحرير ابنه (ابن الأثير، 1987، ج 5، ص 335، Bermejo, 2001، p.778)، فعظم شأنه لدى أعدائه والموالين له على حد سواء، واستقر في الثغر أميراً عليه (ابن الأثير، 1987، ج 5، ص 335؛ الثوري، 2004، ج 23، ص 213).

4.4 الصانفة الأندلسية ضد غاليسيا والحملة الإسبانية المضادة ضد أطراف الثغر الأدنى (193-192هـ/808-809م)

يبدو أن الطرفين الأندلسي والإسباني قد التزما بهدنة عام 188هـ/804م، فلم تسجل المصادر التاريخية أية حملات متبادلة منذ ذلك الوقت حتى عام 192هـ/808م، وفيه جرد الأمير الحكم صانفة بقيادة ابنه هشام إلى غاليسيا، فاتأها من الجهة الغربية، من خلال منطقة لوسيتانيا، ونجح في أداء مهمته، والعودة إلى قرطبة ظافراً (ابن حيان، 2003، ص 131؛ بروفنسال، 2000، ص 148).

ورداً على هذه الصانفة، واستمراراً للسياسة التي انتهجها ألفونسو الثاني، فقد استغلّ انشغال الحكم بمحاربة المتمردين عليه، فنشط في شن الغارات ضد الأراضي الأندلسية (ابن عذاري، 1980، ج 2، ص 86)، فخرج بنفسه عام 193هـ/809م، على رأس جيش كبير، واجتاز المنطقة الواقعة بين نهري دويرة والتاج، يقطع الأشجار ويحرق المدن، وينهب المنازل ويقتل من يصادفه من الأندلسيين، حتى وصل إلى قلورية ولشبونة على أطراف الثغر الأدنى (46)، لبُعدها عن قرطبة، وضعف وسائل الدفاع فيها، فعانى الناس كثيراً في تلك الأنحاء (عنان، 1977، ج 1، ص 242؛ Conde, 1900, I, p.257).

(42) (Risco, 1789: XXXVII, p.136; Mariana, 1794, II. p.286; Gebhardt, 1864, p.392-393; Quadrado, 1885, p.71; Villada, 1918, p.74, 121; Puyol, 1926. P.8).

(43) تطيلة: تتصل بأعمال وشقة، غزيرة المياه، كثيرة الأشجار، اختطها الأمير الحكم الرضي شمال غرب سرقسطة، على الضفة اليسرى لنهر إبرو، وبينها وبين سرقسطة 17 فرسخاً. يُنظر: (الحموي، 1977، ج 2، ص 33؛ أبو الخيل، 2002، ص 37).

(44) بنو قسي: ينحدرون من جذم الأعلى، قسي، الذي كان حاكماً على الثغر الشمالي الشرقي في أيام القوط، واتخذ حينذاك من تطيلة مركزاً له. أسلم على يد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (95-85هـ/704-714م)، وحذا قومه حذوه. تصاهر بنو قسي مع البشكنس، وثاروا على الدولة في عهد الأمير الحكم. يُنظر: (السامرائي، 1976، ص 289، 300-301).

(45) صخرة قيس: تقع على جبل عالٍ جنوب سلسلة جبال سربيل (Sierra de Sarbil)، في إقليم الباسك. يُنظر:

(Manuel and Rodriguez, 2010, p.125).

(46) الثغر الأدنى: يشمل المنطقة الواقعة بين نهري دويرة والتاج، ومن أهم مدنه قلورية (قاعدته) وقورية. يُنظر: (السامرائي، 1976، ص 40-41).

ومن ناحية أخرى؛ يذكرُ ماريانا (Mariana) أنَّه في عام 194هـ/810م قام الملك ألفونس الثاني بدحر جيش أندلسيٍّ قَدِم بقيادة حاكم مدينة ماردة، وحاصر مدينة بينافينتي (Benavente) الواقعة في النواحي الشماليَّة الغربيَّة من البلاد (Mariana, 1794, II, p.304)، وبعد التَّحْصِص، لم يعثر الباحثُ على روايات تاريخيَّة تؤيِّد ذلك.

4.5 حملة الأمير الحكم عام 194هـ/810م

نتيجة للسياسة العدوانيَّة الإسبانيَّة، ضجَّ النَّاسُ واتَّهموا الحكم بالتَّكاسُل عن حمايتهم، وفي الحقيقة، فقد كان مشغولاً بمحاربة الثَّائرين عليه، وبخاصَّة في مدينة ماردة (ابن عذاري، 1980، ج2، ص86؛ ابن الأثير، 1987، ج5، ص369؛ النُّويري، 2004، ج23، ص215). وبينما هو كذلك، وفد عليه عام 194هـ/810م الشَّاعُر عَبَّاس بن ناصح الجزيري (ت. بعد 230هـ/845م)⁽⁴⁷⁾ من ناحية بوادي الحجارَة (Guadalajara)⁽⁴⁸⁾، وعندما سأله عن أحوال الثَّغر، أجابه بأنَّ الإسبان قد عاثوا فساداً فيه، وأنَّه سمع امرأةً تصيح بأعلى صوتها: "واغوْثاه بك يا حكم، فلقد غفلت عَنَّا حتَّى تركتنا نهباً للعدوِّ"، فانطلق بنفسه على رأس جيشه، حتَّى وصل إلى أراضي ألبَة والقلاع وغاليسيا، وتوغَّل فيها، وافتتح الحصون، وأُخِن في تلك الأثناء، وقتل وسبى عدداً كبيراً منهم، ثم توجَّه إلى حيث تُقيم المرأة المستغيثة، في وادي الحجارَة، وأمر لأهلها بمالٍ من الغنائم، يُصلحون به أحوالهم ويفقون به سباياهم، وأعطاهم عدداً من الأسرى لتفادي بهم من أسير من أهلها، وأمر بضرب رقاب الباقي، ثم قال لها: "هل أغاثك الحكم أم غفل عنك؟ فقالت: لا بل أغاث ونصر فنصره الله وأغاثه" (مجهول، 1989، ص117). وفي الوقت الذي اتَّفقت فيه المصادر التاريخيَّة السَّابقة، وكذلك المراجع الحديثة على عام حدوث هذه الحملة (عنان، 1977، ج1، ص242؛ نعنعي، 1986، ص197؛ Conde, 1900, I, p.257)، فإنَّ النُّويري جعلها خطأ عام 196هـ/812م (النُّويري، 2004، ج23، ص216).

5. الحملة العسكريَّة الأندلسيَّة عام 200هـ/816م، ونتائجها الميدانيَّة والسياسيَّة

5.1 وجهة الحملة وقيادتها وأسبابها

لم تكُن بلادُ الأندلس تتعافى من سلسلة المجاعات التي اجتاحتها، وراح ضحيَّتها عددٌ كبيرٌ من النَّاس خلال الأعوام (197-199هـ/813-815م) (ابن حيَّان، 2003، ص9؛ ابن عذاري، 1980، ج2، ص87)؛ حتَّى أرسل الأميرُ الحكمُ في عام 200هـ/816م حملةً عسكريَّةً بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى أقصى شمال بلاد الأندلس، ولم تحدِّد معظم المصادر التاريخيَّة وجهتها على وجه الدِّقَّة؛ فاكْتفى ابن حيَّان بالقول أنَّها كانت: "بلاد المشركين" (ابن حيَّان، 2003، ص139)، بينما ذكرها آخرون باسم "بلاد الفرنج" (مسكويه، 2002، ج3، ص359؛ ابن الأثير، 1987، ج5، ص426؛ ابن خلدون، 2000، ج4، ص163؛ المقرِّي، 1988، ج1، ص340).

وأما المراجع الحديثة، فتؤكِّد أنَّها كانت موجَّهة إلى قشتالة القديمة وبلاد البشكنس، وليس إلى غاليسيا كما يعتقد البعض (نعنعي، 1986، ص197؛ بروفنسال، 2000، ص149)، ولعلَّ الطَّرْفُ المستهدف على وجه الخصوص هو البشكنس بقيادة بلشك الجَلَشْتِي (Velasco el Gascón) حاكم بمبلونة (200-175هـ/791-816م) (ابن حيَّان، 2003، ص139)⁽⁴⁹⁾، الذي طلب بدوْره النُّجدة من حليفه "البيط، ملك الجالقة" (ابن خلدون، 2000، ج4، ص163؛ المقرِّي، 1988، ج1، ص340)، والمقصود به ألفونسو الثاني ملك أستورياس (بروفنسال، 2000، ص148).

وتعدَّدت الأسباب التي دفعت الأمير الحكم لتجريد هذه الحملة، فذكر ابنُ حيَّان أنها جاءت بسبب تطاول بلشك على أراضي المسلمين في شمال الأندلس (ابن حيَّان، 2003، ص139)، وبخاصَّة الواقعة منها إلى الشَّرْق من مدينة بمبلونة. وكان ألفونسو الثاني ملك أستورياس هو الآخر قد استغلَّ تعطلَّ الجهاد الأندلسي؛ بسبب انشغال الحكم بمواجهة التَّمُرُّدات الداخليَّة، فقامت جيوشه بمشاركة البشكنس بتكثيف الهجمات ضدَّ المناطق الإسلاميَّة وسكانها، جنوب نهر دوبرة، فأراد الحكم تأديب هؤلاء، واسترداد هيبة إمارته (بروفنسال، 2000، ص148؛ نعنعي، 1986، ص197)، وجاءت هذه الحملة ضمن السِّياق الطَّبِيعِي الذي فرضته طبيعة الصِّراع بين الأندلسيِّين ومسيحيِّي الشَّمال.

5.2 فعاليات الحملة، ونتائجها الميدانيَّة

عندما وصلت القوات الإسلاميَّة إلى منطقة قشتالة القديمة، عملت على تخريب الأراضي الزراعيَّة ونهبها، كما هدمت المنازل والحصون، حتَّى استقرَّ بها المقام على ضفاف وادي أرون (Oron) (ابن عذاري، 1980، ج2، ص89؛ عنان، 1977، ج1، ص242)؛ عند المنحدرات الجنوبيَّة لجبال كانتبريَّا، بالقرب من أعالي وادي إبرو، وتحديدًا عند قرية أرون القريبة من ميرندا دي إبرو (Miranda de Ebro) في ممر بانكوربو (Pancorbo) الضَّيق، الذي يجري فيه النَّبَار المائيُّ المُسمَّى أورونثيو (Oroncillo) (بروفنسال، 2000، ص149؛ Manuel and Rodriguez, 2010, p.126)، ولهذا سُمِّيت

(47) عَبَّاس بن ناصح: أبو العلاء، من أهل العلم باللعغة، ومن الثَّعراء النَّابِغين، ولَّي القضاء في بلد الجزيرة وشذونة، وهو من شعراء بلاط الأمير الحكم، وتوفي بعد عام 230هـ/845م. يُنظر: (الصَّفدي، 2000، ج16، ص368).

(48) وادي الحجارَة: تُعرف - أيضاً - بمدينة الفَرَج. بينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً، وتبعد عن مدينة سالم خمسون ميلاً، ولها سورٌ حصينٌ، وبالقرب منها نهرٌ صغيرٌ، وتشتهرُ بالزَّعفران. يُنظر: (الحميري، 1984، ص606).

(49) خرجت بمبلونة من حوزة الأندلسيِّين عام 182هـ/79٩م، بعد أن قتل أهلها عاملها الأمويَّ مطرَف بن موسى بن قسي، واختاروا زعيمًا بشكنسيًّا. يُنظر: (بروفنسال، 2000، ص148).

المعركة في المصادر الإسبانية بمعركة أرون (Batalla del Orón) أو معركة بانكوربو (Batalla de Pancorbo). ومن الجدير بالذكر أن ابن عذاري هو الوحيد الذي انفرد بذكر نهر أرون بالاسم، بينما صمّنت عنه المصادر الأخرى (مسكويه، 2002، ج3، ص359؛ ابن الأثير، 1987، ج5، ص426؛ التويري، 2004، ج23، ص218). وعندما علم بلشك زعيم البشكنس بوصول الأندلسيين إلى أرون، طلب النجدة من ألفونس الثاني ملك أستورياس، فهرعت قواتهما، واحتشدت على الضفة الأخرى من النهر لمنع الأندلسيين من اجتيازه (ابن عذاري، 1980، ج2، ص89). وحينها توغل الجيش الأندلسي جزئياً في المناطق المائية الصالحة، ثم عبر الإسبان والبشكنس، فلقبهم الأندلسيون بالسيف والرمح والحجارة، فعاد من بقي حياً منهم هارباً إلى الضفة الأخرى، وقاموا بتحسين مواقعهم من خلال حفر الخنادق وإقامة الحواجز الخشبية من أجل منع الأندلسيين من الوصول إليهم وإبقاء خطر سهامهم، إلا أن هطول الأمطار بغزارة حال دون قيام الأندلسيين باجتياز النهر، فتوقفوا عن القتال وانسحبوا، بعد ثلاثة عشر يوماً من المواجهات (مسكويه، 2002، ج3، ص359؛ ابن حيان، 2003، ص139؛ ابن عذاري، 1980، ج2، ص88-89؛ ابن الأثير، 1987، ج5، ص426؛ التويري، 2004، ج23، ص218-219)، ولكن بروفسال يذكر أن القتال دام ثلاثة أيام (بروفنسال، 2000، ص149). وأما بخصوص النتائج الميدانية: فقد هُزم الإسبان والبشكنس، وتكبّدوا خسائر فادحة في الأرواح، وأصيب عدد كبير منهم بجروح؛ فمن لم يُقتل بالسيف مات غرقاً، إلا أن المصادر على اختلاف أنواعها لم تذكر أعداد هؤلاء، وعُرف من بين القتلى، وفق رواية ابن حيان: سانشو بن لب (Sancho Lupo, duque de Vasconia)، وأخوه غارسيا (Garcia Lupo, duque de Vasconia) (ابن حيان، 2003، ص139). الذي وُصف بأنه كان أفضل فارس في بمبلونة (Lacarra, 1972, I, p.55). وأسر عدد من قادتهم ونبلائهم (مسكويه، 2002، ج3، ص359؛ ابن الأثير، 1987، ج5، ص426؛ التويري، 2004، ج23، ص219). وبعد ذلك عاد الجيش الأندلسي إلى قرطبة، فوصلها في بداية شهر ذي القعدة/حزيران (ابن حيان، 2003، ص139)، وكان ابن عذاري أكثر دقة في تحديد تاريخ العودة، فقال: في السابع من ذي القعدة/السّادس من يونيو (ابن عذاري، 1980، ج2، ص89)، وقيل: في السابع من ذي الحجة/السّادس من تمّوز (مسكويه، 2002، ج3، ص359؛ ابن الأثير، 1987، ج5، ص426؛ التويري، 2004، ج23، ص219؛ بروفسال، 2000، ص149).

5.3 النتائج السياسية

ترتبت على هذه النكبة المسيحية نتائج سياسية؛ كانت بمنزلة مصدر قوة للإمارة الأموية بقيادة الحكم، أدت إلى تغيير معالم الخريطة السياسية لدى البشكنس لمصلحة الأندلسيين، كما أسهمت في إحباط محاولات لويس الأول للسيطرة على بلاد البشكنس؛ لأهمية موقعها الجغرافي المتاخم لجبال ألبرت الحدودية مع مملكته، وبخاصة أن أزنار جاليندو (Aznar Galindo) البشكنسي الذي تمّ تنصيبه هناك بلقب كونت، كان يُعارض الهيمنة الفرنجية بشدة، فسعى لويس الأول للحصول على دعم شخصية بشكنسية أخرى بهدف التعاون معه وتمرير مخططاته، فوقع اختياره على بلشك (Velasco)، الذي قبل القيام بهذا الدور (Lacarra, 1972, I, p.53).

وينحدر بلشك في الأصل من غسقونية (Gascogne)، التي كانت ضمن الأقاليم الفرنجية الجنوبية، ولهذا كان من الطبيعي أن يكون من الموالين للفرنجة (Manuel and Rodriguez, 2010, p.125)، وسعى في الوقت ذاته، إلى توثيق علاقاته مع مملكة أستورياس حتى يضمن استمرار حكمه وأسرته في بمبلونة. ولا بد أن الأمير الحكم شعر بالتهديد بسبب هذا التقارب، لأن ذلك من شأنه تقوية مسيحيي الشمال على حساب الأندلسيين؛ ما يعني أن الحملة كانت موجّهة بالأساس ضدّ البشكنس، حلفاء الإسبان، الذين أدت هزيمتهم إلى انهيار المشروع الفرنجي، وهذا ما عزز موقف زعيم أراغون الكونت أزنار غاليندو. ومهدت الأحداث المذكورة، إلى قيام البشكنس باختيار إنيجو أريستا (Inigo Arista) ملكاً عليهم (200-237هـ/816-852م)، بمساعدة من بني قسي، ما مهّد أيضاً لقيام مملكة نافارا (Navarra). وبناءً على التطورات والأحداث المذكورة، عزز بنو قسي نفوذهم في مدينة تطيلة، ربّما بالاتفاق مع والي النغر الأعلى، عبد الرحمن ابن الأمير الحكم، الذي كان يتخذ من سرقسطة مقراً لإقامته، وساد جو من الاستقرار في الشمال، ما مكّن والي المذكور من إبرام هدنة مع الملك الفرنجي لويس الأول عام 201هـ/817م، فاستغل الأخير ذلك من أجل التفرغ لتوطيد أركان حكمه في ماركية برشلونة (Lacarra, 1972, I, p.53, 56-57).

وعلى ما يبدو، فإن هذه الحملة هي الأخيرة التي جرّدها الأمير الحكم إلى أراضي أستورياس والبشكنس، ومزّت الأعوام السبعة الباقية من عهده دون أي نشاط حربي هناك، وربّما تكون هدنة ما قد أبرمت في نهاية ذلك العهد.

6. نتائج الدراسة

عكست الحالة الداخلية في عهد الأمير الحكم الربضي وما اصطبغت به من ثورات وتمردات، حالة عامّة على غرار تلك التي شهدتها بلاد الأندلس خلال معظم مراحل تاريخها؛ فلم يكد عصر يخلّ ممّا شهدته عهد الحكم، بشكلٍ أو بآخر، ما أسهم في إضعاف الأندلسيين، وتبديد طاقاتهم، وإتاحة المجال للممالك المسيحية للتوسع على حساب أراضيهم ومدنهم، وبخاصة في الشمال، في العصور الأندلسية الأولى، فكان ذلك، بالمُجمل، من أهمّ عوامل سقوط الأندلس في نهاية المطاف، عام

897هـ/1492م. وما زاد الطين بلة قيام زعماء التمرّد، في عهد الحكم على وجه الخصوص، بالاستئجار بالقوى المسيحية الإسبانية والفرنجية، سعيًا وراء السلطة، وما ترتّب على ذلك من تمكين للمسيحيين من أبناء جلدتهم ودينهم. وضع الأمير الحكم الجهاد ضدّ مملكة أستورياس، على رأس أولوياته، بهدف الوقوف في وجه سياستهم التوسعية، من خلال الحملات المتكررة التي جرّدها ضدّ الأراضي الأندلسية بهدف السيطرة عليها، والتي حرص ألفونس الثاني على قيادتها بنفسه، وظهر ذلك في حملتي عام 182هـ/798م و193هـ/809م. كما هدف الحكم إلى استرداد المدن والحصون التي وقعت في قبضتهم، أو على الأقلّ، المحافظة على الوضع الحدودي القائم. بلغ عدد الحملات الجهادية الرئيسية في عهد الحكم سبع حملات، اثنتان منها قادها بنفسه، أهمها حملة عام 194هـ/810م؛ تلبيةً لاستغاثة المرأة المسلمة في وادي الحجارة. وثلاث حملات بقيادة الحاجب عبد الكريم بن مغيث؛ ما يدلّ على الدور العسكري الكبير الذي اضطلع هذا القائد به. وواحدة قادها أخو الأمير: معاوية بن هشام الرضا، وأما الأخيرة فكانت بقيادة هشام بن الحكم. واستهدفت كلها ألبّة والقلاع وغاليسيا، وحقق الأندلسيون فيها النصر، ما عدا حملة معاوية التي نكّب فيها جيشه على يد قوات مملكة أستورياس في فيج أرغنون، في ألبّة والقلاع، عام 185هـ/801م، بعد أن حادّ عن وجهته الرئيسية؛ مدينة برشلونة.

يتبيّن من خلال الدراسة أهمية موقع مدينة سرقسطة، نقطة دفاع رئيسية عن مدن الشمال الأندلسي، في وجه القوى المسيحية الطامعة فيها، فحرص الأمير الحكم على وضعها تحت حكم الثقات والمخلصين من قادته، كابنه عبد الرحمن ورجل الدولة الإداري والعسكري الكبير عمروس بن يوسف، كما عمل على تقوية دفاعاتها ومدينة تطيلة التي كانت هي الأخرى تقف على خط المواجهة المباشر مع الأعداء.

فضلاً عن الهزيمة الميدانية والخسائر البشرية والمادية الفادحة التي مني بها البشكنس والإسبان، في معركة وادي أرون عام 200هـ/816م، فقد ترتّب عليها - أيضاً - تداعيات ونتائج سياسية؛ أهمها: ارتفاع معنويات الأندلسيين، واسترداد هيبة الإمارة الأموية، التي طالما تعرّضت قبل ذلك للهجمات الإسبانية والبشكنسية. كما تعزّز الموقف الأندلسي في مدن النّعر الأعلى، وبخاصّة سرقسطة، قاعدته، وتطيلة.

وأما على الصعيد المسيحي؛ فقد غاب الرّعيم البشكنسي بلشك الجشقي الموالي للفرجة عن السّاحة السياسية، وحلّ مكانه زعماء يرفضون التّدخل الخارجي في شؤون بلادهم. ومن ناحية أخرى؛ فقد تبدّدت أحلام الملك ألفونس الثاني في ضمّ بلاد البشكنس لمملكة أستورياس؛ فشكّل ذلك كله خطوة مهمة على طريق قيام مملكة نافارا في البلاد المذكورة.

7. قائمة المراجع

7.1 المصادر والمراجع العربية

- ابن الأثير، محمّد بن عبد الله (ت. 658هـ/1260م)، (1985)، الحلة السّيراء، 2ج، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، القاهرة-مصر، دار المعارف.
- ابن الأثير، علي بن محمّد (ت. 630هـ/1233م)، (1987)، الكامل في التّاريخ، (ج5)، ط1، بيروت-لبنان، دار الكتب العلميّة.
- بروفنسال، ليفي، (2000)، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711-1031م)، ط3، ترجمه إلى الإسبانية: (إميليو جارتيا جومث)، ترجمه إلى العربية: (علي عبد الرّؤوف البمبي، علي إبراهيم منوفي وعبد الظّاهر عبد الله)، مراجعة: (صلاح فضل)، مدريد-إسبانيا، المجلس الأعلى للثقافة.
- حاتمة، محمّد، (1996)، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ط1، عمّان-الأردن، وزارة الثقافة.
- الحجّي، عبد الرحمن، (1981)، التّاريخ الأندلسي من الفتح الإسلاميّ حتّى سقوط غرناطة، ط2، دمشق-سوريا، بيروت-لبنان، دار القلم.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت. 626هـ/1229م)، (1977)، معجم البلدان، 5 أجزاء، (د. ط)، بيروت-لبنان، دار صادر.
- الحميدي، عبد الله بن محمّد (ت. 488هـ/195م)، (2008)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: بشار عوّاد معروف ومحمّد بشار عوّاد، ط1، تونس، دار الغرب الإسلامي.
- الجميري، محمّد بن عبد المنعم (ت. 900هـ/1495م)، (1984)، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبّاس، ط2، بيروت-لبنان، مكتبة لبنان.
- ابن حيّان، حيّان بن حيّان بن خلف القرطبي (469هـ/1077م)، (2003)، السّفر الثّاني من كتاب المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، الرّياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمّد (ت. 808هـ/1406م)، (2000)، تاريخ ابن خلدون، 7 أجزاء، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، (د. ط)، بيروت-لبنان، دار الفكر.
- أبو الخيل، محمّد، (2002)، الأندلس في الرّبع الأخير من القرن الثّالث الهجري، (د. ط)، الرّياض، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز.
- الرّهيري، سهير، العلياوي، حسين، (2023)، دعم شارلمان لتمرّد أبناء عبد الرحمن الدّاخل سنة 180هـ/796م، مجلّة أبحاث البصرة للعلوم الانسانية - العراق، مج48، 1ع (ب)، ص(441-448).
- السّامرائي، خليل، (1976)، الثّغر الأعلى الأندلسي، دراسة في أحواله السّياسية، (د. ط)، بغداد-العراق، مطبعة أسعد.
- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت. 685هـ/1286م) (د. ت)، المغرب في خلى المغرب، جزءان، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، القاهرة-مصر، دار المعارف.

شراحي، حياة، بككرة، فوزية، (2019)، الإمارة الأموية على عهد الحكم بن هشام الرّبضي وأوضاعها الداخليّة وعلاقتها الخارجيّة (180-206هـ/796-822م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشهيد جمعة لخضر، الجزائر.

الشيخ، محمّد، (1981)، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، (د. ط)، الإسكندرية-مصر، مؤسسة الثقافة الجامعية.

الصفدي، صلاح الدين خليل (ت. 764هـ/1363م)، (2000)، الوافي بالوفيات، 29 جزء، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث الإسلامي.

عبد الحليم، رجب، (د. ت)، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، (د. ط)، القاهرة-مصر وبيروت-لبنان، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.

ابن عذاري، محمّد بن محمّد (ت. 695هـ/1296م)، (1980)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جزءان، تحقيق: ج. كولان ولفي بروفنسال، ط2، بيروت-لبنان، دار الثقافة.

العذري، أحمد بن عمر (ت. 478هـ/1085م)، (د. ت)، نصوص عن الأندلس، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، (د. ط)، مدريد-إسبانيا، منشورات معهد الدراسات الإسلامية.

عنان، محمّد، (1977)، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط2، القاهرة-مصر، مكتبة الخانجي.

عنان، محمّد، (1977ب)، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأوّل، القسم الأوّل، من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ط4، القاهرة-مصر، مكتبة الخانجي.

ابن الفريسي، عبد الله بن محمّد (ت. 403هـ/1012م)، (2008)، تاريخ علماء الأندلس، جزءان، تحقيق: بشّار عواد معروف، ط1، تونس، دار الغرب الإسلامي.

لكعص، حكيم، بودرهم، عائشة، (2019)، الثورات في الأندلس على عهد الحكم بن هشام (180-206هـ/796-822م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة غرداية، الجزائر.

مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، (1989)، ط2، القاهرة-مصر وبيروت-لبنان، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.

محمود، منى، (1986)، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (92-206هـ/714-815م)، (د. ط)، القاهرة-مصر، دار الفكر العربي.

مسكويه، أحمد بن محمّد (ت. 421هـ/1030م)، (2002)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، 7 أجزاء، تحقيق: سيّد كسروي، ط1، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.

المقري، أحمد بن محمّد (ت. 1041هـ/1632م)، (1988)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، 8 أجزاء، (د. ط)، بيروت-لبنان، دار صادر.

منصور، شاهنדה، (2020)، صاحب الصّوائف عبيد الله بن عبد الله البليسي (180-238هـ/796-852م)، جامعة بني سويف، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، مج5، ع9، ص(58-81).

المومني، عرين، (2021)، التّحذّيات الداخليّة والخارجيّة في عهد الأمير الحكم بن هشام الرّبضي (180-206هـ/796-822م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.

نعنع، عبد المجيد، (1986)، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، (د. ط)، بيروت-لبنان، دار النهضة العربية.

الثويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت. 733هـ/1333م)، (2004)، نهاية الإرب في فنون الأدب، 32 جزء، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ط1، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.

7.2 رومنة المراجع العربية

- Abdul Halim, R. (n.d.). Relations between Islamic Andalusia and Christian Spain in the Era of the Umayyads and the Taifa Kings, (n.edit.). Cairo-Egypt and Beirut-Lebanon. Dar Al-Kitab Al-Masry and Dar Al-Kitab Al-Lubnani.
- Abu Al-Khail, M. (2002). Andalusia in the last quarter of the third century AH. (n.edit.). Riyadh. King Abdulaziz Library Publications.
- Al-Hajji, A. (1981). Andalusian History from the Islamic Conquest until the Fall of Granada. 2nd ed. Damascus-Syria. Beirut-Lebanon. Dar Al-Qalam.
- Al-Hamawi, Y. (d. 626AH/1229AD). (1977). Mo'jam al-Boldan. 5 parts. (no edit.). Beirut-Lebanon. Dar Sadir.
- Al-Himyari, M. (d. 900AH/1495AD). (1984). Al-Rawdh al-Me'tar fi Khabar al-Aqtar. edited by: Ihsan Abbas. 2nd ed. Beirut-Lebanon. Lebanon Library.
- Al-Humaidi, A. (d. 488AH/195AD). (2008). Jadhwat al-Muqtabes fi tarikh ulama' al-Andalus. edited by: Bashar Awwad Marouf and Muhammad Bashar Awwad. 1st ed. Tunis. Dar Al-Gharb Al-Islami.
- Al-Maqqari, A. (d. 1041AH/1632AD). (1988). Nafh al-Teeb min Ghushn al-Andalus al-Ratib. 8 parts. (no edit.). Beirut-Lebanon. Dar Sadir.
- Al-Momani, A. (2021). Internal and External Challenges in Andalusia during the Era of Prince al-Hakam bin Hisham al-Rabdi (180-206 AH/796-822 AD). unpublished master's thesis. Yarmouk University. Jordan.
- Al-Nuwayri, A. (733AH/1333AD). (2004). Nihayat al-Irab fi funoon al_ adab. 32 parts. edited by: Abdul Majeed Tarhini. 1st ed. Beirut-Lebanon. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyya.

- Al-Safadi, S. (d. 764AH/1363 AD). (2000). Al-Wafi bil-Wafiyat. 29 parts. edited by: Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa. 1st ed. Beirut-Lebanon. Dar Ihya Al-Turath Al-Islami.
- Al-Samarra'i, Kh. (1976). The Andalusian Upper Frontier, A Study of Its Political Conditions. (n.edit.). Baghdad-Iraq. Asaad Press.
- Al-Sheikh, M. (1981). The Frankish State and its Relationship with the Umayyads in Andalusia, (n.edit.). Alexandria-Egypt. University Culture Foundation.
- Al-Udhri, A. (d. 478AH/1085AD), (n.d.), Nosus min Al-Andalus. edited by: Abdul Aziz Al-Ahwani. (n.edit.). Madrid-Spain. Publications of the Institute of Islamic Studies.
- Al-Zuhairi, S., and Al-Alyawi, H. (2023). Charlemagne's support for the rebellion of the sons of Abd al-Rahman al-Dakhil in 180 AH/796 AD. Basra Research Journal for Humanities. Iraq. Vol. 48, No. 1 (B), pp. (441-448).
- Anan, M. (1977a). The Remaining Andalusian Monuments in Spain and Portugal. 2nd ed. Cairo-Egypt. Al-Khanji Library.
- Anan, M. (1977b). The Islamic State in Andalusia, the First Era, the First Part, from the Conquest to the Beginning of the Reign of al-Nasir. 4th ed. Cairo-Egypt. Al-Khanji Library.
- Anonymous. (1989). Akhbar majmu'a fi fath Al-Andaus. 2nd ed. Cairo-Egypt and Beirut-Lebanon. Dar Al-Kitab Al-Masry and Dar Al-Kitab Al-Lubnani.
- Hatamlah, M. (1996). Iberia before the Coming of the Arab Muslims. 1st ed. Amman-Jordan. Ministry of Culture.
- Ibn Adhari, M. (d. 695AH/1296AD). (1980). Al-Bayan Al-Moghrib fi Akhbar Al-Andalus wa Al-Maghrib. 2 parts. edited by: J. Colin and Levi-Provençal. 2nd ed. Beirut-Lebanon. Dar Al-Thaqafa.
- Ibn al-Abbar, M. (d. 658AH/1260AD). (1985). al-Hillah al-Sayra. 2 parts. edited by: Hussein Mu'nis. 2nd ed. Cairo-Egypt. Dar al-Ma'arif.
- Ibn al-Athir, A. (630AH/1233AD). (1987). al-Kamil fi al-Tarikh. (Vol. 5). 1st ed. Beirut-Lebanon. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
- Ibn al-Fardi, A. (d. 403AH/1012AD). (2008). Tareekh Ulama' Al-Andalus. 2 parts. edited by: Bashir Awad Marouf. 1st ed. Tunis. Dar al-Gharb al-Islami.
- Ibn Hayyan, H. (d. 469 AH/1077AD). (2003). The Second Book of Al-Muqtabas. edited by: Mahmoud Ali Makki. 1st ed., Riyadh. King Faisal Center for Research and Islamic Studies.
- Ibn Khaldun, A. (d. 808AH/1406AD). (2000). History of Ibn Khaldun. 7 parts. edited by: Khalil Shahada and Suhail Zakar. (n.edit.). Beirut-Lebanon. Dar al-Fikr.
- Ibn Saeed al-Maghribi, A. (d. 685AH/1286AD). (n.edit.). Al-Mughreb fi hula Al-Maghrib. 2 parts. edited by: Shawqi Dayf. 4th ed. Cairo-Egypt. Dar al-Maaref.
- Laka'as, H., and Boudherhem, A. (2019). Revolutions in Andalusia during the reign of Al-Hakam bin Hisham (180-206AH/796-822AD). unpublished master's thesis. University of Ghardaia. Algeria.
- Mahmoud. M. (1986). Muslims in Andalusia and their relationship with the Franks (92-206 AH/714-815 AD). (n.edit.). Cairo-Egypt. Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Mansour, Sh. (2020). Sahib al-Sawaif Ubayd Allah bin Abdullah al-Balansi (180-238 AH/796-852 AD). Beni Suef University. Journal of Egyptian Historical and Civilizational Studies. Vol. 5, No. (9), pp. (58-81).
- Miskaweih, A. (d. 421AH/1030AD). (2002). Tajareb al-Umam wa ta'aqob al-Himam. 7 parts. edited by: Sayyid Kasravi. 1st ed. Beirut-Lebanon. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Na'na'i, A. (1986). History of the Umayyad State in Andalusia. (n.edit.), Beirut-Lebanon. Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
- Provençal, L. (2000). History of Islamic Spain from the Conquest to the Fall of the Cordovan Caliphate(711-1031AD) (in Arabic). 3rd ed. Translated into Spanish by: Emilio García Gómez. Translated into Arabic by: Ali Abd al-Raouf al-Bambi, Ali Ibrahim Manoufi and Abd al-Zahir Abdullah. reviewed by: Salah Fadl. Madrid-Spain. Supreme Council for Culture.
- Sharahi, H., and Bakakra, F. (2019). The Umayyad Emirate during the reign of Al-Hakam bin Hisham Al-Rabdi and its internal conditions and external relations (180-206 AH / 796-822 AD). unpublished master's thesis. University of Martyr Jumaa Lakhdar. Algeria.

7.3 المراجع الأجنبية

- Anton, J. (2010) Atlas historico de la Espana medieval, Ilustraciones: Luis M. Bilbao, Madrid: Editorial Sintesis, S. A.
- Bermejo, J. (2001). La primera década del reinado deal-Hakam I (796-806), según el Muqtabis de Ben Hayyan. Anaquel de estudios arabes, Madrid: Universidad Complutense de Madrid, (769-778).
- Conde, J. (1900). A History of the Dominion of the Arabs in Spain. trans. Jonathan Foster, I, London: Goerge Bell.
- Cuevas, A. (2016). La legitimidad de los reyes asturianos en las crónicas de Alfonso III. Estudios Medievales Hispánicos (5), Madrid: Universidad Autonoma de Madrid, (7-43).
- Gebhardt, V. (1864). Historia General de Espana y de Sus Indias. II, Madrid: Libreria Espanola and Barcelona: Libreria del Plus Ultra.
- González, G. and Avelino, J. (2013). Oviedo y el territorio astur entre Mahoma y Carlomagno (siglos VII-IX), Actas XXXIX Semana de Estudios Medievales, Estella, De Mahoma a Carlomagno, los primeros tiempos (VII-IX). Pamplona: Gobierno de Navarra, (377-433).
- Lacarra, J. (1972). Historica politica del Navarra, desde sus orígenes hasta su incorporación a Castilla. I, Pamplona: Editorial Aranzadi.
- Lafuente, M. (1887). Historia general de España desde los tiempos más remotos hasta nuestros días. II, Barcelona: Establecimiento Tipográfico de Mellado.
- Lane-Poole, S. (1898). The story of the Moors in Spain. New York: J. P. Putnam's Sons, London: T. Fisher Unwin.
- Manuel J. and Rodriguez G., (2010): Nace el Reino de Pamplona Sancho I Garcés de Pamplona "El Grande" en el Alto Medievo, Localización. Revista del Centro de Estudios Merindad de Tudela, Nº. 18, (123-139).
- Mariana, J. (1794). Historia General de Espana. Madrid: Don Benito Cano.
- O'Callaghan, J. (1975). A History of Medieval Spain. Ithaca and London: Cornell University Press.
- Puyol, J. (1926). Orígenes del Reino de Leon y de sus Instituciones Políticas. Madrid: Imprenta Viuda e Hijos de Jaime Ratés Martín.
- Quadrado, J. (1885). Asturias y Leon. Barcelona: Establecimiento Tipográfico-editorial de Daniel Cortezo.
- Risco, M. (1789). Espana Sagrada. XXXVII, Madrid; La Oficina de Blas Roman.
- Villada, Z. (1918). Cronica de Alfonso III. Madrid: Rivadeneyra Paseo de San Vicente.
- Wreglesworth, J. (1995). The Chronicle of Alfonso III and its Significance for the Historiography of the Asturian kingdom 718-910 AD. Unpublished Ph.D thesis, University of Leeds, Leeds-UK.

The Jihadist Policy of the Andalusian Prince Al-Hakam Al-Rabadi Towards the Spanish Kingdom of Asturias (180-206 AH/796-822 AD)

Amer A. Al-Qobbaj

Department of History, Faculty of Humanities and Education, An-Najah National University, Nablus,
Palestine

Corresponding Author: amer.qobbaj@najah.edu

Received: 25/04/2024.

Revised: 02/07/2024.

Accepted: 08/07/2024.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.2

Abstract

This study dealt with the jihadist policy of the Andalusian Umayyad prince Al-Hakam Al-Rabadi (180-206 AH/796-822 AD), towards the Spanish Kingdom of Asturias and its allies. The study relied on the descriptive and analytical historical approach. In its introduction, it focused on the military relations with the Spaniards, prior to the reign of Prince Al-Hakam, that is, during the reign of Prince Hisham Al-Rida (172-180 AH/788-796 AD), then it traced the seven main campaigns conducted by Al-Hakam, from the year in which he assumed power until the last campaign in the year 200 AH/816 AD. The study showed the great interest that the prince paid to defending the northern cities and preventing Spanish expansions. Despite the long period of his reign, the strong campaigns he directed against the Spaniards, and the victories achieved by his armies, Prince Al-Hakam was unable to imitate his father's rich jihadist career in terms of the number of campaigns and their results due to the turbulent internal conditions that befell his reign. In addition, his armies did not invest in their victories by placing military garrisons in the conquered areas to maintain their control as the Andalusian armies were content to practice economic warfare against the Kingdom of Asturias, especially in the area of the country and the castles, by sabotaging crops and property. Therefore, these campaigns were not able to make permanent strategic changes in the northern Andalusian political map, especially if one takes into account the complexities of the internal situation in the northern cities and the rapid changes in them, which ranged between rebellion and loyalty. This, in turn, enabled the Spaniards to maintain their previous borders, while being able to expand partially in the northeastern regions of the country.

Keywords: Al-Andalus, Al-Hakam Al-Rabadi, Umayyad emirate, jihadist policy, Asturias, Alfonso II.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

فاعلية استخدام استراتيجية الصف المقلوب في تعلم بعض المهارات الأساسية للسباحة لدى طلاب التربية الرياضية.

أحمد نصار^{1*}، محمد قدومي²

¹قسم التربية الرياضية "التدريب الرياضي"، كلية التربية الرياضية، جامعة فلسطين التقنية-خضوري، فلسطين
²قسم التربية الرياضية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين

الباحث المراسل: a.nassar@ptuk.edu.ps

Received: 04/05/2024.

Revised: 09/06/2024.

Accepted: 03/07/2024.

Published: 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.3

المخلص

هدفت الدراسة إلى تعرف فاعلية استخدام استراتيجية الصف المقلوب في تعلم بعض المهارات الأساسية للسباحة، لدى طلاب التربية الرياضية. ولتحقيق ذلك، فقد تم إجراء الدراسة على عينة قصدية، قوامها (30) طالباً من طلاب التربية الرياضية في جامعة خضوري، ومن المسجلين في مساق سباحة (2) في الفصل الدراسي الصيفي (2022-2023م)، وتم توزيعهم عشوائياً بالتساوي إلى مجموعتين؛ الأولى تجريبية، والثانية ضابطة. واستخدم الباحثان المنهج شبه التجريبي، وإجراء القياسين؛ القبلي والبعدي، للمهارات قيد الدراسة. ولمعالجة البيانات والوصول إلى النتائج، فقد تم استخدام البرنامج الإحصائي (SPSS). وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات القياسين؛ القبلي والبعدي، في جميع المهارات الأساسية للسباحة، قيد الدراسة، ولمصلحة القياس البعدي لدى أفراد المجموعة التجريبية، ووجود فروق دالة إحصائية في القياس البعدي لجميع المهارات الأساسية للسباحة، قيد الدراسة بين أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة، ولمصلحة أفراد المجموعة التجريبية. وتوصي الدراسة بأهمية استخدام استراتيجية الصف المقلوب في تعليم المهارات الأساسية للألعاب الرياضية في المسابقات العلمية لطلبة التربية الرياضية.

الكلمات المفتاحية: الصف المقلوب، المهارات الأساسية للسباحة، سباحة الزحف على البطن، سباحة الزحف على الظهر، طلاب التربية الرياضية، فلسطين.

المقدمة

في عالم التعليم المعاصر تبرز الحاجة الماسة إلى اعتماد أساليب تعليمية مبتكرة، تتوافق مع متطلبات العصر وتساعد في تحقيق أقصى استفادة للطلاب في مختلف المجالات العلمية والعملية، ومن بين هذه الأساليب استراتيجية الصف المقلوب (Portugalet & Panase, 2023)، وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تسلط الضوء على فاعلية استخدام استراتيجية الصف المقلوب في تعلم بعض المهارات الأساسية للسباحة لدى طلاب التربية الرياضية، وهو موضوع يحمل في طياته أبعاداً تربوية وتعليمية هامة، تستحق الدراسة والتحليل.

واستراتيجية الصف المقلوب، بوصفها استراتيجية تعليمية تعكس التحول في دور المعلم من مصدر أساسي للمعلومات إلى ميسر لعملية التعلم، حيث يتم نقل جزء كبير من التعليم التقليدي والمحاضرات إلى خارج الفصل الدراسي من خلال استخدام الوسائط التكنولوجية (Vaughn et al., 2019). هذا بدوره يتيح للطلاب استغلال الوقت داخل الفصل في تطبيق ما تعلموه والتفاعل بشكل أكبر مع المعلم وزملائهم، ويعد هذا النهج تحولاً جذرياً في بيئة التعلم

التقليدية، ويمثل تحدياً للمفاهيم المسبقة حول العملية التعليمية (إسماعيل، 2022). وتبرز أهمية تطبيق استراتيجية الصف المقلوب في مجال التربية الرياضية وتعلم المهارات البدنية مثل السباحة، نظراً للطبيعة العملية لهذه المهارات التي تتطلب تدريباً مكثفاً ومشاركة طلابية فعالة (Østerlie et al., 2023)، وتواجه عملية تعلم السباحة تحديات فريدة، تتعلق بالحاجة إلى تطوير القدرة البدنية والتقنية لدى الطلاب، ما يجعل استخدام استراتيجيات تعليمية تفاعلية ومبتكرة أمراً ضرورياً لتحقيق النجاح في هذا المجال (مقلد، 2020)، وبالتالي تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف الطرق التي يمكن من خلالها لاستراتيجية الصف المقلوب أن تساهم في تحسين عملية تعلم المهارات الأساسية للسباحة لدى طلاب التربية الرياضية.

ومن الفوائد الأساسية لهذا النهج، هو التجربة التعليمية الشخصية التي يقدمها، حيث يمكن للطلاب التعلم بوتيرتهم الخاصة خارج الفصل الدراسي، ومراجعة المواد حسب الحاجة لفهم الجوانب النظرية للسباحة بشكل كامل (Garner-O'Neale, 2023). هذا التعلم الذاتي الموجه يكون مفيداً بشكل خاص في سياق التربية البدنية، فقد يكون لدى الطلاب مستويات متفاوتة من الألفة والراحة مع السباحة (Ferriz-Valero et al., 2022). ومن خلال الوصول إلى حوض السباحة مع الفهم الأساسي لما سيتم ممارسته، يمكن للطلاب الانخراط بثقة وفعالية أكبر في التمارين العملية (السيد، 2019).

إلى جانب ذلك، يعزز نموذج الفصل الدراسي المقلوب بيئة تعليمية أكثر تفاعلية ومشاركة خلال وقت الفصل. نظراً لوصول الطلاب متسلحين بالمعرفة الأساسية، ويمكن تخصيص وقت الفصل للممارسة العملية، والتعلم بين الأقران، والتغذية الراجعة المباشرة التي يمارسها المعلمون (A Ferriz-Valero et al., 2017). وبالتالي فهذا التفاعل لا يعزز تجربة التعلم فحسب، بل يسمح - أيضاً - بتطبيق فوري وتعزيز المهارات المكتسبة. ويمكن المعلمين من تحديد أي سوء فهم أو صعوبات بسرعة، ومعالجته، معدلين تعليمهم لتلبية الاحتياجات الفردية لكل طالب (Lepore et al., 2015). وهناك ميزة من ميزات استراتيجية الفصل المقلوب في تعليم مهارات السباحة، هي الاستخدام الفعال لوقت حوض السباحة (Li, 2018). وقد تتطلب الطرق التقليدية قضاء وقت كبير من الفصل في شرح التقنيات وممارسات السلامة، ما يترك وقتاً أقل للسباحة الفعلية. ومع ذلك، يضمن النموذج المقلوب أن يأتي الطلاب إلى الفصل مستعدين للسباحة، ما يعظم استخدام مرافق السباحة ويمكن من ممارسة أعمق لكل مهارة (Suby, 2019).

وفي ظل التطورات التكنولوجية السريعة والتغيرات الجوهرية في نماذج التعليم، تقدم استراتيجية الصف المقلوب فرصة واعدة لإعادة تشكيل ممارسات التعليم والتعلم في مجال التربية الرياضية (Hinojo Lucena et al., 2020)، من خلال الدمج الفعال بين النظرية والممارسة، ويمكن لهذه الاستراتيجية أن تساهم في تحقيق تجربة تعليمية أكثر تفاعلية، وديناميكية، وإغناء لطلاب التربية الرياضية، خاصة في تعلم المهارات الأساسية للسباحة (Sargent & Casey, 2020). ومن هذا المنطلق، تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على الأسس النظرية والعملية لاستراتيجية الصف المقلوب وتقييم فعاليتها في إغناء العملية التعليمية للسباحة، مقدمة بذلك إسهاماً قيماً في ميدان التربية الرياضية والتعليم البدني.

مشكلة الدراسة: تتسم التحولات الحديثة في مجال التعليم بتكامل بين التقليدي والمبتكر، واستراتيجية الصف المقلوب تعدّ من أبرز الطرق المستخدمة في هذا السياق، لكن هناك ضرورة لفهم أعمق لتأثيرها في تعلم مهارات السباحة في مجال التربية الرياضية كي يستند الباحثون إلى فهم أكبر للفروق في الأداء المهاري والمعرفي، وكذلك الاتجاهات نحو التعلم الذاتي واستخدام التكنولوجيا بين الطلاب. وأظهرت الدراسات السابقة، كدراسة إسماعيل (2022) ودراسة مقلد (2020) ودراسة (السيد، 2019) ودراسة (الصبيحي والجندي، 2023)، نجاحات متباينة في استخدام الصف المقلوب، ما يعكس التحديات المتعلقة بتوحيد المعايير التقييمية وتحديد المتغيرات التي تؤثر في فعالية هذه الاستراتيجية. ومع تزايد الاعتماد على التكنولوجيا في المجال التعليمي، يتنامى الاهتمام بتحسين التجارب التعليمية وتحسين نتائج التعلم، وتوفير أدلة تساعد المعلمين والمدرّبين في اتخاذ قرارات مستنيرة؛ لتحسين ممارساتهم التعليمية وتحقيق أهداف التعلم. لذا يسعى القائمون على العملية التعليمية إلى توظيف استراتيجيات حديثة في العملية التعليمية، تقوم على الدمج بين التعليم التقليدي والتعليم المعتمد على المتعلم نفسه. ولذلك تعد استراتيجية الصف المقلوب واحدة من أهم استراتيجيات التعليم المعاصرة التي يمكن تطبيقها في جميع المجالات التعليمية ومنها التربية الرياضية والتي لم تحظ بالدراسة في البيئة الفلسطينية في التربية الرياضية بشكل عام، والسباحة بشكل خاص، ومن خلال عمل الباحثين في مجال التربية الرياضية لاحظنا الحاجة إلى فهم أعمق لكيفية تأثير استراتيجية الصف المقلوب في تعلم مهارات السباحة المختلفة بين طلاب التربية الرياضية. ومن هنا ظهرت مشكلة الدراسة من خلال سعيها للتعرف إلى فاعلية استخدام استراتيجية الصف المقلوب في تعلم المهارات الأساسية للسباحة.

أهداف الدراسة: سعت الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. الكشف عن الفروق بين القياسين؛ القبلي والبعدي، لبعض المهارات الأساسية للسباحة، لدى طلاب التربية الرياضية (المجموعة التجريبية).
 2. الكشف عن الفروق بين القياسين؛ القبلي والبعدي، لبعض المهارات الأساسية للسباحة لدى طلاب التربية الرياضية (المجموعة الضابطة).
 3. الكشف عن الفروق في القياس البعدي لبعض المهارات الأساسية للسباحة، لدى طلاب التربية الرياضية بين أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة.
- أهمية الدراسة:** تكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

- تعد الدراسة - في حدود علم الباحثين - من الدراسات النادرة والقليلة التي تجرى في المجال الرياضي بشكل عام، ولطلاب التربية الرياضية بشكل خاص، في البيئة الفلسطينية.
- تثير الدراسة اهتمام أعضاء الهيئات التدريسية في أقسام التربية الرياضية وكرلياتها في الجامعات الفلسطينية حول أهمية استخدام الصف المقلوب أو المعكوس في تدريس المساقات العملية، بوصفها بديلاً للتعليم التقليدي.
- فتح الآفاق البحثية أمام الباحثين لإجراء دراسات أخرى مشابهة في الألعاب الرياضية المختلفة، ولكلا الجنسين سواء في كليات التربية الرياضية أو في المدارس.
- تقدم الدراسة الحالية الفائدة والمعلومات النظرية حول استراتيجية الصف المقلوب في التعلم للأشخاص ذوي العلاقة.

فرضيات الدراسة: سعت الدراسة إلى اختبار صحة الفرضيات الصفرية الآتية:

1. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عن مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات القياسين؛ القبلي والبعدي لبعض المهارات الأساسية للسباحة لدى أفراد المجموعة التجريبية.
 2. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عن مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات القياسين؛ القبلي والبعدي لبعض المهارات الأساسية للسباحة لدى أفراد المجموعة الضابطة.
 3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عن مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات القياس البعدي لبعض المهارات الأساسية للسباحة بين أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة.
- حدود الدراسة:** التزم الباحثان - في أثناء إجراء الدراسة - بالحدود الآتية:
- الحد البشري: طلاب التربية الرياضية المسجلون في مساق سباحة (2).
 - الحد المكاني: كلية التربية الرياضية في جامعة فلسطين التقنية- خضوري.
 - الحد الزمني: أجريت الدراسة في الفصل الدراسي الصيفي من العام الأكاديمي (2022-2023م).

مصطلحات الدراسة:

1. الصف المقلوب: نموذج تعليمي يقلب النمط التقليدي للتعلم، ليتم إجراء الدراسة النظرية ومشاهدة الطلاب المحاضرات والمواد التعليمية في المنزل عبر الإنترنت، ويخصص وقت الفصل للأنشطة التطبيقية والتفاعلية. ويهدف هذا النموذج إلى تعزيز التعلم النشط وتحسين التفاعل بين الطلاب والمعلمين داخل الفصل الدراسي (الصبحي والجندي، 2023).
2. المهارات الأساسية للسباحة: تشير إلى المهارات الأولية والضرورية التي يجب على السباحين تعلمها لضمان السباحة بأمان وفعالية. وتتضمن هذه المهارات: التنفس الصحيح، والطفو، والركل، والضربات الأساسية مثل الزحف الأمامي وسباحة الصدر. هذه المهارات تشكل الأساس لتعلم تقنيات السباحة المتقدمة (إسماعيل، 2022).

2. الدراسات السابقة

دراسة الصبحي والجندي (2023): هدفت إلى التحقق من الأثر الإيجابي لاستراتيجية الفصل الدراسي المعكوس في المتغيرات التي تم تناولها في الدراسات السابقة المتعلقة باستراتيجية الفصل المقلوب في التعليم. ولتحقيق أهداف هذه الدراسة، تم تطبيق النهج التحليلي الوصفي البيلوميتري. وتقدم أدلة منهجية مشتقة من استعراض الأدبيات حول استخدام استراتيجية الفصول الدراسية المعكوسة في التعليم. وتم تحديد بحث شامل من خلال عدة قواعد بيانات معروفة، وتم تحليل مجموعة البيانات خلال فترة سبع سنوات (2021-2015)، والتي تضمنت 150 ورقة، تتوافق مع معايير التحليل المتمم. وتوصلت إلى عديد من النتائج، أهمها: أن الفصل المقلوب يمكن أن يوفر للطلاب بيئة تفاعلية تساعد على التعلم في القرن الحادي والعشرين.

دراسة إسماعيل (2022): هدفت إلى تعرف فاعلية استراتيجية الصف المقلوب على تعلم سباحة الزحف على البطن، وتوصلت إلى أن المجموعة التجريبية التي استخدمت استراتيجية الصف المقلوب تفوقت على المجموعة الضابطة التي استخدمت الاستراتيجية التقليدية.

دراسة عطا (2022): هدفت إلى تعلم مهارات الألعاب القوية من خلال تصميم برنامج تعليمي باستخدام موقع ويب للتعلم، واستخدمت المنهج التجريبي بتصميم تجريبي لمجموعتين؛ إحداها تجريبية، والأخرى ضابطة، باستخدام القياس القبلي والبعدي لكلا المجموعتين. وشمل مجتمع البحث تلاميذ الصف الأول الإعدادي، بعددهم البالغ 102 تلميذاً في مدرسة كتك الإعدادية التابعة لإدارة زفتي التعليمية، في محافظة الغربية، للعام الدراسي 2019-2020. وتم اختيار عينة البحث بالطريقة العمدية من 50 تلميذاً لإجراء التجربة، فتم سحب عشرة تلاميذ، بوصفهم عينة استطلاعية، وقسم الباقي إلى مجموعتين متساويتين؛ مجموعة ضابطة، وعددهم عشرون تلميذاً، ومجموعة تجريبية، وعددهم عشرون تلميذاً أيضاً. وبعد جمع البيانات وتحليلها إحصائياً، توصل الباحث إلى النتائج التالية: أظهر الصف المقلوب زيادة في مشاركة المتعلم في اكتساب المعرفة، وكذلك كان فعالاً في استثارة النشاط والحيوية لدى التلاميذ. كما وجد أن تأثير الصف المقلوب أكثر من تأثير التعلم بالطريقة التقليدية على مستوى التحصيل المعرفي والمهاري، فقد أظهر الصف المقلوب تفوقاً على الأسلوب التقليدي، ما يدل على فعاليته في تعلم مسابقات الميدان والمضمار في مادة التربية الرياضية. دراسة زيادة (2021): هدفت إلى استكشاف تأثير استراتيجية الصف المقلوب في أداء بعض المهارات المركبة ومستوى التحصيل المعرفي والاتجاهات نحو استخدام الوسائل التكنولوجية لطلاب تخصص رياضة الجودو. واستخدم الباحث المنهج التجريبي لتلاؤمه مع أهداف البحث، وذلك من خلال تصميم تجريبي لمجموعتين؛ إحداها تجريبية والأخرى ضابطة، وكل مجموعة تتألف من 20 طالباً. واعتمد الباحث على مجموعة من الأدوات والوسائل، مثل المسح المرجعي والملاحظة واستطلاع رأي الخبراء والاختبارات. واستمر تطبيق البرنامج التعليمي المقترح مدة 12 أسبوعاً، بواقع وحدة تعليمية أسبوعياً لمدة 60 دقيقة. وأظهرت النتائج وجود فروق دالة معنوية بين القياسات البعدي للمجموعتين؛ التجريبية والضابطة، لمصلحة المجموعة التجريبية في مستوى أداء المهارات المركبة والتحصيل المعرفي والاتجاهات نحو استخدام الوسائل التكنولوجية لطلاب تخصص رياضة الجودو. ويوصى الباحث بضرورة استخدام استراتيجية الصف المقلوب لتحسين مستوى أداء المهارات المركبة والتحصيل المعرفي في رياضة الجودو، وتوظيف الوسائل التكنولوجية المناسبة داخل العملية التعليمية ودمجها مع أساليب التدريس المختلفة.

دراسة مقلد (2020): هدفت إلى التحقق من تأثير استراتيجية الصف المقلوب في مخرجات التعلم لسباحة الزحف على البطن لطلاب كلية التربية الرياضية بجامعة بنها. واستخدم الباحثون المنهج التجريبي بتصميم تجريبي لمجموعتين؛ إحداها تجريبية والأخرى ضابطة، باستخدام القياس (القبلي – البعدي) لمناسبتها لطبيعة البحث. واستخدم الباحث عينة من السنة الدراسية الأولى بكلية التربية الرياضية للبنين في جامعة بنها، وتم اختيارهم بطريقة عمدية، فقد تم اختيار عينة استطلاعية وأخرى أساسية، واشترط الباحث أن يكونوا من المستجدين الذين لم يخضعوا لبرامج تعليمية لرياضة السباحة من قبل. وقد أظهرت النتائج أن البرنامج التعليمي باستخدام الصف المعكوس أثر بشكل أفضل من الطريقة المتبعة في مستوى شكل الأداء المهاري ومستوى التحصيل المعرفي في مادة السباحة لطلاب الفرقة الأولى. وختمت الدراسة بتوصية بضرورة عقد دورات وندوات تدريبية لمعلمي التربية الرياضية لشرح تكنولوجيا الصف المعكوس وكيفية الاستفادة منه في العملية التعليمية.

دراسة السيد (2019): هدفت إلى كشف فاعلية الصف المقلوب باستخدام المنصة التعليمية إدمودو (Edmodo) على مستوى أداء سباحة الصدر، وتنمية الاتجاه نحو التعلم الذاتي لطالبات تخصص السباحة. ويتضمن البحث إطاراً مفاهيمياً يوضح مفهوم الصف المقلوب، والمنصة التعليمية، والتعلم الذاتي، ويعتمد على المنهج التجريبي. وتشمل أدوات البحث جهاز الرستاميتز، والميزان الطبي، وساعة الإيقاف، ولوحات الطفو، وشدادات الكفين، وعوامات الشد الطافية، واستمارة تقويم مستوى أداء سباحة الصدر، وتطبق على عينة قوامها (70) طالبة من طالبات الفرقة الثالثة، تخصص سباحة، بكلية التربية الرياضية، بنات جامعة الزقازيق، فقد تم تقسيمهم بالتساوي إلى مجموعتين؛ إحداها ضابطة والأخرى تجريبية. وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى أداء سباحة الصدر لمصلحة المجموعة التجريبية، وبناءً على ذلك، يوصى البحث بضرورة إقامة دورات تعليمية لأعضاء هيئة التدريس والهيئة المعاونة حول كيفية تصميم المنصة التعليمية (Edmodo) وتطبيقها على الطلاب.

دراسة فانتج وآخرين (Fang et al., 2022): هدفت إلى استكشاف آثار التحولات الهائلة التي واجهت الأساليب التقليدية للتدريس، نتيجة للإصلاح التعليمي، ولكنها – أيضاً – تقدم فرصاً غير محدودة. تربط هذه الدراسة تدريس التربية الرياضية بنمط التدريس "الصف المقلوب" وتصمم نظاماً لتقويم تدريس التربية الرياضية بناءً على منظور بناء المعرفة. وتم إنشاء قيم الوزن لمحتويات جميع مستويات أبعاد تقويم فاعلية التدريس في الصف في هذه الورقة، إلى جانب النموذج المفاهيمي وهيكل جدول البيانات لقاعدة بيانات النظام. وباستخدام الأدبيات والاستبانات والدراسات

الحالة، وتستقصي هذه الورقة فعالية التطبيق وأفكاره لنمط تدريس "الصف المقلوب" في دروس التربية الرياضية. وتظهر التجارب أن هذه الطريقة لديها دقة تقويم تبلغ 95.37 في المائة، وهو ما يعادل حوالي 13 في المائة أعلى من الأساليب التقليدية. ويمكن أن يزيد تقلب الصف من مشاركة الطلاب، وتحسين الدرجات الاختبارية، وزيادة رضا المعلمين.

وهدفت دراسة فون وآخرين (Vaughn et al., 2019) إلى استكشاف تأثير نموذج الصف المقلوب في معرفة الطلاب ومهاراتهم ونشاطهم البدني في مادة النشاط البدني الجامعي. وأوضحت أنه بالرغم من وجود عديد من الدراسات التي تستكشف تأثير الصف المقلوب في مجالات دراسية مختلفة، فإن هناك نقصاً في الدراسات التي فحصت تأثير هذه التربية الجديدة في مادة التربية البدنية. لذا قمنا بتقليب مادة التربية البدنية على مستوى الكلية وفحصنا تجارب تعلم الطلاب. وكان على الطلاب مشاهدة مقاطع فيديو حول المعرفة الصحية والمهارات الرياضية قبل الصف والمشاركة في نشاط بدني نشط داخل الفصل وخارجه. وتم جمع عديد من البيانات لفحص التأثير، بما في ذلك الاختبارات القبلية واللاحقة للمعرفة والمهارات، والمقابلات الفردية، واستطلاعات الطلاب، وسجلات النشاط البدني. وأظهرت النتائج أن معرفة الطلاب بالصحة ومهاراتهم الرياضية قد تحسنت بشكل كبير، وأن المادة سمحت للطلاب بالمشاركة في مختلف أنواع النشاط البدني داخل الفصل وخارجه.

3. الطريقة والإجراءات

3.1 منهجية الدراسة

استخدم الباحثان المنهج التجريبي بإحدى صوره القياسين؛ القبلي والبعدي للمجموعتين؛ التجريبية والضابطة.

3.2 مجتمع الدراسة

تكوّن مجتمع الدراسة من جميع طلاب التربية الرياضية المسجلين في مساق سباحة (2) خلال الفصل الدراسي الصيفي من العام الأكاديمي (2022-2023م) والبالغ عددهم (54) طالباً وفقاً للسجلات الرسمية لعمادة القبول والتسجيل في جامعة خضوري.

3.3 عينة الدراسة

أجريت الدراسة على عينة قصدية قوامها (30) طالباً من طلاب التربية الرياضية المسجلين مساق السباحة (2) من شعبتين مختلفتين، وتم تقسيمهم بالتساوي إلى مجموعتين؛ الأولى تجريبية، والثانية ضابطة، تمثل العينة ما يقارب نسبته (56%) من مجتمعها، والجدول رقم (1) يبين خصائص أفراد عينة الدراسة.

جدول 1: خصائص عينة الدراسة وتجانسها تبعاً لمتغيرات طول القامة والعمر وكتلة الجسم (ن=30).

المتغيرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الالتواء
طول القامة (سم)	1.77	0.07	0.39-
العمر (سنة)	21.40	0.72	0.21-
كتلة الجسم (كغم)	74.27	8.73	0.34-

تشير نتائج الجدول رقم (1) إلى أن قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمتغيرات طول القامة والعمر وكتلة الجسم لدى عينة الدراسة ككل، كانت على التوالي: (1.77 ± 0.07 متر، 21.40 ± 0.72 سنة، 74.27 ± 8.73 كغم)، وتراوحت قيم معامل التواءها ما بين (1 ±) والتي تدل على وجود التجانس في عينة الدراسة وخضوعها للتوزيع الطبيعي المعتدل. وبالتالي فقد تم تقسيم عينة الدراسة بالتساوي إلى مجموعتين؛ تجريبية وضابطة، حيث تعلمت المجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية الصف المقلوب لمدة ثمانية أسابيع، أما المجموعة الضابطة، فخضعت للبرنامج التعليمي الاعتيادي. وقبل البدء بتطبيق البرامج التعليمية، تم التأكد من التكافؤ بين أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة في القياس القبلي للمهارات الأساسية للسباحة، باستخدام اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين (Independent t-test)، ونتائج الجدول رقم (2) تبين ذلك.

جدول 2: التكافؤ بين أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة في متغيرات طول القامة والعمر وكتلة الجسم والقياس القبلي للمهارات الأساسية للسباحة (ن=30).

المتغيرات	المجموعة التجريبية (ن=15)		المجموعة الضابطة (ن=15)		قيمة (ت)	مستوى الدلالة
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
طول القامة (متر)	1.78	0.06	1.76	0.08	0.74	0.463
العمر (سنة)	21.33	0.82	21.47	0.64	0.50-	0.623
كتلة الجسم (كغم)	74.47	7.94	74.07	9.74	0.12	0.903
الدفع والانزلاق على البطن (متر)	5.46	0.33	5.40	0.32	0.53	0.599
الدفع والانزلاق على الظهر (متر)	5.30	0.37	5.27	0.21	0.30	0.765
سباحة الزحف على البطن 25 متر (ث)	22	1.31	22.52	1.38	1.06-	0.299
سباحة الزحف على الظهر 25 متر (ث)	23.35	0.51	23.59	0.41	1.38-	0.180
الوقوف في الماء (دقيقة)	2.01	0.32	2.03	0.23	0.23	0.822

* فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$).

تشير نتائج الجدول رقم (2) إلى أنه لا توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) في متغيرات طول القامة والعمر وكتلة الجسم وفي القياس القبلي لجميع المهارات الأساسية للسباحة قيد الدراسة بين أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة، ويعني ذلك وجود التكافؤ بين المجموعتين قبل البدء بالبرنامج التعليمي.

4. وصف البرنامج التعليمي باستخدام الصف المقلوب

أهداف البرنامج: تطوير مهارات السباحة الأساسية لدى الطلاب، بما في ذلك الدفع والانزلاق على البطن والظهر، سباحة الزحف على البطن والظهر لمسافة 25 متراً، والوقوف في الماء لمدة دقيقة، من خلال استخدام استراتيجية الصف المقلوب.

المرحلة التحضيرية:

1. المواد التعليمية عبر الإنترنت: يُطلب من الطلاب مشاهدة مقاطع فيديو تعليمية مُعدة مسبقاً، تشرح تقنيات الدفع والانزلاق وأساسيات سباحة الزحف، إلى جانب تمارين الوقوف في الماء. هذه المقاطع ستوفر شرحاً مفصلاً لكل مهارة مع توضيحات حول الأخطاء الشائعة وكيفية تجنبها.
2. المواد القرائية والتفاعلية: توزيع مواد قرائية وتفاعلية تغطي أسس الديناميكا المائية وأهمية التنفس الصحيح في أثناء السباحة.

المرحلة العملية:

1. الدفع والانزلاق على البطن والظهر: في الفصل، يبدأ الطلاب بتمارين الدفع من حافة المسبح والانزلاق على البطن والظهر تحت إشراف المعلم، مع التركيز على استخدام الزخم والحفاظ على وضعية الجسم المثالية.
2. سباحة الزحف على البطن والظهر لمسافة 25 متراً: بعد إتقان تمارين الدفع والانزلاق، يتقدم الطلاب لتطبيق سباحة الزحف على البطن والظهر لمسافة 25 متراً، مع التأكيد على السرعة والكفاءة في الحركة.
3. الوقوف في الماء لمدة دقيقة: يُدرب الطلاب على الوقوف في الماء في وضع ثابت لمدة دقيقة، ما يعزز قوة الأرجل والتوازن داخل الماء.

التقويم والمتابعة:

- يتم تقويم الطلاب بناءً على تحسن أدائهم في كل مهارة من المهارات المذكورة، مع إعطاء تغذية راجعة فورية وبناءة لتحسين مستواهم.
- يُشجع الطلاب على التفاعل في المناقشات الجماعية داخل الفصل؛ لمشاركة تجاربهم والتحديات التي واجهوها في أثناء التعلم.

الاختبارات المهارية

1. الدفع والانزلاق على البطن (متر):
الهدف: تقويم قدرة السباح على استخدام الدفع الفعال من جدار المسبح والحفاظ على وضعية جسم مستقيمة ومنسابة في أثناء الانزلاق على البطن فوق الماء.
الإجراء (إسماعيل، 2022):
 - يبدأ السباح بالوقوف على حافة المسبح أو الجلوس عليها مواجهًا للماء.
 - يقوم بدفع نفسه بقوة من الجدار باستخدام قدميه، مع الحرص على إبقاء يديه ممدودتين إلى الأمام والجسم في وضع مستقيم.
 - يتم قياس المسافة التي يتمكن السباح من الانزلاق فيها على البطن دون استخدام ضربات الأرجل أو الذراعين حتى يتوقف تمامًا.
2. الدفع والانزلاق على الظهر (متر):
الهدف: تقويم قدرة السباح على الدفع والانزلاق بفعالية على الظهر، مع التركيز على الحفاظ على استقامة الجسم وتقليل المقاومة المائية.
الإجراء (مقلد، 2020):
 - يبدأ السباح بالتمدد على ظهره بالقرب من حافة المسبح، ممسكًا بحافة المسبح بيديه.
 - يدفع السباح نفسه بعيدًا عن الجدار باستخدام اليدين والقدمين، مع الحرص على أن يكون الجسم مستقيمًا والذراعين بجانب الجسم.
 - يُقاس طول المسافة التي ينزلق فيها السباح على ظهره دون استخدام الذراعين أو الأرجل حتى يتوقف.
3. سباحة الزحف على البطن 25 مترًا (ثواني):
الهدف: قياس السرعة والكفاءة في أداء سباحة الزحف على البطن لمسافة 25 مترًا.
الإجراء (إسماعيل، 2022):
 - يبدأ السباح من الحافة أو من تحت الماء عند إشارة البدء.
 - يسبح زحفاً على البطن، باستخدام الذراعين في الضرب، والأرجل في الركل بشكل متناغم وفعال.
 - يُسجل الوقت الذي يستغرقه السباح لإكمال مسافة 25 مترًا.
4. سباحة الزحف على الظهر 25 مترًا (ثانية):
الهدف: تقويم الكفاءة والسرعة في سباحة الزحف على الظهر لمسافة 25 مترًا.
الإجراء (إسماعيل، 2022):
 - يقف السباح على حافة المسبح مواجهًا للماء، مع التأكيد على بدء الاختبار من وضعية الغطس أو الدفع من الجدار.
 - يتم توقيت السباح من لحظة دخول الماء حتى لمس الجدار المقابل بعد قطع مسافة 25 مترًا.
 - يبدأ السباح بالدفع قويًا بقدميه عن الجدار، يليه الانتقال الفوري إلى وضعية الزحف على الظهر.
 - يجب على السباح استخدام ضربات اليد المتناوبة وركلات القدم المستمرة للحفاظ على الحركة والسرعة.
 - التنفس يجب أن يكون منتظمًا، مع الحرص على الحفاظ على الرأس في وضع مستقيم وثابت.
 - يتم قياس الوقت المستغرق لإكمال المسافة. ويعد أداء السباح أفضل كلما كان الوقت أقل.
 - يتم - أيضًا - تقويم تقنية السباحة بما في ذلك الدفع، والركل، وتواتر ضربات اليد، والتنفس.
5. الوقوف في الماء (دقيقة):
الهدف: تقويم القدرة على الطفو والتوازن في الماء لمدة دقيقة دون الحاجة إلى السباحة أو اللمس الأرضي.
الإجراء (السيد، 2019):
 - يدخل السباح الماء في منطقة بعمق يفوق طوله، بحيث لا يستطيع لمس قاع المسبح بقدميه.
 - يجب على السباح البدء في وضعية مستقيمة ويده ممدودتان أو على جانبيه حسب ما يفضل للحفاظ على التوازن.
 - يبدأ السباح بتطبيق تقنيات الطفو مثل الركل الخفيف أو حركات يدوية للمساعدة في الحفاظ على الوضعية العمودية.
 - يجب على السباح الحفاظ على رأسه فوق سطح الماء دون الاعتماد على حركة سباحة نشطة أو الدفع نحو الأسفل بالقدمين.

- يتم قياس القدرة على البقاء في وضعية الوقوف لمدة دقيقة كاملة.
- يتم تقويم الاستقرار والتحكم في التوازن طوال الفترة، مع ملاحظة أي استخدام للتقنيات الداعمة مثل الركل الخفيف أو حركات اليدين.

5. صدق الاختبارات

وللتأكد من صدق الاختبارات المهارية للسباحة، تم استخدام الصدق التمييزي، وذلك بعد إجراء تجربة استطلاعية على عينة قوامها (12) طالبا، منهم ستة طلاب مميزون في السباحة، وستة طلاب آخرين غير مميزين، تم استبعادهم من عينة الدراسة، ولدلالة الفروق بينهما في الاختبارات المهارية تم استخدام اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين (Independent t- test)، ونتائج الجدول رقم (3) تبين ذلك.

جدول 3: الصدق التمييزي للاختبارات المهارية قيد الدراسة (ن=12).

مستوى الدلالة	قيمة (ت)	المجموعة المميزة (ن=6)		المجموعة غير المميزة (ن=6)		الاختبارات المهارية
		المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	
*0.000	9.36	5.03	0.16	6.11	0.29	الدفع والانزلاق على البطن (متر)
*0.000	5.51	4.87	0.43	5.87	0.12	الدفع والانزلاق على الظهر (متر)
*0.000	7.68-	23.08	0.50	21.25	0.30	سباحة الزحف على البطن 25 مترا (ث)
*0.000	11.25-	23.73	0.18	21.83	0.37	سباحة الزحف على الظهر 25 مترا (ث)
*0.000	6.85	1.50	0.55	3.13	0.19	الوقوف في الماء (دقيقة)

* فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$).

تشير نتائج الجدول رقم (3) إلى أنه توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) في جميع الاختبارات المهارية قيد الدراسة بين أفراد المجموعتين؛ المميزة وغير المميزة ولمصلحة المجموعة المميزة، ومما يعني ذلك أن الاختبارات المهارية قيد الدراسة، تقيس ما وضعت لأجله.

ثبات الاختبارات

وللتأكد من ثبات الاختبارات المهارية قيد الدراسة، تم استخدام طريقة الاختبار وإعادة (Test- Retest) للعينة الاستطلاعية نفسها، وكانت المدة الزمنية الفاصلة بين تطبيق الاختبارات المهارية أسبوعاً، وتم استخدام معامل الارتباط بيرسون (Pearson Correlation Coefficient) لدلالة العلاقة بين التطبيقين، ونتائج الجدول رقم (4) تبين ذلك.

جدول 4: الصدق التمييزي للاختبارات المهارية قيد الدراسة (ن=12).

الصدق الذاتي	مستوى الدلالة	قيمة (ر)	الاختبارات المهارية
0.953	**0.000	0.91	الدفع والانزلاق على البطن (متر)
0.964	**0.000	0.93	الدفع والانزلاق على الظهر (متر)
0.938	**0.000	0.88	سباحة الزحف على البطن 25 مترا (ث)
0.894	**0.002	0.80	سباحة الزحف على الظهر 25 مترا (ث)
0.938	**0.000	0.88	الوقوف في الماء (دقيقة)

** فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.01$).

تشير نتائج الجدول رقم (4) إلى أن قيم معامل الارتباط بيرسون تراوحت ما بين (0.80- 0.93)، وتراوحت قيم الصدق الذاتي ما بين (0.894- 0.964)، وكانت جميعها دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.01$)، ويعني ذلك أن الاختبارات المهارية قيد الدراسة ثابتة وصالحة لتحقيق أغراض الدراسة.

متغيرات الدراسة

المتغيرات المستقلة (Independent Variables): تمثلت هذه المتغيرات بفاعلية استخدام استراتيجية الصف المقلوب وأثر البرنامج التعليمي الاعتيادي أو التقليدي.

المتغيرات التابعة: تمثلت هذه المتغيرات بالإنجاز الرقمي الذي حصل عليه أفراد عينة الدراسة في المهارات الأساسية للسباحة (الدفع والانزلاق على البطن، والدفع والانزلاق على الظهر، وسباحة الزحف على البطن (25 متراً)، سباحة الزحف على الظهر (25 متراً)، الوقوف في الماء).

إجراءات الدراسة

تم إجراء الدراسة باتباع الخطوات الأتية:

- المسح الشامل والاطلاع على الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة (في حدود علم الباحثين).
- تحديد مجتمع الدراسة وعينتها.
- التأكد من تحقق الشروط العلمية للمهارات الأساسية للسباحة قيد الدراسة من خلال إجراء تجربة استطلاعية على عينة قوامها (12) طالباً مميزاً وغير مميز، لم يتم تضمينهم في عينة الدراسة، وذلك لمعرفة الصدق التمييزي للاختبارات المهارية، وتطبيق الاختبارات وإعادتها على العينة نفسها، لمعرفة الثبات للاختبارات المهارية قبل البدء بتطبيق الدراسة.
- التأكد من التجانس والتكافؤ بين أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة في متغيرات طول القامة والعمر وكتلة الجسم والقياسات القبلية للمهارات الأساسية للسباحة قيد الدراسة، قبل البدء بتطبيق البرامج التعليمية.
- تصميم برنامج تعليمي باستخدام استراتيجية الصف المقلوب، بواقع (3) وحدات تعليمية أسبوعياً، ولمدة (8) أسابيع، يطبق على المجموعة التجريبية، أما المجموعة الضابطة، فخضعت للبرنامج التعليمي الاعتيادي، وتلقت المجموعتان التعليم في أيام مختلفة ضمن شعبتين مختلفتين لتجنب انتقال أثر التعلم بينهما.
- إجراء القياسات البعدية للمهارات الأساسية للسباحة بعد مرور ثمانية أسابيع من تطبيق البرامج التعليمية للمجموعتين؛ التجريبية والضابطة.
- بعد جمع البيانات تم ترميزها ومعالجتها إحصائياً باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) بنسخته (28).
- تم عرض النتائج والتي، في ضوءها، تم التوصل إلى الاستنتاجات والتوصيات.

المعالجات الإحصائية

ولفحص فرضيات الدراسة والوصول إلى النتائج، فقد تم استخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) من خلال إجراء ما يلي:

- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومعامل الالتواء.
- اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين (Independent t- test) للتأكد من التكافؤ في القياس القبلي للمهارات الأساسية للسباحة بين أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة، وكذلك للتأكد من الصدق التمييزي للاختبارات قيد الدراسة.
- اختبار (ت) للأزواج (Paired samples t- test) للكشف عن الفروق بين متوسطات القياسين؛ القبلي والبعدية للمهارات الأساسية للسباحة لكل مجموعة، وحساب النسبة المئوية للتغير باستخدام المعادلة: (متوسط القياس البعدية - متوسط القياس القبلي) / القياس القبلي * 100 عند اللزوم.
- تحليل التباين المصاحب (ANCOVA) لتحديد الفروق في القياس البعدية للمهارات الأساسية للسباحة بين أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة، واستخدام مربع إيتا الجزئي (Partial Eta Squared) لتحديد حجم الأثر (Effect Size) لاستراتيجية الصف المقلوب، وفقاً لمعايير كوهين (Cohen, 1988) وهي: ((أقل من 0.20): أثر قليل جداً، (0.20- أقل من 0.50): أثر قليل، (0.50- أقل من 0.80): أثر متوسط، (0.80- أقل من 1.10): أثر كبير، (1.10 فأعلى): أثر كبير جداً).
- معامل الارتباط بيرسون (Pearson Correlation Coefficient) للتحقق من ثبات الاختبارات المهارية قيد الدراسة.

6. عرض نتائج الدراسة ومناقشتها

أولاً: النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى، والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات القياسين؛ القبلي والبعدي لبعض المهارات الأساسية للسباحة، لدى أفراد المجموعة التجريبية. وللتأكد من صحة هذه الفرضية، فقد تم استخدام اختبار (ت) للأزواج (Paired samples t- test)، ونتائج الجدول رقم (5) تبين ذلك.

جدول 5: نتائج اختبار (ت) للأزواج لدلالة الفروق بين متوسطات القياسين؛ القبلي والبعدي لبعض المهارات الأساسية للسباحة، لدى أفراد المجموعة التجريبية (ن=15).

المهارات الأساسية للسباحة	القياس القبلي		القياس البعدي		قيمة (ت)	مستوى الدلالة	نسبة التغير %
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف			
الدفع والانزلاق على البطن (متر)	5.46	0.33	6.50	0.37	10.40	*0.000	19.04
الدفع والانزلاق على الظهر (متر)	5.30	0.37	6.19	0.33	9.56	*0.000	16.79
سباحة الزحف على البطن 25 مترا (ثانية)	22	1.31	21.35	1.27	7.09	*0.000	2.95-
سباحة الزحف على الظهر 25 مترا (ثانية)	23.35	0.51	22.83	0.62	5.69	*0.000	2.22-
الوقوف في الماء (دقيقة)	2.01	0.32	3.10	0.40	11.91	*0.000	54.22

* فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$).

تشير نتائج الجدول رقم (5) إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) بين متوسطات القياسين؛ القبلي والبعدي في جميع المهارات الأساسية للسباحة قيد الدراسة، لدى أفراد المجموعة التجريبية ولمصلحة القياس البعدي، وبالتالي ترفض الفرضية الصفرية الأولى. وتعني هذه النتائج وجود أثر دال لاستخدام استراتيجية الصف المقلوب في تحسين الأداء لجميع المهارات، حيث كانت النسبة المئوية للتغير كما يلي: (الدفع والانزلاق على البطن 19.04%) مترا، الدفع والانزلاق على البطن (16.79%) مترا، سباحة الزحف على البطن 25 مترا (-2.95%) ثانية، سباحة الزحف على الظهر 25 مترا (-2.22%) ثانية، الوقوف في الماء (54.22%) دقيقة). ويعزو الباحثان ذلك إلى أن النتائج المعروضة تعكس أثر استراتيجية الصف المقلوب في تحسين الأداء الرياضي للطلاب بشكل ملحوظ، خاصة في مهارات السباحة والوقوف في الماء. هذا التحسن يتوافق مع نتائج دراسة إسماعيل (2022) التي وجدت تفوق المجموعة التجريبية التي تعلمت سباحة الزحف على البطن باستخدام الصف المقلوب على المجموعة الضابطة. مماثلًا لذلك، أكدت فعالية هذه الاستراتيجية في دراسة مقلد (2020) التي سلطت الضوء على تأثير إيجابي في مستوى الأداء المهاري والتحصيل المعرفي للطلاب في مادة السباحة. ومن جهة أخرى، تعكس دراسة السيد (2019) التأثير الإيجابي لاستخدام الصف المقلوب عبر منصة إدمودو في تحسين مستوى أداء سباحة الصدر وتنمية الاتجاه نحو التعلم الذاتي، ما يؤكد على أهمية دمج التكنولوجيا في العملية التعليمية.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية والذي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات القياسين؛ القبلي والبعدي لبعض المهارات الأساسية للسباحة، لدى أفراد المجموعة الضابطة. وللتأكد من صحة هذه الفرضية، فقد تم استخدام اختبار (ت) للأزواج (Paired samples t- test)، ونتائج الجدول رقم (6) تبين ذلك.

جدول 6: نتائج اختبار (ت) للأزواج لدلالة الفروق بين متوسطات القياسين؛ القبلي والبعدي لبعض المهارات الأساسية للسباحة لدى أفراد المجموعة الضابطة (ن=15).

المهارات الأساسية للسباحة	القياس القبلي		القياس البعدي		قيمة (ت)	مستوى الدلالة
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
الدفع والانزلاق على البطن (متر)	5.40	0.32	5.55	0.38	1.80	0.093
الدفع والانزلاق على الظهر (متر)	5.27	0.21	5.48	0.33	2.14	0.051
سباحة الزحف على البطن 25 مترا (ث)	22.52	1.38	22.45	1.32	1.36	0.194
سباحة الزحف على الظهر 25 مترا (ث)	23.59	0.41	23.47	0.49	1.81	0.092
الوقوف في الماء (دقيقة)	2.03	0.23	2.20	0.30	1.93	0.074

* فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$).

تشير نتائج الجدول رقم (6) إلى أنه بالرغم من وجود فروق ظاهرية بين متوسطات القياسين؛ القبلي والبعدي في جميع المهارات الأساسية للسباحة قيد الدراسة، لدى أفراد المجموعة الضابطة، وأن متوسطات القياس البعدي كانت أفضل من متوسطات القياس القبلي، فإنها لم تكن دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$)، وبالتالي تم قبول الفرضية الصفرية الثانية. ويعزو الباحثان ذلك إلى محدودية تأثير الأساليب التقليدية في تحسين أداء السباحة. وهذا يتوافق جزئياً مع نتائج دراسة إسماعيل (2022)، ودراسة مقلد (2020)، التي أظهرت تفوق المجموعة التجريبية التي استخدمت استراتيجية الصف المقلوب على المجموعة الضابطة، ما يؤكد على فعالية هذه الاستراتيجية في تحسين مهارات السباحة عند تطبيقها بشكل صحيح. وبالمقابل، دراسة السيد (2019) التي تناولت استخدام المنصة التعليمية إدمودو في تعليم سباحة الصدر وتنمية الاتجاه نحو التعلم الذاتي، وكذلك دراسة Vaughn et al. (2019) التي استكشفت تأثير الصف المقلوب في النشاط البدني ومهارات الطلاب بشكل عام، تقدمان دعماً إضافياً لقيمة هذه الاستراتيجية في تعزيز التعلم والأداء البدني. وجود فروق دالة في المجموعات التجريبية في هذه الدراسات مقابل عدم وجود فروق في المجموعة الضابطة في الدراسة الأصلية يسلط الضوء على الحاجة إلى اعتماد أساليب تعليمية مبتكرة مثل الصف المقلوب لتحقيق تحسينات ملموسة في التعلم والأداء. وبالتالي، تتوافق هذه النتائج مع بعضها البعض بما يخص إثبات فعالية استراتيجية الصف المقلوب في تحسين مهارات السباحة والأداء البدني، في حين تُظهر الفروق بين الدراسات أهمية التطبيق الدقيق والمدرّس لهذه الاستراتيجية لتحقيق أقصى فائدة ممكنة منها.

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات القياس البعدي لبعض المهارات الأساسية للسباحة بين أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة.

ولفحص هذه الفرضية تم استخدام تحليل التباين المصاحب (ANCOVA) لضبط أثر القياس القبلي وعزله، وكذلك حساب حجم الأثر باستخدام مربع إيتا الجزئي (Partial Eta Squared) لتحديد نسبة التباين المفسر أو المشاركة لاستراتيجية الصف المقلوب في تعلم المهارات الأساسية للسباحة، مقارنة بالطريقة الاعتيادية، ونتائج الجداول رقم (7، 8، 9).

جدول 7: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للقياس البعدي لبعض المهارات الأساسية للسباحة لدى أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة (ن=30).

المهارات الأساسية للسباحة	المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الدفع والانزلاق على البطن (متر)	التجريبية	15	6.50	0.37
	الضابطة	15	5.55	0.38
	الكلية	30	6.03	0.61
الدفع والانزلاق على الظهر (متر)	التجريبية	15	6.19	0.33
	الضابطة	15	5.48	0.33
	الكلية	30	5.84	0.49
سباحة الزحف على البطن 25 متراً (ثانية)	التجريبية	15	21.35	1.27
	الضابطة	15	22.45	1.32
	الكلية	30	21.90	1.39
سباحة الزحف على الظهر 25 متراً (ثانية)	التجريبية	15	22.83	0.62
	الضابطة	15	23.47	0.49
	الكلية	30	23.16	0.64
الوقوف في الماء (دقيقة)	التجريبية	15	3.10	0.40
	الضابطة	15	2.20	0.30
	الكلية	30	2.65	0.57

جدول 8: نتائج تحليل التباين المصاحب (ANCOVA) لدلالة الفروق في متوسطات القياس البعدي بين أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة (ن=30).

المهارات الأساسية للسباحة	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة
الدفع والانزلاق على البطن (متر)	المصاحب (القبلي)	0.96	1	0.96	8.63	*0.007
	المجموعة	6.26	1	6.26	56.59	*0.000

		0.11	27	2.99	الخطأ	
			30	1100.64	الكلية	
0.119	2.59	0.27	1	0.27	المصاحب (القبلي)	الدفع والانزلاق على الظهر (متر)
*0.000	34.37	3.61	1	3.61	المجموعة	
		0.10	27	2.84	الخطأ	
			30	1028.97	الكلية	
*0.000	541.24	44.98	1	44.98	المصاحب (القبلي)	سباحة الزحف على البطن 25 مترا (ثانية)
*0.000	32.08	2.67	1	2.67	المجموعة	
		0.08	27	2.24	الخطأ	
			30	14439.74	الكلية	
*0.000	61.56	6.07	1	6.07	المصاحب (القبلي)	سباحة الزحف على الظهر 25 مترا (ثانية)
*0.002	11.68	1.15	1	1.15	المجموعة	
		0.09	27	2.66	الخطأ	
			30	16090.39	الكلية	
0.199	1.73	0.21	1	0.21	المصاحب (القبلي)	الوقوف في الماء (دقيقة)
*0.000	51.03	6.21	1	6.21	المجموعة	
		0.12	27	3.29	الخطأ	
			30	220.47	الكلية	

* فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$).

تشير نتائج الجدول رقم (8) إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) في متوسطات القياس البعدي لجميع المهارات الأساسية للسباحة قيد الدراسة بين أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة ولمصلحة أفراد المجموعة التجريبية، وبالتالي ترفض الفرضية الصفرية الثالثة، ونتائج الجدول رقم (9) يبين ذلك.

جدول 9: حجم الأثر والمتوسطات الحسابية المعادلة والخطأ المعياري للقياس البعدي للمهارات الأساسية للسباحة بعد عزل أثر القياس القبلي (المصاحب) لدى أفراد المجموعتين؛ التجريبية والضابطة ($n=30$).

الحركات الأساسية	المجموعة	المتوسط الحسابي	الخطأ المعياري	حجم الأثر η^2
الدفع والانزلاق على البطن (متر)	التجريبية	6.49	0.09	0.677
	الضابطة	5.57	0.09	متوسط
الدفع والانزلاق على الظهر (متر)	التجريبية	6.18	0.08	0.560
	الضابطة	5.49	0.08	متوسط
سباحة الزحف على البطن 25 مترا (ثانية)	التجريبية	21.59	0.07	0.543
	الضابطة	22.20	0.07	متوسط
سباحة الزحف على الظهر 25 مترا (ثانية)	التجريبية	22.95	0.08	0.302
	الضابطة	23.53	0.08	قليل
الوقوف في الماء (دقيقة)	التجريبية	3.12	0.09	0.654
	الضابطة	2.18	0.09	متوسط

يتضح من نتائج الجدول رقم (9) أن المتوسطات الحسابية المعدلة للقياس البعدي للمهارات الأساسية للسباحة قيد الدراسة، كانت أفضل لدى أفراد المجموعة التجريبية مقارنة بأفراد المجموعة الضابطة، وبالتالي تكون الفروق دالة إحصائية لمصلحة أفراد المجموعة التجريبية. ولتحديد فاعلية استخدام استراتيجية الصف المقلوب في تنمية المهارات الأساسية للسباحة مقارنة مع الطريقة التعليمية الاعتيادية، تشير نتائج حجم الأثر لمربع إيتا الجزئي (η^2) أن استخدام استراتيجية الصف المقلوب أسهمت في تفسير (67.70%) من التباين في زيادة مسافة الدفع والانزلاق على البطن، وتفسير (56%) من التباين في زيادة مسافة الدفع والانزلاق على الظهر، وتفسير (54.30%) من التباين في نقص الزمن في سباحة الزحف على البطن 25 مترا، وتفسير (30.20%) من التباين في نقص الزمن في سباحة الزحف على الظهر 25 مترا، وتفسير (65.40%) من التباين في زيادة زمن الوقوف في الماء، وذلك بعد عزل أثر القياس القبلي (المصاحب). ويعزو الباحثان النتيجة التي تظهر تفوق المجموعة التجريبية التي استخدمت استراتيجية الصف المقلوب في تنمية المهارات الأساسية للسباحة تتوافق بشكل وثيق مع نتائج دراسة إسماعيل (2022)، فقد تم التوصل إلى أن المجموعة التجريبية أظهرت تحسناً ملحوظاً على المجموعة الضابطة في سباحة الزحف على البطن. هذا التوافق يدعم الفكرة القائلة بأن استراتيجية الصف المقلوب لها تأثير إيجابي وملاموس في تعلم المهارات الرياضية، خصوصاً في مجال السباحة. بالمثل، دراسة مقلد (2020) التي بحثت في تأثير الصف المقلوب في مخرجات التعلم لسباحة الزحف

على البطن لطلاب كلية التربية الرياضية، تعزز هذه النتيجة، فقد أثبتت الدراسة أن الصف المقلوب أسهم في تحسين مستوى الأداء المهاري والتحصيل المعرفي مقارنة بالأساليب التقليدية. هذا يشير إلى أن الفروق الدالة إحصائياً لمصلحة المجموعة التجريبية، يمكن تعميمها عبر مختلف مهارات السباحة. كذلك دراسة السيد (2019) التي ركزت على استخدام المنصة التعليمية إدمودو في تعليم سباحة الصدر وتنمية الاتجاه نحو التعلم الذاتي، تقدم دليلاً آخر على فعالية استخدام التكنولوجيا والصف المقلوب في تحسين الأداء الرياضي. الفروق الإحصائية التي تم الإشارة إليها في هذه الدراسة، تدعم النتيجة القائلة بأن استخدام الصف المقلوب يمكن أن يسهم بشكل كبير في تنمية مهارات السباحة. والتوافق العام بين هذه النتائج والدراسات المذكورة يؤكد على القيمة المضافة لاستراتيجية الصف المقلوب في العملية التعليمية، خصوصاً في تنمية المهارات الأساسية للسباحة. ويشير حجم الأثر الكبير الذي تم تسجيله في الدراسة إلى أن استخدام الصف المقلوب لا يسهم فقط في تحسين الأداء الفوري، بل يسهم - أيضاً - في تعزيز فهم الطلاب وقدرتهم على تطبيق مهارات السباحة بشكل مستقل وفعال.

7. الاستنتاجات

- وفي ضوء نتائج الدراسة يستنتج الباحثان ما يلي:
- وجود فاعلية ذات أهمية ملموسة لاستراتيجية الصف المقلوب في تحسين جميع المهارات الأساسية للسباحة قيد الدراسة لدى طلاب التربية الرياضية.
- أثر الطريقة التعليمية الاعتيادية أو التقليدية في تحسين المهارات الأساسية للسباحة، لم يكن بالغ الأهمية.
- تراوحت قيم حجم الأثر لاستخدام استراتيجية الصف المقلوب ما بين القليل والمتوسط في تحسين المهارات الأساسية للسباحة لدى طلاب التربية الرياضية وبشكل أفضل من الطريقة الاعتيادية.

8. التوصيات

- وفي ضوء مناقشة نتائج الدراسة، توصي الدراسة بما يلي:
- ضرورة استخدام استراتيجية الصف المقلوب في تعليم المهارات الأساسية للألعاب الرياضية في المسابقات العلمية لطلبة التربية الرياضية.
- إجراء دراسات مشابهة على المهارات الأساسية الأخرى في الألعاب الرياضية المختلفة لطلبة التربية والمدارس وكلتا الجنسين.
- إجراء دورات تدريبية لأعضاء الهيئات التدريسية في أقسام التربية الرياضية ووكلياتها في الجامعات الفلسطينية حول استراتيجية الصف المقلوب.
- ضرورة البحث عن استخدام أساليب جديدة في تدريس السباحة، بوصفها بدائل للتعليم التقليدي؛ لما لها من فائدة في تحسين الأداء.

إقرارات

- تضارب المصالح: لا يُعلن المؤلفون عن أي تضارب في المصالح.
- التمويل: لم يتلق هذا البحث أي تمويل خارجي.
- توافر البيانات: البيانات متاحة عند الطلب.
- الموافقة الأخلاقية: أجريت الدراسة وفقاً للمعايير الأكاديمية والأخلاقية.
- شكر وتقدير: يتقدم المؤلفون بالشكر للمشاركين وإدارة الجامعة على دعمهم.

9. قائمة المراجع

9.1 المراجع العربية

- إسماعيل، مصطفى محمود محمد. (2022). فاعلية استراتيجية الصف المقلوب على تعلم سباحة الزحف على البطن، المجلة العلمية للتربية البدنية وعلوم الرياضة، 8(29)، 124-148.
- زيادة، خالد فريد عزت. (2021). تأثير استراتيجية الصف المقلوب على أداء بعض المهارات المركبة ومستوى التحصيل المعرفي والاتجاهات نحو استخدام الوسائل التكنولوجية لطلاب تخصص رياضة الجودو، مجلة أسبوط لعلوم وفنون التربية الرياضية، 4(59)، 1569-1606.
- السيد. مایسة محمد عیفي. (2019). فاعلية الصف المقلوب باستخدام المنصة التعليمية إدمودو " Edmodo " على مستوى أداء سباحة الصدر وتنمية الاتجاه نحو التعلم الذاتي لطالبات تخصص السباحة، مجلة بحوث التربية الشاملة، 1(1)، 140-164.
- الصبيحي، نور عبد العزيز سلطان؛ الجندي، علياء عبد الله. (2023). استخدام استراتيجية الفصل المقلوب في العملية التعليمية: دراسة ببلومترية ومراجعة منهجية، المجلة العربية للنشر العلمي، 2(52)، 141-165.
- عطا، أحمد محمد عادل أحمد. (2022). تأثير استخدام الصف المقلوب على جوانب تعلم بعض مسابقات ألعاب القوى بدرس التربية الرياضية بمحافظة الغربية، مجلة التربية البدنية وعلوم الرياضة، 2(28)، 1-29.
- مقلد، محمد عبد الحميد طه. (2020). تأثير استراتيجية الصف المقلوب على مخرجات التعلم لسباحة الزحف على البطن لطلاب كلية التربية الرياضية، جامعته بنها، مجلة التربية البدنية وعلوم الرياضة، 24(19)، 166-189.

9.2 رومنة المراجع العربية

- Ismail, M. (2022). The effectiveness of the flipped classroom strategy on learning front crawl swimming. The Scientific Journal of Physical Education and Sport Sciences, 8 (29), 124-148.
- Ziada, K. (2021). The impact of the flipped classroom strategy on the performance of some complex skills, cognitive achievement level, and attitudes towards the use of technological means among judo specialization students. Assiut Journal of Physical Education Sciences and Arts, 4 (59), 1569-1606.
- El-Sayed, M. (2019). The effectiveness of the flipped classroom using the Edmodo educational platform on the performance level of breaststroke swimming and developing the attitude towards self-learning for swimming specialization students. Comprehensive Education Research Journal, 1 (1), 140-164.
- Al-Subhi, N., & Al-Gendi, A. (2023). Using the flipped classroom strategy in the educational process: A bibliometric and systematic review. Arab Journal of Scientific Publishing, 2 (52), 141-165.
- Atta, A. (2022). The impact of using the flipped classroom on learning aspects of some athletic events in physical education lessons in Gharbia Governorate. *Journal of Physical Education and Sport Sciences, 2 (28), 1-29.
- Mokled, M. (2020). The impact of the flipped classroom strategy on the learning outcomes of front crawl swimming for students of the Faculty of Physical Education, Benha University. Journal of Physical Education and Sport Sciences, 24 (19), 166-189.

9.3 المراجع الاجنبية

- Cohen, J. (1988). Statistical power analysis for the behavioral sciences (2nd ed.). Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, Publishers.
- Fang, R., et al. (2022). Effectiveness Evaluation of Physical Education Flipped Classroom Teaching Based on Knowledge Construction. Mobile Information Systems, 2022, 1-12.
- Ferriz-Valero, A., et al. (2022). Flipped classroom: A good way for lower secondary physical education students to learn volleyball. Education Sciences, 12(1), 26.

- Ferriz-Valero, A., et al. (2017). Effects on the Use of the «Flipped Classroom» Strategy in the Different Educational Stages of Physical Education. Paper presented at the EDULEARN17 Proceedings.
- Garner-O’Neale, L. (2023). Swimming Against the Tide, Flipped Upside Down: Navigating the Teaching and Learning Environment in the COVID-19 Pandemic. In *Interdisciplinary Perspectives on COVID-19 and the Caribbean, Volume 2: Society, Education and Human Behaviour* (pp. 415-437): Springer.
- Hinojo Lucena, F. J., et al. (2020). Academic effects of the use of flipped learning in physical education. *International journal of environmental research and public health*, 17(1), 276.
- Lepore, M., et al. (2015). Assessments and activities for teaching swimming: *Human Kinetics*.
- Li, D. (2018). Fostering Students' Active Learning Strategies in a Flipped Art Class.
- Østerlie, O., et al. (2023). Flipped learning in physical education: A scoping review. *European Physical Education Review*, 29(1), 125-144.
- Portugalete, T. E., & Panase, A. (2023). Design and Implementation of the E-module in Advanced Swimming. *Journal of Institutional Research South East Asia*, 21(2).
- Sargent, J., & Casey, A. (2020). Flipped learning, pedagogy and digital technology: Establishing consistent practice to optimise lesson time. *European Physical Education Review*, 26(1), 70-84.
- Suby, J. A. (2019). Effective Use and Implementation of Video Modeling in a Survival Swimming Course: The University of North Carolina at Greensboro.
- Vaughn, M., et al. (2019). Flipping a college physical activity course: impact on knowledge, skills, and physical activity. *Journal of Pedagogical Research*, 3(3), 87-98.

The effectiveness of using flipped classroom strategy in learning some swimming basic skills among physical education students

Ahmad Nassar^{1*}, Muhammad Qaddoumi²

¹Department of Physical Education "Sports Training", Faculty of Physical Education, Palestine Technical University – Kadoorie, Palestine

²Department of Physical Education, An-Najah National University, Palestine

Corresponding Author: a.nassar@ptuk.edu.ps

Received: 04/05/2024.

Revised: 09/06/2024.

Accepted: 03/07/2024.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.3

Abstract

The purpose of this study was to identify the effectiveness of using flipped classroom strategy in learning some swimming basic skills among physical education students. To achieve that, the study was conducted on a purposive sample consisting of (30) physical education students at PTU-Khadoorie university who were registered in swimming course 2 in the summer semester (2022-2023AD). The sample was divided equally and randomly into two groups including an experimental group (n= 15) and a control group (n= 15). The researchers used the quasi-experimental approach in its pre and post measurements method. To analyze data, SPSS was used and the level of significance was set at 0.05. The results of the study revealed that there were statistically significant differences between the pre and post measurements for all of swimming basic skills of the experimental group in favor of the post tests. Also, there were statistically significant differences in the post measurements for all of swimming basic skills between the experimental and control groups in favor of the experimental group. The study recommends that it is important to use the flipped classroom strategy in learning the basic skills of different sports in practical courses for the physical education students.

Keywords: Flipped Classroom, Swimming Basic Skills, Crawling on The Stomach, Crawling on The Back, PE Students, Palestine.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم في فلسطين

أحمد أشقر

قسم العلوم القانونية، كلية الدراسات العليا، الجامعة العربية الأمريكية، فلسطين
الباحث المراسل: ahmad.ashgar@aaup.edu

Received: 19/05/2024.

Revised: 13/08/2024.

Accepted: 01/10/2024.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1. 4

الملخص

يعدّ مبدأ شرعية الجرائم من أهم المبادئ المتعلقة بضمانات المحاكمة العادلة، ومؤدى هذا المبدأ أن مصادر التجريم والعقاب تكون محصورة في القانون وحده، وهو الذي يحدد الأفعال التي تعد جرائم، ويحدد عقوباتها، ويرتكز هذا المبدأ على أساس دستوري؛ نظراً لما يشكله التشريع في مجال التجريم والعقاب والإجراءات الجنائية من خطورة محتملة على الحقوق والحريات العامة المحمية بموجب الدستور، وتبرز مظاهر هذا الأساس الدستوري في أن الدساتير قد حصرت سلطة التشريع في هذا المجال بالسلطة التشريعية، في إطار التوازن المطلوب بين الحقوق والحريات العامة من جهة، وضرورات تحقيق المصلحة الاجتماعية العامة وحفظ الأمن والنظم العامتين من جهة أخرى، كما تبرز مظاهر هذا الأساس في أن الرقابة على دستورية القوانين قد وضعت، طبقاً لمقاصد الدستور، جملة من الضوابط لضمان شرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقاب، وتسعى هذه الدراسة - من خلال المنهج الوصفي التحليلي - إلى تأصيل الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم بشقيه الموضوعي والإجرائي، واستقراء الضوابط الدستورية لشرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقاب والإجراءات الجزائية وأثار مبدأ الشرعية الجنائية في التشريع الجنائي، وذلك من خلال تحليل جملة من الأحكام الصادرة عن القضاء الدستوري الفلسطيني والمقارن، وقد تمحورت مشكلة الدراسة حول إغفال المشرع لأي تشريع؛ كلياً كان أو جزئياً، لإنفاذ الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم، الأمر الذي تكشف عنه عديد من الأحكام الدستورية التي تتناولها هذه الدراسة، وبشكل مبدأ الشرعية لبنة أساسية في العلاقة التكاملية بين القانون الجنائي والقانون الدستوري، وتبرز أهمية الدراسة في أنها تضع أمام الباحثين والمشرعين دراسة متكاملة حول الأساس الدستوري لمبدأ شرعية، يمكن الاستناد لمعطياتها ونتائجها عند وضع التشريعات الجنائية، وقد خلصت الدراسة إلى عديد من النتائج، أبرزها أن وضع القواعد الموضوعية والإجرائية يجب أن يتم في إطار الفهم الواعي بأن التشريعات الجنائية تستهدف - بالأساس - حماية حقوق الفرد وحرياته، مع وجوب أن يلتزم المشرع في الضوابط الدستورية التي فرضها القضاء الدستوري بالألا تكون النصوص التشريعية غامضة وفضفاضة، وأن تكون الأفعال التي تؤتمها هذه القوانين محددة، وألا تمس قرينة البراءة واحترام الحرية الشخصية.

الكلمات المفتاحية: الشرعية الدستورية، الدستور، القانون الجنائي، التفويض الدستوري، المحكمة الدستورية، الضرورة.

1. المقدمة

يعدّ مبدأ شرعية الجرائم من أهم المبادئ المتعلقة بضمانات المحاكمة العادلة، ومؤدى هذا المبدأ أن مصادر التجريم والعقاب تكون محصورة في القانون وحده، وهو الذي يحدد الأفعال التي تعد جرائم، ويحدد عقوباتها، ويرتكز مبدأ شرعية الجرائم على أساس دستوري؛ نظراً لما يشكله التشريع في مجال التجريم والعقاب من خطورة محتملة على الحقوق والحريات العامة المحمية بموجب الدستور، وتبرز مظاهر الأساس الدستوري لهذا المبدأ في أن الدساتير قد حصرت سلطة التشريع في هذا المجال بالسلطة التشريعية، في إطار التوازن المطلوب بين الحقوق والحريات العامة من جهة، وضرورات تحقيق المصلحة الاجتماعية العامة وحفظ الأمن والنظم العامتين من جهة أخرى، كما تبرز مظاهر هذا الأساس في أن الرقابة على دستورية القوانين قد وضعت، طبقاً لمقاصد الدستور، جملة من الضوابط لتحقيق شرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقاب، في شقيها الموضوعي والإجرائي، وهذا ما يترتب أثراً في مجال التشريع الجنائي ينبغي على المشرع مراعاتها عند صياغة النصوص العقابية والإجرائية.

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة هذه الدراسة في قصور الفهم الواعي لدى المشرع وسلطات إنفاذ القانون لماهية الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم، الأمر الذي تكشف عنه عديد الأحكام الدستورية التي تتناولها هذه الدراسة، ويؤدي الإغفال التشريعي في هذا الجانب إلى افتقار النصوص التشريعية المتعلقة بالتجريم والعقاب وإجراءاتها لعناصر الشرعية الدستورية

المنبثقة عن المبدأ الدستوري القاضي بأنه (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص)، وعن غيره من المبادئ الدستورية كمبدأ الفصل بين السلطات، ومبدأ قرينة البراءة، والحرية الشخصية، وعدم رجعية القوانين. وفي مواجهة ذلك، تلعب الرقابة دوراً محورياً في منع التشريع من النيل من هذا المبدأ، وإعادته إلى جادة الصواب، ووضع الضوابط الدستورية التي تضمن أن تتعكس آثاره على التشريع الجنائي بما يحفظ الحقوق والحريات العامة للأفراد.

أهمية الدراسة: تكتسب هذه الدراسة أهميتها من قيامها بتأصيل الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم بشقيه الموضوعي والإجرائي، إضافة لاستقرارها الضوابط الدستورية لشرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقاب والإجراءات الجزائية وأثار مبدأ الشرعية الجنائية في التشريع الجنائي، وذلك من خلال تحليل جملة من الأحكام الصادرة عن المحكمة الدستورية الفلسطينية العليا، وبعض أحكام القضاء الدستوري المقارن، واجتهادات المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، الأمر الذي يضع أمام الباحثين والمشرعين دراسة متكاملة حول الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم وآثاره في التشريع الجنائي، يمكن الاستناد لمعطياتها ونتائجها عند وضع التشريعات الجنائية، كما تكمن أهمية هذه الدراسة في بيانها الدقيق للتوازنات المطلوبة لتحقيق الحماية الدستورية للحقوق والحريات العامة في سياق الإجراءات الجنائية.

أسئلة الدراسة: تنطوي إشكالية هذا البحث على سؤال محوي وهو: ما هو الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية هي:

- أ- ما هي الآثار الناتجة عن الأساس الدستوري لمبدأ الشرعية الجنائية في التشريعات الجنائية بشقيها الموضوعي والإجرائي؟
- ب- ما هي الضوابط الدستورية لنصوص التشريعات الجنائية التي يمكن استخلاصها من أحكام القضاء الدستوري لإسباغ الشرعية الدستورية على هذه النصوص؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف، وهي:

- أ- بيان ماهية الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم في مجال التجريم والعقاب
- ب- تحديد أشكال التفويض الدستوري للسلطة التشريعية بالتشريع الجنائي ومقتضيات، في مجال التجريم والعقاب.
- ت- استقراء الضوابط الدستورية لشرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقاب المستقاة من أحكام القضاء الدستوري وآثارها الواجبة في التشريع الجنائي، وتحليلها.
- ث- بيان ماهية الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم في مجال الإجراءات الجنائية (الجزائية).
- ج- تحديد أشكال التفويض الدستوري للسلطة التشريعية بالتشريع الجنائي ومقتضياته، في الإجراءات الجنائية.
- ح- استقراء الضوابط الدستورية لشرعية النصوص المتعلقة بالإجراءات الجنائية المستقاة من أحكام القضاء الدستوري وآثارها الواجبة في التشريع الجنائي، وتحليلها.

منهجية الدراسة: استخدم الباحث المنهج المقارن، لمعالجة مشكلة الدراسة، والوصول إلى نتائجها وتوصياتها، والإجابة عن أسئلتها.

فرضية الدراسة: تقوم هذه الدراسة على فرضية أساسية، مفادها أن "مبدأ الشرعية الجنائية يقوم على أساس دستوري، مناطه تفويض الدساتير للسلطة التشريعية بالانفراد في التشريع الجنائي ضمن ضوابط تشريعية، تخضع للرقابة الدستورية؛ لتحقيق التوازن بين الحقوق والحريات العامة، وبين المصلحة الاجتماعية وضرورات حفظ الأمن والنظام العام، وحقوق الدولة في اقتضاء العقاب، شريطة أن يكون ذلك في إطار متوازن ومتناسب وضروري ومعلن للعموم.

2. الدراسات السابقة

تناولت عديد من الدراسات مبدأ الشرعية الجنائية، وقد غطت هذه الدراسات جوانب متنوعة متصلة بهذا المبدأ، وستحاول دراستنا تحقيق إضافة إلى ما أتت به هذه الدراسات من خلال تأصيل هذا المبدأ وربطه بالأساس الدستوري له، وأثر القواعد الدستورية المتعلقة بمبدأ الشرعية في التشريع الجنائي احتراماً لمبدأ الشرعية، مع تقديم نماذج من القضاء الدستوري الفلسطيني والمقارن، تثبت عدم دستورية التشريعات التي لا تحترم مبدأ الشرعية الجنائية، لذلك، نورد - أدناه - أهم الدراسات التي تطرقنا إليها في هذا البحث، مع بيان الإضافة التي يمكن لهذا البحث تقديمها على ما تم دراسته سابقاً.

1. دراسة الباحثة شفاء فوزي سعيد غنّام، (2020). الشرعية الجنائية الزمانية - دراسة فقهية مقارنة مع قانون العقوبات الفلسطيني، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، نابلس:

وقد تناولت الباحثة في دراستها الجوانب المعمقة في الشق الزماني لمبدأ الشرعية الجنائية، وحللت التشريع الفلسطيني من هذه الزاوية استناداً للقواعد الدستورية ذات الصلة، وستحاول هذه الدراسة إضافة الجوانب المتعلقة بالشرعية الجنائية كافة، وليس فقط الجانب الزماني، وتأصيل هذا المبدأ من خلال القواعد الدستورية كافة، وليس فقط تلك المبادئ المتعلقة بالجانب الزماني لمبدأ الشرعية الجنائية، إضافة إلى تناول الشق الإجرائي لمبدأ الشرعية، وذلك بالاستناد إلى أحكام القانون الأساسي الفلسطيني المعدل، بوصفه الوثيقة الدستورية السارية في فلسطين.

2. دراسة الباحث كريم إجليل، (2023). مبدأ الشرعية الجنائية على ضوء التشريع المغربي. المجلة الإلكترونية الدولية لنشر الأبحاث القانونية، 3 (12)، 98-111:

وقد تناول الباحث في دراسته مبدأ الشرعية بشكل علة في التشريعات المغربية، وقدم إضافة مهمة في مجال تحليل النصوص التشريعية المغربية، إلا أن الدراسة لم تتناول الاجتهاد القضائي وآثار مبدأ الشرعية في التشريع، وسنقوم بهذه الدراسة بالبحث ليس فقط في مجال مبدأ الشرعية الجنائية، وإنما آثار هذا المبدأ في التشريعات والضوابط التي يجب أن تراعيها الصياغة القانونية احتراماً لمبدأ الشرعية.

3. دراسة الباحث ناجي بكوش، (2014). مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات. مجلة دراسات قانونية، جامعة صفاقس - كلية الحقوق، (21)، 9-21. وقد تناول الباحث في دراسته عدداً من الجوانب التفصيلية الهامة المتعلقة بمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات، وسنحاول دراستنا إضافة الجوانب المتعلقة بالمبادئ الدستورية ذات الصلة بمبدأ الشرعية.
4. دراسة الباحث معتز عودة العلوان، (2018). موقع العمل الإجرائي الجنائي من مبدأ الشرعية: دراسة تحليلية وصفية، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، سلسلة العلوم الإنسانية، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، 20(1)، 195-119. وقد تناول الباحث الجوانب الإجرائية لمبدأ الشرعية الجنائية بشكل معمق، وسنحاول هذه الدراسة إضافة الجوانب المتعلقة بالجوانب الموضوعية لمبدأ الشرعية الجنائية في مجال التجريم مع ربط هذه الجوانب بالأسس الدستورية التي تدعم مبدأ الشرعية في المجال الإجرائي والموضوعي كذلك.
5. دراسة الباحث عبد الله عبد الكريم الحمادي، (2022). محاولة في تأصيل مبدأ الشرعية الإجرائية الجنائية. مجلة الأبحاث والدراسات القانونية، المركز المغربي للدراسات والاستشارات القانونية وحل المنازعات، ع 20، 87-91، وقد تناولت هذه الدراسة تأصيل مبدأ الشرعية الإجرائية الجنائية على نحو مستفيض، وسوف نسعى في دراستنا إلى محاولة توسيع هذا التأصيل وربطه بقواعد دستورية متنوعة، كما أن دراستنا ستعمل على تأطير هذا التأصيل من خلال الأحكام القضائية الدستورية الفلسطينية والمقارنة، وذلك لإثبات أثر الأساس الدستوري في التشريع ووجوب التزام المشرع به عند صياغة التشريعات تحت طائلة الحكم بعدم الدستورية.

3. تقسيم الدراسة

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين، وكل مبحث إلى مطلبين، وذلك وفقاً للتالي:

المبحث الأول: الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم في مجال التجريم والعقاب.

المطلب الأول: التفويض الدستوري للسلطة التشريعية بالتشريع الجنائي في مجال التجريم والعقاب.

المطلب الثاني: الضوابط الدستورية لشرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقاب.

المبحث الثاني: الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم في مجال الإجراءات الجنائية.

المطلب الأول: التفويض الدستوري للسلطة التشريعية بالتشريع الجنائي في مجال الإجراءات الجنائية.

المطلب الثاني: الضوابط الدستورية لشرعية النصوص المتعلقة بالإجراءات الجنائية.

3.1 المبحث الأول: الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم في مجال التجريم والعقاب

يرتكز مبدأ شرعية الجرائم على أساس دستوري؛ نظراً لما يشكله التشريع في مجال التجريم والعقاب من خطورة محتملة على الحقوق والحريات العامة المحمية بموجب الدستور، وتبرز مظاهر هذا الأساس الدستوري في أن الدساتير قد حصرت سلطة التشريع في هذا المجال بالسلطة التشريعية، في إطار التوازن المطلوب بين الحقوق والحريات العامة من جهة، وضرورات تحقيق المصلحة الاجتماعية العامة وحفظ الأمن والنظام العام من جهة أخرى، كما تبرز مظاهر هذا الأساس في أن الرقابة على دستورية القوانين قد وضعت - طبقاً لمقاصد الدستور - جملة من الضوابط لشرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقاب. ولدراسة الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم في مجال التجريم والعقاب، فإننا سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ الأول يتناول التفويض الدستوري للسلطة التشريعية بالتشريع الجنائي في مجال التجريم والعقاب، بينما يتناول المطلب الثاني الضوابط الدستورية لشرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقاب.

المطلب الأول: التفويض الدستوري للسلطة التشريعية بالتشريع الجنائي في مجال التجريم والعقاب:

تتعدد وظائف الدساتير في المجتمعات الديمقراطية، وأبرز هذه الوظائف هي إرساء دولة القانون والمواطنة، وتكريساً لذلك، تتولى الدساتير وضع آليات دستورية لحماية الحريات العامة، وحماية المواطنين من السلطة العامة، عندما تحاول هذه السلطة التعسف في ممارساتها في مواجهة الأفراد (مجدان، 2021)، ويجد مبدأ الشرعية أساسه في القانون الوضعي الذي تحدد مرتكزاته الدساتير الحديثة، وقد اعترف النظام الجنائي الإسلامي منذ نشأته بمبدأ الشرعية الجنائية وفقاً لخصائص تميزه عن مبدأ الشرعية في القوانين الوضعية الحديثة (غغام، 2020، ص 13).

وتنعكس أهمية الحقوق والحريات العامة في أن الدستور هو الذي يحددها عبر ما يعرف بوثيقة الحريات، فيجعل منها قواعد دستورية سامية تتمتع بالعلوية على باقي التشريعات. وحماية لهذه الحقوق والحريات، وخشية من أن يطالها التشريع العادي بالعبث أو الانتقاص، ولأن التشريع الجنائي (الجزائي) هو الميدان الذي قد ينال من هذه الحقوق في إطار سعيه لتحقيق

المصلحة الاجتماعية وتحقيق الردع العام، فإنّ الدساتير قد عنيت بهذا النوع من التشريع بأن فوّضت السلطة التشريعية دون غيرها بالانفراد في التشريع الجنائي لتحقيق التوازن بين الحقوق والحريات العامة، والمصلحة الاجتماعية، في إطار متوازن ومتناسب وضروري ومعلن للعموم، لذلك، عنيت الوثائق الدستورية، ومنها القانون الأساسي الفلسطيني المعدل لسنة 2003م، بوضع قاعدة دستورية تقضي "بأنه لا عقوبة ولا جريمة إلا بنص" وفقاً لما ورد في المادة 15 منه.

ومن هذا التفويض الدستوري للسلطة التشريعية في مجال التجريم والعقاب، انبثق مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات الذي يعني أنه لا يجوز تجريم فعل لم ينص القانون الساري على تجريمه صراحة وقت وقوعه، كما لا يجوز توقيع عقوبة على مرتكب الجريمة خلاف تلك المقررة قانوناً لها، أو ما يسمى اختصاراً: لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص؛ أي أن مصادر التجريم والعقاب تكون محصورة في القانون وحده، وهو الذي يحدد الأفعال التي تعد جرائم، ويبين أركانها، ويحدد العقوبات المقررة لها، سواء من حيث نوعها، أو مقدارها، ولا يستطيع لقاضي أن يعدّ فعلاً معيناً جريمة إلا إذا وجد نصاً يجرّم فيه المشرع هذا الفعل، وإذا لم يجد فلا سبيل له إلى اعتداد الفعل جريمة ولو كان مقتنعاً بمنافاتها للعدالة، وبذلك، فإن سلطة التجريم والعقاب تكون من اختصاص السلطة التشريعية، ولا يجوز أن تكون الوعاء الذي تستقي منه القاعدة الجنائية حكمها إلا من خلال هذه السلطة، ولا تمتلك السلطة التنفيذية مباشرة هذا الاختصاص من دون تفويض السلطة التشريعية لها (مصطفى، 2015، ص 10).

وفي الحقيقة، فإنّ مبدأ الشرعية الجنائية يجد أساسه - أيضاً، ليس فقط - في القاعدة الدستورية القاضي بأنه لا عقوبة ولا جريمة إلا بنص، بل يمتد هذا الأساس إلى مبدأ آخر، وهو الفصل بين السلطات، فالسلطة التشريعية هي المختصة بالتشريع، والقاضي لا ينشئ القوانين، بل وظيفته تطبيقها فقط (اللبان، 2013).

وبالرغم من أن مبدأ الفصل بين السلطات يقضي بانفراد السلطة التشريعية في مجال النصوص الجنائية بوجه عام، فإنّ بعض الفقه يرى أن الدستور قد خوّّل السلطة التنفيذية سلطة إصدار لوائح بشأن التجريم والعقاب، وذلك بناء على قانون، يمنحها هذا الحق، ولا يعني ذلك أن السلطة التنفيذية - من خلال هذا التفويض - تستطيع، بشكل مطلق، إنشاء جرائم وعقوبات بموجب لوائح، بل تظل هذه اللوائح مقيدة بتنفيذ ما حدده التشريع، وذلك بمعالجة المسائل التفصيلية ذات الطابع الفني لتنفيذ إرادة المشرع (سرور، 2002، ص 58).

وإذا كان مبدأ انفراد السلطة التشريعية يتعلق بتحديد الجرائم والعقوبات، فإن هذه السلطة تملك - بالمقابل - الحق في إباحة فعل مجرم ضمن ظروف يحددها القانون، وهو ما يعرف بأسباب التسوية والإباحة، وكذلك الدفاع الشرعي، وغيرها من المسائل التي ينظمها قانون العقوبات في هذا السياق، ويترك القانون عادة أمر تقدير تلك الظروف والمحددات للقاضي (الطور، 2012) عند وزنه للبيئة؛ لبيان مدى توافر هذه الحالات المنصوص عليها قانوناً.

وجرياً على ذلك، فإن التفويض الدستوري للسلطة التشريعية في مجال التجريم والعقاب، أو ما يمكن توصيفه (بالانفراد التشريعي)، ينقسم - في جوهره - بثلاثة مظاهر، وهي:

- أ. الانفراد التشريعي يكون في مجال الحقوق والحريات العامة وغيرها من المجالات المحددة دستورياً.
- ب. الانفراد التشريعي مقيد بمقاصد الدستور وأهدافه وآلياته، ولا يجوز للسلطة التقديرية أن تتجاوز تخوم ذلك.
- ت. انفراد مانع لتدخل السلطة التنفيذية أو مشاركتها في مجال التشريع الجنائي إلا في الحدود التي ينص عليها التشريع طبقاً للدستور (عامر، 2017).

ث. الانفراد التشريعي لا يعني أن يفرض المشرع العادي قيوداً مرهقة على المواطن؛ لمنعه من ممارسة حقوقه الدستورية، ذلك أنّ إحالة المشرع الدستوري تنظيم هذه الحقوق إلى المشرع العادي لا يعني إطلاق يده في تنظيمها بداعي النظام العام، بل ينبغي على المشرع العادي أن يلتزم بالضوابط الدستورية في حدودها الموضوعية، وألاّ يصل تنظيم هذه الحقوق إلى حدّ إهدارها أو المصادرة الكلية لها، أو أن يفرض قيوداً على الحريات والحقوق بما يجعل من الشاق ممارستها (الركن، 1994).

ويترتب على التفويض الدستوري للمشرع بالانفراد في مجال التجريم والعقاب، عديد من النتائج المرتبطة بالأساس الدستوري لمبدأ الشرعية الجنائية، ومن ذلك عدم رجعية القوانين، وهو مبدأ دستوري ومكمل لمبدأ الشرعية (الشاوي، 1970، ص 73)، كما يترتب على ذلك تضيق سلطة القاضي في تفسير النصوص الجزائية حتى لا يتم التوسع في التفسير بما يؤدي إلى قيام القاضي بتجريم أفعال لم ينص عليها القانون خلافاً لمبدأ الفصل بين السلطات بوصفه مبدأ دستورياً.

وبالرغم من أهمية مبدأ الشرعية الجنائية واستناده إلى أساس دستوري قويم، فإنه تعرض لانتقادات عديدة، كان من أبرزها أن هذا المبدأ يؤدي إلى جمود النصوص القانونية وعدم قدرتها على مواكبة الاحتياجات التشريعية في مجال التجريم، وأن هذا المبدأ يتعارض مع مبدأ تفريد العقوبة، ويتجاوز الظروف المتعلقة بشخص الجاني (ركاب، 2016)، ويرى الباحث في هذا السياق أن عجلة التشريع تستطيع مواكبة التطورات من خلال آلية التعديل التشريعي أو بإصدار قوانين جديدة، إلا أن حماية الحريات العامة من عسف السلطة أولى بالرعاية، وأن السلطة التشريعية يجب عليها أن تقوم باحترام معايير التشريع الجنائي وفقاً لمبدأ الشرعية حتى لا يؤدي استسهال التجريم إلى النيل من حقوق الأفراد وحرياتهم. أما بخصوص تعارض مبدأ الشرعية مع مبدأ تفريد العقوبة، فإنه يمكن لنا القول بأن مبدأ الشرعية ذاته هو الذي يمنح القاضي سلطة تقديرية في إيقاع العقوبة بين حديها الأدنى والأقصى، وكذلك سلطة وقف تنفيذ العقوبة، ومثال ذلك ما نص عليه الفصل السابع من قانون الإجراءات الجزائية الفلسطيني الذي منح القاضي - في ظروف محددة - سلطة وقف تنفيذ العقوبة (إجراءات جزائية، فلسطين، 2001، 3)، وفي أحوال معينة سلطة تخفيف العقوبة كما هو الحال في المادتين 99 و 100 من قانون العقوبات الساري في

الضفة الغربية في فلسطين، وسلطة تطبيق الأعدار المحلة في المادتين 95 و 96، والأعدار المخففة في المادتين 97، 98 من ذات القانون، (العقوبات، فلسطين، 16، 1960)، وكذلك سلطة الإعفاء من العقوبة كما هو الحال في المادة 27، قانون مكافحة الفساد الفلسطيني (مكافحة الفساد، فلسطين، 1، 2005).

المطلب الثاني: الضوابط الدستورية لشرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقاب

إن شرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقاب تنصرف إلى الشرعية المتعلقة بالجانب الموضوعي من القانون الجنائي، وتعدّ الشرعية الجنائية الموضوعية على غاية كبيرة من الأهمية، لذلك قيل: "إن هذه الشرعية غير قابلة للنقاش أو المراجعة" (حسني، 2013، ص 22)، وجرياً على ذلك، فإن انفراد السلطة التشريعية في وضع التشريعات العقابية لا يعني إطلاق يدها في وضع التشريعات العقابية دون ضوابط تضمن توفير الحماية الدستورية لمبدأ الشرعية، وفي هذا الإطار، يلعب القضاء الدستوري دوراً محورياً في حماية مبدأ الشرعية من التجاوزات التشريعية التي قد تنال منه ومن قيمته الدستورية. وتطبيقاً لذلك، قضت المحكمة الدستورية الفلسطينية أنّ مناسبة اتصالها في الطعن المتعلق بعدم دستورية الفقرة الأولى من المادة 53 من القرار بقانون رقم 18 لسنة 2015 بشأن مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية، فإن "الأصل في سلطة المشرع في مجال تنظيم الحقوق أنها سلطة تقديرية لم يقيد بها الدستور بضوابط معينة، ويتمثل جوهر هذه السلطة التقديرية في المفاضلة التي يجريها المشرع بين البدائل المختلفة لاختيار ما يقدر أنه أنسب لمصلحة الجماعة وأكثر ملاءمة للوفاء بمتطلباتها بخصوص الموضوع الذي يتناوله بالتنظيم، ما مؤداه أن مشروعية النصوص القانونية التي يتخذها المشرع وسيلة لتحقيق الأهداف المشار إليها، مناطها توافقها مع أحكام الدستور ومبادئه، ومن ثم يتعين على المشرع دائماً إجراء موازنة بين مصالح المجتمع، والحرص على أمنه واستقراره من الوجوه جميعها، ولا يعدّ الجزاء الجنائي مسوّغاً إلا إذا كان واجباً لمواجهة ضرورة اجتماعية، لها وزنها ومتناسبا مع الفعل المؤثم" (المحكمة الدستورية الفلسطينية العليا، دستوري، 2022/9، 2022). وذهبت المحكمة الدستورية الفلسطينية إلى وضع مجموعة من الضوابط التي تضمن عدم مجاوزة النص العقابي للأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم، فقضت بأن "قاعدة لا عقوبة ولا نص بوصفها أساس مبدأ شرعية الجرائم لا تفترض فقط أن يكون النص التجريمي وارداً في قانون، وإنما يفترض أن يكون القانون الجزائي قد نص على الجريمة بصورة محددة تحديداً نافيا للجهالة، وأن يكون هذا النص بعيداً عن اللبس والغموض، حتى لا يصار إلى تطبيقه والتوسع في التجريم بما ينتهك ضمانات المحاكمة العادلة، وكلا يصح النص التجريمي عرضة للتأويلات والتفسيرات نتيجة غموضه، وتجعل من النص القانوني الجزائي سيفاً مسلطاً على رقاب المواطنين، لاسيما أنّ غموض النص القانوني يجعل منه أداة لقمع الحريات، تستخدمه السلطة العامة متى شاءت، وتتركه متى شاءت، دون رقيب أو حسيب"، وفي هذا، وجدت المحكمة في هذا الحكم أن نص المادة 5/389 من عقوبات رقم 16 لسنة 1960م، الساري في الضفة الفلسطينية، قد جاء غامضاً فضفاضاً بما يجاوز الحكمة التشريعية من النص الدستوري القاضي بأنه لا عقوبة ولا جريمة إلا بنص (المحكمة الدستورية الفلسطينية العليا، دستوري، 2017/5، 2018).

ويجد الباحث في هذا الإطار أن ما ذهبت له المحكمة الدستورية الفلسطينية يتفق مع ما استقر عليه الفقه والقضاء الدستوريين أن استخدام التعبيرات الفضفاضة في النص التجريمي يجعل من الفعل المجرم بموجبه يتسم بعدم الوضوح، فالشخص العادي يكون لزاماً عليه أن يتكهن بمعناه، ولا يستطيع أن يحدد مجالات تطبيقه، ما يثير الشبهة بعدم دستوريته من حيث المبدأ، وغلة هذا الاشتباه تكمن في أنّ التشريع الذي يحتوي على عبارات غامضة وفضفاضة غير واضحة الدلالة سيكون كالسيف المسلط على رقاب الناس، وأن خطر النصوص الغامضة يتعدى الشخص المائل أمام هذه المحكمة في الدعوى الموضوعية فقط، ويمتد إلى المواطنين الآخرين الذين سيمتنعون عن القيام بأعمال محمية بموجب الدستور خوفاً من الاصطدام مستقبلاً بالمحظورات التي يضعها التشريع، وقد استقرت بعض اجتهادات القضاء الدستوري المقارن على الحكم بعدم دستورية أي تشريع يتضمن سياسة عقابية غير واضحة، وذلك باستخدام نصوص فضفاضة في تعبيرها ومقاصدها بما يستهدف إحداث قيود غير واضحة تسمح بتقييد الحريات (الخضر، 2012، ص 32)، وهذا ما يشكل مساساً بشرعية العقوبة والجزاء التي تعبر عنها القاعدة الدستورية القاضي بأنه لا عقوبة ولا جريمة إلا بنص.

ومن جانب آخر، نجد أن المحكمة الدستورية الفلسطينية قد أكدت على وضع ضوابط أخرى تمثلت في وجوب أن يلتزم المشرع - عند وضعه للنصوص التجريبية - بأن يحدد ركناً مادياً لا قوام لها بغيره، يتمثل أساساً في فعل أو امتناع وقع بالمخالفة لنص عقابي يؤخذ على ارتكابه إيجابياً كان هذا الفعل أم سلبياً، ذلك أن العلائق التي ينظمها هذا القانون في مجال تطبيقه على المخاطبين بأحكامه، محورها الأفعال ذاتها في علاماتها الخارجية ومظاهرها الواقعية وخصائصها المادية التي تشكل مناط التأثيم وعلته، وهي التي يتصور إثباتها ونفيها، والتي يتم التمييز على ضوءها بين الجرائم بعضها ببعض، والتي تديرها محكمة الموضوع لتقويمها وتقدير العقوبة المناسبة لها (المحكمة الدستورية الفلسطينية العليا، دستوري، 2017/5، 2018).

وفي الاتجاه ذاته الذي ذهبت إليه المحكمة الدستورية الفلسطينية، كانت المحكمة الدستورية المصرية قد قضت في أن "من اللازم ألا يكون النص العقابي محملاً بأكثر من معنى، مرهقاً بأغلال تعدد تأويلاته، مرناً مترامياً على ضوء الصيغة التي أفرغ فيها، متغولاً - من خلال انفلات عباراته - حقوقاً أرساها الدستور، مقتحماً ضماناتها، عاصفاً بها، حائلاً دون تنفيسها بغير عائق. ويتعين بالتالي أن يكون إنفاذ القيود التي تفرضها القوانين الجنائية على الحرية الشخصية، رهناً بمشروعيتها الدستورية. ويندرج تحت ذلك، أن تكون محددة بصورة يقينية لا التباس فيها. ذلك أن هذه القوانين تدعو المخاطبين بها إلى

الامتثال لها كي يدفعوا عن حقهم في الحياة، وكذلك عن حرياتهم، تلك المخاطر التي تعكسها العقوبة. ومن ثم كان أمراً مقضياً، أن تصاغ النصوص العقابية بما يحول دون انسياها أو تباين الآراء حول مقاصده" (المحكمة الدستورية العليا المصرية، دستوري، 25/ 2016 قضائية، 1995).

وذهبت المحكمة الدستورية المصرية إلى وضع ضوابط تكبح جماح السلطة التشريعية في مجاوزة الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم، وذلك حين قضت "أن من القواعد المبدئية التي تطلبها الدستور في القوانين الجزائية، أن تكون درجة اليقين التي تنتظم أحكامها في أعلى مستوياتها، وأظهر في هذه القوانين منها في أية تشريعات أخرى، ذلك أن القوانين الجزائية تفرض على الحرية الشخصية أخطر القيود وأبلغها أثراً، ويتعين بالتالي - ضماناً لهذه الحرية - أن تكون الأفعال التي تؤتمها هذه القوانين محددة بصورة قاطعة بما يحول دون التباسها بغيرها، وبمراعاة أن تكون دوماً جلية واضحة في بيان الحدود الضيقة لنواهيها، ذلك أن التجهيل بها أو إبهامها في بعض جوانبها لا يجعل المخاطبين بها على بينة من حقيقة الأفعال التي يتعين عليهم تجنبها، كذلك فإن غموض مضمون النص العقابي مؤداه أن يحال بين محكمة الموضوع وبين أعمال قواعد منضبطة تعين لكل جريمة أركانها وتقرر عقوبتها بما لا خفاء فيه، وهي قواعد لا ترخص فيها وتمثل إطاراً لعملها لا يجوز تجاوزه، ذلك أن الغاية التي يتوخاها الدستور هي أن يوفر لكل مواطن الفرص الكاملة لمباشرة حرياته في إطار من الضوابط التي قيدها بها، ولازم ذلك أن تكون القيود على الحرية التي تفرضها القوانين الجزائية، محددة بصورة يقينية لأنها تدعو المخاطبين بها إلى الامتثال لها كي يدفعوا عن حقهم في الحياة، وكذلك عن حرياتهم، تلك المخاطر التي تعكسها العقوبة. ولقد كان غموض القوانين الجزائية مرتبطاً من الناحية التاريخية بإساءة استخدام السلطة، وكان أمراً مقضياً أن يركن المشرع إلى مناهج جديدة في الصياغة لا تنزلق إلى تلك التعبيرات المرنة أو الغامضة أو المتميزة المحملة بغير معنى والتي تتداح معها دائرة التجريم بما يوقع محكمة الموضوع في محاذير واضحة قد تنتهي بها - في مجال تطبيقها للنصوص العقابية - إلى ابتداع جرائم لا يكون المشرع قد قصد حقيقة إلى إنشائها، وإلى مجاوزة الحدود التي اعتبرها الدستور مجالاً حيويًا لمباشرة الحقوق والحريات التي كفها (المحكمة الدستورية العليا المصرية، 10/ 3 قضائية، 1993).

وعلى هذا النحو، قضت المحكمة الدستورية الكويتية بأن "مبدأ شرعية الجريمة والعقوبة الذي يخول المشرع بموجب سلطته التقديرية - التي يمارسها وفقاً للدستور - الحق في إنشاء الجرائم وتحديد العقوبات التي تناسبها، وإن اتخذ هذا المبدأ من كفالة الحرية الشخصية بنياناً لإقراره، وأساساً لتأكيد، إلا أن هذه الحرية ذاتها هي التي تقيد محتواه ومضمونه، فلا يكون إنفاذه إلا بالقدر اللازم الذي يكفل صونها، ولازم ذلك أنه يجب أن تكون الأفعال المؤثمة محددة بصورة قاطعة بما يحول دون التباسها بغيرها، وأن تكون واضحة في بيان الحدود الضيقة لنواهيها حتى يكون المخاطبون بها على بينة من حقيقة تلك الأفعال التي يتعين عليهم اجتنابها" (المحكمة الدستورية الكويتية، 2015/12، 2010/4/19).

وفي السياق ذاته، قضت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان (Application no. 42750/09, 2013) أن المبدأ القائل بأن القانون وحده هو الذي يمكن أن يحدد جريمة وينص على عقوبة، (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص) تستدعي أن الجرائم والعقوبات ذات الصلة يجب أن يحددها القانون بوضوح، ويتم استيفاء هذا الشرط، فيمكن للفرد أن يعرف من صياغة الحكم ذي الصلة، وبناء على ذلك، فإن عديداً من القوانين يتم صوغها حتماً من حيث المصطلحات التي تكون، إلى حد ما أو أقل، غامضة ويكون تفسيرها وتطبيقها من مسائل الممارسة، ومع ذلك، فإن صياغة نص قانوني واضح قد تكون، في أي نظام قانوني، بما في ذلك القانون الجنائي، عنصراً لا مفر منه للتفسير القضائي.

كما قضت المحكمة العليا الأمريكية بوجوب أن تكون نصوص قانون العقوبات، خاصة تلك التي تجرم أفعالاً جديدة واضحة بشكل كاف من أجل إحاطة المخاطبين بأحكامها علماً بالسلوك الذي من شأن ممارسته أن يجعلهم عرضة للعقاب، وهي بذلك تكون قد أسست لارتباط مبدأ الشرعية بقيمة قانونية وهي تتعلق بالتنبؤ، بمعنى أنه يمكن النص الجزائي بصياغته الفرد من التنبؤ بأنه فيما إذا كان تصرفه يطابق القانون من عدمه. (الرواشدة، 2015).

ويتضح لنا من استقراء الأحكام المشار لها وتحليلها بأن القضاء الدستوري قد فرض ضوابط متعددة على المشرع العادي في مجال التجريم والعقاب، تنعكس آثارها على التشريع في هذا المجال، ويمكن لنا إجمال هذه الضوابط في التالي:

- أ- أن تكون الأفعال التي تؤتمها هذه القوانين محددة بصورة قاطعة بما يحول دون التباسها بغيرها.
- ب- يجب ألا تكون صياغة النصوص العقابية التجريبية غامضة أو فضفاضة.
- ت- يجب أن تكون أركان الجريمة محددة تحديداً دقيقاً نافياً للجهالة.
- ث- يجب ألا تحمل دلالات الصياغة التشريعية التجريبية غير معنى.

3.2 المبحث الثاني: الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم في مجال الإجراءات الجنائية:

إن مبدأ شرعية الجنائية لا يقتصر على شرعية النصوص المتعلقة بالتجريم والعقوبات، بل يمتد إلى شرعية النصوص الناطقة بالإجراءات الجزائية، وتستند هذه الشرعية إلى أساس دستوري يؤطر شرعية هذه الإجراءات، وبغية البحث في الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم في مجال الإجراءات الجنائية، فإننا سوف نقسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ الأول يبحث في التفويض الدستوري للسلطة التشريعية بالتشريع الجنائي في الإجراءات الجنائية، بينما يستعرض المبحث الثاني الضوابط الدستورية لشرعية النصوص المتعلقة بالإجراءات الجنائية.

المطلب الأول: التفويض الدستوري للسلطة التشريعية بالتشريع الجنائي في الإجراءات الجزائية

لا يقف التفويض الدستوري للسلطة التشريعية بالانفراد بالتشريع الجنائي عند التشريعات الموضوعية المتعلقة بالتجريم والعقاب، بل يمتد هذا التفويض إلى قواعد الإجراءات الجزائية، ذلك أن "القاعدة الموضوعية الجنائية والقاعدة الإجرائية الجنائية وجهان لعملة واحدة، لا يستقيم إعمال أحدهما دون الأخرى على نحو تظهر فيه العلاقة التبادلية بين هذه القواعد، فالقواعد الجنائية الموضوعية تعمل على تحديد الجرائم والعقوبات المقررة لكل منها وتحدد أسباب التسويغ وموانع المسؤولية الجزائية وموانع العقاب، أما القواعد الإجرائية الشكلية، فهي تعمل على تحديد الوسائل والسيبل والإجراءات التي تتخذها الدولة منذ لحظة وقوع الجريمة؛ من أجل ضبط الجاني وملاحقته، وإثبات ارتكاب الجريمة، وتحدد اختصاصات الجهات القضائية وإجراءات المحاكمة إلى حين صدور حكم قطعي، وتنظمها، وعليه يظهر أن طبيعة العلاقة بين القواعد الموضوعية والإجرائية، هي علاقة تلازمية إلى المدى الذي لا يتصور معه وجود الإجرائية دون وجود الموضوعية" (العلوان، 2018). وانعكاساً لذلك، يرى جانب من الفقه أنه لا يمكن تحقيق العدالة الجنائية من خلال الشرعية الجنائية في مجال التجريم والعقاب من الناحية الموضوعية فقط، بل لا بد من توافر الشرعية الإجرائية (عامر، 2017)، بينما ذهب جانب آخر من الفقه إلى القول بأن الشرعية الإجرائية تفوق الشرعية الموضوعية من حيث الأهمية رغم التلازم بينهما، لكونها تستهدف حسن سير العدالة الذي يتطلب تعزيز الحماية اللازمة للحقوق والحريات العامة، والتي قد تتعرض للانتهاك في أثناء مرحلة البحث والتحري، ومرحلتى التحقيق الابتدائي والمحاكمة (إحليل، 2023)، كما تكتسي الشرعية الإجرائية أهمية خاصة؛ كونها ترتبط - أيضاً - بقاعدة دستورية وهي قرينة البراءة الصليقة بالفرد طيلة إجراءات التحقيق أو المحاكمة، إضافة لارتباطها - أيضاً - بالحرية الشخصية بوصفها قاعدة دستورية، والتي لا يجوز المساس بها إلا في حدود الشرعية الإجرائية التي تضمن عدم انتهاك هذه الحرية، بوصفها تشكل قاعدة دستورية لصيقة - أيضاً - بالفرد طالما لم تتم إدانته بحكم قضائي مبرم.

وفي الحقيقة، وبالرغم من التمييز التشريعي بين مضمون القاعدة الموضوعية والقاعدة الإجرائية، فإن الأساس الدستوري لتفويض السلطة التشريعية بالتشريع الجنائي في الإجراءات الجنائية أدى إلى نشوء الشرعية الإجرائية، ومؤدى هذه الشرعية هو اتفاق جميع الإجراءات التي تتخذ ضد المتهم مع جميع القواعد التي تحترم الحرية الشخصية وغيرها من حقوق الإنسان بما في ذلك قرينة البراءة (الحمادي، 2022)، ولا يختلف الأساس الدستوري للشرعية الإجرائية عن الأساس الدستوري لمبدأ شرعية الجرائم في مجال التجريم والعقاب (الشرعية الموضوعية)، ذلك أن تحقق مبدأ الشرعية الجنائية (الجزائية) يوجب - إضافة لتوافر شرعية النصوص في مجال التجريم والعقاب - أن تكون النصوص الإجرائية الجنائية متمتعة - أيضاً - بمبدأ الشرعية سنداً للقاعدة الدستورية القاضي بأنه لا عقوبة ولا جريمة إلا بنص.

وتبعاً لذلك، فإن السلطة التشريعية تنفرد بالتشريع المتعلق بالإجراءات الجزائية، وعلاوة على ذلك، فإن كانت السلطة التنفيذية تملك الحق في حدود معينة أن تقوم بالتشريع اللائحي في جوانب محددة من التجريم الموضوعي والعقوبة، فإنه وفيما يتعلق بالشرعية الإجرائية فإن "السلطة التنفيذية لا تملك أن تنظم أية خصومة جنائية بقرار لائحي أو نظام سواء من حيث سير إجراءاتها أو من حيث الإحالة للمحاكم أو الاختصاص بنظرها، وكل تنظيم من هذا القبيل يعدّ مخالفاً للشرعية الدستورية، وإذا كان للسلطة التنفيذية أن تنص على قواعد التجريم في حدود معينة عبر تشريع لائحي، فإن هذه السلطة لا تمتد إلى تنظيم الخصومة الجنائية: (سرور، 2002، ص 74-75).

ويُفترض - في ضوء ذلك - أن تكون إجراءات الملاحقة القضائية مراعية لهذه القواعد الدستورية، وأن يكون التجريم والإدانة قائما على تحقق الدليل والجزم واليقين، ذلك أنّ قرينة البراءة، بوصفها أصلاً دستورياً مقفراً، تستدعي أن يكون التجريم مؤسساً على الإثبات المستمد من أوراق الدعوى وقائعها، وألا يكون مبنياً على الاستنتاج والشبهة، ويفترض ذلك أن يكون التشريع الجزائي جازماً بواقعة ثابتة فعلاً، مفضية إلى نتيجة جرمية ملموسة، لا مستفاة من ظروف تقوم على الشك، تؤدي بالنتيجة إلى حرمان الفرد من حريته.

وجرياً على ذلك، فإن مبدأ الشرعية الإجرائية يحدد الأساس الذي يجب أن يلتزم به المشرع الإجرائي ويضع الإطار الذي يجب أن يحترمه المخاطبون بقواعد الإجراءات الجنائية، فلا يجوز أن يتركها القانون للجهد القانوني من الناحية الفنية للصياغة أو من الزاوية العملية للتطبيق، بل يجب أن ينظر له من زاوية أنه منظم للحريات الدستورية الخاضعة لأحكام الدستور وللرقابة الدستورية (اللبان، 2013)، لذلك، ذهب بعض الفقهاء إلى أن الأساس الدستوري المتعلق بأنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص، يعني بالضرورة أنه لا إجراء إلا بنص، وهو يعرف بقانونية الإجراءات الجزائية، بمعنى أن القانون هو المصدر الوحيد الذي يحدد الإجراءات الجزائية (إحليل، 2023)، وينسحب ذلك، ليس فقط على مجموعة القواعد المنظمة للدعاء الجنائي، بل - أيضاً - على القواعد المنظمة للدعاء المدني التابع للدعوى الجنائية (الرحالي، 2016)، وبهذا يبدو الفرق بين الشرعية الموضوعية والشرعية الإجرائية واضحاً، بأنه يمكن، في حدود معينة يحددها التشريع والدستور، أن تتولى السلطة التنفيذية وضع نصوص تجرمية وعقابية، في حين أنه لا يمكن للسلطة التنفيذية إصدار أي تنظيم للإجراءات الجزائية أو يتعلق بسير الخصومة الجزائية من الناحية الإجرائية أو الادعاء المدني التابع لها.

إلى جانب ذلك، فإن مبدأ الشرعية الإجرائية - كما هو مبدأ الشرعية الموضوعية - يفرض على القاضي لزوماً عدم القياس على النصوص الإجرائية عندما ينعدم النص، وهو لا يملك إلا الالتزام في حدود النصوص الإجرائية تحت طائلة البطالان، وعليه ألا يتولى إكمال النصوص غير الكاملة (خضير، وغافل، 2011)، ذلك أن مهمة القاضي - سيما في النصوص الجزائية الإجرائية - تنحصر فقط في تطبيق هذه النصوص تطبيقاً أميناً يحقق مقاصد الدستور في حماية الحقوق والحريات

العامّة، وطبقاً لمبدأ الفصل بين السلطات، واحترماً لقرينة البراءة، والحرية الشخصية، والكرامة الإنسانية، بالنظر إلى أن هذه القواعد الدستورية واجبة الاحترام لكونها تشكل البنية المركزية للأساس الدستوري لمبدأ الشرعية الجنائية على وجه العموم.

وإذا كان النص الاجرائي هو العنصر المحرك لقانون العقوبات بنصوصه الساكنة، والتي يتم تفعيلها بمجرد وقوع الجريمة، وصولاً إلى أن تتحرك الدعوى العمومية لتقتصص الدولة حقها في العقاب من المجرم أو الجاني، غير أنه، ومع التطور المجتمعي الذي عرفته البشرية، ظهرت طرق جديدة لسلطة الدولة في العقاب دون اللجوء إلى الدعوى العمومية وطول إجراءاتها وتعقيدها، فعمدت بعض التشريعات إلى استبعاد الإجراء الجزائي واستبداله بإجراء غير جزائي عن طريق الوساطة والصلح والوسائل البديلة الأخرى عن الدعوى الجزائية، (بن بوعزيز، 2022)، وهذا وفق ما يرى الباحث لا يفتقد من مبدأ الشرعية الإجرائية وأساسه الدستوري، ولا من مبدأ الشرعية على وجه العموم، ذلك أن هذه العدالة التصالحية أقرتها النصوص الناظمة للإجراءات، وهي تستمد شرعيتها منها، ولا تعدّ خروجاً عنها، وقد عرفت التشريعات الجزائية بوجه عام هذا النظام التصالحي، الذي يستهدف تجنب الفئات الهشة كالنساء والأطفال دخول نظام العدالة الجنائية، ومن أمثلة ذلك إقرار نظام الوساطة في قضايا الأطفال الأحداث طبقاً لما نصت عليه المادة 23 من قرار بقانون حماية الأحداث الفلسطيني (قرار بقانون بشأن حماية الأحداث، فلسطين، 4، 2016).

ومن جهة أخرى، يترتب على الأساس الدستوري لمبدأ الشرعية الإجرائية أن تحترم قواعد الإجراءات المبدأ الدستوري القاضي بعدم رجعية القوانين الجزائية، وهذا عبرت عنه المادة 15 من القانون الأساسي الفلسطيني حين أكدت على أنه لا عقاب على الأفعال اللاحقة (القانون الأساسي الفلسطيني المعدل، فلسطين، 2003)، وتطبيقاً لذلك، لا تجوز أن تشترط أية سلطة في ملاحقة أي فرد على أفعال بدرت منه قبل صدور النص التشريعي الذي يجرم هذه الأفعال، وعادة ما تتولى قوانين العقوبات النص على مبدأ عدم رجعية القوانين، ومن ذلك ما ذهبت له المادة 3 من قانون العقوبات النافذ في الضفة الغربية من أنه لا يقضى بأية عقوبة لم ينص القانون عليها حين اقتراف الجريمة (العقوبات، فلسطين، 16، 1960)، ولما كانت القوانين الإجرائية هو المحرك للنصوص الساكنة في قانون العقوبات، فإن ذلك يفترض أن تحترم الشرعية الإجرائية عدم الملاحقة على أفعال تمت قبل تجريمها، وفي هذا يجد الباحث أن القاعدة الدستورية المتعلقة بعدم رجعية القوانين تشكل أساساً هاماً من أسس الشرعية الموضوعية والإجرائية على حد سواء، ويجب ذلك تعزيزاً للمبدأ الدستوري القاضي بأنه لا عقوبة ولا جريمة إلا بنص، فلا يسري النص الجزائي على الماضي، بل على الحاضر والمستقبل فقط (الحريضي، 2018)، وهذا يعني بالضرورة فوراً أثر الإجراءات الجزائية، أي أنها تطبق بأثر فوري، سيما في مسائل الاختصاص، ولا يجوز كما يرى الباحث أن يتم تطبيق أي نص إجرائي على المتهم بأثر رجعي، إلا تطبيقاً لقاعدة القانون الأصلح للمتهم، والذي ينسحب على القواعد الإجرائية مثلما ينسحب على القواعد الموضوعية.

كما يترتب على مبدأ الشرعية الإجرائية - أيضاً - أن تتحقق عدالة الإجراءات والبعد عن العنف فيها، لأن ذلك يعدّ معلماً أساسياً من معالم سيادة القانون (التوم، 2015)، وجرياً على ذلك، يرى الباحث أن تطبيق القواعد الإجرائية يجب أن يتم في إطار الفهم الواعي بأن القوانين الجزائية تستهدف بالأساس حماية حقوق الفرد وحرياته، وليس الإفراط والإمعان في تطبيق هذه القواعد الإجرائية بما يتعارض مع أساسها الدستوري، ومقاصد الوثائق الدستورية بحماية الحقوق والحريات العامة، وانعكاساً لهذا، فإن "حرية القاضي الجنائي تجاه الأحكام الجزائية والإجراءات الجزائية تستوجب سلوكاً منه يتسم بالحدّ الشديد عند قراءة النص وتأويله بقطع النظر عن الأبعاد الاجتماعية والسياسية" (البكوش، 2014)، ولعل أبرز الإجراءات الجزائية التي يمكن أن تنال من حرية الأفراد وحقوقهم الدستورية هو تأثر القضاة وأعضاء النيابة بالأبعاد السياسية والاجتماعية، ما يؤدي إلى التشدد بالتوقيف والحبس الاحتياطي عبر استخدام السلطات الممنوحة لهم في هذا الإطار، الأمر الذي يرى معه الباحث أن حرية القاضي في كثير من القواعد الإجرائية سيما في إجراءات الحبس الاحتياطي وسلطاته، يجب أن تكون منضبطة بقواعد أكثر دقة وتحدياً لتجنب المساس بالأساس الدستوري للشرعية الإجرائية، ولحماية الأفراد من التعسف باستخدام هذه السلطات.

وجرياً على ذلك، فعلى القاضي أن يلتزم بمقتضى مبدأ الشرعية القاضي باللجوء إلى التفسير الضيق للنصوص الموضوعية والإجرائية، وإذا استحال عليه تفسير النص للكشف عن إرادة المشرع، فينبغي - وهذه الحالة - أن يجنح إلى التفسير الضيق الذي ينجاز إلى حقوق الأفراد وحرياتهم في نطاق الإجراءات الجزائية، وإلى تطبيق قاعدة أن الشك يفسر لمصلحة المتهم (ساوس، 2017) في النصوص الموضوعية وحتى في مجال الحبس الاحتياطي وغيره من المسائل الإجرائية التي تنال من حقوق الأفراد وحرياتهم.

وبالرغم من أن مبدأ الشرعية الإجرائية يفترض دائماً أن تنفرد السلطة التشريعية بوضع النصوص الإجرائية، فإن هذه النصوص يجب أن تنضبط بالقواعد الدستورية، وكثيراً ما يحاول المشرع ملاحقة الاحتياجات الأمنية ومسايرتها، ما قد يؤدي إلى إدخال القانون الجنائي وإجراءاته ومعها الحقوق والحريات العامة إلى متاهة، قد تشكل نكوصاً عن الحقوق والحريات العامة الدستورية، لأنه وعلى المستوى الإجرائي، يترتب الخروج عن مبدأ الشرعية آثار سلبية متمثلة بالمس بالحقائق والحريات العامة بناء على حالات الاشتباه أو التوسع في فهم النصوص، بما يؤدي إلى خرق مبدأ الأمن القانوني كأحد أهم المبادئ الأساسية للشرعية في القانون الجنائي (عشيبه، 2016)، ذلك أنه وبالرغم من أن من واجب الدولة العمل من خلال سلطاتها على استتباب الأمن وحفظ النظام داخل المجتمع، فإن ذلك يجب ألا يفترق بتعسف الدولة في استخدام حقها الذي تمارسه على أفراد المجتمع بداعي حفظ الأمن والنظام العام (هادي، 2021)، لذلك، فإن الطابع العالمي لحقوق الإنسان بات

يشكل - أيضاً - نوعاً من الرقابة السياسية على الدول ومدى التزامها بضمانات المحاكمة العادلة الواردة في المعايير الدولية والعهود الدولية، سيما العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لسنة 1976، وغيره من المواثيق ذات الصلة. وفي هذا الإطار، ونظراً لخطورة الإجراءات الجزائية على الحقوق والحريات العامة، فإن "الأمر في مجال الإجراءات الجنائية يستدعي أن تكون هذه الإجراءات خاضعة لمبدأ الشرعية، وليس فقط بأن تكون خاضعة لمبدأ المشروعية؛ ذلك أن المبدأ الأخير عاجز وقاصر وغير قادر على توفير الحماية الكاملة للحقوق والحريات الأساسية الفردية؛ فيكفي أن تصدر قاعدة قانونية ضمن قانون تسنه السلطة التشريعية، فيكون إعمال هذه القاعدة واتخاذ الإجراءات وفقاً لها متصفاً بالمشروعية، ولو كانت القاعدة في ذاتها تشكل اعتداء ونفياً لحقوق الأفراد وحرياتهم ما دام أن الإجراء قد اتخذ طبقاً للقاعدة القانونية، غير أن مثل هذا الإجراء لا يتصور اتصافه بالشرعية، ولو كان اتخاذه ضمن الإطار الذي رسمه القانون لها؛ لأن القاعدة القانونية في ذاتها مخالفة لمبدأ الشرعية، وعليه، فإن مثل هذه القاعدة والإجراء المتخذ تنفيذاً لها، مشوبة بعيب مخالفة مبدأ الشرعية" (العلوان، 2018).

المطلب الثاني: الضوابط الدستورية لشرعية النصوص المتعلقة بالإجراءات الجنائية

وضع القضاء الدستوري الفلسطيني في معرض ممارسته للرقابة على دستورية القوانين، عديداً من الضوابط الدستورية لتحقيق شرعية النصوص المتعلقة بالإجراءات الجنائية، سيما في مجال حماية قرينة البراءة، بوصفه مبدأ دستورياً من المساس أو الانتقاص، وبغية تحقيق الموازنة بين ضرورات تحقيق المصلحة العامة، وبين حماية البراءة، بوصفها قرينة لصيقة بالفرد، وقد قضت المحكمة الدستورية الفلسطينية بهذا الشأن، وفي أثناء اتصالها بإحالة دستورية للاستتجاء بعدم دستورية الفقرة الخامسة من المادة 389 من قانون العقوبات رقم 16 لسنة 1960 بأنه: "وباطلاع المحكمة على النص محل الشبهة الدستورية يتبين أنها خالفت على نحو صريح قرينة البراءة بأن جعلت أساس التجريم قائماً على الاستنتاج، الأمر الذي جعل المواطن عرضة للتجريم والإدانة والعقوبة، دون معيار سليم وواقعي يتيح له الدفاع عن نفسه في محاكمة عادلة، وإخضاعه لاستنتاجات أفراد متباينة من شخص إلى آخر ومن بيئة مجتمعية إلى أخرى، تجعل من التجريم حالة واقعة دون أدنى معيار" (المحكمة الدستورية الفلسطينية العليا، دستوري، 2017/5، 2018).

كما أكدت المحكمة الدستورية الفلسطينية في هذه الدعوى على أن "افتراض براءة المتهم يمثل أصلاً ثابتاً يتعلق بالتهمة الجنائية من ناحية إثباتها، وليس بنوع العقوبة المقررة لها أو قدرها، وينسحب إلى الدعوى الجنائية في جميع مراحلها وعلى امتداد إجراءاتها، وقد صار لازماً ألا يزحزح الاتهام أصل البراءة، بل يظل دوماً لازماً لصيقاً بالفرد، وأن العدالة الجنائية في جوهرها وملاحمها هي التي يتعين ضمانها من خلال قواعد محددة تحديداً دقيقاً ومنصفاً يقرر على ضوءها ما إذا كان المتهم مداناً أو بريئاً، ويفترض ذلك توازناً بين مصلحة الجماعة في استقرار أمنها، ومصلحة المتهم في ألا تفرض عليه عقوبة ليس لها من صلة بفعل أذاه، أو تفقر هذه الصلة إلى الدليل عليها، ولا يجوز بالتالي أن تنفصل العدالة الجنائية عن مقوماتها التي تكفل لكل متهم حداً أدنى من الحقوق التي لا يجوز النزول عنها أو التفريط فيها، ولا أن تخل بضرورة أن يظل التجريم مرتبطاً بالأغراض النهائية للقوانين العقابية، وأن الأصل في كل اتهام أن يكون جاداً، بالرغم من أن الاتهام بالجريمة ليس قرين ثبوتها، وهو لا يزيد على مجرد شبهة لم تفصل فيها محكمة الموضوع بقضاء جازم لا رجعة فيه، سواء بإثباتها أو نفيها، وقضاء المحكمة الدستورية العليا يؤكد أن القواعد المبدئية التي تقوم عليها المحاكمة المنصفة التي تطلبها القانون الأساسي المعدل لسنة 2003م بنص المادة 14 من أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته في محاكمة قانونية تكفل له فيها ضمانات الدفاع عن نفسه، ولأن أصل البراءة يمتد إلى كل فرد، سواء أكان مشتبهاً فيه أم متهماً بوصفه قاعدة أساسية في النظام الاتهامي، أقرتها الشرائع الدولية لا لتكفل بموجبها حماية المذنبين، إنما لتندأ بمقتضاها وطأة العقوبة عن الفرد كلما كانت الواقعة الإجرامية قد أحاطتها الشبهات، بما يحول دون التيقن من مقارفة المتهم لها" (المحكمة الدستورية الفلسطينية العليا، دستوري، 2017/5، 2018).

وبالاتجاه ذاته الذي ذهبت له المحكمة الدستورية العليا الفلسطينية، قضت المحكمة الدستورية المصرية بأن "افتراض براءة المتهم أصل ثابت يتعلق بالتهمة الجنائية من ناحية إثباتها، وليس بنوع العقوبة المقررة لها، وينسحب إلى الدعوى الجنائية في جميع مراحلها حتمية ترتيب الدستور افتراض البراءة، عدم جواز نقضها بغير الأدلة الجازمة التي تخلص إليها المحكمة، لازم ذلك طرح هذه الأدلة عليها وأن تقول وحدها كلمتها فيها، وألا تفرض عليها أية جهة أخرى مفهوماً محدداً لدليل بعينه، وأن أصل البراءة يمتد إلى كل فرد مشتبهاً فيه أو متهماً، بصفته قاعدة أساسية في النظام الاتهامي أقرتها الشرائع جميعها، لا لحماية المذنبين، وإنما درءاً للعقوبة عن الفرد إذا ما أحاطت الشبهات بالتهمة" (المحكمة الدستورية المصرية العليا، دستوري، 13 لسنة 12 قضائية دستورية، 1992/2/2).

كما أكدت المحكمة الدستورية المصرية في هذا الحكم على أن "الاتهام الجنائي لا يزحزح أصل البراءة الذي يلزم الفرد دوماً ولا يزيله سواء في مرحلة المحاكمة أو في أثنائها، ولا سبيل لدحضه بغير الأدلة التي تبلغ قوتها الإقناعية مبلغ الجزم واليقين، وبشرط أن تكون دلالتها قد استقرت حقيقتها بحكم قضائي استنفذ طرق الطعن، وأن افتراض البراءة لا يتمحض عن قرينة قانونية، ولا هو من صورها، وعلة ذلك أن القرينة القانونية تقوم على تحويل للإثبات من محله الأصلي، ممثلاً في الواقعة مصدر الحق المدعى به، إلى واقعة أخرى قريبة منها متصلة بها، وهذه الواقعة البديلة يعد إثباتها إثباتاً للواقعة الأولى بحكم القانون، وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى البراءة التي افترضها الدستور، فليس ثمة واقعة أحلها الدستور محل أخرى وأقامها بديلاً عنها، وإنما يؤسس افتراض البراءة على الفطرة التي جبل الإنسان عليها، فقد ولد حراً مبرئاً من الخطيئة أو

المعصية ومفترضاً على امتداد مراحل حياته أن أصل البراءة لازال كامناً فيه، إلى أن تنقض المحكمة بقضاء جازم لا رجعة فيه، هذا الافتراض على ضوء الأدلة التي تقدمها النيابة العامة مثبتة بها الجريمة قبل المتهم في كل ركن من أركانها" (المحكمة الدستورية المصرية العليا، دستوري، 13 لسنة 12 قضائية "دستورية"، 1992/2/2).

وعلى هذا النحو، قضت المحكمة الدستورية المصرية بنتيجة حكمها في الطعن بعدم دستورية نص الفقرة الثانية من البند (1) من المادة الثانية من القانون رقم 48 لسنة 1941 المتعلق بقمع التدليس والغش، بأنه: "ولما كانت جريمة عرض أغذية مغشوشة أو فاسدة من الجرائم العمدية التي يعدّ القصد الجنائي ركناً فيها، فإن المشرع وقد أعفى النيابة العامة - بالنص المطعون فيه - من إثباتها لواقعة بذاتها تتصل بالقصد الجنائي وتعدّ من عناصره، وهي واقعة علم المتهم بغش السلعة التي يعرضها أو فسادها، حاجباً بذلك محكمة الموضوع عن تحقيقها؛ وعن أن تقول كلمتها بشأنها؛ بعد أن افترض النص المطعون عليه هذا العلم بقرينة لا محل لها، ونقل عبء نفيه إلى المتهم، فإن عمله هذا يعدّ انتحالاً لاختصاص كفه الدستور للسلطة القضائية، وإخلالاً بمبدأ الفصل بينها وبين السلطة التشريعية؛ ومناقضاً - كذلك - لافتراض براءة المتهم من التهمة المنسوبة إليه في كل وقائعها وعناصرها، ولأنّ افتراض براءة المتهم من التهمة المنسوبة إليه يقتضيان دائماً من الناحية الدستورية - ولضمان فعاليته - بوسائل إجرائية إلزامية، تعدّ وثيقة الصلة بالحق في الدفاع، وتتمثل في حق المتهم في مواجهة الأدلة التي قدمتها النيابة العامة إثباتاً للجريمة، والحق في دحضها بأدلة النفي التي يقدمها، ولما كان ذلك؛ وكان النص المطعون عليه - وعن طريق القرينة القانونية التي افترض بها ثبوت القصد الجنائي - قد أدخل بهذه الوسائل الإجرائية؛ بأن جعل المتهم مواجهاً بواقعة أثبتتها القرينة في حقه بغير دليل؛ ومكلفاً بنفيها خلافاً لأصل البراءة، ومسقطاً عملياً كل قيمة أسبغها الدستور على هذا الأصل؛ وكان النص المطعون عليه - وعلى ضوء ما تقدم جميعه - ينال من مبدأ الفصل بين السلطتين؛ التشريعية والقضائية؛ ومن الحرية الشخصية، كما يناقض افتراض البراءة، ويخل بضوابط المحاكمة المنصفة، وما تشتمل عليه من ضمان الحق في الدفاع، فإنه بذلك يكون مخالفاً لأحكام المواد 2، 14، 67، 69، 86، 165 من الدستور" (المحكمة الدستورية المصرية العليا، دستوري، 31 لسنة 16 قضائية "دستورية"، دستوري، 1995/5/20).

كما قضت المحكمة الدستورية المصرية بأن "أصل البراءة من الركانز التي يستند إليها مفهوم المحاكمة المنصفة التي كفلها الدستور، ويعكس قاعدة مبدئية تعدّ في ذاتها مستعصية على الجدل، واضحة وضوح الحقيقة ذاتها، تقتضيها الشرعية الإجرائية، ويعدّ إنفاذها مفترضاً أولاً لإدارة العدالة الجنائية، ويتطلبها الدستور لصون الحرية الشخصية في مجالاتها الحيوية، وليوفر من خلالها لكل فرد الأمن في مواجهة التحكم والتسلط والتحاميل، بما يحول دون اعتداد واقعة تقوم بها الجريمة ثابتة بغير دليل، وبما يرد المشرع عن افتراض ثبوتها بقرينة قانونية ينشئها، ولأنّ افتراض براءة المتهم من التهمة الموجهة إليه - يقتضيان دائماً من الناحية الدستورية - ولضمان فعاليته - بوسائل إجرائية وثيقة الصلة بحق الدفاع" (المحكمة الدستورية العليا المصرية، دستوري، 25/2016 قضائية، 1995).

وفي الاتجاه ذاته، قضت المحكمة الدستورية الكويتية بأنه "لا يمكن تبرير اعتبار الشخص شريكاً في جريمة لم تنتج إرادته إلى الاشتراك فيها ولم يدر بخلده أنه يمكن أن يسهم فيها، لذلك، فإن افتراض هذا الاشتراك دون أن تتوافر صلة السببية بين فعل الجاني والجريمة مؤداه أن هذا الفعل لا يصلح أصلاً أن يكون محلاً للتجريم بهذه الكيفية، فمن المقرر أن الركن المادي للجرائم لا يُفترض، كما أن تقرير مسؤولية الشريك عن الجريمة الأصلية دون أن يتوافر لديه قصد الاشتراك في الجريمة، يدخل في باب المسؤولية عن فعل الغير، وهذه المسؤولية لا تتفق مع نصوص الدستور الكويتي التي تجعل المسؤولية الجنائية شخصية، كما أن اعتبار أفعال إخفاء الجاني في الجريمة الأصلية أو إخفاء أدلتها وعقاب مرتكبها هو أمر لا صلة له بالجريمة الأصلية، ولا يمكن تقرير مسؤولية الشخص في هذه الحالة بناء على افتراض من المشرع، وأنه وإن كانت هذه الأفعال من الأفعال الماسة بالعدالة، فإنه يمكن العقاب عليها بوصفها أفعالاً مستقلة، غير أنه لا يمكن اعتبار مرتكبها شركاء في الجرم الأصلي، فلا ينسب إليهم دور فيه، ونشاط الجاني فيها منبث الصلة بالجريمة الأصلية" (المحكمة الدستورية الكويتية، 2015/12، 2010/4/19).

وفي الجانب المتعلق بالحرية الشخصية، أكدت المحكمة الدستورية الكويتية - أيضاً - في حكمها رقم 1 لسنة 2009 بتاريخ 2009/6/7 بأن "مراعاة الحرية الشخصية تقتضي عدم إعمال نصوص عقابية يُساء تطبيقها بالنسبة إلى المراكز القانونية القائمة للمخاطبين بها، كما أن شرعية العقوبة بينها وبين شخصية العقوبة صلة لا تنفصم، فهما ترتبطان بمن كان مسؤولاً عن ارتكاب الجريمة، فالأصل في الجريمة أن عقوبتها لا يتحملها إلا المسؤول عنها قانوناً، ذلك بأن الشخص لا يحمل إلا وزر نفسه، ولا يُدعى إلى حمل وزر غيره، فعاقبة الجريمة لا يؤخذ بها إلا من جناها، ولا يعاقب عنها إلا شخص من قارفها، سواء أكان فاعلاً أصلياً لها أم كان شريكاً فيها" (المحكمة الدستورية الكويتية، 2009/1، 2009/6/7).

وفي هذا الإطار، قضت المحكمة الدستورية المصرية بأن "إدانة المتهم بالجريمة تعرضه لأخطر القيود على حريته الشخصية وأكثرها تهديداً لحقه في الحياة، مما لا سبيل إلى توقيه إلا في ضوء ضمانات فعليه توازن بين حق الفرد في الحرية من ناحية، وحق الجماعة في الدفاع عن مصالحها الأساسية، ومن ناحية أخرى كفالة الدستور في المادتين 67، 69 منه الضمانات الجوهرية التي لا تقوم المحاكمة المنصفة من دونها، ومنها ضمانات افتراض البراءة وحق الدفاع بالأصالة أو بالوكالة وقاعدة الحق في المحاكمة المنصفة، وتعدّ هذه في نطاق الاتهام الجنائي وثيقة الصلة بالحرية الشخصية" (المحكمة الدستورية المصرية العليا، دستوري، 13 لسنة 12 قضائية "دستورية"، 1992/2/2).

وفي السياق ذاته، شددت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان في القضية (Application no. 21906/04) على أنه: "استمرار على أن المعانة والإهانة المعنية يجب أن تتجاوز في أي حال ذلك العنصر الحتمي من المعانة أو الإهانة المتصلين

بشكل معين من أشكال المعاملة أو العقوبة المشروعة، وكثيراً ما تنطوي التدابير التي تحرم شخصاً من حريته على مثل هذا العنصر، وأنه يجب توفير ضمانات فعالة ضد الملاحقة القضائية والإدانة والعقوبة التعسفية". ويتضح لنا من استقراء الأحكام المشار إليها وتحليلها بأن القضاء الدستوري قد فرض ضوابط متعددة على المشرع العادي في مجال التشريعات الإجرائية لقانون العقوبات، تنعكس آثارها على التشريع في هذا المجال، ويمكن لنا إجمال هذه الضوابط في التالي:

- أ- يجب أن تراعي التشريعات الإجرائية بأن افتراض براءة المتهم يمثل أصلاً ثابتاً يتعلق بالتهمة الجنائية من ناحية إثباتها، وليس بنوع العقوبة المقررة لها أو قدرها، وينسحب ذلك على الدعوى الجنائية في جميع مراحلها وعلى امتداد إجراءاتها.
- ب- تقتضي الشرعية الإجرائية بأن تشريعات إدارة العدالة الجنائية يجب أن تراعي في صياغتها بأن أصل البراءة من الركائز التي يستند إليها مفهوم المحاكمة المنصفة التي كفلها الدستور.
- ت- يجب أن تراعي التشريعات الإجرائية عدم النص بأي شكل من الأشكال على نقل عبء نفي الاتهام إلى المتهم، لكون ذلك بشكل إخلالاً بمبدأ افتراض براءة المتهم من التهمة المنسوبة إليه في كل وقائعها وعناصرها.
- ث- يجب أن تنضبط التشريعات الإجرائية بعدم النص على ما يخل بضمانات الدفاع، أو الانتقاص من حق المتهم في مواجهة الأدلة التي قدمتها النيابة العامة إثباتاً للجريمة، والحق في دحضها بأدلة النفي التي يقدمها.
- ج- يجب أن تنضبط التشريعات الإجرائية باحترام الحرية الشخصية بوصفها الأصل المقرر دستورياً، وعدم النص على تعريض المتهم للقيود على حريته الشخصية إلا في ضوء ضمانات فعلية، توازن بين حق الفرد في الحرية من ناحية، وحق الجماعة في الدفاع عن مصالحها الأساسية.
- ح- يجب على التشريعات الإجرائية توفير ضمانات فعالة ضد الملاحقة القضائية التعسفية التي تنطوي على المساس بمبدأ الشرعية الإجرائية أو الانتقاص منها.

4. خاتمة الدراسة

بدى لنا من خلال هذه الدراسة أن مبدأ الشرعية الجنائية في شقيه الموضوعي والإجرائي، يستند إلى أساس دستوري قائم على المقاربة الدستورية المتعلقة بمبدأ أنه لا عقوبة ولا جريمة إلا بنص، وكذلك مبدأ الفصل بين السلطات، وقرينة البراءة، والحرية الشخصية، وكذلك عدم رجعية القوانين، كما كان للقضاء الدستوري الفلسطيني والمقارن دور بارز في وضع الضوابط الدستورية للتشريعات الجنائية الموضوعية والإجرائية، وقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات وفقاً لما يلي:

4.1 النتائج:

1. تبرز مظاهر هذا الأساس الدستوري لمبدأ الشرعية الجنائية في أن الدساتير قد حصرت سلطة التشريع في هذا المجال بالسلطة التشريعية، شريطة تحقيق التوازن بين الحقوق والحريات العامة، والمصلحة الاجتماعية، في إطار متوازن ومتناسب وضروري ومعلن للعموم.
2. خولت الدساتير السلطة التنفيذية سلطة إصدار لوائح بشأن التجريم والعقاب استثناءً، ولا يعني ذلك أن السلطة التنفيذية من خلال هذا التفويض تستطيع بشكل مطلق إنشاء جرائم وعقوبات بموجب لوائح، بل تظل هذه اللوائح مقيدة بتنفيذ ما حدده التشريع والدساتير من قواعد تتعلق بالحقوق والحريات العامة، مثال ذلك فلسطينياً هو قرار مجلس الوزراء رقم (3) لسنة 2009م بشأن لائحة غرامات المخالفات المرورية.
3. لا يقف التفويض الدستوري للسلطة التشريعية بالانفراد بالتشريع الجنائي عند التشريعات الموضوعية المتعلقة بالتجريم والعقاب، بل يمتد هذا التفويض إلى قواعد الإجراءات الجنائية (الجزائية).
4. يمكن في حدود معينة، يحددها التشريع والدستور أن تتولى السلطة التنفيذية وضع نصوص تجرime وعقابية، في حين أنه لا يمكن للسلطة التنفيذية إصدار أي تنظيم للإجراءات الجزائية أو يتعلق بسير الخصومة الجزائية من الناحية الإجرائية أو الادعاء المدني التابع لها.

4.2 التوصيات:

- يوصي هذا البحث أن يحترم المشرع العادي الأساس الدستوري لمبدأ الشرعية الجنائية عند قيامه بسنّ التشريعات الجزائية، ويتأتى ذلك من خلال التزامه بالتوصيات التالية:
1. أن تكون الأفعال التي تؤتمها هذه القوانين محددة بصورة قاطعة بما يحول دون التباسها بغيرها.
 2. ألا تكون صياغة النصوص العقابية التجريمية غامضة أو فضفاضة.
 3. يجب أن تكون أركان الجريمة محددة تحديداً دقيقاً نافياً للجهالة.
 4. يجب ألا تحمل دلالات الصياغة التشريعية التجريمية غير معنى.

5. يجب أن تراعي تشريعات إدارة العدالة الجنائية في صياغتها بأن أصل البراءة من الركائز التي يستند إليها مفهوم المحاكمة المنصفة التي كفلها الدستور.

5. قائمة المراجع

5.1 المصادر والمراجع العربية

المصادر:

- التشريعات:

القانون الأساسي المعدل لسنة 2003، الوقائع الفلسطينية، ع (صفر)، 2003/03/19، ص 5.
قانون الإجراءات الجزائية رقم (3) لسنة 2001، الوقائع الفلسطينية، ع (38)، 2001/09/05، ص 94.
قانون العقوبات رقم (16) لسنة 1960، الجريدة الرسمية الأردنية، ع (1487)، 1960/05/01، ص 374.
قانون مكافحة الفساد (الكسب غير المشروع قبل التعديل) رقم (1) لسنة 2005، الوقائع الفلسطينية، ع (53)، 2005/02/28، ص 154.
قرار بقانون رقم (4) لسنة 2016م بشأن حماية الأحداث، الوقائع الفلسطينية، ع (118)، 2016/02/28، ص 8.

- الأحكام القضائية:

المحكمة الدستورية العليا الفلسطينية، حكم دستوري رقم 9 لسنة 2022، صادر في قضية رقم (15) لسنة (07) قضائية "دستورية"، الوقائع الفلسطينية، ع 197، 2022/12/26.
المحكمة الدستورية العليا الفلسطينية، حكم دستوري رقم 5 لسنة 2017، صادر في قضية رقم (8) لسنة (03) قضائية "دستوري"، الوقائع الفلسطينية، ع 145، 2028/6/25.
المحكمة الدستورية العليا المصرية، دعوى دستورية رقم 25 لسنة 16 قضائية دستورية، 1995/7/3، الجريدة الرسمية، ع 29، 1995/7/2، ص 1579.
المحكمة الدستورية العليا المصرية، رقم 3 لسنة 10 قضائية دستورية، 1993/1/3، جامعة منيسوتا، مكتبة حقوق الإنسان.
المحكمة الدستورية العليا المصرية، القضية رقم 13 لسنة 12 قضائية دستورية، الجريدة الرسمية، ع 8، 1992/2/2.
المحكمة الدستورية الكويتية، الدعوى رقم 12 لسنة 2010، 2010/4/19.
المحكمة الدستورية الكويتية، قرار رقم 1 لسنة 2009، 2009/6/7.

المراجع:

- الكتب:

حسني، محمود نجيب. (2013). شرح قانون الإجراءات الجزائية، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة.
الخير، محمد. (2012). القضاء والإعلام حرية التعبير بين النظرية والتطبيق - دراسة مقارنة، رام الله: المركز الفلسطيني للتنمية والحريات الإعلامية (مدى)، رام الله.
سرور، أحمد فتحي. (2002). القانون الجنائي الدستوري، الشرعية الدستورية في قانون العقوبات، الشرعية الدستورية في قانون الإجراءات الجنائية، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية.

- الرسائل الجامعية:

غنام، شفاء فوزي سعيد، (2020). الشرعية الجنائية الزمانية - دراسة فقهية مقارنة مع قانون العقوبات الفلسطيني، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، نابلس، ص 13.
مصطفى، مأمون جميل أحمد. (2015). انحسار مبدأ الشرعية الجنائية، رسالة ماجستير، جامعة القدس، كلية الحقوق، ص 10.

- المجلات والدوريات:

إحليل، كريم. (2023). مبدأ الشرعية الجنائية على ضوء التشريع المغربي. المجلة الإلكترونية الدولية لنشر الأبحاث القانونية، 3 (12)، 98-111.
بكوش، ناجي. (2014). مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات. مجلة دراسات قانونية، جامعة صفاقس - كلية الحقوق، (21)، 9-21.
بن بوعزيز، أسية. (2022). مبدأ الشرعية والرضائية الجنائية. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة العربي مهيدي - أم البواقي، 9 (3)، 755-769.
بواب، بن عامر. (2017). تحقيق العدالة الجنائية وفق مبدأ الشرعية، مجلة الندوة للدراسات القانونية، قارة ولبيد، (16)، 3-15.
التوم، صالح أحمد. (2015). مبدأ الشرعية الجنائية بين الفقه والقانون. مجلة العلوم والبحوث الإسلامية جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - معهد العلوم والبحوث الإسلامية، 16 (1)، 152-166.
الحريضي، هاجر. (2018). القيد الزمني في مبدأ الشرعية الجنائية، مجلة المحيط للدراسات والأبحاث القانونية - سلسلة الدراسات الجنائية، (1)، 141-147.
الحمادي، عبد الله عبد الكريم. (2022). محاولة في تأصيل مبدأ الشرعية الإجرائية الجنائية. مجلة الأبحاث والدراسات القانونية، المركز المغربي للدراسات والاستشارات القانونية وحل النزاعات، ع 20، 87-91.

- خضير حسن عبد الهادي، وغافل، سعد فروري. (2011). ماهية مبدأ الشرعية الجزائية. مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، (2)، 185-169.
- الرحالي، نسرين. (2016). الضمانات المخولة لتطبيق مبدأ الشرعية الجزائية. مجلة المتوسط للدراسات القانونية والقضائية، (2)، 133-145.
- ركاب، أمينة. (2016). مبدأ شرعية التجريم والعقاب. مجلة منازعات الأعمال، (12)، 11-1.
- الركن، محمد عبد الله. (1994). التنظيم الدستوري للحقوق والحريات العامة، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية – كلية القانون، (8)، 373 – 423.
- الرواشدة، سامي حمدان عبد العزيز. (2015). مبدأ الشرعية الجزائية: دراسة في القانون المقارن واجتهادات المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان. المجلة القانونية والقضائية، وزارة العدل، مركز الدراسات القانونية والقضائية، قطر، (2)، 9-234.
- ساوس، خيرة عبد الرحمان. (2017). مبدأ الشرعية الموضوعية الجزائية في التشريع الجزائري. المؤتمر الدولي المحكم: الجريمة والمجتمع، عمان: مركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، 427-438.
- الشواي، توفيق. (1970). مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات. مؤسسة الصحافة والنشر، البعث الإسلامي، 14 (7)، 72-78.
- عشبية، أنوار. (2016). انتكاسة مبدأ الشرعية على أعتاب قانون الإرهاب: قراءة نقدية في القانون 03.03 ومشروع تعديله. المجلة المغربية للقانون الجنائي والعلوم الجنائية، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (3)، 69-81.
- العمور، رنا إبراهيم سليمان. (2012). دور القانون في إباحة التجريم، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة – كلية القانون، (50)، 131 - 192.
- العلوان، معتز عودة. (2018). موقع العمل الإجرائي الجنائي من مبدأ الشرعية: دراسة تحليلية وصفية، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، سلسلة العلوم الإنسانية، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، 20 (1)، 95-119.
- اللبان، أسامة سيد. (2013). الشرعية الجنائية الموضوعية والاجرائية بين القانون الوضعي والشريعة الإسلامية: دراسة مبدأ لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص ومبدأ الأصل في الإنسان البراءة في ضوء الفكرين الوضعي والإسلامي، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، جامعة المنوفية، كلية الحقوق، مصر، 22 (37)، 97-101.
- مجدان، محمد. (2021). التجربة الدستورية الجزائرية، وبناء الديموقراطية، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، 12 - 1 (16)، 34-15.
- هادي، عدي جابر وجفات، مصطفى فاهم. (2021). أثر النظام السياسي علي مبدأ الشرعية الجزائية: دراسة مقارنة. مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية، (50)، 311-354.

5.2 رومنة المراجع العربية

- Husnī, Maḥmūd Najīb. (2013). sharḥ Qānūn al-ijrā'āt al-jazā'īyah, al-juz' al-Awwal, Dār al-Nahḍah al-'Arabīyah, al-Qāhirah.
- al-Khiḍr, Muḥammad. (2012). al-qaḍā' wa-al-I'lām Ḥurrīyat al-ta'bīr bayna al-nazarīyah wa-al-taṭbīq-dirāsah muqāranah Rām Allāh : al-Markaz al-Filasṭīnī lil-Tanmiyah wa-al-ḥurrīyāt al-I'lāmīyah (Madā), Rām Allāh.
- Surūr, Aḥmad Faṭḥī. (2002). al-qānūn al-jinā'ī al-dustūrī, al-shar'īyah al-dustūrīyah fī Qānūn al-'uqūbāt, al-shar'īyah al-dustūrīyah fī Qānūn al-ijrā'āt al-jinā'īyah, Dār al-Shurūq, al-Qāhirah, al-Ṭab'ah al-thānīyah.
- Ghnnām, Shifā' Fawzī Sa'īd, (2020). al-shar'īyah al-jinā'īyah alzmānyh – dirāsah fiqhīyah muqāranah ma'a Qānūn al-'uqūbāt al-Filasṭīnī, Risālat mājistūr, Jāmi'at al-Najāh al-Waṭanīyah, Kullīyat al-Dirāsāt al-'Ulyā, Filasṭīn, Nābulus, § 13.
- Muṣṭafā, Ma'mūn Jamīl Aḥmad. (2015). anḥsār Mabda' al-shar'īyah al-jinā'īyah, Risālat mājistūr, Jāmi'at al-Quds, Kullīyat al-Ḥuqūq, § 10
- Iḥlyl, Karīm. (2023). Mabda' al-shar'īyah al-jinā'īyah 'alā ḍaw' al-tashrī' al-Maghribī. al-Majallah al-iliktrūnīyah al-Dawīyah li-Nashr al-Abḥāth al-qānūnīyah, 3 (12), 98-111.
- Bakkūsh, Najī. (2014). Mabda' shar'īyah al-jarā'im wa-al-'uqūbāt. Majallat Dirāsāt qānūnīyah, Jāmi'at Ṣafāqīs-Kullīyat al-Ḥuqūq, (21), 9-21.
- Ibn Bū'azīz, Āsiyah. (2022). Mabda' al-shar'īyah wālrḍā'yh al-jinā'īyah. Majallat al-'Ulūm al-Insānīyah, Jāmi'at al-'Arabī Mahīdī – Umm al-Bawāqī, 9 (3), 755-769.
- Bawwāb, ibn 'Āmir. (2017). taḥqīq al-'adālah al-jinā'īyah wafqa Mabda' al-shar'īyah, Majallat al-nadwah lil-Dirāsāt al-qānūnīyah, Qārah Walīd, (16), 3-15.
- al-Tūm, Ṣālīh Aḥmad. (2015). Mabda' al-shar'īyah al-jinā'īyah bayna al-fiqh wa-al-qānūn. Majallat al-'Ulūm wa-al-Buḥūth al-Islāmīyah Jāmi'at al-Sūdān lil-'Ulūm wa-al-Tiknūlūjiyā-Ma'had al-'Ulūm wa-al-Buḥūth al-Islāmīyah, 16 (1), 152-166.
- al-Jīlānī, 'Abd al-Salām Arḥūmah. (2011). Taqyīm al-Rukn al-shar'ī fī lil-jarīmah fī ḍaw' Mabda' shar'īyah al-jarā'im wa-al-'uqūbāt, Majallat Jāmi'at Sabhā lil-'Ulūm al-qānūnīyah, Jāmi'at Sabhā, Lībiyā, 10 (1), 119-125.

- Alhrydy, Hājar. (2018). al-qayd al-zamanī fī Mabda' al-shar'īyah al-jinā'īyah, Majallat al-muḥīt lil-Dirāsāt wa-al-Abḥāth al-qānūniyah – Silsilat al-Dirāsāt al-jinā'īyah, (1), 141-147.
- al-Ḥammādī, 'Abd Allāh 'Abd al-Karīm. (2022). muḥāwalah fī ta'sīl Mabda' al-shar'īyah al-ijrā'īyah al-jinā'īyah. Majallat al-Abḥāth wa-al-Dirāsāt al-qānūniyah, al-Markaz al-Maghribī lil-Dirāsāt wa-al-Istishārāt al-qānūniyah wa-ḥall al-munāza'āt, 'A 20, 87-91.
- Khudayr Hasan 'Abd al-Hādī, wghāfl, Sa'd frwry. (2011). māhiyat Mabda' al-shar'īyah al-jazā'īyah. Majallat Markaz Dirāsāt al-Kūfah, Jāmi'at al-Kūfah, (2), 169-185.
- al-Raḥḥālī, Nisrīn. (2016). al-ḍamānāt almkhwli li-taṭbīq Mabda' al-shar'īyah al-jinā'īyah. Majallat al-Mutawassit lil-Dirāsāt al-qānūniyah wa-al-Qaḍā'īyah, (2), 133-145.
- Rikāb, Amīnah. (2016). Mabda' shar'īyah al-tajrīm wa-al-'iqāb. Majallat munāza'āt al-A'māl, (12), 1-11.
- al-Rukn, Muḥammad 'Abd Allāh, (1994). al-tanzīm al-dustūrī lil-Ḥuqūq wa-al-ḥurriyāt al-'Āmmah, Majallat al-sharī'ah wa-al-qānūn, Jāmi'at al-Imārāt al-'Arabīyah – Kulliyat al-qānūn, (8), 373 – 423.
- al-Rawāshidah, Sāmī Ḥamdān 'Abd al-'Azīz. (2015). Mabda' al-shar'īyah al-jinā'īyah : dirāsah fī al-qānūn al-muqāran wa-ijtihādāt al-Maḥkamah al-Ūrubbīyah li-Ḥuqūq al-insān. al-Majallah al-qānūniyah wa-al-Qaḍā'īyah, Wizārat al-'Adl, Markaz al-Dirāsāt al-qānūniyah wa-al-Qaḍā'īyah, Qaṭar, 9 (2), 151-234.
- Sāws, Khayrah 'Abd al-Raḥmān. (2017). Mabda' al-shar'īyah al-mawḍū'īyah al-jinā'īyah fī al-tashrī' al-Jazā'irī. al-Mu'tamar al-dawlī al-Muḥkam : al-jarīmah wa-al-mujtama', 'Ammān : Markaz al-Baḥth wa-taṭwīr al-mawārid al-bashariyah Rimāh, 427-438.
- al-Shāwī, Tawfiq. (1970). Mabda' shar'īyah al-jarā'im wa-al-'uqūbāt. Mu'assasat al-Ṣiḥāfah wa-al-Nashr, al-Ba'th al-Islāmī, 14 (7), 72-78.
- 'Shybh, Anwār. (2016). Intikāsāt Mabda' al-shar'īyah 'alā a'tāb Qānūn al-irḥāb : qirā'ah naqdīyah fī al-qānūn 03. 03 wa-mashrū' ta'dīlah. al-Majallah al-Maghribīyah lil-qānūn al-jinā'ī wa-al-'Ulūm al-jinā'īyah, Markaz al-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-Insāniyah wa-al-Ijtīmā'īyah, (3), 69-81.
- al-'Atūr, Ranā Ibrāhīm Sulaymān. (2012). Dawr al-qānūn fī Ibāḥat al-tajrīm, Majallat al-sharī'ah wa-al-qānūn, Jāmi'at al-Imārāt al-'Arabīyah al-Muttaḥidah – Kulliyat al-qānūn, 26 (50), 131-192.
- al-'Ulwān, Mu'tazz 'Awdah. (2018). Mawqī' al-'amal al-ijrā'ī al-jinā'ī min Mabda' al-shar'īyah : dirāsah taḥlīliyah waṣfiyah, al-Majallah al-Urdunīyah lil-'Ulūm al-taṭbīqīyah, Silsilat al-'Ulūm al-Insāniyah, Jāmi'at al-'Ulūm al-taṭbīqīyah al-khāsshah, 'Imādat al-Baḥth al-'Ilmī wa-al-Dirāsāt al-'Ulyā, 20 (1), 195-119.
- al-'Ulwān, Mu'tazz 'Awdah. (2018). Mawqī' al-'amal al-ijrā'ī al-jinā'ī min Mabda' al-shar'īyah : dirāsah taḥlīliyah waṣfiyah, al-Majallah al-Urdunīyah lil-'Ulūm al-taṭbīqīyah, Silsilat al-'Ulūm al-Insāniyah, Jāmi'at al-'Ulūm al-taṭbīqīyah al-khāsshah, 'Imādat al-Baḥth al-'Ilmī wa-al-Dirāsāt al-'Ulyā, 20 (1). 95-119.
- al-Labbān, Usāmah Sayyid. (2013). al-shar'īyah al-jinā'īyah al-mawḍū'īyah wa-al-ijrā'īyah bayna al-qānūn al-waḍ'ī wa-al-sharī'ah al-Islāmīyah Dirāsah Mabda' lā Jarīmat wa-lā 'Uqūbat illā bnaṣ wa-mabda' al-aṣl fī al-insān al-barā'ah fī ḍaw' al-fikrayn al-waḍ'ī wa-al-Islāmī, Majallat al-Buḥūth al-qānūniyah wa-al-iqtisādīyah, Jāmi'at al-Minūfiyah, Kulliyat al-Ḥuqūq, Miṣr, 22 (37), 97-101.
- Mjdān, Muḥammad. (2021). al-tajribah al-dustūrīyah al-Jazā'irīyah, wa-binā' al-dīmūqrāṭīyah, al-Majallah al-Jazā'irīyah lil-'Ulūm al-siyāsīyah wa-al-'alāqāt al-Dawlīyah, 12-1 (16), 34-15.
- Hādī, 'Adī Jābir wjfat, Muṣṭafā Fāhim. (2021). aathr al-nizām al-siyāsī 'Alī Mabda' al-shar'īyah al-jazā'īyah : dirāsah muqāranah. Majallat al-Kūfah lil-'Ulūm al-qānūniyah wa-al-siyāsīyah, 14 (50), 311-354.

5.3 المراجع الأجنبية

- European Court of Human Rights, GRAND CHAMBER, CASE OF DEL RÍO PRADA v. SPAIN (Application no. 42750/09), 21 October 2013. file:///C:/Users/laptop%20center/Downloads/001-127697%20(1).pdf
- European Court of Human Rights, GRAND CHAMBER, CASE OF KAFKARIS v. CYPRUS (Application no. 21906/04), 12 February 2008. file:///C:/Users/laptop%20center/Downloads/001-127697%20(2).pdf

The constitutional principle of the legality of crimes in Palestine

Ahmad Ashqar

Department of Legal Sciences, Faculty of Graduate Studies, Arab American University, Palestine

Corresponding Author: ahmad.ashgar@aaup.edu

Received: 19/05/2024.

Revised: 13/08/2024.

Accepted: 01/10/2024.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1. 4

Abstract

Crime legality is considered one of the most important principles related to fair trial guarantees. This principle means that criminalization and punishment sources must be dependent only on the law. Thus, the latter determines what acts are to be considered crimes and their penalties. This principle relies on a constitutional base, taking into consideration the potential danger that the legislation may pose in the fields of criminalization, punishment, and criminal procedures, on the public rights and freedoms that are protected under the constitution. Manifestations of this basis also emerge in that oversight of the constitutionality of laws, in accordance with the purposes of the Constitution, has established a number of criteria, to ensure the legality of criminalization and punishment texts. This study sought, through a descriptive and analytical approach, to establish the constitutional basis for the principle of the legality of crimes, both substantive and procedural, and to extrapolate the constitutional criteria for the legality of texts related to criminalization, punishment, criminal procedures, and the effects of criminal legality principle on criminal legislation.

The problem of the study focused on the lack of conscious understanding by the legislator and law enforcement authorities of the constitutional basis for the principle of legality of crimes. The importance of the study obviously appears in that it provided for researchers and legislators an integrated study of the constitutional basis of the legality of the crime principle and its effects on criminal legislation.

The most prominent of result was that procedural rules must be implemented within the framework of a conscious understanding that procedural laws substantively aim to protect the rights and freedoms of the individual, and the legislator must adhere to the constitutional criteria for the legislative texts.

Keywords: Constitutional legitimacy, constitution, crime, Constitutional mandate, Constitutional Court. Necessity



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

فاعلية برنامج إرشادي جمعي قائم على الدراما العلاجية في خفض أعراض الألكسيثيميا لدى طالبات المرحلة الأساسية العليا

مهيرة يوسف شرحه¹، نبيل جبرين الجندي²
¹ قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الخليل، فلسطين
 الباحث المراسل: Jondin@hebron.edu

Received: 18/04/2024.

Revised: 19/05/2024.

accepted: 11/07/2024.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.5

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن فاعلية البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية على الذين يعانون من الألكسيثيميا، والكشف عن فاعلية الأساليب والتقنيات المستخدمة في البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية على الأشخاص الذين يعانون من الألكسيثيميا في المجموعة التجريبية، وتهدف - أيضاً - إلى معرفة درجة الألكسيثيميا لدى أفراد العينة التجريبية بين الاختبار البعدي والاختبار التنبؤي للألكسيثيميا، واعتمدت الدراسة على المنهج شبه التجريبي، وتكون مجتمع الدراسة من (70) طالبة، قسمت إلى مجموعة تجريبية، تكونت من (20) طالبة، ومجموعة ضابطة تكونت من (20) طالبة أيضاً، واستخدم الباحثان مقياس تورنتو للألكسيثيميا والبرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية في خفض أعراض الألكسيثيميا، وحللت بواسطة البرنامج الإحصائي SPSS واستخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومعامل كرونباخ ألفا واختبار (ت) للمجموعات المنفصلة، وذلك لاختبار الفرضيات، وبينت النتائج عدم وجود فروق بين نتائج الاختبار القبلي والاختبار البعدي على المجموعة التجريبية، وكذلك وجود فروق بين نتائج الاختبار البعدي والاختبار التنبؤي، ما يدل على فاعلية البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية في خفض أعراض الألكسيثيميا. وتوصلت الدراسة إلى بعض التوصيات، منها القيام بدراسات حول الألكسيثيميا وربطها بمتغيرات أخرى وتتنوع البرامج العلاجية التي تُعنى بالألكسيثيميا.

الكلمات المفتاحية: الألكسيثيميا، البرنامج الإرشادي الجمعي، الدراما العلاجية، السيكو دراما، محافظة الخليل.

المقدمة

تُعدّ الانفعالات من أقدم طرق التّواصل التي عرفها الإنسان، وهي من أهم عوامل بناء العلاقات الاجتماعية، فالتواصل مع الآخرين وفهم مشاعرهم يسهم - إلى حد كبير - في إقامة علاقات معهم، وهذا ما يجعل الشخص اجتماعياً ولديه القدرة على تنظيم الانفعالات الذاتية وضبطها، ومن الصّعب على الفرد أن يكون متوافقاً نفسياً واجتماعياً دون إقامة علاقات مع الآخرين، وهو يحاول بحركات الجسم أن يعوض عما لا تستطيع اللغة أن تحققه أو أن توصله للآخرين، فاللغة تفسر الانفعالات أو تعززها، وهناك اختلاف في وصف المشاعر وتحديد الواعي بها من شخص إلى آخر، فالبعض يعبر عنها لفظياً، وهناك أشخاص غير قادرين على وصف ما يمرون به من خبرات انفعالية، وغير قادرين على إيجاد الكلمات الضرورية والمناسبة لوصف مشاعرهم، فيعبرون عنها بالمرض أو الخوف أو القلق أو الضيق، وهذا ما نعبه بالألكسيثيميا (Alexithymia). يرى (Gilbert et al., 2014) أن الألكسيثيميا سمة وجدانية ومعرفية للشخصية، تتضح في وجود قصور في التعامل مع المشاعر والانفعالات، ويظهر ذلك في صورة صعوبة التعرف إلى المشاعر الذاتية، والتمييز بينها وصعوبة التعبير عن المشاعر والأحاسيس للآخرين، وتقييد عمليات التخيل وندرّة الأحلام، وسيطرة نمط تفكير ذي توجيه خارجي أكثر من التركيز على الخبرات الداخلية.

وأضاف كل من (Aldao et al., 2020؛ دهمش، 2017؛ العيدان، 2019) أن الألكسيثيميا عامل خطورة للاضطرابات الانفعالية لاحقاً، فالصّعوبة في معالجة العمليات الانفعالية وضبطها، تترافق مع طائفة واسعة من المشكلات

النفسية والعقلية، كالاكتئاب والهلع واضطرابات الأكل، وهي سمة معرفية ووجدانية للشخصية غير الواعية بانفعالاتها ومشاعرها، وغير قادرة على التعبير عنها لفظياً ووصفها لديه وللآخرين، وقد تظهر في جميع المراحل العمرية، ولكنها تكون واردة لدى المراهقين بشكل أكبر، وقد تظهر بصفتها نشاطاً أو سمة في نواحي شخصيتهم. ويرى (خميس، 2014؛ خضير، 2020) أن السبب في التغيرات العميقة التي تحصل على المستوى الجسدي والنفسى للفرد بسبب هشاشة الفرد وعدم قدرته على اتخاذ قرارات حاسمة، ونتيجة تأثره بالظروف الصحية التي يعاني منها كالفشل الدراسي أو العاطفي وعدم القدرة على تحقيق الهوية.

ويؤكد سليم (2019) أن هناك عدداً من البرامج والفعاليات المساعدة التي تخفف من حدة الاضطرابات ومشاعر القلق ومن ضمنها الألكسيثيميا، ومن هذه البرامج العلاج بالسيكو دراما، فهي من أهم العلاجات في هذا المجال، وتعدّ من أنشط الفعاليات في الوصول إلى أعماق النفس، فالسيكو دراما كلمة مركبة تعني الدراما النفسية، وهي تطلق على شكل من أشكال المعالجة النفسية من خلال التقنيات المسرحية، وعلى استخدام المسرح بصفته وسيلة تربوية وعلاجية، ويعد الطبيب النفسي الروماني مورينو (Moreno) أول من استخدم هذه التسمية، حيث يتم استخدام التكنيكات الدرامية والتي يقوم فيها المنتفع بتمثيل أدوار قد تتعلق بالماضي أو الحاضر أو مواقف حياتية مستقبلية متوقعة، في محاولة للحصول على فهم أكثر عمقاً، فيتم استخدام التكنيكات الدرامية والتي يقوم فيها العميل بتمثيل أدوار قد تتعلق بالماضي أو بالحاضر أو مواقف حياتية مستقبلية متوقعة في محاولة للحصول على فهم أكثر عمقاً.

والهدف من الدراما تعزيز المهارات الاجتماعية، وتعزيز الثقة وزيادة الوعي بالذات، وتطوير مستويات متنوعة من المهارات، كالجسدية والعاطفية والخيال، وتهدف - أيضاً - إلى مساعدة الأطفال على زيادة القدرة التعبيرية؛ لأنها تعدّ وسيلة لتطوير وعي الطفل وتنمية مهاراته وبناء علاقات مع الآخرين، ويتم ذلك من خلال تكنيكات الدراما، وجميعها تجعل الطفل يشارك في أداء المواقف التمثيلية أمام الأطفال الآخرين، وخاصة للذين يعانون من اضطراب الألكسيثيميا (الطبياني، 2019)، وقد بدأ الاهتمام بالألكسيثيميا بشكل كبير وواضح، في التسعينيات من القرن الماضي، فقد ظهر في المفاهيم الحديثة لعلم النفس بوصفه مصطلح الألكسيثيميا (البلادة الوجدانية) وظهر على يد العالم سيفينيوس (Sifneos) عام 1972، فعرّفها بحالة ضعف في الشخصية للتعبير عن العواطف والمشاعر والتعلق الاجتماعي والعلاقات الشخصية، كما أن الأشخاص الذين يعانون من الألكسيثيميا يجدون - أيضاً - صعوبة في التمييز بين مشاعر الآخرين وتقديرها (Taylor, 1997) (غنيم، 2017).

وقد بين الجندي (2020: 97) أن معدلات انتشار الألكسيثيميا لدى الأفراد مرتفعة، وظهر ذلك في دراسة (Joukamaa et al, 2007) أن (10%) من الإناث و(70%) من الذكور، مصابون بالألكسيثيميا، وأظهرت - أيضاً - دراسة (Joukamaa, 2009) نسبة انتشار الألكسيثيميا (9,9%) في الرجال و(9,11%)، وفي النساء (8,1%). وكما يرى متولي (2019) أن هناك أسباباً لظهور الألكسيثيميا، منها الأولية، ومنشأها عصبي، ويكون الخلل في الجهاز اللمبي والقشرة الدماغية، فاللحاء القشري لا يستطيع أن يعطي الصورة الخيالية والتفكير الذي تستعمله اللغة من أجل التعبير، فيعطي استجابات غير مألوفة لتلك الموارد في جزء من الألكسيثيميا، ومنها الثانوية، ومنشأها نفسي، نشأت عن خبرات الصدمة الطفولية المدمرة قبل اكتساب اللغة، فتجعل الطفل لا يستطيع التعبير عن انفعالاته عن طريق اللغة.

أما حول أعراض الألكسيثيميا، فتكمن في العجز عن التعبير وصعوبة وصف مشاعرهم أو مشاعر أي إنسان آخر وافتقارهم الشديد لأية مفردات عاطفية، لأنهم لا يملكون إلا قدرأ محدوداً للغاية، ولديهم مشكلة التمييز بين الانفعالات مثل: العاطفة والحس الجسدي، وكذلك الافتقار إلى الحياة التخيلية، وصعوبة إيجاد اهتمامات داخلية تسعد الفرد، والتفكير الموجه للخارج الذي يتميز بالانشغال بتفاصيل الأمور والأحداث الموجودة بالبيئة والأسلوب المعرفي السطحي والنفسي وصعوبات في التنظيم الوجداني والمعرفي للمعلومات الانفعالية، وهذا يعني أنهم ليسوا بلا مشاعر، بل غير قادرين على معرفة ماهية مشاعرهم على وجه التحديد، وأنهم عاجزون عن التعبير عنها بالكلمات على وجه الدقة (جولمان، 2000، ترجمة الجبالي: 641).

وكما أشار محمد (2019) وحلمي (2018) والبصير (2020)، إلى أن هناك عدة نظريات فسرت الألكسيثيميا، منها نظرية التحليل النفسي ونظرية النيوبولوجي والنظرية الاجتماعية والتكاملية والنظرية السلوكية ونظرية النمو المعرفي الانفعالي، وأوضح دهمش (2017) أن هناك عدة طرق لعلاج الألكسيثيميا، منها العلاجات الفردية وعلاج بالتنويم المغناطيسي والعلاجات الجماعية، فهو يسمح للأشخاص بتقاسم الأفكار والمشاعر مع الغير، وينمي المهارات الاجتماعية، ويساعد على اتخاذ القرارات ومواجهة المشكلات، فالمجموعة بمنزلة السند لهم والدعم للتعبير عن المشاعر، والعلاج الجماعي مكمل للعلاج الفردي، ومن الأمثلة على العلاجات الجماعية، البرامج التي تعتمد على السيكو دراما (الدراما العلاجية)، فهي تخدم هذا الجانب، وقد اشتق مورينو نظريات (فن الدراما) من نظرية أرسطو ونظريات علم النفس السابقة والمعاصرة، خاصة نظرية التحليل النفسي، فيرجع الفضل في توجيه استخدام الدراما في العلاج النفسي لصاحب مصطلح دراما الطفل بيتر سالاد (Peter Salad) عام 1960 (الطبياني، 2019)، (السلامي وعبد العباس، 2019)، وتعد الدراما العلاجية (Drama Therapy) السيكو دراما (Psychodrama) وسيلة مهمة لتعزيز المهارات الاجتماعية للأطفال من خلال لعب الأدوار المسرحية، والتمثيل الصامت، والموسيقى ورواية القصص وممارسة العادات والتقاليد والألعاب والمسابقات المسرحية والتمثيل والدمى. وأكدت شيريل (Sherrell, 2022) أن الدراما العلاجية التي تحدث عنها (Moreno) مفيدة للأشخاص من جميع الأعمار، ومن ضمنهم الأطفال والمراهقون والبالغون، وتكمن أهمية الدراما العلاجية عند كونوبايك (Konopik, 2013) وسليم (2019)، في تنمية مهارات الطفل وإكساب الطفل الثقة بالنفس وتنمية التفاعل الاجتماعي وتنمية مهارات

العناية الذاتية من خلال المواقف الدرامية، وتنمية مهارات اللعب الجماعي لدى الأطفال. وبين كل من الطيّباني (2019) ومرجان (2018) ولي (Li et al., 2015) أنه، عند التخطيط للعلاج الدرامي، تكون وفقاً لخطوات محددة، تكمن في الاستعداد والحضور والإحماء وتنفيذ المشاهد، وهو النشاط (مرحلة العمل) وذكر مختصر للإطار العام للمشهد ومرحلة المشاركة والنشاط الختامي.

وأوضح عبد القادر (2020) ويعقوب (2019) وحسين (2021) ومرجان (2018)، أن هناك مكونات العمل المساعد وعناصره والممثلين والجمهور، والمعالج السيكودرامي (المُرشد) هو الشخص المدرب الذي يرشد المشاركين خلال كل مرحلة من مراحل الدورة، فيركز على الأفكار والعواطف وحركات الجسد.

وبين الطيّباني (2019) وحسين (2021) ومرجان (2018)، فنيات الدراما العلاجية التي تكمن في الأشياء الآتية: تقنية تقديم الذات ولعب الدور ومناجاة النفس، من خلال حديث الطفل مع نفسه بصوت مرتفع والتعبير عن مشاكله أمام الآخرين، وأمام المرأة التي تعكس الإيماءات والإشارات والحركات الصادرة عن الطفل دون مشاركة، فيراقب ذاته في المرأة، ويراقب دوره من خلال أداء الآخرين، فيستطيع تقويم سلوكه السلبي، ويجري المخرج التعديلات اللازمة، وكذلك المتجر السحري عندما يكون لدى الطفل الوعي بحالته وسلوكه، وتعتمد على تخيل المخرج أنماطاً متعددة من السلوك، يتم الحصول عليها من خلال المقايضة، فيستبدل الطفل المشاعر السلبية بالمشاعر الإيجابية، وتعتمد على الإقناع، وعكس الدور، ويتم من خلال تبادل الأدوار في موقف سيكو درامي يناسب الشخصيات التي تعاني من إدراك مضطرب في معاملة الآخرين، فيقوم بدور الأب أو المعلم في محاولة الاستبصار وتعديل السلوك لفهم الآخرين، وتقنية الكرسي الخالي، حيث يستدعي الطفل شخصية غائبة ويتخيلها جالسة على الكرسي الخالي، ويستخدم أسلوب التّداعي الحر المفضي إلى التنفيس الانفعالي.

وهدفت دراسة محمود (2023) إلى دراسة فعالية برنامج قائم على العلاج بالقبول والالتزام في خفض الألكسيثيميا لدى عينة من المراهقين الكفيفين، وتكونت العينة من (10) طلاب تراوحت أعمارهم من (13-18) سنة، قسموا إلى مجموعة ضابطة وأخرى تجريبية، وتم استخدام مقياس تورنتو للألكسيثيميا وبرنامج العلاج بالقبول والالتزام القائم على اليقظة الذهنية، ومكون من (28) جلسة، وكشفت النتائج عن وجود فروق بين رتب الطلاب في القياسين؛ القبلي والبعدي لمصلحة البعدي، على مقياس الألكسيثيميا، وبينت دراسة مارداني وزملائه (Mardani et al., 2023) فاعلية العلاج الواقعي بالقبول والالتزام (RACT) على الإرهاق الزوجي والألكسيثيميا لدى الأزواج، وتم استخدام المنهج شبه التجريبي على عينة قوامها 30 زوجاً، مع تصميم الاختبارين؛ القبلي والبعدي مع فترة متابعة لمدة شهرين، وتم تطبيق العلاج (RACT) على المجموعة التجريبية، وشملت أدوات الدراسة استبانة باينز للاكتئاب الزوجي (1996)، وتورنتو للألكسيثيميا (TAS-20)، وأسفرت النتائج عن فاعلية العلاج الواقعي على كل من الإرهاق الزوجي والألكسيثيميا للمجموعة التجريبية التي خضعت للعلاج. وغُيّنت دراسة الجندي والبدوي (2022) بالتعرف إلى طبيعة العلاقة بين الألكسيثيميا والتوهم المرضي لدى طلبة جامعة الخليل، ودراسة الفروق في درجات الألكسيثيميا والتوهم المرضي تبعاً للجنس ونوع الكلية ومكان السكن، وطُبقت الدراسة على عينة عشوائية طبقية مكونة من (368) طالباً وطالبة، واستخدم الباحثان مقياس تورنتو للألكسيثيميا ومقياس التوهم المرضي، وخلصت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية طردية بين الألكسيثيميا والتوهم المرضي، وأن الذكور لديهم درجات أعلى من الإناث، وأن الألكسيثيميا لدى طلبة الكليات العلمية أعلى منها من الكليات الأدبية. وأعد ديمير (Demir, 2022) دراسة لتحديد تأثير الممارسات الجماعية في أعراض الألكسيثيميا للأفراد الذين يستخدمون العلاج المعرفي القائم على اليقظة الذهنية (MBCT) والعلاج عن طريق الفن (AT)، وتم استخدام التصميم التجريبي، وتم تعيين الأفراد الذين حصلوا على درجات عالية على مقياس تورنتو للألكسيثيميا في التجريبية الأولى (14) والتجريبية الثانية (14) والمجموعة الضابطة (14)، وأظهرت النتائج أن البرنامجين أحدثا فعالية في تقليل مستويات الألكسيثيميا، وبالنسبة للبرنامجين العلاجين فلا يوجد أي اختلاف بينهما في مستويات الألكسيثيميا، فالبرنامجان فعالان في خفض أعراض الألكسيثيميا، وبقيت النتائج مستقرة بعد شهر من المتابعة، وأجرى كل من أكباري ورفاقه (Akbari et al., 2021) دراسة هدفت لفحص فعالية العلاج بالموسيقى في تقليل أعراض الألكسيثيميا وتعزيز علاقات الأقران، وتكونت عينة الدراسة من ثلاثين طفلاً من أصل (57) طفلاً، تم تحديدهم بشكل عشوائي، وتم تعيينهم في الضابطة (ن=15) والتجريبية (ن=15) بشكل عشوائي في أصفهان بإيران، وطُبقت استبانة ريفي للألكسيثيميا للأطفال والقياس الاجتماعي لتقويم علاقات الأقران، وكان العلاج بالموسيقى تسع جلسات، تم إجراؤها للمجموعة التجريبية، وكشفت النتائج عن أن العلاج بالموسيقى كان له تأثير إيجابي كبير في الحد من الألكسيثيميا في مجموعة التجريبية، وبقيت النتائج مستقرة بعد شهرين من المتابعة.

وهدفت دراسة السبوف (2020)، إلى دراسة فعالية استخدام العلاج بالرسم في خفض الألكسيثيميا لدى اللاجئات السوريات، وتكونت عينة الدراسة من (30) طالبة من اللاجئات السوريات في المدارس الأردنية في محافظة إربد في الأردن، من الصف السابع إلى الصف الحادي عشر، ووزعت العينة عشوائية إلى مجموعتين متساويتين، المجموعة التجريبية شاركت في برنامج العلاج بالرسم، الذي أعدته الباحثة ومجموعة ضابطة لم تخضع لأي معالجة، وتم استخدام مقياس تورنتو (ATS-26)، وأشارت نتائج الدراسة إلى فاعلية البرنامج الإرشادي في خفض مستوى الألكسيثيميا لدى أفراد عينة الدراسة. وأما فيما يتعلق بالدراسات التي غُيّنت بالسيكودراما (الدراما العلاجية) : أجرى الضّامن (2023) دراسة هدفت إلى الكشف عن فاعلية برنامج إرشادي مستند إلى أسلوب السيكو دراما في الألكسيثيميا وتقدير الذات لدى طلبة صعوبات التعلم من ضحايا الاستقواء، وتكونت عينة الدراسة من (24) طالباً من ذوي صعوبات التعلم، واستخدم الباحث المنهج شبه التجريبي، وتكونت عينة الدراسة من مجموعة تجريبية تضم (12) طالباً، وضابطة تضم (12) طالباً، واستخدم الباحث مقياس ضحايا الاستقواء

ومقياس الألكسيثيميا ومقياس تقدير الذات وبرنامج إرشادي السيكودراما، وكشفت نتائج الدراسة عن فاعلية البرنامج السيكيودرامي في خفض أعراض الألكسيثيميا وتحسين مستوى تقدير الذات لدى طلبة صعوبات التعلم من ضحايا الاستقواء، وأظهرت - أيضاً - وجود فروق إحصائية لمصلحة المجموعة التجريبية في الألكسيثيميا وفي تقدير الذات، وهدفت دراسة سبزيهيلي (Sabzehali et al., 2023) إلى تقويم مدى فعالية العلاج الجماعي للدراما النفسية في الحد من أعراض اضطراب قلق الانفصال لدى الأطفال من (5-9) سنوات، وتم استخدام المنهج شبه التجريبي، وتكونت عينة الدراسة من مجموعة تجريبية شملت (15) طفلاً، وضابطة شملت (15) طفلاً واختبار قبلي وآخر بعدي، واستخدم مقياس القلق للأطفال، واستبانة الوالدين لأعراض المرض (CSI)، وبرنامج الدراما العلاجية، وأظهرت النتائج أن أعراض قلق الانفصال لدى المجموعة التجريبية انخفضت مقارنة بالمجموعة الضابطة انخفاضاً معنوياً، وأظهرت إيجابيات العلاج الجماعي بالدراما النفسية في تقليل أعراض قلق الانفصال لدى الأطفال.

وأشارت دراسة كارمي وآخرين (Karimi et al., 2023) إلى التحقيق في آثار الدراما النفسية (PD) في صورة الجسم بين الطلاب في جامعة طهران آزاد، وتم استخدام المنهج شبه التجريبي، وتم توزيع (30) طالباً بشكل عشوائي على المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، وتم استخدام مقياس صورة الجسم ليتلون وبرنامج الدراما النفسية، وأسفرت النتائج عن وجود فروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة فيما يتعلق بمتغير صورة الجسم الاجتماعية للمشاركين، وحقت المجموعة التجريبية تحسناً كبيراً في صورة الجسم الإيجابية بعد تدخلات الدراما النفسية، وأجرى بيرماني وآخرون (Permana et al., 2022) دراسة هدفت إلى تحديد مدى فعالية منهج الإرشاد الجماعي في العلاج السلوكي الانفعالي العقلاني باستخدام تقنيات الدراما النفسية لتحسين الكفاءة الذاتية الأكاديمية لدى طلاب الصف الحادي عشر، وتم استخدام المنهج التجريبي، وتم اختيار مجموعة تجريبية وضابطة مكونة من (10) طلاب لكل مجموعة، وكشفت النتائج عن أنه توجد فروق في القيم بين المجموعتين؛ التجريبية والضابطة، وتعني أن فعالية منهج الإرشاد الجماعي في العلاج السلوكي الانفعالي العقلاني مع تقنيات الدراما النفسية، فعالة في زيادة الكفاءة الذاتية الأكاديمية لدى طلاب الصف الحادي عشر في المدرسة في مدينة مدانيا باننول، واستقصت دراسة حسين (2021) فاعلية برنامج إرشادي جمعي قائم على السيكيودراما في تحسين المهارات الاجتماعية وخفض الضغوط النفسية لدى ضحايا التمر الإلكتروني، وقد أجريت الدراسة على عينة مكونة من (20) طالباً وطالبة من ضحايا التمر الإلكتروني، من الذين سجلوا أعلى الدرجات على مقياسي الضغوط النفسية والمهارات الاجتماعية، وتم توزيع المشاركين بشكل عشوائي إلى مجموعتين: (مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة)، خضعوا لبرنامج إرشادي مكون من (14) جلسة، وأظهرت النتائج فاعلية البرنامج الإرشادي الجماعي القائم على السيكيودراما في تحسين المهارات الاجتماعية وخفض الضغوط النفسية لدى ضحايا التمر الإلكتروني لمصلحة المجموعة التجريبية.

وسعت دراسة عبد العزيز وسليمان (2021) إلى التحقق من فاعلية برنامج إرشادي قائم على السيكيودراما في تحسين التفكير الإيجابي والكفاءة الاجتماعية الانفعالية لدى أطفال الروضة المعرضين لخطر صعوبات التعلم بمحاكاة قنأ، وتم استخدام المنهج شبه التجريبي، وتكونت عينة الدراسة من (22) طفلاً وطفلة، قسموا إلى مجموعتين؛ تجريبية وضابطة، وتم استخدام اختبار أوتيس لينون لقياس القدرة العقلية العامة، وبطارية المهارات قبل الأكاديمية للكشف عن الأطفال المعرضين لخطر صعوبات التعلم، ومقياس التفكير الإيجابي السيكيودراما، وكشفت النتائج عن وجود أثر إيجابي ودال على البرنامج الإرشادي في كل من مهارات التفكير الإيجابي والكفاءة الاجتماعية والانفعالية.

مشكلة الدراسة: من الخبرة الميدانية في الإرشاد التربوي لوحظ أن هناك طلبة يعانون من مشكلة في التعبير عن انفعالاتهم، وأن هناك عجزاً في التعامل معهم وعجزاً في طرق التدخل؛ لجعلهم أكثر فاعلية واندماجاً مع زملائهم ومعلميهم، وهذا العجز يجيء من خلال عدم قدرتهم على فهم مشاعر الآخرين، ما يؤدي إلى عدم تعاطفهم معهم، وزيادة الضغوط النفسية لديهم، وتحجيم علاقاتهم الاجتماعية، ما يجعل تفكيرهم يتوجه للخارج من خلال الانشغال بتفاصيل الأحداث الموجودة في البيئة بدلا من التطلع إلى الذات وما يعتريها من مشاعر، وهذا ما يعرف بالألكسيثيميا، لذا وجب الاهتمام بهذه الظاهرة والعمل على خفض مستوياتها لدى الطلبة؛ لما لها من تأثير سلبي في حياتهم، والأمر الآخر هو الفئة العمرية المستخدمة في البحث، وهي مرحلة المراهقة، ولوحظ من خلال الاطلاع على الأدب التربوي، كما أشار لذلك جيلبرت (Gilbert et al., 2014)، أنهم أكثر عرضة للألكسيثيميا لما لهذه المرحلة من أهمية، ولها محدداتها وسماتها الخاصة؛ من خجل وعزلة وانطواء وحساسية وعدم الثقة بالنفس؛ لهذا تحتاج إلى تعامل خاص، ولأن الألكسيثيميا تحد من قدرات الطلبة على التعبير عن انفعالاتهم وتحديدوها وفهم انفعالات الآخرين، ما يؤدي إلى عدم تكيفهم مع البيئة المدرسية، وهذا يؤدي إلى حصول مشاكل، منها تدني مستوى التحصيل، والفشل العاطفي، وعدم القدرة على إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين، وصعوبة التعامل مع الهيئة التدريسية، لذلك فهناك ضرورة التدخل لخفض الألكسيثيميا لدى المراهقين، وثمة عدة تدخلات يمكن أن تستخدم لخفض الألكسيثيميا، ومنها العلاج السلوكي الجدلي، والعلاج المعرفي السلوكي، والعلاج بالقبول والالتزام، والسيكيودراما. وتم إعداد هذا الدراسة وإعداد برنامج إرشادي جمعي قائم على الدراما العلاجية يناسب فئة الإناث؛ لأن هذه الفئة تحتاج تعاملًا خاصاً؛ لأنهن - دائماً - من عزلات ومنطويات، نظراً لكونهن من بيئة ريفية بسيطة، في إحدى مناطق البيئة الفلسطينية، وهي إحدى القرى الريفية البسيطة التي تكون فيها الإناث أكثر خجلاً وحياءً وانطواءً؛ بسبب نوعية التربية المقدمة للإناث، من عيب وممنوع، فهذا يجعل الإناث قليلات الاختلاط والتفاعل مع الآخرين، وبالأخص الفئة العمرية المقاربة لحوالي (15) سنة، لما لهذا العمر من خصائص واضحة من المراهقة، فهذا السن تظهر فيه مظاهر المراهقة بشكل كبير وواضح، فالطلبة بحاجة في هذه الفترة العمرية لأنشطة وفعاليات ترفيهية، تعدل نفسياتهم، وتخرجهم من الضغوط النفسية والروتين الدراسي، وهناك دراسات

أكدت على فاعلية البرنامج الإرشادي الجمعي، القائم على الدراما العلاجية، في إحداث تحسن في خفض أعراض الألكسيثيميا، ÷ منها دراسة الضامن (2023)، ودراسة سبزيهيلي (Sabzehali et al., 2023)، ودراسة كرمي وآخرين (Karimi et al., 2023)، ودراسة بيرماني وآخرين (Permana et al., 2022)، ودراسة حسين (2021)، ودراسة عبد العزيز وسليمان (2021)، ونظرا لقلة البرامج الدرامية المتبعة في مجال التعليم والإرشاد التربوي في فلسطين، فيمكن أن يكون هذا البرنامج مرجعا يستخدمه المعلمون والمرشدون التربويون في مجال عملهم، ويرجع ذلك لأهمية هذه البرامج في جذب الطلبة وجعلهم أكثر فاعلية واستمتعا وانجذابا لمجال التعليم.

أسئلة الدراسة: تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. هل تختلف متوسطات الألكسيثيميا بين المجموعتين الضابطة والتجريبية عن الاختبار البعدي (بعد تطبيق البرنامج الإرشادي)؟
 2. هل تختلف متوسطات الألكسيثيميا لدى أفراد المجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج وبعد تطبيق البرنامج؟
 3. هل تختلف متوسطات الألكسيثيميا لدى أفراد المجموعة التجريبية عن الاختبار البعدي والتتبعي؟
- أهداف الدراسة:** تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن فاعلية البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية، على الذين يعانون من الألكسيثيميا لدى أفراد العينة التجريبية، والكشف عن فاعلية الأساليب والفنيات المستخدمة في البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية، على الأشخاص الذين يعانون من الألكسيثيميا في المجموعة التجريبية، وتهدف - أيضاً - إلى معرفة درجة الألكسيثيميا لدى أفراد العينة التجريبية بين الاختبار البعدي والاختبار التتبعي للألكسيثيميا.

أهمية الدراسة

- الأهمية النظرية: تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى فاعلية البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية في التعامل مع الطلبة الذين لديهم اضطراب الألكسيثيميا، ومدى مناسبة مثل هذه البرامج في إحداث تغيير إيجابي وتحسن لدى هؤلاء الطلبة الذين لديهم اضطراب الألكسيثيميا، وتحلل الدراسة أهميتها للفئة التي تدرسها، وهي فئة المراهقة لما لها من أهمية وخصوصية، فهم بحاجة إلى تعامل خاص، كما شكّلت الدراسة الحالية معلومات عملية وعلمية للطلبة الذين يعانون من الألكسيثيميا وأشكال الخطر الذي يحدق بهم.
- الأهمية التطبيقية: قد تساعد هذه الدراسة المرشدين التربويين ومقدمي خدمات الإرشاد والمختصين في مجال الإرشاد والدراما والمسرح في توفير برنامج إرشادي، يكون بمنزلة دليل يساعد في تبني استراتيجيات، تساعد - بدورها - هذه الفئة على التكيف والتعامل مع القصور في التعبير عن انفعالاتهم ومشاعرهم وأفكارهم باتجاه أنفسهم والآخرين، كما يمكن للباحثين استخدام البرنامج القائم على السيكو دراما العلاجية المستخدم في الدراسة في دراساتهم ذات العلاقة بالسيكو دراما.

مصطلحات الدراسة

- الألكسيثيميا لغةً: حسب تعريف سيفنيوس (Sifneos) والتي تعني حرفياً "لا توجد كلمات تصف المشاعر" وهي مأخوذة من اليونانية، حيث (A) تعني لا يوجد، و (lexis) تعني كلمات، و (thymia) تعني مشاعر (Pellerone et al., 2017: p 3).
- وحسب تعريف (Toylor, 1997: p 29) للألكسيثيميا، فإنها: "سمة أو حالة تشير إلى صعوبة التمييز بين المشاعر والأحاسيس الجسدية الناشئة من الإثارة العاطفية وصعوبة التعرف إلى المشاعر وتحديدّها، وكذلك التعبير عنها وصعوبة وصف المشاعر للآخرين والتفكير الموجه نحو الخارج ونذرة التخيلات".
- وتُعرف الألكسيثيميا إجرائياً: بالدرجة التي يحصل عليها المفحوص عند الإجابة عن فقرات مقياس الألكسيثيميا المعد للدراسة الحالية.
- السيكو دراما لغةً، كما جاء في السّلامي وعبد العباس (2019، 205-207): "السكو، أي النفس (Pscho) والنفس جمعها نفوس وأنفس، ونفسي منسوب إلى النفس عقلي ومرض نفسي، "نفس أو نفسي: حياة نفسيه، مجموعة ظواهر نفسية تشكل إما حياة الفرد الذهنية الواعية وغير الواعية، وإما أنها لا تشكل منها سوى جزء مبرمج".
- الدراما: "ومعناها (Drama) الفعل أو الحركة أو النشاط أي حركة النفس، الكلمة يونانية الأصل (dran) ومعناها الحرفي يفعل، وعمل يقام به، ثم انتقلت الكلمة من اللغة اللاتينية المتأخرة (drama) إلى معظم لغات أوروبا الحديثة" وهي - أيضاً - نشاط معرفي واع حركي جماعي تمثيلي".
- البرنامج الإرشادي القائم على الدراما العلاجية: مجموعة من الجلسات الإرشادية الجماعية المنظمة والمجدولة زمنياً بـ (10) جلسات، مدتها ساعة لكل جلسة، والمستندة إلى فنيات الدراما العلاجية التي تهدف إلى تنمية المهارات الانفعالية والمشاعر لدى طلبة الألكسيثيميا، ليكون لديهم القدرة على التعبير عن مشاعرهم.

حدود الدراسة

- الحدود البشرية: تضمنت عينة من أفراد يعانون من اضطراب الألكسيثيميا.
- الحدود الزمنية: تم تطبيق الدراسة في الفصل الأول من العام الدراسي 2023\2024.
- الحدود المكانية: اقتصر على مدارس جنوب الخليل \ لمديرية التربية والتعليم.
- المعايير الأخلاقية: تم في هذا البحث اتباع المعايير الأخلاقية المعمول بها في (COPE)، وهي الأمانة العلمية والدقة والمصادقية والموضوعية.

2. الطريقة والإجراءات

يتناول هذا الجزء وصفاً لطريقة الدراسة وإجراءاتها من حيث مجتمعها وعينتها والأدوات التي طُورت، وطرق التحقق من صدقها وثباتها، والإجراءات المتبعة في تطبيقها وتصحيحها والمعالجة الإحصائية التي استخدمت لتحليل البيانات.

2.1 منهجية الدراسة

تم استخدام المنهج التجريبي، وهو الأكثر قدرة على التعمق في المشكلة، وذلك لغايات ضبط المتغيرات الدخيلة التي تؤثر في الألكسيثيميا لدى المراهقات، وأيضاً نظراً لملاءمته لأغراض الدراسة الحالية وتصميمها، وقد استخدم تصميم المجموعتين مع اختبارين؛ قبلي وبعدي، على المجموعتين، مع تطبيق البرنامج على المجموعة التجريبية.

2.2 مجتمع الدراسة

تكوّن مجتمع الدراسة من جميع طالبات الصف التاسع الأساسي في مديرية التربية والتعليم للمدارس التابعة لجنوب الخليل، وكان عددهن (187) طالبة، لعام 2023/2024.

2.3 عينة الدراسة

تكوّنت عينة الدراسة من (40) طالبة من أصل (70) طالبة من الراغبات في المشاركة في التطبيق، تم اختيارهن - بشكل عشوائي - من قوائم الأسماء، وأخذ أول (40) طالبة من ضمن القائمة الموجودة للصف التاسع من الراغبات بالمشاركة، بمساعدة المعلمات، وقسمت - بشكل عشوائي أيضاً - إلى مجموعتين؛ مجموعة تجريبية، وتضم (20) طالبة، ومجموعة ضابطة، وتضم (20) طالبة أيضاً، من طالبات مدرسة بنات دورا الأساسية.

2.4 أدوات الدراسة

أولاً: مقياس توريننتو للألكسيثيميا:

استخدم مقياس توريننتو (TA-20) لقياس الألكسيثيميا الذي أعده تايلور وزملاؤه، بعد تعريبه؛ ليناسب البيئة الفلسطينية من دراسة الجندي والبدوي (2023)، ويتكون المقياس حسب الدراسة من (20) فقرة متدرجة حسب مقياس ليكرت الخماسي: (موافق بشدة، موافق، محايد، معارض، معارض بشدة).

صدق المحتوى لمقياس توريننتو للألكسيثيميا: بالرغم من أن دراسة الجندي والبدوي (2023) استخدمت المقياس نفسه في البيئة الفلسطينية، فإنه قد تم التحقق من صدق المقياس من خلال عرض المقياس على خمسة محكمين من ذوي الاختصاص في علم النفس والتوجيه والإرشاد، وبقي المقياس بصورته دون إجراء أي تعديل عليه. كما تم التحقق من صدق مقياس توريننتو للألكسيثيميا عن طريق الاتساق الداخلي: فتم التحقق من صدق الاتساق الداخلي وذلك عن طريق حساب معامل ارتباط بيرسون بين كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية. والجدول (1) يبين ذلك.

جدول 1: قيم معاملات ارتباط بيرسون بين كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية للمقياس

رقم الفقرة	الفقرة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1	المشاعر الخاصة بي مشوشة إلى حد ما.	0.496**	0.001
2	يصعب علي التعبير عن المشاعر والأحاسيس الخاصة بي.	0.548**	0.001
3	أشعر بإرهاق جسدي يصعب علي الأطباء تفسيره.	0.520**	0.001
4	لدي القدرة على وصف أحاسيسي بكل سهولة.	0.33*	0.03
5	النجاح في حل مشاكلي يبعث في نفسي الراحة.	0.39*	0.01
6	حينما أكون متضايقاً لا أعرف هل أنا حزين أو مرعوب أو غاضب؟	0.76**	0.001
7	غالباً أكون متحيراً من أحاسيس معينة أشعر بها في جسدي.	0.69**	0.001
8	أفضل فقط أن أترك الأشياء حولي تحدث بدلاً من فهم لماذا تبدو بالطريقة التي تحدث بها؟	0.34*	0.02
9	لدي أحاسيس لا أستطيع تحديدها بشكل تام.	0.70**	0.001
10	إنه من الأساسي بالنسبة لي أن أهتم بمشاعري.	0.54**	0.003
11	أجد صعوبة في وصف أحاسيسي تجاه الآخرين والأشياء من حولي.	0.53**	0.001
12	يطلب مني الناس كثيراً أن أصف أحاسيسي.	0.47**	0.002
13	لا أعرف ماذا يجري بداخلي من أحاسيس ومشاعر.	0.72**	0.001
14	غالباً لا أعرف لماذا أنا غضبان ومنفعل.	0.67**	0.001
15	أفضل أن أتحدث مع الناس بخصوص نشاطاتهم اليومية بدلاً من أن أتحدث معهم عن أحاسيسهم.	0.74**	0.002

0.001	** 0.59	أفضل مشاهدة التسلية الخفيفة بدلاً من الدراما النفسية العميقة.	16
0.004	**0.44	من الصعب علي أن أكشف أحاسيسي وانفعالاتي الداخلية حتى لأقرب الناس إلي.	17
0.01	* 0.38	أستطيع أن أحس بالارتباط العاطفي والوجداني بشخص ما حتى لو جلست معه للحظات محدودة.	18
0.01	* 0.39	أجد أن مراجعة أحاسيسي مفيدة في حل المشكلات الشخصية.	19
0.003	**0.46	إن بحثي عن المعاني العميقة "الخفية" في الأفلام والمسرحيات يقلل من استمتاعي بمشاهدتها.	20

تشير المعطيات في الجدول (1) إلى أن جميع قيم معاملات الارتباط قد كانت دالة إحصائياً، وهذا يؤشر إلى أن المقياس يتمتع بدرجات صدق اتساق داخلي مرتفع.

ثبات مقياس تورنتو للألكسيثيميا: تم التحقق من ثبات المقياس عن طريق استخدام معادلة كرونباخ ألفا، وقد بلغت قيمة معامل الثبات (0.85) وهي قيمة مرتفعة، وتعطي المقياس دلالات ثبات مرتفعة، ويمكن استخدامه في البحث العلمي.

ومن أجل التحقق من تكافؤ المجموعتين؛ التجريبية والضابطة، فقد تم استخدام اختبار (ت) لفحص الفروق بين المجموعتين على الاختبار القلبي. والجدول (2) يبين ذلك:

جدول 2: نتائج اختبار (ت) على التطبيق القلبي لكل من المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة						
المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	دح	مستوى الدلالة
ضابطة	20	69.60	11.71	0.33	38	0.73
تجريبية	20	68.25	13.58			

يتضح من الجدول (2) أن قيمة (ت) قد بلغت (0.33) وهي غير دالة إحصائياً، وهذا يعني أنه لا توجد فروق بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على التطبيق القلبي، بمعنى أن المجموعتين متكافئتان في مستويات الألكسيثيميا.

تصحيح مقياس تورنتو للألكسيثيميا: استخدم ليكرت المقياس الخماسي لتوزيع درجات الإجابة عن فقرات المقياس، ليحصل المستجيب على خمس درجات عندما تكون الإجابة (موافق بشدة)، وأربع درجات عندما تكون الإجابة (موافق)، وثلاث درجات عندما تكون الإجابة (محايد)، ودرجتين فقط عندما تكون الإجابة (معارض)، ودرجة واحدة فقط عندما تكون الإجابة (معارض بشدة). وقسم المقياس الخماسي إلى ثلاث فئات لإعطاء درجة للألكسيثيميا تكون منخفضة إذا كانت ما دون (2.33)، وتكون متوسطة بين (2.34-3.67)، وتكون مرتفعة إذا كانت (3.68-5).

ثانياً: البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية:

بني البرنامج من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة، والاستعانة ببعض المتخصصين في مجال المسرح والدراما والأدب التربوي، وتكون من عشر جلسات، مدة الجلسة ساعة واحدة، وبواقع جلستين أسبوعياً، ويهدف البرنامج إلى قدرة الطالبات على وصف المشاعر والانفعالات والاندماج الفعال، وتحديد ذلك كله، وقدرة الطالبات على التعبير عن المشاعر وإيصال المشاعر للآخرين، وكل جلسة لها أهداف فرعية، وسيتم عرض الجلسات، ويشمل البرنامج فنيات محددة، منها: (الكرسي الخالي ولعب الأدوار والتمثيل وتمارين الاسترخاء والمرآة والدان السحري)، والجلسة الأولى (جلسة افتتاحية للمجموعة)، وهي جلسة بنائية تشمل نشاطاً إيمانياً، الهدف منه التعرف وكسر الحواجز، والنشاط الرئيسي هو وضع قوانين للمجموعة وبناء الثقة، أما النشاط الختامي فتلخيص وإعطاء واجب بيتي. والجلسة الثانية بعنوان: (التنفيس الانفعالي والتعرف إلى قدراتي)، وتشمل نشاطاً إيمانياً ونشاطاً رئيسياً، كما يشمل فنيات الدراما (تمرين الصفات والدكان السحري)، والنشاط الختامي عمل تلخيص وإعطاء واجب بيتي يطلب من الطالبات أن تكتب في دفتر مذكرات أو ملاحظات، واجبا بيتياً بعد كل جلسة من أجل رصد "الأفكار والمشاعر والسلوكيات"، وهذا الواجب البيتي تقوم به الطالبة في كل جلسة، وتتم مناقشته بداية كل جلسة جديدة. والجلسة الثالثة بعنوان: (الاسترخاء، الوعي بالأفكار والمشاعر)، وتشمل النشاط الإيماني مع مناقشة الواجب البيتي والنشاط الرئيسي، ويشمل فنيات الدراما (عمل تمثيل أدوار) وتعريف الطالبات إلى أحد تكنيكيات الاسترخاء، والنشاط الختامي عمل تلخيص، ودعوة الطالبات لتطبيق تمرين الاسترخاء في البيت وإعطاء الواجب البيتي. والجلسة الرابعة بعنوان: (مصادر الدعم)، ويتكون من نشاط إيماني مع مراجعة الواجب البيتي والنشاط الرئيسي (الكرسي الخالي). والنشاط الختامي عمل تلخيص وإعطاء الواجب البيتي. والجلسة الخامسة بعنوان: (تقبل الآخر): النشاط الإيماني والنشاط الرئيسي تقبل الآخر من خلال سرد قصة وعمل لعب أدوار وعمل تمرين الدراما (النحات)، والنشاط الختامي من خلال عمل تلخيص، وإعطاء الواجب البيتي من خلال توجيه رسالة لأحد أفراد الأسرة، تظهر فيها حبها لهذا، والجلسة السادسة بعنوان: (أسرتي: أمي- أبي- إخوتي)، ونشاط رئيسي (الكرسي الخالي والمرآة)، والنشاط الختامي عمل تلخيص والتدريب على المناقشة والحوار مع الأهل للتعود على حل المشاكل بالحوار والنقاش وإعطاء الواجب البيتي والكتابة في دفتر المذكرات، والجلسة السابعة بعنوان: (تقوية التطور الذاتي) وتشمل النشاط الرئيسي، لعب الأدوار (التمثيل)، والنشاط الختامي، عمل نشاط الصرخة

غير مرة، والطلب عملها بالبيت وعمل الواجب البيتي، والجلسة الثامنة بعنوان (إخفاقاتي) وتشمل النشاط الرئيسي، تمثيل الأدوار والجلسة التاسعة بعنوان (تمثيل أحلامي وخيالي) وتشمل النشاط الرئيسي لعب الأدوار وتمارين الاسترخاء والنشاط الختامي عمل ملخص وإعطاء الواجب البيتي، الكتابة بدفتر المذكرات، والجلسة العاشرة بعنوان: (أرسم أحلامي وطموحاتي)، وهي الجلسة الختامية وتشمل نشاطاً إحصائياً من خلال نشاط سرد القصص من مقتنيات الطالبات، والنشاط الرئيسي (عمل نشاط رسم على ورق رول بالكواش وحوار ونقاش) للنشاط وعمل تلخيص نهائي لكل الجلسات وتقديم الشكر للجميع وعمل إنهاء للبرنامج.

صدق المحتوى للبرنامج الإرشادي: تم التحقق من صدق المحتوى للبرنامج الإرشادي بأن تم عرضه على خمسة خبراء، من حملة الدكتوراه والماجستير في مجال علم النفس والإرشاد النفسي والتربوي والدراما والتمثيل، وكانت الملاحظات والتعليقات في الصياغة والمضمون، وتم عمل التعديلات اللازمة، ومن هذه الملاحظات إعادة الصياغة العامة للبرنامج، وحذف بعض الأنشطة والفعاليات، وإضافة بعض الأنشطة الدرامية التي تخدم الهدف من البرنامج، وتقديم بعض الجلسات وتأخير بعضها الآخر لتناسب الهدف المطروح من البرنامج.

إجراءات تطبيق الدراسة:

بعد تحديد مجتمع الدراسة وأخذ الموافقات من الجهات المختصة ومن أهالي الطالبات لتطبيق البرنامج في المدرسة، تم تطبيق القياس القبلي لمقياس الأكسيثيميا على المجموعة الضابطة والتجريبية في الوقت نفسه، والتي اختبرت بشكل عشوائي بشرط موافقة الطالبة والأهل للمشاركة في تطبيق البرنامج والمقياس، وعدد كل مجموعة (20) طالبة من الصف التاسع الأساسي، وبعدها تم تطبيق البرنامج على المجموعة التجريبية لمدة شهر، وبعد ذلك أُعيد تطبيق مقياس الأكسيثيميا التطبيق البعدي على المجموعة التجريبية التي خضعت للبرنامج والمجموعة الضابطة التي لم تخضع للبرنامج، وبعد شهر تم إعادة تطبيق مقياس الأكسيثيميا إلى المجموعتين.

الأساليب الإحصائية:

استخدم في تحليل الدراسة بعد تطبيق مقياس تورينغو للأكسيثيميا والبرنامج الإرشادي الجمعي على أفراد العينة، برنامج التحليل الإحصائي SPSS من خلال استخدام المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، ومعامل كرونباخ ألفا، واختبار (ت) للمجموعات المنفصلة وذلك لاختبار فرضيات الدراسة.

3. نتائج الدراسة

السؤال الأول: نص على "هل تختلف متوسطات الأكسيثيميا بين المجموعتين الضابطة والتجريبية عن الاختبار البعدي (بعد تطبيق البرنامج الإرشادي)؟"

ومن أجل ذلك تم استخدام اختبار (ت) للمجموعات المنفصلة لاختبار دلالة الفروق في المتوسطات الحسابية بين أفراد المجموعة التجريبية التي خضعت لبرنامج الإرشاد العلاجي القائم على الدراما العلاجية والمجموعة الضابطة على الاختبار البعدي، والجدول (3) يبين نتائج اختبار (ت) للمجموعات المنفصلة لاختبار دلالة الفروق بين المجموعة التجريبية التي خضعت لبرنامج الإرشاد العلاجي القائم على الدراما العلاجية والمجموعة الضابطة.

جدول 3: نتائج اختبارات لفحص الفروق بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على الاختبار البعدي لمقياس تورينغو للأكسيثيميا

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	دح	مستوى الدلالة
ضابطة	20	68.10	12.02	2.31	38	0.02
تجريبية	20	59.80	10.58			

تشير البيانات في الجدول (3) إلى أن الفروق بين متوسطات المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية قد كانت دالة إحصائية، فقد بلغت قيمة (ت) (2.31)، وهي دالة عند مستوى ($\alpha \leq 0.02$)، ولما كان المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية هو الأدنى، فإن هذا يشير إلى أن مستوى الأكسيثيميا للمجموعة التجريبية أقل من المجموعة الضابطة، ما يدل على أثر تطبيق البرنامج في المجموعتين.

وتشير هذه النتائج إلى أن المجموعة التجريبية التي تلقت البرنامج الإرشادي الجمعي أظهرت تحسناً كبيراً في خفض أعراض الأكسيثيميا بالنسبة للمجموعة الضابطة التي لم تتلق أي برنامج إرشادي علاجي، وهذا يدل على أن المجموعة التجريبية التي تتلقى برنامجاً إرشادياً علاجياً تظهر انخفاض مستوى الاضطراب؛ إن كان الأكسيثيميا أو أي اضطراب آخر، فالبرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية أظهر فعاليته لما لهذا البرنامج من دلالات إيجابية وفعالة في تقليل أعراض الأكسيثيميا وجعلهم أكثر فاعلية واندماجاً مع الآخرين، ولديهم القدرة على التعبير عن مشاعرهم وفهم مشاعرهم من خلال إكسابهم مهارات وسلوكيات إيجابية، حسنت من الانفعالات لديهم، وذلك من خلال ما يتضمنه البرنامج من أنشطة وفعاليات قريبة من شخصياتهم ومناسبتهم لمرحلة المراهقة ولفترة الإناء، فالبرامج جذابة للطالبات؛ لأنها تحتوي على فعاليات وأنشطة تلقت انتباه الطالبات وقرينة نفسياتهن؛ لأنهن يحتجن أشياء جديدة تجعلهن يخرجن من روتين الحصوص. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الضامن (2023) ودراسة سبزيهيلي (Sabzehali et al., 2023) ودراسة كارمي وآخرين (Karimi et al., 2023) ودراسة بيرماني وآخرين (Permana et al., 2022) ودراسة حسين (2021) ودراسة عبد العزيز

وسليمان (2021)، التي أكدت جميعها على أن الفروق كانت لمصلحة المجموعة التجريبية، وأهمية البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية في خفض أعراض الألكسيثيميا لدى أفراد المجموعة التجريبية بعد تلقي البرنامج، ودراسة محمود (2023) ودراسة مارداني وزملائه (Mardani et al., 2023) ودراسة ديمير (Demir, 2022) ودراسة أكباري ورفاقه (Akbari et al., 2021) ودراسة السيوف (2020)، أكدت جميع نتائج هذه الدراسات أن الفروق كانت لمصلحة المجموعة التجريبية لبرامج علاجية مختلفة، منها برنامج قائم على العلاج بالقبول والالتزام، والعلاج المعرفي القائم على اليقظة الذهنية، والعلاج عن طريق الفن، والعلاج بالموسيقى، والعلاج بالرسم، وأظهرت هذه البرامج قدرتها على خفض أعراض الألكسيثيميا لدى أفراد المجموعة التجريبية بعد تلقي البرنامج، والمجموعة الضابطة التي لم يتلق أفرادها أية برامج علاجية لم يحدث لديهم أي تحسن.

ونص السؤال الثاني على: "هل تختلف متوسطات الألكسيثيميا لدى أفراد المجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج وبعد تطبيق البرنامج؟"

ومن أجل ذلك تم استخدام اختبار (ت) للمجموعات المنفصلة لاختبار دلالة الفروق بين التطبيق القبلي والتطبيق البعدي للمجموعة التجريبية. والجدول رقم (4) يبين نتائج اختبار (ت) على التطبيق القبلي والتطبيق البعدي للمجموعة التجريبية.

جدول 4: نتائج اختبارات لفحص الفروق بين التطبيق القبلي والتطبيق البعدي للمجموعة التجريبية

الاختبار	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	دح	مستوى الدلالة
القبلي	20	68.25	13.58	2.19	38	0.03
البعدي	20	59.80	10.58			

يتبين من الجدول (4) أن هناك فروقا في متوسطات درجات المجموعة التجريبية على الاختبار البعدي والاختبار القبلي، فقد بلغت قيمة (ت) (2.19) وهي دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.03$) وبالنظر للمتوسطات الحسابية يتبين أن المتوسط الحسابي لنتائج المجموعة التجريبية على الاختبار القبلي أعلى من متوسطات المجموعة التجريبية على الاختبار البعدي، وهذا يعني أن هناك أثراً ذا معنى لتطبيق البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية في المجموعة التجريبية، ما أدى لانخفاض أعراض الألكسيثيميا لديهم.

وفي هذه الدراسة لمناسبتها لهذه الفئة العمرية التي تمر بمرحلة المراهقة، لما لهذه المرحلة من خصائص نفسية واجتماعية وانفعالية، من انطواء وعزلة وعدم القدرة على التعبير عن الانفعالات وصعوبة التفاعل مع الآخرين، والسبب الآخر كون الفئة من الإناث ومن بيئة ريفية بسيطة ذات طابع مغلق على الإناث، ولهذا تزيد أعراض الألكسيثيميا لديهم، وتصبح أكثر عزلة وانطواء ولا تقيم علاقات مع الآخرين، وصعوبة في التعبير عن المشاعر، هذا البرنامج أكسبهم مهارات وسلوكيات اجتماعية أضفت على شخصيتهم طابعا اجتماعيا وقدرة على التعبير عن المشاعر، وأصبح أكثر قدرة على إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين، ولأن هذا النوع من البرامج سهل وصعب في آن واحد، من حيث التطبيق والمضمون، فهو صعب من حيث ما وضع من أجله وطريقة تطبيقه، والوصول إلى ما يريده الباحث، وهو سهل من حيث المظهر الخارجي لما يوحيه للمشاهد بأنه سهل، فهو يحتوي على أنشطة ومهارات وإجراءات ممنهجة ومصممة للهدف الذي وضع من أجله. واتفقت هذه النتيجة مع الدراسات السابقة منها: دراسة الضامن (2023)، ودراسة سبزيهيلي (Sabzehali et al., 2023)، ودراسة كارمي وآخرين (Karimi et al., 2023) ودراسة بيرماني وآخرين (Permana et al., 2022)، ودراسة حسين (2021)، ودراسة عبد العزيز وسليمان (2021)، فجميعها أظهرت نتائج إيجابية على المجموعة التجريبية، التي طبقت البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية في إحداث تحسن في بعض الاضطرابات، منها خفض أعراض الألكسيثيميا، وتقليل أعراض قلق الانفصال، والكفاءة الاجتماعية الانفعالية، والتفكير الإيجابي، وتحسين المهارات الاجتماعية، وخفض الضغوطات النفسية، وتحسين الكفاءة الذاتية الأكاديمية، وتحسين صورة الجسم الإيجابية. وهناك دراسات استخدمت برامج علاجية مختلفة، منها برنامج قائم على العلاج بالقبول والالتزام، والعلاج المعرفي القائم على اليقظة الذهنية، والعلاج عن طريق الفن، والعلاج بالموسيقى، والعلاج بالرسم في خفض أعراض الألكسيثيميا، منها دراسة محمود (2023)، ودراسة مارداني وزملائه (Mardani et al., 2023)، ودراسة ديمير (Demir, 2022) ودراسة أكباري ورفاقه (Akbari et al., 2021)، ودراسة السيوف (2020)، وكلها أظهرت أن هذه البرامج تقلل من أعراض الألكسيثيميا وتحسنها.

ونص السؤال الثالث على: هل تختلف متوسطات الألكسيثيميا لدى أفراد المجموعة التجريبية على الاختبار البعدي والتتبعي؟

ولهذه الغاية استخدم اختبار (ت) لفحص الفروق بين متوسطات الطالبات المشاركات في الدراسة على الاختبار البعدي والاختبار التتبعي للمجموعة التجريبية. والجدول رقم (5) يبين نتائج اختبار (ت) على الاختبار البعدي والاختبار التتبعي للمجموعة التجريبية.

جدول 5: نتائج اختبارات لفحص الفروق بين متوسطات أفراد العينة التجريبية على الاختبار البعدي والاختبار التتبعي

الاختبار	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	دح	مستوى الدلالة
بعدي	20	59.80	10.58	0.18	38	0.85
تتبعي	20	59.1	12.94			

تشير البيانات في الجدول (5) إلى عدم وجود فروق بين متوسطات درجات الطالبات المشاركات في البرنامج على الاختبار البعدي والاختبار التتبعي، فقد بلغت قيمة (ت) 0.18، وهي غير دالة إحصائياً، وهذا يعني أن الطالبات قد احتفظن بنفس المستوى من الألكسيثيميا مع مرور الوقت، وهذا يعطي مؤشراً حول جودة البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية المنفذ على الطالبات.

وأظهرت النتائج أهمية البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية، وأن فعاليته مستمرة ونتائجه الإيجابية والفعالة مستمرة حتى بعد انقطاع فترة من التطبيق، فبقيت آثاره موجودة بعد شهر من التطبيق، وهذا إذا دل فيدل على جودته وأهميته العملية، وأثاره المستمرة حتى بعد انقطاع عن التطبيق لما يحتويه من أنشطة ومهارات فعالة في تحقيق الأهداف التي وضعت من أجلها، ومناسبتها للفئة والمرحلة العمرية المطبق عليها، فمن خلال التطبيق أظهرت الطالبات فاعلية في تطبيق الأنشطة لما تحتويه من بساطة وسهولة وقرب لطبيعة الطالبات، والشيء الآخر الذي ساعد على إبقاء أثر فعاليته بعد فترة، أنه جذاب لما يحتويه من أنشطة جعلت الطالبات يتأثرن به بشكل إيجابي من خلال الاستمتاع بتطبيقه وبقاء أثره لفترة طويلة، ودل ذلك على أصالته؛ لأنه فعال من حيث الأنشطة وحُب الطالبات لتنفيذ أنشطته التي تعدّ قريبة من شخصية الطالبات، واتفقت هذه النتيجة مع عدة دراسات سابقة أشارت إلى بقاء فاعلية البرامج العلاجية المتبعة إن كان البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية أو برامج علاجية أخرى على أفراد المجموعة التجريبية بعد فترة من التطبيق، منها دراسة محمود (2023)، ودراسة مارداني وزملائه (Mardani et al., 2023) ودراسة (Demir, 2022) ودراسة (Akbari et al., 2021) ودراسة السيوف (2020) ودراسة عبد العزيز وسليمان (2021).

4. التوصيات

توصي الدراسة بما يأتي:

- توعية المعلمين والمعلمات والأهالي بأهمية الألكسيثيميا في علاقات الطلبة وتكيفهم الاجتماعي مع الآخرين؛ لما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة.
- إجراء دراسات حول الألكسيثيميا وتوظيف البرنامج الإرشادي الجمعي القائم على الدراما العلاجية، وربطه بمتغيرات أخرى كالاكتئاب والخوف.
- إجراء دراسات على المراهقين بالأخص الذكور الذين يعانون من الألكسيثيميا.
- تقديم الإرشاد النفسي بمخاطر الألكسيثيميا لدى الطلبة في مرحلة المراهقة من خلال لقاءات إرشادية.

5. قائمة المراجع

5.1 المراجع العربية

- البصير، نشوة. (2020). الألكسيثيميا وإدمان الإنترنت لدى عينة من طلاب المدارس الثانوية. مجلة البحث العلمي في التربية، 21(13)، 276-311.
- جمعة، أمجد. (2021). استخدام السيكو دراما كأسلوب إرشادي مع أطفال سن ما قبل المدرسة في سلطنة عمان: تصور مقترح لتحسين المرونة النفسية لدى أطفال مرض السكري. مجلة الواحات للبحوث والدراسات، 4(3)، 763-786.
- الجندي، نبيل؛ والبدوي، مي. (2022). الألكسيثيميا وعلاقتها بالتوهم المرضي لدى طلبة جامعة الخليل. مجلة العلوم التربوية والنفسية- جامعة الجزائر، 2(32)، 1-24.
- الجندي، أحمد. (2020). الألكسيثيميا وعلاقتها بالقلق وإدراك صورة الجسم لدى عينة من الأطفال ذوي الإعاقة البصرية بالمرحلة الابتدائية. مجلة العلوم التربوية، 5(5)، 97.
- حسين، نفين. (2021). فاعلية برنامج إرشاد جمعي قائم على السيكو دراما في تحسين المهارات الاجتماعية وخفض الضغوط النفسية لدى ضحايا التنمر الإلكتروني. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.
- حلمي، جيهان. (2018). فاعلية برنامج إرشادي انتقائي في خفض الألكسيثيميا لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم بالمرحلة الإعدادية. مجلة جامعة الفيوم للعلوم والتربية والنفسية، 10(4)، 83-140.
- خضير، ميسون. (2020). الألكسيثيميا وعلاقتها بنمط التنشئة الودية الصادم لدى طلبة الإعدادية. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، 12(50)، 464-479.
- خميس، إيمان. (2014). إسهام بعض المتغيرات في التنبؤ بالألكسيثيميا لدى معلمات رياض الأطفال. مجلة الطفولة والتربية، 2(2)، 259-350.
- دهمش، علة. (2017). مستوى صعوبة التعرف على المشاعر (الألكسيثيميا) دراسة وصفية مقارنة بين المراهقين العدوانيين وغير العدوانيين. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، رسالة ماجستير.
- السلامي، إياد؛ وعبد العباس، نبراس. (2019). أثر استخدام السيكو دراما في التخفيف من مشكلات السلوك العدواني لدى طلبة المرحلة المتوسطة. لاراك واللسانيات والعلوم الاجتماعية، 2(32)، 202-227.

- السيوف، فاتن. (2020). فاعلية العلاج بالرسم في خفض الألكسيثيميا لدى اللاجنات السوريات. مجلة العلوم النفسية والتربوية، 6(3)، 265-289.
- سليم، هبه. (2019). الدراما السيكو دراما وتطبيقاتها في العملية التعليمية، دار أمانة للنشر والتوزيع.
- الطبياني، علا. (2019). استخدام الدراما العلاجية في الحد من العجز المتعلم لدى الأطفال المعاقين سمعياً. مجلة الطفولة والتربية، 40(6)، 15-68.
- الضامن، صلاح. (2023). فاعلية برنامج إرشادي مستند إلى أسلوب السيكو دراما في الألكسيثيميا (Alexithymia) وتقدير الذات لدى طلبة صعوبات التعلم ضحايا الاستقواء. مجلة الدراسات التربوية، 3(7)، 123-154.
- عبد العزيز، دعاء وسليمان، شيماء. (2021). فاعلية برنامج إرشادي قائم على السيكو دراما في تحسين التفكير الإيجابي والكفاءة الاجتماعية الانفعالية لدى أطفال الروضة المعرضين لخطر صعوبات التعلم بمحافظة قنا. مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، 2(45)، 329-420.
- عبد القادر، ميسوم. (2020). الطفولة والمسرح العلاجي (السيكو دراما). الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، 12(1)، 121-128.
- العيديان، مهند. (2019). الفرق في الألكسيثيميا بين المدمنين وغير المدمنين. مجلة العلوم التربوية والنفسية، 3(9)، 109-131.
- غني، شاهدة. (2017). فاعلية برنامج إرشادي في خفض الألكسيثيميا لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية ذوي صعوبات التعلم. مجلة كلية التربية/ جامعة بور سعيد، 21(21)، 765-793.
- محمد، متولي. (2019). علاقة الألكسيثيميا بالضغط النفسي لدى والدي أطفال ذوي اضطراب التوحد. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، 27(4)، 110-144.
- محمود، سناء. (2023). فاعلية برنامج قائم على العلاج بالقبول والالتزام في خفض الألكسيثيميا لدى عينة من المراهقين المكفوفين. مجلة العلوم التربوية / جامعة جنوب الوادي، 56(1)، 218-263.
- مورجان، أيمن. (2018). فاعلية برنامج إرشادي قائم على الدراما النفسية في خفض مستوى ضغوط ما بعد الصدمة لدى الأطفال المصدمين. رسالة ماجستير، جامعة النجاح.
- يعقوب، أشرف. (2019). فاعلية برنامج إرشادي قائم على السيكو دراما في تنمية المهارات الاجتماعية وتقدير الذات لدى طلبة صعوبات التعلم ضحايا الاستقواء. دراسات العلوم التربوية، 46(1)، 293-315.

5.2 رومنة المراجع العربية

- Al- Basir, N. (2020). Alexithymia and internet addiction among a sample of high school students. Journal of Scientific Research in Education, 21(13), 311-276.
- Juma, A. (2021). Using psychodrama as a counseling tool with pre-school children in the Sultanate of Oman: A proposed vision for improving psychological flexibility in children with diabetes. Al-Wahat Journal of Research and Studies, 4(3), 763-786.
- Jondi, N., and Al-Badawi, M. (2022). Alexithymia and its relationship to hypochondria among Hebron University students. Journal of Educational and Psychological Sciences - University of Algiers, 2(32), 1-24.
- Al-Junaidi, A. (2020). Alexithymia and its relationship to anxiety and perception of body image among the children with visual impairment in primary school. Journal of Educational Sciences, 5(5), 97.
- Goleman, D, (2000). Emotional intelligence, the world of knowledge. National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait.
- Hussein, N. (2021). The effectiveness of a group counseling program based on psychodrama in improving social skills and reducing psychological stress among victims of cyberbullying. Unpublished master's thesis, An-Najah University, Nablus, Palestine.
- Helmy, J. (2018). The effectiveness of a selective counseling program in reducing alexithymia among students with learning difficulties in the middle school stage. Fayoum University Journal of Science, Education and Psychology, 10(4), 140-83.
- Khudair, M. (2020). Alexithymia and its relationship to the traumatic parenting style among middle school students. Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences, 12(50), 464-479.
- Khamis, I. (2014). The contribution of some variables in predicting alexithymia among kindergarten teachers. Journal of Childhood and Education, 2(2), 259-350.
- Dammash, A. (2017). The level of difficulty in recognizing feelings (alexithymia): A descriptive comparative study between aggressive and non-aggressive adolescents. College of Humanities and Social Sciences, Master's Thesis.

- Al-Salami, I., and Abdel Abbas, N. (2019). The effect of using psychodrama in alleviating aggressive behavior problems among middle school students. *Laracq, Linguistics and Social Sciences*, 2(32), 202-227.
- Al-Suyouf, Ch. (2020). The effectiveness of art therapy in reducing alexithymia among Syrian refugee women. *Journal of Psychological and Educational Sciences*, 6(3), 265-289.
- Salim, H. (2019). *Psychodrama and its applications in the educational process*, Dar Amna for Publishing and Distribution.
- Al-Taybani, O. (2019). Using therapeutic drama to reduce learned helplessness among hearing-impaired children. *Journal of Childhood and Education*, 40(6), 15-68.
- Al-Daman, S. (2023). The effectiveness of a counseling program based on the psychodrama method in alexithymia and self-esteem among students with learning difficulties who are victims of bullying. *Journal of Educational Studies*, 3(7), 123-154.
- Abdel Aziz, D., and Suleiman, S. (2021). The effectiveness of a psychodrama-based counseling program in improving positive thinking and social-emotional competence among kindergarten children at risk of learning difficulties in Qena Governorate. *Journal of the Faculty of Education, Ain Shams University*, 2(45), 329-420.
- Abdel Qader, M. (2020). Childhood and therapeutic theater (psychodrama). *Academy for Social and Human Studies*, 12(1), 121-128.
- Al-Eidan, M. (2019). The difference in alexithymia between addicts and non-addicts. *Journal of Educational and Psychological Sciences*, 3(9), 109-131.
- Ghoneim, w. (2017). The effectiveness of a counseling program in reducing alexithymia among primary school students with learning difficulties. *Journal of the College of Education/ Port Said University*, (21), 765-793.
- Muhammad, M. (2019). The relationship of alexithymia to psychological stress among parents of children with autism disorder. *Islamic University Journal for Educational and Psychological Studies*, 27(4), 110-144.
- Mahmoud, S. (2023). The effectiveness of a program based on acceptance and commitment therapy in reducing alexithymia among a sample of blind adolescents. *Journal of Educational Sciences/South Valley University*, 56(1), 218-263.
- Morgan, A. (2018). The effectiveness of a counseling program based on psychodrama in reducing the level of post-traumatic stress in traumatized children. Master's thesis, An-Najah University.
- Yacoub, A. (2019). The effectiveness of a counseling program based on psychodrama in developing social skills and self-esteem among students with learning disabilities who are victims of bullying. *Educational Science Studies*, 46(1), 293-315.

5.3 المراجع الأجنبية

- Akbari, R., Amiri, S, & Mehrabi, H. (2021). The Effectiveness of Music Therapy on Reducing Alexithymia Symptoms and Improvement of Peer Relationships. *International Journal of Health Studies IJHS*, 7(3), 16-20.
- Doi :<https://doi.org/10.30491/ijbs.2021.214227.1186>.
- Aldao, A., Nolen-Hoeksema, S., & Schelwzer, S. (2010). Emotion –regulation Strategies Across Psychopathology : Ameta- analytic review. *Clinical psychology Review*, 30(2), 217-237.
- Demir, V. (2022). The Effect of Art Therapy and Mindfulness Based Cognitive Therapy Program on the Levels of Alexithymia of Individuals. *Asya Studies- Academic Social Studies\ Akademik Sosyal Arastirmalar*, 6(22), 237-248. . Doi : <https://doi.org/10.31455/asya.1160023>.
- Gilbert, P., Mcewan, K., Catarino, F., Balao, R., & Palmeira, L. (2014). Fears of happiness and compassion in relationship with depression, alexithymia, and attachment security in a depressed sample. *British Journal of clinical psychology*, 53-228.
- Karimi, A., Karbalai, A., & Rohani, R. (2023). The Effect of Psychodrama Therapy on Body-image Deficit among Iranian University Students. Research Article, Research Square. Doi: <https://doi.org/10.21203/rs.3.rs-2911321/v1>.
- Konopik, D., & Cheung , M. (2013). Psychodrama as asocial work modality. *Social work*, 58 (1), 9-20. Doi: <http://dx.doi.org/10.1093/sw/sws054>.

- Li, W., & Guo, L. (2015). Using Psychodrama to Relieve Social Barriers in an Autistic Child: A case study and Literature Review. *International Journal of Nursing*, 2(4), 1-6. Doi: <https://doi.org/10.1016/j.ijnss.2015.08.008>.
- Mardani, F., Yousefi, S., Ghorbani, E., & Mirzaei, Z. (2023). The effectiveness of realistic acceptance and commitment therapy (RACT) on marital burnout and alexithymia in couples. *Journal of Assessment and Research in Applied Counseling*, 5(1), 9-18. Doi: <https://jarac.iranmehr.ac.ir/article-1-155-en.html>
- Moreno, J. (1997). *Psychodrama*, first vol. Beacon House. <https://doi.org/10.1016/j.ijnss.2015.08.008>.
- Permana, H., & Jo, S. (2022). Psychodrama Techniques to Improve Academic Self- Efficacy in Madrasah Aliyah Students. *Al- Ishlah- Journal Pendidikan*, 14(4), 6773-6782. Doi: <http://dx.doi.org/10.35445/alishlah.v14i4.2288>.
- Pellerone, M., Formica, I., Lopez, M., Miglioni, S., & Grana, R. (2017). Relationship between parenting, alexithymia and adult attachment styles: a cross-national study in Sicilian and Andalusian young adults. *Mediterranean Journal of Clinical Psychology*, 5(2), 1-24.
- Sabzehali, F., Khajelangi, H., Mojahed, A., & Bakhshani, N. (2023). Effectiveness of Group Therapy of Psychodrama on Reduce the Symptoms of Separation Anxiety Disorder in Children Aged 5 to 9 Years in Zahedan. *Journal of Research in Behavioral Sciences*, 20: 4. 609-621.
- Sherrel, Z., & Lawrenz, L. (2022). What to Know about drama therapy. *Medical news today*. <https://www.medicalnewstoday.com/articles/drama-therap>
- Taylor, J., Bagby, M., & Parke, D. (1997). *Disorders of Affect Regulation: Alexithymia in medical and Psychiatric illness*. Cambridge University press. Doi: <http://dx.doi.org/10.1017/CBO9780511526831>.

6. الملاحق

مقياس تورونتو المعدل للألكسيثيميا

الرقم	العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
1.	المشاعر الخاصة بي مشوشة إلى حد ما.					
2.	يصعب علي التعبير عن المشاعر والأحاسيس الخاصة بي.					
3.	أشعر بارهاق جسمي يصعب على الأطباء تفسيرها.					
4.	لدي القدرة على وصف أحاسيسي بكل سهولة.					
الرقم	العبارة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
5.	النجاح في حل مشاكلي يبعث في نفسي الراحة.					
6.	حينما أكون متضايقاً لا أعرف هل أنا حزين أو مرعوب أو غاضب.					
7.	غالباً أكون متحيراً من أحاسيس معينة أشعر بها في جسمي.					
8.	أفضل فقط أن أترك الأشياء حولي تحدث بدلاً من فهم لماذا تبدو بالطريقة التي تحدث بها.					
9.	لدي أحاسيس لا أستطيع تحديدها بشكل تام.					
10.	إنه من الأساسي بالنسبة لي أن أهتم بمشاعري.					

11.	أجد صعوبة في وصف أحاسيسي تجاه الآخرين والأشياء من حولي.				
12.	يطلب مني الناس كثيراً أن أصف أحاسيسي.				
13.	لا أعرف ماذا يجري بداخلي من أحاسيس ومشاعر.				
14.	غالباً لا أعرف لماذا أنا غضبان ومنفعل.				
15.	أفضل أن أتحدث مع الناس بخصوص نشاطاتهم اليومية بدلاً من أن أتحدث معهم عن أحاسيسهم.				
16.	أفضل مشاهدة التسلية الخفيفة بدلاً من الدراما النفسية العميقة.				
17.	من الصعب علي أن أكشف أحاسيسي وانفعالاتي الداخلية حتى لأقرب الناس إلي.				
18.	أستطيع أن أحس بالارتباط العاطفي والوجداني بشخص ما حتى لو جلست معه للحظات محدودة.				
19.	أجد أن مراجعة أحاسيسي مفيدة في حل المشكلات الشخصية.				
20.	إن بحثي عن المعاني العميقة "الخفية" في الأفلام والمسرحيات يقلل من استمتاعي بمشاهدتها.				

The effectiveness of a group counseling program based on therapeutic drama in reducing the symptoms of alexithymia among Palestinian female students

Mahera Sharha¹, Nabil Al-Jondi^{2*}

^{1,2} Department of Psychology, Faculty of Education, Hebron University, Palestine

Corresponding Author: Jondin@hebron.edu

Received: 18/04/2024.

Revised: 19/05/2024.

accepted: 11/07/2024.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.5

Abstract

The study aimed to explore the effectiveness of a collective counseling program based on therapeutic drama among those suffering from alexithymia. It also aimed to identify the degree of alexithymia among the participants. The study used the quasi- experimental method where the population consisted of (70) female students, from which 40 students were chosen to participate and randomly divided into an experimental group of (20) students and a control group of (20) students. The researchers conducted the Toronto Alexithymia Scale (TAS-20) on both groups. The findings showed that there were significant differences between the pre-test and the post-test on the experimental group, as well as the presence of significant differences between the post-test and the follow-up test, which indicated the effectiveness of the collective counseling program based on therapeutic drama in reducing the symptoms of alexithymia. The study concluded some recommendations, including conducting research on alexithymia in relation to other variables

Keywords: alexithymia, group counseling program, therapeutic drama, psychodrama.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

المناخ المدرسي وعلاقته بالتفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل

مراد الجندي

قسم الخدمة الاجتماعية، كلية التنمية الاجتماعية والأسرية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين
الباحث المراسل: mjundi@qou.edu

Received: 24/07/2024. Revised: 06/08/2024. accepted: 20/10/2024. Published: 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.6

الملخص

سعت هذه الدراسة إلى التعرف إلى المناخ المدرسي وعلاقته بالتفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، كما هدفت إلى تحديد الفروق بين متوسطات التفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية، تُعزى لمتغيرات: (الجنس، والعمر، وعدد سنوات الخبرة، والمؤهل العلمي)، وتكونت العينة من (151) متخصصاً اجتماعياً، واستخدمت الدراسة أداة الاستبانة، فقام الباحث باختبار صدق أدوات الدراسة بحساب معامل ارتباط بيرسون، وكانت جميع المعاملات دالة إحصائياً، وأشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات التفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية، تُعزى لمتغيرات: (الجنس، والعمر، وعدد سنوات الخبرة، والمؤهل العلمي)، كما تبين وجود علاقة ارتباطية طردية موجبة ودالة إحصائياً بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية. ويوصي الباحث بضرورة تعزيز قدرة المتخصصين الاجتماعيين على التعامل مع المشكلات المستجدة وغير المتوقعة في البيئة المدرسية لمواجهةها بكل سهولة.

الكلمات المفتاحية: المناخ المدرسي، المتخصصون الاجتماعيون، التفكير الإبداعي.

1. المقدمة

في عالمنا المعاصر، الذي يتسم بالتعقيد والتسارع، يواجه الأفراد تحديات متزايدة، تتطلب منهم مواجهة ضغوط نفسية واجتماعية واقتصادية. هذه التحديات قد تؤثر سلباً في قدرتهم على التكيف والتأقلم مع متطلبات الحياة اليومية. وفي ظل هذا السياق، تبرز أهمية المهن التي تقدم الدعم والمساعدة للأفراد، وتمكنهم من تجاوز الصعاب وتحقيق التوازن في حياتهم. تتطلب مواجهة تحديات الحياة الحديثة المعاصرة المعقدة والمليئة بالمشكلات والأزمات والضغوط بشتى أنواعها، الكثير من الموارد والإمكانيات لمساعدة الأفراد للقيام بأدوارهم ووظائفهم الحياتية اليومية، وهناك الكثير من المهن التي تساعد في حل مشكلاتهم وإشباع احتياجاتهم. فقد عُدَّت مهنة الخدمة الاجتماعية إحداها والتي تهدف إلى مساعدة الأفراد، وتقديم الخدمات الاجتماعية والنفسية لهم، بهدف مساعدتهم على القيام بأدوارهم ووظائفهم بشكل أفضل (أبو النصر، 2017). تبدأ الأسرة بعمليات التنشئة الاجتماعية منذ الولادة، ومن ثم تتوالى هذه العمليات عبر مراحل نمو الطفل المختلفة، وصولاً إلى المدرسة التي تُعد إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تستكمل فيها شخصية الطفل نموها وتطورها، وذلك من خلال تزويده بالمعارف والمهارات العلمية، وإكسابه العادات الحميدة والقيم الحسنة، كما أنَّ دورها لا يقتصر على هذا الجانب فحسب؛ بل تعمل على النهوض بمستوى التعليم على المستويات والمراحل كافة. وهذا بفضل تفاعل الطواقم التعليمية وتعاونها، التي تشكل أحد أقطاب المناخ المدرسي، وهو ما يشكل - بدوره - مجموعة المميزات التي تتصف بها بيئة العمل الداخلية التي يعمل المعلمون ضمنها (Blessing, and. Adeogun, 2011).

لهذا؛ يعد الميدان المدرسي أحد أهم الميادين في الخدمة الاجتماعية، ومن أهدافه مساعدة المدرسة في تحقيق أهدافها التربوية والتعليمية، فيساعد المتخصص الاجتماعي في هذا الميدان الطلاب على مواجهة مشكلاتهم، وتحديد احتياجاتهم وإشباعها، إلى جانب دراسة الأوضاع والتغيرات البيئية والمجتمعية ومدى تأثيرها في المتعلمين، كل ذلك يدفع هذه المهنة - دوماً - إلى أن تجد طرق الممارسة، وتبتكر ما يتناسب وهذه المتغيرات الجديدة لمواجهتها والتغلب عليها (خلف، 2019). في حين أشار كل من (أبو الحسن، 2021) و(الصمادي والتلاهي، 2016)، إلى أن الخدمة الاجتماعية المدرسية تسعى لتنمية شخصية الطلبة عبر إحداث تغيير إيجابي ومخطط في شخصياتهم، من أجل مساعدتهم على التصدي للضغوط والمشكلات التي تواجههم في حياتهم، والتكيف مع بيئاتهم ولا سيما البيئة المدرسية، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي من خلال دعمهم ومساندتهم، فأصبحت وظيفة المختص الاجتماعي المدرسي من الوظائف الحيوية في المدرسة المعاصرة، فلا غنى للمدرسة عنها، ما جعل وجود المتخصص الاجتماعي المدرسي وممارسته لدوره داخل العملية التعليمية لا يقل أهمية عن دور المعلم. وهذا هو أحد أسباب اهتمام الكثير من مؤسسات التعليم العالي في إعداد متخصص اجتماعي مؤهل يمتلك مهارات وكفايات تمكنه من القيام بأدواره المهنية على الوجه الأكمل. وبطبيعة الحال، وانسجاماً مع الدور المطلوب منه، فإن المتخصص الاجتماعي المدرسي لا يكون بمعزل عن المناخ المدرسي الذي يعمل فيه، لأنَّ المناخ المدرسي هو أحد مكونات العملية التعليمية؛ كونه يعكس شكل العلاقات والتفاعلات ونوعها بين العاملين بالمدرسة، ويحدد أسلوب العمل المُتبَع فيها. كما أنَّ المناخ المدرسي يؤثر في تقدم المدرسة وفعاليتها، وهو مؤشر على نجاح الإدارة وقدرتها على تحقيق أهدافها، من خلال حل مكونات العملية التعليمية كافة، على مواكبة التطورات العلمية وتطبيقها (الفهداوي، 2021).

ونظراً للطبيعة المهنية للمختص الاجتماعي، فيتوجب أن يكون قادراً على مواجهة عديد من القضايا عند تعامله مع الحالات الفردية المختلفة داخل المدرسة بكل كفاءة وفعالية، ولا يمكن أن يحدث ذلك دون السعي للتسلح بالمعارف النظرية والعلمية كافة، والقدرة على ابتكار أساليب اجتماعية ومهنية تساعده على تحقيق أهداف خطط التدخل المهني في العمل مع الحالات الفردية (McCullough, 2010). ونظراً لاختلاف طرق التعامل مع الحالات الفردية في الخدمة الاجتماعية تبعاً لاختلاف القضية أو المشكلة التي يتعامل معها، فينبغي أن يحرص المختص الاجتماعي في التركيز على الممارسات الأكثر إثارة وفعالية، والمتاحة للتطبيق في المناخ المدرسي، والتي منها؛ استحداث طرق تقويم جديدة، وأدوات جديدة كذلك، ووضع معايير شاملة مقارنة للبيئة والمجتمع، وتعزيز المسؤولية الفكرية لدى الطلاب والطاقت التعليمية، والتطوير والابتكار الاجتماعي والمهني من أجل الوصول إلى أهداف الممارسة المهنية ولا سيما في أثناء العمل مع الحالات الفردية. (Henning, 2016).

كل هذا من شأنه أن يشعر المتخصص الاجتماعي المبدع بأن عمله أصبح ذا قيمة، ويُعد هذا الشعور محركاً يحفز من أجل تحقيق أعمال مميزة أخرى، والسعي لتوظيف الأساليب والوسائل كافة لمعالجة المشكلات التي تواجه الحالات الفردية من زوايا متعددة (صبار، 2023).

وتجدر الإشارة هنا؛ إلى أن الأداء المهني للمتخصص الاجتماعي وقدرته على الإبداع والتميز يتأثر إيجاباً وسلباً بطبيعة المناخ المدرسي السائد، ولذلك حرص الباحثون والمهتمون على إجراء عديد من الدراسات المرتبطة بموضوع الدراسة، اطلع الباحث عليها، واستعرض بعضاً منها في هذه الدراسة، فقد قامت (داخل، 2022) بعمل دراسة سعت إلى التعرف إلى الحيوية الذاتية وعلاقتها بالإبداع الإرشادي لدى المرشدين التربويين، وأظهرت النتائج أن مستوى الإبداع الإرشادي لدى المرشدين جاء بدرجة مرتفعة، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية، تعزى لمتغير الجنس لمصلحة الإناث. في حين أظهرت نتائج دراسة (الفهداوي، 2021)، وجود علاقة دالة إحصائية بين الذات المهنية للمتخصصين الاجتماعيين والمناخ المدرسي، كما بينت النتائج - أيضاً - وجود فروق دالة إحصائية في الذات المهنية تعود لمتغير الجنس لمصلحة المرشدين الذكور. في حين أجرى (أبو الحسن، 2021) دراسته التي كان الهدف منها تقصي فاعلية برنامج لتنمية معارف ريادة الأعمال الاجتماعية لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين بجمعيات الأيتام بمكة المكرمة، ومهاراتهم، والتي أشارت نتائجها إلى فعالية البرنامج التدريبي في تنمية المعارف بريادة الأعمال الاجتماعية، وتحديدًا المعارف بالابتكار الاجتماعي، كما بينت (طه، 2021) في دراستها التي هدفت إلى معرفة مستوى امتلاك المرشدين النفسين لمهارات الإرشاد التربوي، ومستوى فاعليتهم المهنية والذاتية، وأظهرت النتائج أن مستوى الفاعلية الذاتية والمهنية كان مرتفعاً، وأن مستوى امتلاك المرشدين لمهارات الإرشاد كان مرتفعاً، وأن اتجاهات الهيئة التدريسية والطلبة نحو الإرشاد كان إيجابياً، إلى جانب وجود علاقة موجبة بين الفاعلية الذاتية والمهنية والاتجاهات نحو الإرشاد. كما تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين جنس المرشد، وعدد سنوات خبرته، ومستواه التعليمي وبين الذاتية المهنية ومهارات الإرشاد التربوي. في حين أشارت نتائج دراسة (Jarwan & Al-frehat, 2020) إلى عدم وجود فروق إحصائية ذات دلالة بين الكفاءة الذاتية والكفاءة المهنية للمرشدين التربويين حسب متغير الجنس، كما أشارت النتائج إلى عدم وجود علاقة ارتباط طردية بين درجة الكفاءة الذاتية ودرجة الكفاءة المهنية بين المرشدين التربويين. كما بينت نتائج دراسة (خلف، 2019) أنَّ مستوى المناخ المدرسي جاء بدرجة متوسطة، ودرجة التفكير الابتكاري جاءت - أيضاً - بدرجة متوسطة، كما أظهرت النتائج وجود علاقة طردية موجبة بين المناخ المدرسي والابتكار الاجتماعي.

وأخيراً أجرى (Mullen, 2014) دراسة هدفت للكشف عن العلاقة بين نوعية الحياة المهنية والفاعلية الذاتية لأنشطة المرشدين التربويين في المدارس، وقد أشارت النتائج إلى أنَّ درجة العلاقة بين نوعية الحياة المهنية والفاعلية الذاتية لأنشطة المرشدين التربويين منخفضة.

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة، تبين أن بعضها اتفقت مع الدراسة الحالية من حيث المنهجية المتبعة، والأدوات المستخدمة، واختلفت معظمها مع الدراسة الحالية في طبيعة المجتمع المستهدف، إلا أن الدراسة الحالية تتميز في أنها من الدراسات القليلة جداً التي تناولت المناخ المدرسي وعلاقته بالتفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية في المجتمع الفلسطيني؛ كون أن مهنة الخدمة الاجتماعية مهنة حديثة العهد في مجتمعنا الفلسطيني.

مشكلة الدراسة: من الطبيعي في كل دول العالم المعاصر ولا سيما الدول العربية، أن يشكل جو العمل والمناخ المدرسي الذي يعيشه العاملون في المدرسة متغيراً فاعلاً في درجة نجاح أداء المدرسة ومستواها، ومدى شعور العاملين عبر مكوناتها المختلفة بالراحة والطمأنينة والثقة والرغبة في بذل أقصى جهودهم الممكنة في مساعدهم لإنجاز متطلبات أدوارهم وتحقيق أهداف العملية التربوية. فسمات المتخصص الاجتماعي الشخصية وكفاءته الذاتية وقدرته على الإبداع في العمل مع الحالات الفردية، جميعها عوامل رئيسة تتأثر بطبيعة المناخ المدرسي السائد، (صالح، 2022)، وفي الوقت الذي أثبتت فيه بعض الدراسات وجود علاقة بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي لدى المرشدين، ومنها دراسة (داخل، 2022 والفهداوي، 2021، وأبو الحسن، 2021، وخلف، 2019)، فقد أثبتت دراسات أخرى عدم وجود علاقة بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين (كدراسة Jarwan & Al-frehat, 2020). ويعزو الباحث تباين هذه النتائج في هذا المجال إلى التباين في المناخات المدرسية، والإمكانيات المتوفرة، والظروف المحيطة، والتحديات التي تواجه نظم التعليم، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الوضع القائم في فلسطين، فإن المناخات المدرسية عموماً غير مستقرة، وهناك تحديات كبيرة اجتماعية واقتصادية وتعليمية وسياسية، لها تأثير في المناخ المدرسي، وفي عمل المتخصص الاجتماعي فيها، إلى جانب أن حجم التحديات قد يكون أكبر بكثير من تلك التحديات في المجتمعات العربية الأخرى وحتى الغربية منها. وعليه تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤل الرئيس التالي: "ما العلاقة بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل؟".

ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما درجة المناخ المدرسي في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل؟
2. ما درجة التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل؟
3. هل توجد فروق بين متوسطات التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل باختلاف: (الجنس، والعمر، وعدد سنوات الخبرة والمؤهل العلمي)؟
4. ما العلاقة بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي في عمل المتخصصين الاجتماعيين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل؟

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى:

1. التعرف إلى درجة المناخ المدرسي في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل.
2. التعرف إلى درجة التفكير الإبداعي في عمل المتخصصين الاجتماعيين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل.
3. تقصي الفروق بين متوسطات التفكير الإبداعي في عمل المتخصصين الاجتماعيين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل باختلاف: (الجنس، والعمر، وسنوات الخبرة، والمؤهل العلمي).
4. تقصي العلاقة بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي في عمل المتخصصين الاجتماعيين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل.

أهمية الدراسة:

- الأهمية النظرية:

1. أنها تتناول موضوعاً مهماً وحيوياً في البيئة الفلسطينية، ألا وهو المتخصص الاجتماعي وقدرته على التفكير الإبداعي في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل
2. محاولة الوصول إلى نتائج جديدة، ولاسيما أنه سيتم تطبيق هذه الدراسة في مجتمع مختلف ثقافياً واجتماعياً عن المجتمعات الأخرى التي نفذت فيها الدراسات والأبحاث السابقة.

- الأهمية التطبيقية

1. تتبع أهمية الدراسة من عينيها المستهدفة التي تُعد على تماس مباشر مع أطراف الشعب الفلسطيني كافة.
2. تتبع أهمية الدراسة من طبيعة الأدوات المستخدمة، فقد قام الباحث بتطوير بعض الأدوات التي يمكن للباحثين من استخدامها والاعتماد عليها في الدراسات ذات العلاقة.
3. مساعدة أصحاب القرار في وزارة التربية والتعليم الفلسطينية على اتخاذ إجراءات تتعلق بسبل متابعة الأداء المهني للمتخصصين الاجتماعيين العاملين في الميدان.
5. تتبع أهميتها من أنها ستوفر معلومات عن درجة استخدام التفكير الإبداعي في عمل المتخصصين الاجتماعيين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل.

مفاهيم الدراسة

- المناخ المدرسي: يُعرف المناخ المدرسي بأنه: "هو ذلك الكل المركب من العلاقات التفاعلية الشخصية والاجتماعية والنفسية والأكاديمية التي تسود بين الأفراد الموجودين داخل المدرسة" (Karawi, and Abdul, 2019). ويعرف الباحث المناخ المدرسي إجرائيًا بأنه: "هو الدرجة الكلية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على المقياس المعد لهذه الدراسة والمحدد في الأبعاد التالية (الإدارة المدرسية، والعلاقة مع الزملاء داخل المدرسة، والإمكانات والتجهيزات المدرسية، ولوائح ونظام العمل)".
- التفكير الإبداعي: هو القدرة على التوجيه الاستراتيجي وتنظيم العمل بمرونة، والأداء المتميز غير التقليدي في العمل، وتحقيق الإنتاجية العالية في معالجة المشكلات (خلف، 2019، ص8).
- ويعرف الباحث التفكير الإبداعي إجرائيًا بأنه: "هو الدرجة الكلية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على المقياس المعد لهذه الدراسة".
- المتخصص الاجتماعي: هو ذلك الشخص المهني المُعد للعمل في ميادين الخدمة الاجتماعية لتقديم المساعدة للمتفاعلين سواء أكانوا أفرادًا أم جماعات أم مجتمعات، لمساعدتهم على التكيف مع بيئاتهم، وتنمية قدراتهم الذاتية، وإشباع احتياجاتهم، ومساعدتهم في علاج مشكلاتهم (الساخي، 2020، ص6).
- ويعرف الباحث المتخصص الاجتماعي إجرائيًا في هذه الدراسة بأنه: "ذلك الشخص المؤهل علميًا وعمليًا لممارسة الخدمة الاجتماعية أو الإرشاد النفسي أو علم النفس، والعامل في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل خلال تطبيق هذه الدراسة، والذي طُبقت عليه أداة الدراسة الحالية".
- العمل مع الحالات الفردية (طريقة خدمة الفرد): أول طريقة من طرق الخدمة الاجتماعية، والتي تهدف إلى مساعدة كل من الفرد والأسرة على التوافق الاجتماعي مع الآخرين، وتكوين علاقات اجتماعية إيجابية وإشباع احتياجاتهم ومواجهة مشكلاتهم. (أبو النصر، 2017، ص129).
- ويعرف الباحث العمل مع الحالات الفردية إجرائيًا في هذه الدراسة بأنها: "مجموعة الأساليب والاستراتيجيات المهنية التي يستخدمها المتخصص الاجتماعي العامل في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل في العمل مع الطلبة، بصفتهم أفرادًا، بهدف مساعدتهم على إشباع احتياجاتهم وعلاج مشكلاتهم وزيادة تفكيرهم مع البيئة المدرسية.
- حدود الدراسة:** تتحدد حدود الدراسة بالأبعاد الآتية:
- البعد الموضوعي: المناخ المدرسي وعلاقته بالتفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل.
- البعد المكاني: مدارس مديريات وزارة التربية والتعليم في محافظة الخليل كافة، وهي: (مديرية شمال الخليل، ومديرية جنوب الخليل، ومديرية يطا).
- البعد الزمني: تم تطبيق هذه الدراسة خلال العام الأكاديمي 2024 / 2025م.
- البعد البشري: جميع المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات وزارة التربية والتعليم في محافظة الخليل خلال العام 2024 / 2025م.

2. إجراءات الدراسة

فيما يلي وصف لإجراءات الدراسة من حيث المنهج، والعينة، والأدوات، والأساليب الإحصائية.

2.1 منهج الدراسة

استخدم الباحث المنهج المسحي الارتباطي، وهو أحد أنواع المناهج الوصفية، ويُستخدم في قياس العلاقة بين متغيرين أساسيين، لمعرفة ما إذا كانت هذه العلاقة موجبة أم سالبة، ومن ثَمَّ التنبؤ بمستوى معين من الدلالة في صورة رقمية، وذلك باستخدام أدوات قياس مناسبة. ويُعرف المنهج المسحي الارتباطي بأنه: "أسلوب لتحليل المعلومات وطريقة تحليل خاصة، حول قضية أو موضوع معين، خلال فترات زمنية محددة، بغرض التوصل لاستنتاجات علمية دقيقة" (المحمودي، 2019، ص20).

2.2 مجتمع الدراسة

تألف مجتمع الدراسة من جميع المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات وزارة التربية والتعليم في محافظة الخليل، والبالغ عددهم (316) متخصصًا ومتخصصة، بناءً على إحصائيات وزارة التربية والتعليم، التي تم الحصول عليها لهذا الغرض.

2.3 عينة الدراسة

طُبقت أداة الدراسة على عينة قوامها (151) متخصصًا ومتخصصة من المتخصصين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تم اختيارهم بطريقة عشوائية. ويوضح الجدول (1) خصائص أفراد العينة الديموغرافية:

جدول 1: خصائص أفراد العينة الديموغرافية

المتغير	مستويات المتغير	العدد	النسبة %
الجنس	ذكر	67	44.4
	أنثى	84	55.6
	المجموع	151	100.0
العمر	من (25-35) سنة	53	35.1
	من (36-45) سنة	56	37.1
	46 سنة فأكثر	42	27.8
	المجموع	151	100.0
المؤهل العلمي	بكالوريوس	118	78.1
	ماجستير فأعلى	33	21.9
	المجموع	151	100.0
سنوات الخبرة	5 سنوات فأقل	29	19.2
	من (6-13) سنة	64	42.4
	14 سنة فأكثر	58	38.4
	المجموع	151	100.0

2.4 أداة الدراسة

في سبيل تحقيق أهداف الدراسة، حرص الباحث على بناء أداة الدراسة، استناداً إلى عدد من الأدبيات والمصادر السابقة ذات العلاقة، منها: دراسة (الطلحي وبكر، 2018)، ودراسة (الوليدي وأرنوط، 2017)، ودراسة (خلف، 2019). وقد صيغت جميع فقرات أداة الدراسة لتتناسب مع طبيعة عينة الدراسة وخصائصهم، فتكونت أداة الدراسة في صورتها الأولية من (40) فقرة، وضعت أمام كل فقرة البدائل الآتية: (دائماً 5 درجات، غالباً 4 درجات، أحياناً 3 درجات، نادراً درجتان، أبداً "لا" درجة واحدة)، ويُطلب من المفحوص تحديد البديل الذي ينطبق عليه. وتكونت أداة الدراسة من قسمين، هما:

- القسم الأول: ويحتوي على المتغيرات التصنيفية وهي: (الجنس، والعمر، وعدد سنوات الخبرة، والمؤهل العلمي).
 - القسم الثاني: اشتمل على مجالين أساسيين، المجال الأول؛ وهو المناخ المدرسي، وتكون من أربعة أبعاد أساسية بمجموع (25) فقرة، موزعة على أربعة أبعاد رئيسية، تمثل المناخ المدرسي؛ وهي على النحو التالي:
 - البعد الأول: الإدارة المدرسية، وتكون من (7) عبارات.
 - البعد الثاني: العلاقة مع الزملاء، وتكون من (6) عبارات.
 - البعد الثالث: الإمكانيات والتجهيزات المدرسية، وتكون من (6) عبارات.
 - البعد الرابع: لوائح ونظام العمل، وتكون من (6) عبارات.
- في حين اشتمل المجال الثاني والخاص بالتفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية على (14) عبارة.

2.5 الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة

2.5.1 صدق الأداة

2.5.1.1 صدق البناء لأداة المناخ المدرسي

اختبر الباحث صدق البناء من خلال حساب معاملات ارتباط بيرسون (Pearson Correlation) لاستخراج قيمة معامل ارتباط كل فقرة بالمجال الذي تنتمي إليه، إلى جانب معرفة قيم معاملات ارتباط الفقرات مع الدرجة الكلية للأداة (المناخ المدرسي)، كذلك احتساب قيم معاملات ارتباط كل مجال مع الدرجة الكلية للأداة، وذلك كما هو مبين في الجدول (2).

جدول 2: معاملات ارتباط فقرات أداة المناخ المدرسي بالمجال الذي تنتمي إليه، ومع الدرجة الكلية للأداة، ودرجة كل مجال مع الدرجة الكلية للأداة.

رقم الفقرة	الارتباط مع المجال	الارتباط مع الدرجة الكلية	رقم الفقرة	الارتباط مع المجال	الارتباط مع الدرجة الكلية
1	,735**	,529**	14	,676**	,348**
2	,749**	,578**	15	,686**	,419**
3	,756**	,429**	16	,744**	,504**
4	,814**	,576**	17	,729**	,548**
5	,645**	,430**	18	,568**	,448**
6	,737**	,539**	19	,660**	,418**

رقم الفقرة	الارتباط مع المجال	الارتباط مع الدرجة الكلية	رقم الفقرة	الارتباط مع المجال	الارتباط مع الدرجة الكلية
7	.795**	.541**	الإمكانات والتجهيزات المدرسية	.668**	الارتباط مع الدرجة الكلية
الإدارة المدرسية	.693**				
8	.712**	.682**	20	.718**	.494**
9	.593**	.487**	21	.798**	.472**
10	.690**	.583**	22	.751**	.461**
11	.763**	.676**	23	.828**	.542**
12	.602**	.558**	24	.750**	.611**
13	.684**	.528**	25	.743**	.567**
العلاقة مع الزملاء داخل المدرسة	.649**		لوائح ونظام العمل	.683**	

** دالة إحصائية عند ($\alpha \leq 0.01$)

يلاحظ من البيانات الواردة أعلاه في الجدول رقم (2)، أنَّ جميع معاملات ارتباط متوسطات فقرات كل مجال مرتبطة بالدرجة الكلية لمجالها من جهة، وبالدرجة الكلية للأداة من جهة أخرى ارتباطاً دالاً إحصائياً، ويشير هذا إلى وجود علاقة ارتباطية بين كل فقرة من الفقرات ومجالها من ناحية، وبين الفقرة والدرجة الكلية للأداة من ناحية أخرى، كما أشارت البيانات في الجدول إلى أنَّ درجة كل مجال مرتبطة بالدرجة الكلية للأداة ارتباطاً ذا دلالة إحصائية، وهذا يعني وجود علاقة ارتباطية بين درجة المجال والدرجة الكلية للأداة، وهنا يتبين أنَّ أداة المناخ المدرسي تتمتع بدرجة من الصدق الكافي لقياس ما وُضعت لقياسه.

2.5.1.2 صدق البناء لأداة التفكير الإبداعي

تحقق الباحث من صدق البناء من خلال حساب معاملات ارتباط بيرسون (Pearson Correlation) للوصول إلى قيمة معامل ارتباط كل فقرة مع قيمة الدرجة الكلية لأداة التفكير الإبداعي، وذلك كما هو موضح في الجدول (3).

جدول 3: معاملات ارتباط فقرات أداة التفكير الإبداعي بالدرجة الكلية للمقياس

رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط
1	.675**	8	.611**
2	.543**	9	.689**
3	.723**	10	.786**
4	.738**	11	.553**
5	.578**	12	.668**
6	.723**	13	.583**
7	.688**	14	.713**

** دالة إحصائية عند ($\alpha \leq 0.01$)

يتضح لنا من النتائج الواردة في الجدول أعلاه، رقم (3)، أنَّ جميع معاملات ارتباط متوسطات الفقرات مرتبطة بالدرجة الكلية للأداة ككل، ارتباطاً دالاً إحصائياً، وهذا يدل على وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين جميع فقرات الأداة والدرجة الكلية للأداة، وعلى وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للأداة، وهنا نجد أنَّ أداة التفكير الإبداعي تتمتع بدرجة من الصدق الكافي لقياس ما وُضعت لقياسه.

2.5.2 ثبات الأداة

تم اختبار الثبات بطريقتين: الأولى من خلال حساب معامل الثبات ألفا كرونباخ، والطريقة الثانية باستخدام طريقة ماكدونالد أوميغا (ω)، كما هو مبين أدناه في الجدول رقم (4).

جدول 4: معاملات الثبات لمقاييس الدراسة

المقياس	عدد الفقرات	ألفا كرونباخ	ماكدونالد أوميغا (ω)
الإدارة المدرسية	7	.867	.870
العلاقة مع الزملاء داخل المدرسة	6	.756	.767
الإمكانات والتجهيزات المدرسية	6	.758	.772
لوائح ونظام العمل	6	.856	.859
المناخ المدرسي العام	25	.825	.837
التفكير الإبداعي في العمل	14	.898	.903

يتضح من البيانات الموضحة في الجدول رقم (4)، أنَّ قيمة معامل الثبات لاختبار ألفا كرونباخ لأداة المناخ المدرسي كانت مرتفعة، فبلغت (0.825)، وبلغ معامل ثبات مكدونالد أوميغا (0.837). كما تبين أنَّ قيمة معامل الثبات لاختبار ألفا كرونباخ لأداة التفكير الإبداعي في العمل كانت مرتفعة، فقد بلغت (0.898)، وبلغ معامل ثبات مكدونالد أوميغا (0.903).

2.5.3 تصحيح الأداة

يعطى المستجيب (5) درجات عندما تكون إجابته (دائمًا)، والبديل (غالبًا) أربع درجات، والبديل (أحيانًا) ثلاث درجات، والبديل (نادرًا) درجتين، والبديل (أبدًا لا) درجة واحدة. وتُعد درجة الموافقة منخفضة إذا قل المتوسط الحسابي عن (2.33)، ومتوسطة إذا وقع المتوسط في الفترة بين (2.33-3.67)، وتعد الدرجة مرتفعة إذا زاد المتوسط الحسابي عن (3.67).

2.5.4 المعالجة الإحصائية

بعد انتهاء الباحث من جمع البيانات، قام بمراجعتها وتدقيقها تمهيدًا لإدخالها لجهاز الحاسوب، واعتمد الباحث في تحليل بيانات دراسته على حزمة البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Package for Social Science (SPSS.29)، وتمت المعالجة الإحصائية اللازمة لبيانات الدراسة باستخدام الأوزان النسبية، والمتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، واختبار ألفا كرونباخ لمعرفة ثبات فقرات الاستبانة، ومعامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation) لمعرفة صدق فقرات الاستبانة، والتعرف إلى طبيعة العلاقة بين المناخ المدرسي بمجالاته، وبين التفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية لدى المتخصصين الاجتماعيين واستخدام طريقة مكدونالد أوميغا (w)، واختبار (t) للعينات المستقلة (Independent Samples t-test)، واختبار تحليل التباين الأحادي (One-Way Analysis of Variance)، واختبار شيفيه (Scheffe).

3. نتائج الدراسة

يحتوي هذا الجزء على النتائج التي توصل إليها الباحث بعد استخدام الأساليب الإحصائية المناسبة للبيانات التي تم جمعها، في سبيل الإجابة عن أسئلة الدراسة واختبار فرضياتها. الإجابة عن السؤال الأول الذي نصه: “ما مستوى المناخ المدرسي في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل؟”. ولتحقيق هذا الغرض، تم استخراج المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والأوزان النسبية لمستوى المناخ المدرسي في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل من وجهة نظر المتخصصين الاجتماعيين. وذلك كما هو مبين في الجدول رقم (5).

جدول 5: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لمستوى المناخ المدرسي في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل من وجهة نظر المتخصصين الاجتماعيين، مرتبة تنازليًا.

رقم الفقرة	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	درجة الموافقة
12	أتجنب الإساءة إلى زملائي في العمل	4.81	0.50	96.2	إيجابي
8	أبادر إلى مساعدة زملائي إذا طلبوا مني ذلك	4.63	0.55	92.6	إيجابي
9	أتعاون مع زملائي دائمًا لتحقيق أهداف المدرسة	4.62	0.50	92.4	إيجابي
13	أقيل توجيهات زملائي برحابة صدر	4.46	0.63	89.2	إيجابي
10	أحرص على مشاركة زملائي مناسباتهم الاجتماعية	4.28	0.79	85.6	إيجابي
11	أحرص على تبادل الخبرات مع زملائي في المدرسة	4.25	0.76	85.0	إيجابي
	الدرجة الكلية للعلاقة مع الزملاء داخل المدرسة	4.51	0.42	90.2	إيجابي
3	تشعني الإدارة بأهميتي داخل المدرسة	4.39	0.77	87.8	إيجابي
1	تستمع الإدارة لأفكاري ومقترحاتي وتحترمها	4.28	0.70	85.6	إيجابي
4	تشجعني الإدارة على تطوير أساليب العمل باستمرار	4.15	0.88	83.0	إيجابي
5	يناقشني مدير المدرسة في القضايا التي تخص عملي كافة	4.14	0.86	82.8	إيجابي
7	تقدر الإدارة الإنجازات كافة، التي أحققها في عملي	4.13	0.85	82.6	إيجابي
6	تحرص الإدارة على ترسيخ مبدأ العدل بين الزملاء	4.07	0.80	81.4	إيجابي
2	تشركني الإدارة في اتخاذ القرارات المدرسية	4.03	0.79	80.6	إيجابي
	الدرجة الكلية للإدارة المدرسية	4.17	0.60	83.4	إيجابي
15	توفر المدرسة أماكن خاصة لحفظ ملفات العمل الخاصة بي	4.46	0.89	89.2	إيجابي
14	توفر المدرسة غرفة خاصة بالمتخصص الاجتماعي	4.32	0.99	86.4	إيجابي
18	توفر المدرسة شبكة إنترنت باستمرار	4.22	0.98	84.4	إيجابي
16	توفر المدرسة جهاز حاسوب خاصا بعملي	3.67	1.47	73.4	مُرض

رقم الفقرة	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	درجة الموافقة
19	توفر المدرسة مكتبة علمية تحتوي على كتب في مجال عملي.	3.26	1.19	65.2	مرض
17	توفر المدرسة قاعة اجتماعات مناسبة لاستخدامها في عملي	3.03	1.40	60.6	مرض
	الدرجة الكلية للإمكانات والتجهيزات المدرسية	3.83	0.79	76.6	إيجابي
25	برامج التدريب المتوفرة تحفزني على تحسين أدائي	3.36	1.09	67.2	مرض
24	يمنح نظام العمل رسائل شكر وتقدير للمتميزين في عملهم	2.82	1.16	56.4	مرض
20	يتناسب الراتب الذي أتقاضاه مع ما أبذله من جهد	2.66	1.28	53.2	مرض
23	تطبق المعايير المتعلقة بالترقية في العمل	2.56	1.27	51.2	مرض
21	يوجد نظام محدد لمنح العلاوات في عملي	2.46	1.36	49.2	مرض
22	تتناسب الزيادة السنوية في راتبي مع احتياجاتي	1.85	1.05	37.0	سيء
	الدرجة الكلية للوائح ونظام العمل	2.62	0.92	52.4	مرض
	الدرجة الكلية للمناخ المدرسي	3.80	0.43	76.0	إيجابي

يُلاحظ من نتائج البيانات الموضحة في الجدول رقم (5)، أنَّ مستوى المناخ في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل من وجهة نظر المتخصصين الاجتماعيين جاء بدرجة إيجابية، فبلغ المتوسط الحسابي للدرجة الكلية للمناخ المدرسي (3.80) وبنسبة مئوية (76.0%).

كما يلاحظ من الجدول أعلاه رقم (5) أنَّ مجال العلاقة مع الزملاء داخل المدرسة حصل على الترتيب الأول بمتوسط حسابي (4.51) ونسبة مئوية (90.2%)، وتبين أنَّ الفقرة (12) حصلت على أعلى متوسط حسابي بلغ (4.81)، والتي نصت على: (أُجنب الإساءة إلى زملائي في العمل)، في حين أنَّ الفقرة (11) قد حصلت على أقل متوسط حسابي بلغ (4.25) والتي نصت على: (أحرص على تبادل الخبرات مع زملائي في المدرسة).

وفي الترتيب الثاني جاء مجال الإدارة المدرسية بمتوسط حسابي بلغ (4.17) ونسبة مئوية بلغت (83.4%)، وتبين أنَّ الفقرة (3) قد حصلت على أعلى متوسط حسابي بلغ (4.39)، والتي نصت على: (تشعُرني الإدارة بأهميتي داخل المدرسة)، في حين تبين أنَّ الفقرة (2) قد حصلت على أقل متوسط حسابي بلغ (4.03)، والتي نصت على: (تشعُرني الإدارة في اتخاذ القرارات المدرسية).

وفي الترتيب الثالث جاء مجال الإمكانات والتجهيزات المدرسية بمتوسط حسابي بلغ (3.83) ونسبة مئوية بلغت (76.6%)، وتبين أنَّ الفقرة (15) قد حصلت على أعلى متوسط حسابي بلغ (4.46)، والتي نصت على: (توفر المدرسة أماكن خاصة لحفظ ملفات العمل الخاصة بي)، في حين تبين أنَّ الفقرة (17) قد حصلت على أقل متوسط حسابي بلغ (3.03)، ونصها: (توفر المدرسة قاعة اجتماعات مناسبة لاستخدامها في عملي).

واحتل الترتيب الرابع مجال اللوائح ونظام العمل بمتوسط حسابي بلغ (2.62) ونسبة مئوية بلغت (52.4%)، وتبين أنَّ الفقرة (25) حصلت على أعلى متوسط حسابي بلغ (3.36)، ونصها: (برامج التدريب المتوفرة تحفزني على تحسين أدائي)، في حين تبين أنَّ الفقرة (22) قد حصلت على أقل متوسط حسابي بلغ (1.85)، ونصها: (تتناسب الزيادة السنوية في راتبي مع احتياجاتي).

ويعزو الباحث هذه النتيجة ووفق ترتيب مقومات المناخ المدرسي ومجالاته، إلى أنَّ طبيعة المجتمعات المدرسية بما تحويه من تفاعلات، قائمة على نهج المعاملة الإنسانية وإيلاء الجانب الاجتماعي أهمية بالغة بين أعضاء الهيئة التدريسية فيها، وعلى هذا الأساس؛ فإنَّ الإدارة المدرسية تتبع النهج الإداري الإنساني المبني على التعاون والعمل بروح الفريق الواحد، أما فيما يتعلق بالمجال الثالث والذي يتعلق بالإمكانات، فإنَّ جُلَّ ما يتوافر في المدارس هو نتاج المجتمع المحلي، لذلك قد يكون هناك تباين في مدى دعم المجتمعات من مدرسة إلى أخرى، وفيما يتعلق بالمجال الأخير، فإنَّ الحالة الاقتصادية العامة للدولة ترخي بظلالها على فئات الموظفين ومنهم المتخصصون، وكل ما يتعلق بحقوقهم وأمانهم الوظيفي هو رهن الوضع الاقتصادي العام والمرتبطة بالحالة السياسية للدولة. واتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (طه، 2021)، في أنَّ درجة المناخ المدرسي جاءت بدرجة إيجابية مرتفعة، في حين اختلفت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (خلف، 2019). والتي أشارت إلى أنَّ درجة المناخ المدرسي جاءت بدرجة متوسطة.

الإجابة عن السؤال الثاني الذي نصه: "ما مستوى التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل؟"

ولغرض تحقيق هذا الهدف، استخرج الباحث المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والأوزان النسبية، لمستوى التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل من وجهة نظر المتخصصين الاجتماعيين. وذلك كما هو مبين في الجدول (6).

جدول 6: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لمستوى التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات تربية وتعليم محافظة الخليل، مرتبة تنازلياً.

رقم الفقرة	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي %	درجة الموافقة
1	أسعى لتطوير أساليب جديدة في عملي باستمرار	4.36	0.65	87.2	كبيرة
2	أستخدم غير طريقة في جمع المعلومات التي تخص الحالة الفردية	4.31	0.69	86.2	كبيرة
13	أسعى دومًا لإشراك المتفكرين في إعادة تقويم طرق تفكيرهم المرتبطة بالمشكلات	4.18	0.64	83.6	كبيرة
6	أحاول توظيف غير أسلوب علاجي في التعامل مع مشكلات المتفكرين	4.09	0.69	81.8	كبيرة
11	أحاول إدراك العلاقات بين العوامل والأسباب المرتبطة بمشكلات المتفكرين	4.09	0.71	81.8	كبيرة
3	أستخدم أساليب فنية جديدة في عملية التدخل المهني	4.07	0.73	81.4	كبيرة
12	أحاول استخدام الاستدلال والاستنتاج في فهم أسباب مشكلات المتفكرين	4.06	0.67	81.2	كبيرة
8	اهتم بتبادل الخبرات والتجارب مع زملائي في عملية التدخل المهني	3.98	0.75	79.6	كبيرة
10	أنهي مساعدة المتفكرين بصورة مبتكرة لتحقيق أعلى مستوى من الرضا لديهم	3.95	0.70	79.0	كبيرة
4	أنهي العلاقة المهنية مع المتفكرين بطرق مبتكرة وجديدة	3.94	0.79	78.8	كبيرة
7	أحاول الاعتماد على غير نظرية علمية في عملية التدخل المهني	3.87	0.75	77.4	كبيرة
9	أسعى لاستخدام أساليب غير تقليدية في تقويم عملية التدخل المهني	3.85	0.68	77.0	كبيرة
5	أحاول التنبؤ بمشكلات الطلاب قبل حدوثها	3.68	0.79	73.6	كبيرة
14	أحرص على متابعة تنفيذ خطة التدخل المهني مع المتفكرين من خلال وسائل التواصل الاجتماعي	3.40	1.17	68.0	متوسطة
الدرجة الكلية للتفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين		3.99	0.49	79.8	كبيرة

يتضح لنا من البيانات الموضحة في الجدول (6)، أنَّ مستوى التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل من وجهة نظر المتخصصين الاجتماعيين جاء بدرجة موافقة كبيرة، فبلغ المتوسط الحسابي للدرجة الكلية للتفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين (3.99) بنسبة مئوية (79.8%). وتبين أنَّ الفقرتين (1، 2) على التوالي حصلتا على أعلى متوسطات حسابية، ونصهما: (أسعى لتطوير أساليب جديدة في عملي باستمرار) و (أستخدم غير طريقة في جمع المعلومات التي تخص الحالة الفردية)، في حين حصلت الفقرتان (14، 5) على التوالي على أقل متوسطات حسابية، ونصتا على: (أحرص على متابعة تنفيذ خطة التدخل المهني مع المتفكرين من خلال وسائل التواصل الاجتماعي)، و(أحاول التنبؤ بمشكلات الطلاب قبل حدوثها).

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى طبيعة عمل المتخصصين الاجتماعيين والذي يتسم بالتنوع من حيث طبيعة المشكلات وطبيعة الحالات التي يتعاملون معها؛ ذلك أنَّ هذا التنوع يفرض حالة من السعي دومًا إلى التطوير والابتكار والتجديد. وعلى صعيد آخر؛ فإنَّ البيئة التي يعمل في نطاقها جل المتخصصين الاجتماعيين في فلسطين، هي بطبيعتها بيئة ضاغطة، متحورة، متقلبة لا تعرف الثبات، سريعة التغير، وذلك لأسباب جُلها ذات طبيعة أمنية، تتجسد في الاحتلال الإسرائيلي العاشم، وما يفرزه من تداعيات سلبية، لذا نجد أنَّ المتخصصين الاجتماعيين قد يبتكرون طرقًا وأساليب غير معتادة للتغلب على هذه المعوقات. واتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (طه، 2021) والتي أشارت إلى أنَّ مستوى دافعية الفاعلية الذاتية والمهنية للمرشدين، جاءت بدرجة مرتفعة، في حين اختلفت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (خلف، 2019) والتي أشارت إلى أنَّ درجة التفكير الابتكاري لدى المتخصصين الاجتماعيين جاءت بدرجة متوسطة.

الإجابة عن السؤال الثالث الذي نصه: "هل توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تعزى لمتغيرات: (الجنس، والعمر، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة)؟"

وبنيت عن السؤال الثالث، الفرضيات التالية:

- الفرضية الصفرية الأولى: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (≤ 0.05) بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تُعزى لمتغير الجنس".

ولاختبار هذه الفرضية، استخدم الباحث اختبار (ت) لإيجاد الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، وذلك كما هو موضح في الجدول رقم (7).

جدول 7: نتائج اختبار (ت) (Independent- Sample t-test) للتعرف إلى الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل وفقًا لمتغير الجنس (ن = 151).

المتغير	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت" المحسوبة	الدلالة الإحصائية
التفكير الإبداعي	ذكر	67	3.93	0.56	-1.354	0.178
	أنثى	84	4.04	0.44		

* دالة عند مستوى دلالة (0.05) / ** دالة عند مستوى دلالة (0.01)، درجات الحرية = 149

وقد أظهرت النتائج الموضحة في الجدول رقم (7) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تُعزى لمتغير الجنس، فبلغت الدلالة الإحصائية للتفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين (0.178)، وهي أكبر من (0.05) وغير دالة إحصائياً. ويستطيع الباحث تفسير هذه النتيجة من خلال أن التفكير الإبداعي يعتمد أساساً على الحاضنة له بداية، وعلى الحيز العام الذي يحتويه بشكل عام، فالمتخصصون الاجتماعيون على اختلاف نوعهم الاجتماعي، يعملون في بيئة واحدة تنتم بإطارها العام والخاص بالتشابه إلى حد بعيد، فالمهام والواجبات المهنية المطلوبة من المتخصصين الذكور والإناث هي ذاتها، والنظم الإدارية التي تنظم عمل كلا الجنسين هي ذاتها. وأسس التعامل مع الحالات الفردية لا شك أنها هي ذاتها، وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (Jarwan & Al-frehat, 2020)، ودراسة (طه، 2021)، والتي أشارت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية حسب متغير الجنس، في حين اختلفت مع نتائج دراسة (الفهداوي، 2021)، ودراسة (داخل، 2022) والتي أشارت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية حسب متغير الجنس.

- الفرضية الصفرية الثانية: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تُعزى لمتغير العمر".
ولاختبار الفرضية الصفرية الثانية، تم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، لدرجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، وذلك كما هو موضح في الجدول (8).

جدول 8: يبين الأعداد والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل وفقاً لمتغير العمر (ن = 151).

المتغير	العمر	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التفكير الإبداعي	من (25-35) سنة	53	4.05	0.47
	من (36-45) سنة	56	3.89	0.53
	46 سنة فأكثر	42	4.03	0.47
	المجموع	151	3.99	0.49

تشير البيانات المبينة أعلاه في الجدول رقم (8) إلى وجود فروق ظاهرية بين المتوسطات الحسابية لدرجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تُعزى لمتغير العمر. وللتحقق من دلالة هذه الفروق، استخدم الباحث اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way Anova)، وذلك كما هو موضح في الجدول (9):

جدول 9: نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way Anova) للتعرف إلى الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل وفقاً لمتغير العمر (ن = 151).

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	الدلالة الإحصائية
التفكير الإبداعي	بين المجموعات	0.779	2	0.389	1.607	0.204
	داخل المجموعات	35.855	148	0.242		
	المجموع	36.634	150			

أظهرت النتائج الموضحة في جدول رقم (9) عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تُعزى لمتغير العمر، فبلغت قيمة الدلالة الإحصائية المحسوبة للتفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين (0.204)، وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) وغير دالة إحصائياً.

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى جملة من العوامل، ومن أهمها تنوع الخبرات وتفاوتها، فمن الممكن أن يمتلك المتخصصون الاجتماعيون، بغض النظر عن عمرهم، خبرات متنوعة تسهم في تنمية مهاراتهم الإبداعية والابتكارية في العمل مع الحالات الفردية، قد تشمل هذه الخبرات المشاركة في برامج تدريبية، والتعرض لتحديات وظيفية مختلفة، والتواصل مع زملاء وأسر طلاب من خلفيات متنوعة. وعند مراجعة الدراسات السابقة تبين أنها لم تتناول هذا المتغير بالفحص والاختبار.

- الفرضية الصفرية الثالثة: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تُعزى لمتغير المؤهل العلمي".

ولتحقيق هذا الغرض، استخدم الباحث اختبار (ت)، لإيجاد الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل وفقاً لمتغير المؤهل العلمي.

جدول 10: نتائج اختبار (ت) (Independent- Sample t-test) للتعرف إلى الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل وفقاً لمتغير المؤهل العلمي (ن = 151).

المتغير	المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	الدلالة الإحصائية
التفكير الإبداعي	بكالوريوس	118	3.97	0.49	-0.651	0.516
	ماجستير فأعلى	33	4.04	0.51		

* دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) / ** دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01)، درجات الحرية = 149

يتضح لنا من النتائج المبينة في الجدول أعلاه رقم (10)، عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تُعزى لمتغير المؤهل العلمي، فبلغت الدلالة الإحصائية المحسوبة للتفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين (0.516)، وهي أكبر من (0.05)، وغير دالة إحصائية.

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى طبيعة برامج التدريب التي يتلقاها المتخصصون الاجتماعيون، فهي فعالة في تنمية مهارات التفكير الإبداعي لدى جميع الفئات، بغض النظر عن مؤهلاتهم العلمية. وقد تركز هذه البرامج على مهارات إبداعية عامة لا ترتبط بمجال دراسة محدد، ولا مستوى دراسي معين.

وقد تلعب الخبرة العملية للمتخصصين الاجتماعيين دوراً أكبر من مؤهلهم العلمي في تشكيل مهاراتهم الإبداعية. وفي طريقة تطبيق خدمة الفرد، فمع تراكم الخبرة، قد يطور المتخصصون مهارات جديدة ويواجهون تحديات تحفزهم على التفكير الإبداعي. وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (طه، 2021)، والتي أشارت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية حسب متغير المؤهل العلمي.

- الفرضية الصفرية الرابعة: "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل لمتغير سنوات الخبرة".

ولتحقيق هذا الغرض، قام الباحث بحساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل وفقاً لمتغير عدد سنوات الخبرة، وذلك كما هو موضح في الجدول (11).

جدول 11: يبين الأعداد والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل وفقاً لمتغير سنوات الخبرة (ن = 151).

المتغير	سنوات الخبرة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التفكير الإبداعي	5 سنوات فأقل	29	4.02	0.48
	من (6-13) سنة	64	3.93	0.54
	14 سنة فأكثر	58	4.03	0.45
	المجموع	151	3.99	0.49

أظهرت النتائج المبينة في الجدول أعلاه رقم (11) وجود فروق ظاهرية بين المتوسطات الحسابية لدرجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تُعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة. وللتحقق من دلالة هذه الفروق، استخدم الباحث اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way

Anova)، وذلك كما هو موضح في الجدول (12).

جدول 12: نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way Anova) للتعرف إلى الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل وفقاً لمتغير سنوات الخبرة (ن=151).

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة المحسوبة	ف الدلالة الإحصائية
التفكير الإبداعي	بين المجموعات	0.329	2	0.164	0.670	0.513
	داخل المجموعات	36.305	148	0.245		
	المجموع	36.634	150			

يلاحظ من النتائج المفصلة في جدول رقم (12) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة في التفكير الإبداعي لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، تُعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة، فبلغت قيمة الدلالة الإحصائية المحسوبة للتفكير الإبداعي (0.513)، وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) وغير دالة إحصائياً.

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى عامل تنوع الخبرات في التعامل مع الحالات الفردية أو ما يسمى خدمة الفرد بغض النظر عن مدتها، فقد يمتلك المتخصصون الاجتماعيون، بغض النظر عن عدد سنوات خبرتهم، خبرات متنوعة تسهم في تنمية مهاراتهم الإبداعية. فعلى سبيل المثال؛ قد يكتسب المتخصصون ذوو الخبرة القليلة مهارات جديدة من خلال المشاركة في برامج تدريبية، أو التعرض لتحديات جديدة في عملهم، بينما قد يمتلك المتخصصون ذوو الخبرة الطويلة قاعدة معرفية واسعة ومهارات حل مشكلات متقدمة، وكلتا المهارتين قد تسهم في تنمية الإبداع لديهم، وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (طه، 2021)، والتي أشارت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية حسب متغير عدد سنوات الخبرة.

الإجابة عن السؤال الرابع الذي نصه: "ما طبيعة العلاقة بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل؟".

وينتج عن السؤال الرابع، الفرضية الصفرية الخامسة التالية:

- الفرضية الصفرية الخامسة: "لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي في عمل المتخصصين الاجتماعيين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل".

ولتحقيق هذا الغرض، استخدم الباحث معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation) لإيجاد العلاقة بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي في عمل المتخصصين الاجتماعيين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، وذلك كما هو يتضح من خلال الجدول (13).

جدول 13: يبين نتائج معامل ارتباط بيرسون للعلاقة بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي في عمل المتخصصين الاجتماعيين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل.

التفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية لدى المتخصصين الاجتماعيين	
(ر)	
.359**	الإدارة المدرسية
.405**	العلاقات مع الزملاء داخل المدرسة
.151*	الإمكانيات والتجهيزات المدرسية
.281**	لوائح العمل ونظامه
.448**	المناخ المدرسي العام

** دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.01$)

يتضح لنا من المعطيات الموضحة في الجدول أعلاه رقم (13)، وجود علاقة ارتباطية طردية موجبة ودالة إحصائياً، بين المناخ المدرسي والتفكير الإبداعي في عمل المتخصصين الاجتماعيين مع الحالات الفردية في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، فقد بلغ معامل الارتباط للعلاقة بين المتغيرين (0.448) بدلالة إحصائية (0.001)، وهذا يعني أنه كلما توافر مناخ مدرسي جيد، زاد التفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية لدى المتخصصين الاجتماعيين العاملين في مدارس مديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل، والعكس صحيح.

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى أن المناخ المدرسي الإيجابي يشكل حاضنة أساسية لبيئة داعمة للإبداع، من خلال تشجيع تبادل الأفكار، والتفكير غير التقليدي، فيشعر المتخصصون الاجتماعيون في هذه البيئة بحرية أكبر في تجربة أساليب

جديدة، للتعامل مع الحالات الفردية والتفكير في حلول مبتكرة لمشكلات طلابهم. من خلال طريقة خدمة الفرد، ويمكن أن يلهم المناخ المدرسي الإيجابي المتخصصين الاجتماعيين من خلال توفير فرص للتعليم والنمو المهني، وقد يشجعهم على حضور ورش العمل والمؤتمرات، وقراءة الكتب والمقالات حول مهارات التفكير الإبداعي، والتواصل مع متخصصين اجتماعيين آخرين مبدعين. وهذا من شأنه أن يعزز ثقة المتخصصين الاجتماعيين بأنفسهم وقدراتهم. وعلى صعيد آخر فإن التفكير الإبداعي يعد محركاً قوياً لتحول المناخ المدرسي إلى بيئة محفزة للتعليم والنمو. عندما يتم تشجيع الطلاب على التفكير خارج الصندوق وتقديم أفكار مبتكرة، فإن ذلك يخلق جوّاً من الفضول والاكتشاف، يتيح هذا المناخ للطلاب التعبير عن أنفسهم بحرية، وبناء علاقات تعاونية قوية مع زملائهم ومعلميهم. إلى جانب ذلك، فإنه - أي التفكير الإبداعي - يسهم في زيادة الدافعية لدى الطلاب وتحسين أدائهم الأكاديمي، ما ينعكس إيجاباً على المناخ العام للمدرسة. وكل هذا يسهم في خلق مناخ سليم للتعامل مع الحالات الفردية على أكمل وجه. واتفقت نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة (سليمان، 2021)، ودراسة (Mullen, 2014)، ودراسة (خلف، 2019)، ودراسة (طه، 2021)، فقد أظهرت نتائج هذه الدراسات وجود علاقة طردية موجبة ودالة احصائياً بين المناخ المدرسي ودافعية الانجاز (التفكير الابتكاري)، في حين اختلفت هذه النتيجة مع نتائج دراسة (Jarwan & Al-frehat, 2020). فأظهرت نتائج هذه الدراسات عدم وجود علاقة طردية موجبة ودالة احصائياً بين المناخ المدرسي ودافعية الإنجاز (التفكير الابتكاري).

4. التوصيات

وبناء على نتائج الدراسة يقدم الباحث التوصيات التالية:

1. في ضوء نتائج السؤال الأول: العمل على حث الجهات المعنية بضرورة الحفاظ على مناخ مدرسي ملائم في المدارس الفلسطينية لزيادة الكفاءة المهنية للعاملين فيها ولا سيما المتخصص الاجتماعي.
2. في ضوء نتائج السؤال الثاني: ضرورة قيام الجهات المختصة في وزارة التربية والتعليم بتشجيع المتخصصين الاجتماعيين على المشاركة في الندوات وورش العمل المختصة؛ لإكسابهم الطرق والوسائل الجديدة في التعامل مع الحالات الفردية.
3. ضرورة الاهتمام بمثل هذه الدراسات والبحوث بشكل مستمر وتبنيها من الجهات المختصة في وزارة التربية والتعليم للاستفادة منها في المجال المدرسي.
4. تعزيز قدرة المتخصصين الاجتماعيين على التعامل مع المشكلات المستجدة وغير المتوقعة في البيئة المدرسية لمواجهةها بكل سهولة.
5. العمل على تطوير مهارات التفكير الإبداعي في العمل مع الحالات الفردية لدى المتخصصين الاجتماعيين، ما يسهم في زيادة كفاءتهم الذاتية والمهنية.

5. المصادر والمراجع

5.1 المراجع العربية

- أبو الحسن، نبيل، (2021)، فعالية برنامج تدريبي لتنمية معارف ومهارات ريادة الأعمال الاجتماعية لدى الأخصائيين الاجتماعيين العاملين بجمعيات الأيتام بمكة المكرمة، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية، 4 (54)، ص ص 805-842.
- أبو النصر، مدحت، (2017)، الخدمة الاجتماعية في المجال المدرسي، الطبعة الأولى، جمهورية مصر العربية، المجموعة العربية للتدريب والنشر، دار الكتب المصرية.
- خلف، محمد، (2019)، المناخ المدرسي وعلاقته بالابتكار الاجتماعي في العمل مع الحالات الفردية- دراسة مطبقة على الأخصائيين الاجتماعيين بمدارس التربية الفكرية الخاصة، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، مصر، 1 (48)، ص ص 107-147.
- داخل، فاطمة، (2022)، الحيوية الذاتية وعلاقتها بالإبداع الإرشادي لدى المرشدين التربويين، مجلة ميسان الأكاديمية، العراق، 21 (42)، ص ص 155-176.
- السابحي، رباب، (2020)، معوقات الالتزام المهني للأخصائي الاجتماعي المدرسي وسبل التغلب عليها، دراسة ميدانية بمحافظة الدهلية، مجلة كلية التربية بجامعة المنصورة، مصر، (110)، ص ص 413-441.
- الفهداوي، علي، (2021)، الذات المهنية وعلاقتها بالمناخ المدرسي لدى المرشدين التربويين في المدارس الثانوية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العراق، 18 (70)، ص ص 601-634.
- صالح، نادية، (2022)، سمات الشخصية وعلاقتها بالكفاءة الذاتية لمستشاري التوجيه والإرشاد المدرسي المهني، دراسة ميدانية ببعض مراكز التوجيه والإرشاد لولايتي تيزي وزو- بجاية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود معمري، الجزائر.
- صبار، حسام، (2023)، الاتصالي الإقناعي وعلاقتها بالإبداع الإرشادي لدى المرشدين التربويين، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، 18 (1)، ص ص 166-194.
- الصمادي، منال والتلاهين، فاطمة، (2016)، الكفايات الإرشادية لدى المرشدين وعلاقتها بأدائهم الوظيفي من وجهة نظر مدراء المدارس في الأردن، مجلة كلية التربية، الأردن، جزء 3، (169)، ص ص 709-744.

الطلحي، فؤاد وبكر، إدريس، (2018)، المناخ المدرسي وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى المعلمين في المدارس التابعة لإدارة تعليم الطائف، مجلة البحث العلمي في التربية، السعودية، (19)، ص ص 254-304.

طه، منال، (2021)، الفاعلية الذاتية والمهنية وامتلاك المرشدين لمهارات الإرشاد وعلاقتها باتجاهات الهيئة التدريسية والطلبة نحو الإرشاد التربوي في مدارس محافظة القدس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين .

المحمودي، محمد ، (2019)، مناهج البحث العلمي، الطبعة الثالثة، اليمن، دار الكتب.

الوليدي، علي وبشرى، أرنوط، (2017)، كشف الذات وعلاقته بالإبداع الإرشادي لدى المرشدين النفسيين بالملكة العربية السعودية في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية، مجلة الإرشاد النفسي، السعودية، 3 (50)، ص ص 70-147.

5.2. رومنة المراجع العربية

- Abu Al-Hasan, Nabil. (2021). Fa'aliyyat barnamaj tadreebi li-tanmiyat ma'arif wa maharat riyadat al-a'mal al-ijtima'iyyah lada al-akhsa'iyyin al-ijtima'iyyin al-'amilin bi-jam'iyyat al-aytam bi-Makkah al-Mukarramah. Majallat Dirasat fi al-Khidmah al-Ijtima'iyyah, 4(54), 805–842.
- Abu Al-Nasr, Medhat. (2017). Al-Khidmah al-Ijtima'iyyah fi al-Majal al-Madrasi. 1st ed. Egypt: Al-Majmu'ah Al-'Arabiyyah lil-Tadrib wa Al-Nashr, Dar Al-Kutub Al-Misriyyah.
- Khalaf, Muhammad. (2019). Al-Manakh al-Madrasi wa 'Alaqatuhu bil-Ibtikar al-Ijtima'i fi al-'Amal ma'a al-Halat al-Fardiyyah: Dirasah Mutabbaqah 'ala al-Akhsa'iyyin al-Ijtima'iyyin bi-Madaris al-Tarbiya al-Fikriyyah al-Khassah. Majallat Dirasat fi al-Khidmah al-Ijtima'iyyah wa al-'Ulum al-Insaniyyah, Egypt, 1(48), 107–147.
- Dakheel, Fatimah. (2022). Al-Hayawiyyah al-Dhatiyyah wa 'Alaqatuhu bil-Ibda' al-Irshadi lada al-Murshidin al-Tarbawiyin. Majallat Misan Al-Akademiyah, Iraq, 21(42), 155–176.
- Al-Sabakhi, Rabab. (2020). Mu'awwiqat al-Iltizam al-Mahani lil-Akhsa'i al-Ijtima'i al-Madrasi wa Subul al-Taghallub 'Alayha: Dirasah Maydaniyyah bi-Muhafazat al-Daqahliyah. Majallat Kulliyat al-Tarbiya, Mansoura University, Egypt, (110), 413–441.
- Al-Fahdawi, Ali. (2021). Al-Dhat al-Mahaniyyah wa 'Alaqatuhu bil-Manakh al-Madrasi lada al-Murshidin al-Tarbawiyin fi al-Madaris al-Thawaniyyah. Majallat al-Buhuth al-Tarbawiyah wa al-Nafsiyyah, Iraq, 18(70), 601–634.
- Saleh, Nadia. (2022). Simat al-Shakhsiyyah wa 'Alaqatuhu bil-Kafa'ah al-Dhatiyyah li-Mustashari al-Tawjih wa al-Irshad al-Madrasi al-Mahani: Dirasah Maydaniyyah bi-Ba'd Marakiz al-Tawjih wa al-Irshad li-Wilayati Tizi Ouzou wa Bejaia. Unpublished Master's Thesis, Mouloud Mammeri University, Algeria.
- Sabbar, Hussam. (2023). Al-Ittisal al-Iqna'i wa 'Alaqatuhu bil-Ibda' al-Irshadi lada al-Murshidin al-Tarbawiyin. Kirkuk University Journal for Human Studies, Iraq, 18(1), 166–194.
- Al-Samadi, Manal & Al-Talahin, Fatimah. (2016). Al-Kafayat al-Irshadiyyah lada al-Murshidin wa 'Alaqatuhu bi-Ada'ihim al-Wazifi min Wijhat Nazar Mudara' al-Madaris fi al-Urdun. Majallat Kulliyat al-Tarbiya, Jordan, Part 3, (169), 709–744.
- Al-Talhi, Fuad & Bakr, Idris. (2018). Al-Manakh al-Madrasi wa 'Alaqatuhu bi-Dafi'iyyat al-Injaz lada al-Mu'allimin fi al-Madaris al-Tabi'ah li-Idarat Ta'lim al-Taif. Majallat al-Bahth al-'Ilmi fi al-Tarbiya, Saudi Arabia, (19), 254–304.
- Taha, Manal. (2021). Al-Fa'aliyyah al-Dhatiyyah wa al-Mahaniyyah wa Imtilak al-Murshidin li-Maharat al-Irshad wa 'Alaqatuhuma bi-Ittijahat al-Hay'ah al-Tadrisiyyah wa al-Talabah Nahwa al-Irshad al-Tarbawi fi Madaris Muhafazat al-Quds. Unpublished Master's Thesis, An-Najah National University, Palestine.
- Al-Mahmoudi, Muhammad. (2019). Manahij al-Bahth al-'Ilmi. 3rd ed. Yemen: Dar al-Kutub.
- Al-Walidi, Ali & Arnout, Bushra. (2017). Kashf al-Dhat wa 'Alaqatuhu bil-Ibda' al-Irshadi lada al-Murshidin al-Nafsiyyin fi al-Mamlakah al-'Arabiyyah al-Sa'udiyyah fi Daw' Ba'd al-Mutaghayyirat al-Dimughrafiyyah. Majallat al-Irshad al-Nafsi, Saudi Arabia, 3(50), 70–147.

5.3. المراجع الأجنبية

- Al-Karawi, A, and Abdul ,H. (2019). School climate and its relationship to emotional security among middle school students, unpublished master's thesis, Department of Educational and Psychological Sciences, College of Education, Al-Mustansiriya University.
- Blessing, A. Adeogun. A (2011). influence of school climate on students achievement and teachers , productivity for sustainable development uschina , education review, 8, (4).pp22-48.
- Henning, M. (2016). The Journal of Social Studies Research, Volume 40, (3).pp60-82.

- Jarwan, A. and Al-frehat, B. (2020). Educational Counselors' Self-efficacy and Professional Competence. Universal Journal of Educational Research ,pp 169-177.
doi: 0.13189/ujer.2020.080121.
- Mc Cullagh, J. (2010). School Social Workers' Association, Journal of School Social Work, Washington, D.C. Distributed by ERIC Clearinghouse.
<https://eric.ed.gov/?id=ED467859>.
- Mullen, P. (2014). The Contribution of School Counselors' Self-Efficacy and Professional Quality of Life to their Programmatic Service Delivery ,Dectoral Thesis, University of Central Florida.

School climate and its relationship with creative thinking in dealing with individual cases by social workers of the directorates of education in Hebron Governorate

Murad Al-Jundi

Department of Social Work, Faculty of Social and Family Development, Al-Quds Open University, Palestine

Corresponding Author: mjundi@qou.edu

Received: 24/07/2024. Revised: 06/08/2024. accepted: 20/10/2024. Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.6

Abstract

This study aimed to investigate the school climate and its relationship with creative thinking in dealing with individual cases by social workers of the schools of the education directorates in Hebron Governorate. It also aimed to identify the differences in the averages of creative thinking when working with individual cases due to the variables of gender, age, number of years of experience, educational qualification. The sample consisted of (151) male and female specialists and used a questionnaire. The validity of the study was tested by calculating the Pearson Correlation Coefficient, and consequently all the coefficients were statistically significant. The results showed that there were no statistically significant differences between the averages of creative thinking in working with individual cases due to the variables of gender, age, number of years of experience, and educational qualification. The results also showed that there was a positive and statistically significant correlation between school climate and creative thinking in working with individual cases. The researcher recommends that there is need to enhance the ability of social workers to deal with emerging and unexpected problems in the school environment.

Keywords: School climate, social workers, creative thinking.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

أثر اتفاقية سيداو في زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية في فلسطين

حسين مطاوع الترتوري

قسم الفقه وأصوله، كلية الشريعة، جامعة الخليل، فلسطين
الباحث المراسل: husaint@hebron.edu

Received: 03/04/ 2024.

Revised: 13/04/2024.

Accepted: 14/11/2024.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.7

الملخص

موضوع البحث أثر اتفاقية سيداو، وهي "اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة"، في زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية الأردني لعام 1976م، النافذ في المحافظات الشمالية في فلسطين. اقتضى البحث بيان أهلية الزواج، وصلاحيته الحاكم في تقييدها، وترجع جواز ذلك بضوابط، أهمها: أن يتحقق بتقييده مصلحة مقصودة شرعاً، وألا يتعارض تقييده مع نص من الكتاب، أو السنة، أو إجماع العلماء، وألا يؤدي تقييده لضرر، أو محرم. وترجع لي عدم توافر تلك الضوابط في تقييد سن الزواج بثمانية عشر سنة في ضوء قانون الأحوال الشخصية، وهذا ما عرضته في المبحث الثالث المخصص لحكم زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية، واتفاقية سيداو، بينت فيه فساد زواج الأطفال في بعض الصور، وبطلان زواجهم في صور أخرى في قانون الأحوال الشخصية، وبطلان زواجهم بحسب اتفاقية سيداو. وبينت المحاذير الشرعية التي تترتب على القول بفساده، أو بطلان زواج الأطفال من حرمان الزوجة من حق المهر، والنفقة، وحق الإرث، وعدم إيجاب العدة عليها، وحرمان الزوج من حق الإرث، وحق نسب ابنه له، وحرمان الولد من حق نسب أبيه. وعدم إثبات الحرمة بالمصاهرة.

الكلمات المفتاحية: سيداو، زواج الأطفال، الفقه الإسلامي، فلسطين، قانون الأحوال الشخصية، حقوق المرأة.

1. المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن سار على دبره إلى يوم الدين، وبعد:
فهذا البحث عنوانه: "أثر اتفاقية سيداو في زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية في فلسطين"، قسمته إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

مشكلة البحث: رأت المادة الرابعة والثلاثون من قانون الأحوال الشخصية الأردني لعام 1976م، النافذ في فلسطين، أن الزواج يكون فاسداً إذا كان الطرفان أو أحدهما غير حائز على شروط أهلية الزواج حين العقد. ونصَّ القرار بقانون رقم 21 لسنة 2019م، معدل للتشريعات النازمة للأحوال الشخصية بشأن تحديد سن الزواج في دولة فلسطين، في مادته الثانية، أنه "يشترط في أهلية الزواج أن يكون طرفا عقد القران عاقلين، وأن يُتم كل منهما ثمانين سنة شمسية من عمره". فيكون زواج من لم يبلغ هذا السن فاسداً. ونصت المادة الخامسة والثلاثون من قانون الأحوال الشخصية على أنه يترتب للزوجة على زوجها في عقد الزواج الصحيح المهر والنفقة، ويثبت حق الميراث لكل منهما على الآخر. ونصت المادة الحادية والأربعون على عدم ثبوت أي أثر في الزواج الباطل، سواء أحصل دخول، أم لم يحصل، فلا تثبت بالعقد الباطل نفقة للزوجة، ولا تجب عليها عدة، ولا يثبت نسب للأطفال، ولا تثبت به حرمة مصاهرة، ولا حق توارث بين الزوجين. ونصت المادة الثانية والأربعون على أن الزواج الفاسد كالباطل لا يترتب عليه أثر إذا لم يحصل دخول، أما إذا حصل دخول فتستحق المرأة المهر، وتجب عليها العدة، بعد تفريق القاضي بين الزوجين، ويثبت النسب للمولود، وتثبت حرمة المصاهرة. ونصت المادة نفسها على عدم ثبوت بقية الأحكام والآثار المترتبة على عقد الزواج؛ كالإرث، والنفقة قبل التفريق بين الزوجين، أو بعده.

ونصت النقطة الثانية من المادة السادسة عشرة من اتفاقية سيداو على عدم ترتب أي أثر قانوني على خطوبة الطفل أو زواجه، وهذا يعني بطلان العقد. والمراد بالطفل عندهم من لم يبلغ الثامنة عشرة، وهذا يعني أن زواج من لم يبلغ ثمانين سنة باطل، أي لا يترتب عليه أي أثر، فلا تثبت نفقة للزوجة، ولا تجب عليها عدة، ولا يثبت نسب للأطفال، ولا تثبت

به حرمة مصاهرة، ولا استحقاق إرث أحد الزوجين من الآخر. وعدم ترتب آثار على زواج من هم دون الثامنة عشرة سنة بحسب اتفاقية سيداو. وترتب بعض الآثار على زواجهم إذا حصل دخول بحسب قانون الأحوال الشخصية، يحتاج دراسة من ناحية شرعية، وبيان الضرر الذي يلحق المرأة، وهذا ما سيبينه البحث.

أهداف البحث:

- (1) التعريف باتفاقية سيداو، وبالطفل.
 - (2) بيان عدالة تطبيق شرع الله تعالى، في حفظ حقوق الزوجين والأطفال.
 - (3) بيان صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان.
 - (4) بيان تعارض تطبيق اتفاقية سيداو مع أحكام ثابتة في القرآن الكريم.
 - (5) بيان الضرر الذي يلحق المرأة جراء تطبيق اتفاقية سيداو، في ضوء قانون الأحوال الشخصية.
- أهمية البحث:** تظهر أهمية هذا البحث -من خلال تحقيقه لأهدافه-، في النقاط التالية:
- (1) يُظهر هذا البحث كمال أحكام الشريعة وتوازنها، وأن السعادة بتطبيق شرع الله تعالى.
 - (2) يُظهر هذا البحث الآثار السلبية لتطبيق اتفاقية سيداو على زواج من هم أقل من ثماني عشرة سنة.
 - (3) يُعين هذا البحث في الردّ على من يدعي أن الإسلام لم يُعط المرأة حقوقها.
 - (4) يجعل هذا البحث المرأة تعتز بشرع ربها تعالى.
- حدود الدراسة:** ستقتصر الدراسة على أثر اتفاقية سيداو في زواج الأطفال (وهم من لم يبلغوا ثماني عشرة سنة) في ضوء قانون الأحوال الشخصية الأردني لعام 1976م، وهو القانون النافذ في المحافظات الشمالية (الضفة الغربية) في فلسطين.
- منهج البحث:** اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي، مستفيداً من المنهجين؛ الاستنباطي، والاستقرائي، كما هو الحال في جُلّ أبحاث الدراسات الشرعية والإنسانية، وذلك تحقيقاً لأهدافه على الوجه الأكمل.
- محتوى البحث:** قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.
- المقدمة:** تضمنت عنوان البحث، ومشكلته، وأهدافه، وأهميته، وحدوده، ومنهجه، ومحتواه.
- المبحث الأول:** التعريف باتفاقية سيداو وبالطفل، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول:** التعريف باتفاقية سيداو.
- المطلب الثاني:** التعريف بالطفل شرعاً وقانوناً.
- المبحث الثاني:** أهلية الزواج وصلاحية الحاكم في تقييدها، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول:** أهلية الزواج.
- المطلب الثاني:** صلاحية الحاكم في تقييد أهلية الزواج.
- المبحث الثالث:** حكم زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية واتفاقية سيداو، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول:** فساد زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية
- المطلب الثاني:** بطلان زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية واتفاقية سيداو.
- الخاتمة:** في نتائج البحث، وتوصياته.

2. التعريف باتفاقية سيداو وبالطفل

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول:** التعريف باتفاقية سيداو
- المطلب الثاني:** التعريف بالطفل شرعاً وقانوناً

2.1 التعريف باتفاقية سيداو (CEDAW):

اتفاقية سيداو: هي اتفاقية دولية يرجع اسمها إلى مصطلح مأخوذ من الأحرف الأولى من الجملة "The Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination against Women"، ومعناها "اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة"، فهي تهدف - من اسمها - إلى مساواة المرأة بالرجل، وإعطاء المرأة حقوقاً لم تكن تتمتع بها في كثير من دول العالم، لذا جاء النص صريحاً في مقدمتها. على (مساواة الرجل والمرأة في حق التمتع بجميع الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والمدنية، والسياسية)، وتم التأكيد على معنى المساواة بين الرجل والمرأة في أكثر موادها، ولا تكاد تخلو مادة من ذلك، إلا موادها الأخيرة التي تضمنت تشكيل لجنة في الدول الموقعة عليها، وبيان عملها الإجرائي لضمان تنفيذ الاتفاقية في تلك الدول.

اشتملت اتفاقية سيداو على ثلاثين مادة، موزعة على ستة أجزاء، اشتملت الأجزاء الأربعة الأولى منها على ست عشرة مادة، كلها في موضوع مساواة المرأة بالرجل، والقضاء على أي شكل من أشكال التمييز بينهما في جميع مناحي الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والتربوية، والصحية، وأمام القانون، وحرية التنقل، ومساواتها

¹ انظر نص الاتفاقية في موقع الأمم المتحدة حقوق الإنسان مكتب المفوض السامي <https://www.ohchr.org/ar>

بالرجل في اختيار شريك الحياة، ومنحها الحقوق نفسها المتعلقة بالولاية، والقوامة، والوصاية على الأطفال، وألا يترتب على زواج الأطفال أي أثر قانوني، ومساواة المرأة بالرجل في فرص العمل، واستحقاق الأجر، والضمان الاجتماعي، وفي حماية أمومة المرأة، ورعاية الحامل، واستحقاق إجازة مدفوعة الأجر مناسبة، ومكافحة سائر أشكال الاتجار بالمرأة، وإعطائها أهلية كاملة كالرجل، وإعطائها حقا مساويا لحق الرجل فيما يتعلق بجنسية الأولاد، وفي التعليم، والحصول على المنح الدراسية، وضمان حق الرعاية للمرأة الريفية. وبعض مواد هذه الاتفاقية مكون من عدة نقاط، فقد جاءت المادة السادسة عشرة في جزأين، اشتمل الأول منهما على ثماني نقاط، وكذا الجزء الثاني من المادة الرابعة عشرة. واشتملت المادة العاشرة على تسع نقاط. واشتمل الجزء الخامس على المواد السابعة عشرة إلى الثانية والعشرين، وتضمنت اتفاقية سيداو إجراءات ضمانات تنفيذها. واشتمل الجزء السادس على المواد الثالثة والعشرين إلى الثلاثين لإعين على تحقيق الضمانات والأمور الإجرائية لتنفيذ الاتفاقية.

والحق إن كثيراً مما ورد في الاتفاقية قرره الإسلام منذ بعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - في كتاب الله تعالى وعلى سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - قبل هذه الاتفاقية بخمسة عشر قرناً. فساوى بين المرأة وبين الرجل في أصل الخلقة، وفي الكرامة والإنسانية، وأمام القانون، وفي الحقوق والواجبات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (سورة الحجرات، آية 13)، وساوى الله تعالى المرأة بالرجل عندما أعطاها أهلية التملك والتصرف في مالها، وجعل لها ذمة مالية مستقلة، قال الله تعالى: {وَلَا تَتَّمَتَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (سورة النساء، آية 32). وساوى الله تعالى المرأة بالرجل في استحقاق جزاء أعمالهم، بصرف النظر عن جنس الفاعل ذكراً كان أو أنثى، قال الله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} (سورة النساء، آية 124)، وجعل مسؤولية المرأة مشتركة مع الرجل في بناء المجتمع وتوجيهه نحو الخير والصالح، ويتمثل هذا في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الرجال والنساء من غير فرق، قال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (سورة التوبة، آية 71). وقدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - حق الأم على حق الأب في البر والصلة والإحسان، (عن أبي هريرة ر ج قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك) (البخاري، 1987، رقم 5514)، ونهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولي المرأة عن تزويجها بغير إذن، أو إكراهها على الزواج، وجعل الأمر لها قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (لا تُنكح الأيم حتى تستأمر ولا تُنكح البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول الله وكيف إذن قال أن تسكت) (البخاري، 1987، رقم 2543). وخص الرسول ﷺ المرأة بمكانة اجتماعية لم تحظ بها عند العرب، وغيرهم من الأمم، وجعلها ربة البيت وشريكة للرجل في بناء الأسرة، والمسؤولة عن تدبير أمور بيتها، قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمر الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها ولده وهي مسئولة عنهم ...) (مسلم النيسابوري، د.ت، رقم 3408). وساوى الرسول - صلى الله عليه وسلم - المرأة بالرجل لما فتح لها باب التعلم، فقال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) (البخاري، 1987، رقم 71)، و"من" من ألفاظ العموم تعم الذكر والأنثى (الأمدي، 1404 هـ، 269/2).

فالإسلام ساوى بين المرأة وبين الرجل في الإنسانية وفي الحقوق والواجبات. أما حين ينظر إليها بصفاتها أنثى، وينظر إلى الرجل بوصفه ذكراً، فقد سنّ من التشريعات ما يخدم حاجات كل طرف ويحقق المصالح المشتركة لهما مراعي الفروق بينهما بما يناسب طبيعته، وصدق الله تعالى القائل: {قُلْ أَلَسْتُ بِعَالِمٍ أَمِ اللَّهُ} (سورة البقرة، آية 140)، والقائل: {أَفَحُكُّمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (سورة المائدة، آية 50).

2.2 التعريف بالطفل شرعاً وقانوناً

المراد بالطفل في اتفاقية سيداو - وهو موضوع هذا البحث - من لم يبلغ الثامنة عشرة سنة، فقد نصت المادة الأولى من اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل بأنه الشخص الذي لم يبلغ سن الثامنة عشرة. ما لم تُعرف القوانين الوطنية السن القانونية بأبكر من ذلك. وأكد قانون الطفل الفلسطيني رقم (7) لسنة 2004م، في مادته الأولى التعريف نفسه، فنص على أن الطفل كل إنسان لم يتم الثامنة عشرة من عمره².

أما الطفل في الشرع الإسلامي فهو من لم يبلغ، دل على ذلك قول الله تعالى: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (سورة النور، آية 59)، فقد عدّ القرآن الكريم من لم يبلغ الحلم طفلاً.

وعد الأصوليون والفقهاء الإنسان من الولادة إلى التمييز طفلاً، ومن التمييز إلى البلوغ مميزاً. وأشار قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرِفُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ) (الترمذي، 259/2؛ الإمام أحمد،

² <http://www.psi.pna.ps/en/InformationCenter/RegulationsAndLaws/Palestinian%20Child%20Law%20amended.pdf>

(369/11)، إلى أن التمييز يكون ببلوغ سبع سنين، فإنه لا يُتصور تعليم الصبي الصلاة وهو ابن سبع سنين إلا إذا كان مميزاً. ويختلف سن التمييز من طفل لآخر، فقد يبدأ من سن الخامسة؛ ويُفهم هذا من حديث مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ، قَالَ: (عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِهِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ)³ (البخاري، 1987، 26/1)، ولا يَعْقِلُ الْمَجَّةُ إِلَّا مَنْ كَانَ مُمِيزاً.

وتثبت للطفل أهلية وجوب كاملة؛ لأن مناطها الحياة، ولا تثبت للطفل أهلية أداء؛ لأن مناطها التمييز والعقل، ولا تمييز ولا عقل له.

واعتماد من لم يبلغ الثامنة عشرة سنة طفلاً كما نصت على ذلك اتفاقية سيداو، يصطدم مع الواقع، ومع ما هو مقرر شرعاً، فالإنسان يكون بالغاً عاقلاً قبل هذا السن كما هو مشاهد، فضلاً عن كونه مميزاً.

3. أهلية الزواج وصلاحيه الحاكم في تقييدها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهلية الزواج.

المطلب الثاني: صلاحية الحاكم في تقييد أهلية الزواج.

3.1 أهلية الزواج

الأهلية في اللغة: الصلاحية، يقال فلان أهل لكذا؛ أي مستوجب له (ابن منظور، 1993، 29/1)، أي حقيق به (الحميري، 1999، 346/1).

والأهلية في الاصطلاح: صفة يقدرها الشارع في الشخص، تجعله محلاً صالحاً لخطاب تشريعي (الزرقا، 2004، 783/2). وهي قسمان؛ أهلية وجوب، وأهلية أداء. فأهلية الوجوب: صلاحية الشخص للإلزام والالتزام (الزرقا، 2004، 785/2؛ البخاري، د.ت، 237/4)، أي ثبوت الحقوق له وعليه. وأهلية الأداء: صلاحية الشخص لممارسة الأعمال التي يتوقف اعتبارها الشرعي على العقل (الزرقا، 2004، 786/2؛ البخاري، د.ت، 248/4).

وتثبت للمولود حياً أهلية وجوب كاملة؛ لأن مناطها الحياة، فيكون أهلاً للإلزام والالتزام. وتثبت أهلية أداء كاملة للعقل. ولما كان العقل خفياً، فقد أقام الشارع مقامه مظنته، فإن البلوغ مظنة كمال العقل؛ فجُل من يبلغوا عقولهم مكتملة، وبسنتن من ذلك القليل، كمن بلغ مجنوناً. لذا جعل الفقهاء التكليف مرتبطاً بالبلوغ والعقل (البخاري، د.ت، 247/4؛ ابن العربي، 1999، 23/1؛ الأمدي، 1404 هـ، 150/1؛ ابن النجار، 499/1)؛ لأن العقل يقدر على فهم الخطاب التشريعي إجمالاً، وعلى القيام بما يكلف به، وما يوكل إليه من أعباء (الزرقا، 2004، 787/2)؛ وقد دل على هذا حديث عليٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَشُبَّ، وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ)⁴ (الترمذي، 32/4). وقول الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْطِفْلِ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَبْزَأَ - أَوْ يَعْقِلَ -) (الإمام أحمد، 373/2).

ويتمتع الإنسان إذا بلغ عاقلاً بأهلية أداء كاملة، فيكون صالحاً لممارسة الأعمال التي يتوقف اعتبارها الشرعي على العقل (الزرقا، 2004، 786/2). (وَالْبُلُوغُ يَكُونُ بِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: السِّنُّ، وَالْأُخْرَى: الْإِحْتِلَامُ) (ابن العربي، 1999، 23/1)، أما السن فبلوغ الخامسة عشرة سنة؛ لما رواه نافع، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةً، فَلَمْ يُجْزَنِي ثُمَّ عَرَضَنِي يَوْمَ الْخُدُقِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، فَأَجَازَنِي)، قَالَ نَافِعٌ فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ خَلِيفَةُ، فَحَدَّثَنِي هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: (إِنَّ هَذَا لَحَدٌّ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَالِهِ أَنْ يَفْرَضُوا لِمَنْ بَلَغَ خَمْسَ عَشْرَةِ) (البخاري، 1987، 177/3). وأما الاحتلام فدل عليه قول الله تعالى: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (سورة النور، آية 59)، والحديث المذكور (وَعَنِ الْطِفْلِ حَتَّى يَحْتَلِمَ). فالاحتلام دليل البلوغ عند الذكر والأنثى.

وأهلية الأداء شرط لإيجاب العبادات كالصلاة والصوم والحج، وشرط لصحة التبرعات المالية كالهبة والوقف، وفي الجملة شرط لكل ما فيه خسارة مالية محضة، ككفالاته لغيره. وتثبت أهلية أداء ناقصة للتمييز، فتصح عبادته، وإن لم تكن واجبة عليه، وتصح تصرفاته المدنية من بيع وشراء، وتكون موقوفة على إجازة الولي (الزرقا، 2004، 789/2).

أما الزواج، فليس له سن محددة شرعاً لا يصح قبلها، فهو مباح في أي سن. وقد انعقد الإجماع على صحة نكاح الصغير والصغيرة، قال ابن المنذر: (وأجمعوا أن نكاح الأب ابنته الصغيرة البكر جائز إذا زوجها من كفاء)، وقال: (وأجمعوا أن نكاح الأب ابنه الصغير جائز) (ابن المنذر، 2004، 78/1). وقد زَوَّجَ أَبُو بَكْرٍ ابنته عائشةً لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهي صغيرة، دون البلوغ، (عَنْ هِشَامِ بْنِ غَزْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، «أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

³ المَحْجُ: إرسال الماء من الفم بالنفخ، ابن منظور، لسان العرب، 361/2، ابن حجر، فتح الباري، 186/1.

⁴ وقال: حَدِيثٌ عَلَى حَدِيثِ حَسَنٍ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وقال الترمذي: (وَقَدْ رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ: (وَعَنِ الْغُلَامِ حَتَّى يَحْتَلِمَ)).

⁵ الحديث صحيح لغيره، كما قال محققه شعيب الأرنؤوط.

– تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ سِنِينَ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ سِنِينَ» قَالَ هِشَامٌ: «أَنْثِيْتُ» «أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَهُ تِسْعَ سِنِينَ» (البخاري، 1987، 17/7).

3.2 صلاحية الحاكم في تقييد أهلية الزواج

نصّ القرار بقانون رقم 21 لسنة 2019م، معدل للتشريعات النازمة لأحوال الشخصية بشأن تحديد سن الزواج في دولة فلسطين، في مادته الثانية أنه "يشترط في أهلية الزواج أن يكون طرفا عقد القران عاقلين، وأن يتم كل منهما ثمانين عشرة سنة شمسية من عمره".

والسؤال الذي يطرح: هل يحق للحاكم تحديد سن لأهلية الزواج، ما دام الزواج مباحاً في أي سن؟ والإجابة عن السؤال تقتضي الإجابة عن صلاحية الحاكم في تقييد المباح. وللعلماء في صلاحية الحاكم لتقييد المباح رأيان: الأول: يجوز للحاكم تقييد المباح. الثاني: لا يجوز للحاكم تقييد المباح.

استدل المانعون من إعطاء الحاكم صلاحية تقييد المباح بقول الله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (سورة الأعراف، آية 32). قالوا الآية دالة على أنه لا يجوز لأحد تحريم ما أباح الله تعالى، وتقييد المباح منع المكلف مما أباحه الله له. وهذا يتنافى مع معنى المباح الذي يستوي فيه الفعل والترك، فهو ليس مطلوب الفعل، ولا مطلوب الاجتناب (الشاطبي، 1997، 171/1، 177، 205/1، 293/1).

واستدل المجيزون للحاكم تقييد المباح بالأدلة التالية:

(1) قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (سورة النساء، آية 59)، فالآية أمرة بطاعة ولي الأمر، ويدخل في ذلك طاعته في تقييد المباح، ونقل الألوسي (1415 هـ، 64/3) قولاً لبعض أهل العلم يوجب طاعة ولي الأمر في تقييد المباح، فقال عند تفسير هذه الآية: (وهل يشمل المباح أم لا؟ فيه خلاف، فقيل: إنه لا يجب طاعتهم فيه؛ لأنه لا يجوز لأحد أن يحرم ما حله الله تعالى ولا أن يحلل ما حرمه الله تعالى، وقيل: تجب أيضاً كما نص عليه الحصكفي وغيره). وقال ابن عابدين (1992، 168/5، 167): (طاعة أمر السلطان بمباح واجبة).

(2) كتابة الحديث النبوي في زمن النبوة مباحة بدليل أن أبا شاه لما طلب من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يكتبوا له، أمرهم بذلك كما ثبت في الحديث الصحيح: (لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أَجَلَتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا تَحِلُّ سَاقِطُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُقْدَى وَإِمَّا أَنْ يُقَيَّدَ»، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: إِلَّا الْإِذْجَرُ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «إِلَّا الْإِذْجَرَ» فَقَامَ أَبُو شَاهٍ - رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ - فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «اَكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ» (البخاري، 1987، 125/3). وقد ثبت نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن كتابة غير القرآن في قوله: (لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ - قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسِبُهُ قَالَ - مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) (مسلم النيسابوري، دت، 2298/4). ومما قاله العلماء في الجمع بين حديث أبي شاه، وبين النهي عن كتابة غير القرآن: إن (النَّهْيَ خَاصٌّ بِمَنْ خُشِيَ مِنْهُ الْإِتْكَالُ عَلَى الْكِتَابَةِ دُونَ الْحِفْظِ وَالْإِذْنِ لِمَنْ أَمِنَ مِنْهُ ذَلِكَ) (ابن حجر، 1959، 208/1)، فالنهي (في حق مَنْ يُوْتَقُ بِحِفْظِهِ وَيُخَافُ إِتْكَالَهُ عَلَى الْكِتَابَةِ إِذَا كَتَبَ وَيَحْمِلُ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ بِالْإِبَاحَةِ عَلَى مَنْ لَا يُوْتَقُ بِحِفْظِهِ كَحَدِيثِ أَكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ) (النووي، 1392 هـ، 130/18). فقيد الرسول - صلى الله عليه وسلم - إباحة الكتابة فمنعها لما ظهرت المصلحة في ذلك، وهي عدم الاتكال على الكتابة لمن أمن منه الحفظ.

(3) أكل الأضاحي وإدخالها مباح؛ لقول الله تعالى: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} (سورة الحج، آية 28)، وقد قيد الرسول - صلى الله عليه وسلم - إدخال لحوم الأضاحي - وهو مباح - في السنة التي دفت فيها الدافة بثلاثة أيام لحاجتهم إلى الطعام، ولم يقيد بعد ذلك لعدم الحاجة، (نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ.... قَالُوا: تَهَيْتُ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ: إِنَّمَا تَهَيَّيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَةِ الَّتِي دَفَّتْ، فَكُلُوا وَادْخُرُوا وَتَصَدَّقُوا) (مسلم السيناوي، دت، 1561/3). فقيد الرسول - صلى الله عليه وسلم - إباحة إدخال لحوم الأضاحي فوق ثلاث للمصلحة، وهي الحاجة لمواساة من قدموا للمدينة المنورة من الأعراب حضرة الأضحى.

(4) الزواج من الكتابيات المحصنات -العفيفات- مباح لقول الله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أُجُورَهُنَّ} (سورة المائدة، آية 5). وقد (تزوج حذيفة يهودية، فكتب إليه عمر: "خَلِّ سَبِيلَهَا"، فكتب إليه:

⁶ قال النووي (1392 هـ) في شرح صحيح مسلم: (ودافة الأعراب من يرد منهم المصّر. والمزاد هنا مَنْ وَرَدَ مِنْ ضُعَفَاءِ الْأَعْرَابِ لِلْمُوَاسَاةِ).

- أنزَعُ أنها حرام فأخلي سبيلها؟"، فقال: "لا أزعم أنها حرام، ولكن أخاف أن تعاطوا المومسات منهن" (7) (الطبري، 2002، 367-366/4). فقيد عمر ط إباحة نكاح المحصنات الكتابيات لما ظهرت المصلحة في ذلك، وهي خشية الزواج من المومسات منهن، وهن المجاهرات بالفجور (ابن منظور، 1993، 258/6).
- (5) تحديد سن الزواج يحقق مصلحة للعاقدين فتجب الطاعة فيه، وهو داخل في باب السياسة الشرعية، وكل ما يفعله الحاكم محققاً للمصلحة جاز؛ لأن (طاعة أمر السلطان بمباح واجبة) (ابن عابدين، 1992، 167/5-168). ونص العلماء على أن (تصريف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة) (ابن نجيم، 1999، 104/1).
- (6) والحق أن تقييد الحاكم المباح ليس تحريماً له، بل المنع منه للمصلحة، وهو جائز للأدلة المذكورة. وقد وضع العلماء ضوابط لجواز تقييد الحاكم المباح، أهمها: أن يتحقق بتقييده مصلحة مقصودة شرعاً، وألا يتعارض تقييده مع نص من الكتاب، أو السنة، أو إجماع العلماء. وألا يؤدي تقييده لضرر، أو محرم. فهل تقييد سن الزواج بثمانية عشرة سنة في ضوء قانون الأحوال الشخصية تتحقق فيه ضوابط جواز تقييد المباح؟ هذا ما سيجيب عنه المبحث التالي (العربي، 2018).

4. حكم زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية واتفاقية سيداو

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: فساد زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية.
المطلب الثاني: بطلان زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية واتفاقية سيداو.

4.1 فساد زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية

يترتب للزوجة على زوجها في عقد الزواج الصحيح؛ المهر، والنفقة، ويثبت حق الميراث لكل منهما على الآخر، كما نصت المادة الخامسة والثلاثون من قانون الأحوال الشخصية. واشترطت المادة الرابعة والثلاثون من قانون الأحوال الشخصية الأردني لعام 1976م، أن يكون العاقدان أهلاً للزواج حين العقد. ونصّ القرار بقانون رقم 21 لسنة 2019م، معدل للتشريعات النازمة للأحوال الشخصية بشأن تحديد سن الزواج في دولة فلسطين، في مادته الثانية أنه "يشترط في أهلية الزواج أن يكون طرفاً عقد القران عاقلين، وأن يتم كل منهما ثمانين عشرة سنة شمسية من عمره". ورأت المادة الرابعة والثلاثون من قانون الأحوال الشخصية الأردني لعام 1976م، أن الزواج يكون فاسداً إذا كان الطرفان أو أحدهما غير حائز على شروط أهلية الزواج حين العقد. فيكون زواج من لم يبلغ هذا السن فاسداً. ونصت المادة الثانية والأربعون على أن الزواج الفاسد كالباطل لا يترتب عليه أثر إذا لم يحصل دخول، أما إذا حصل دخول فتستحق المرأة المهر، وتجب عليها العدة، بعد تفريق القاضي بين الزوجين، ويثبت النسب للمولود، وتثبت حرمة المصاهرة. ونصت المادة نفسها على عدم ثبوت بقية الأحكام والآثار المترتبة على عقد الزواج؛ كالإرث، والنفقة قبل التفريق بين الزوجين، أو بعده.

والخلاصة أن زواج من لم يبلغوا الثامنة عشرة سنة بحسب قانون الأحوال الشخصية، يكون فاسداً إذا حصل دخول، فلا ميراث بين الزوجين، ولا نفقة للزوجة قبل التفريق وبعده. وفساد زواج من لم يبلغوا الثامنة عشرة سنة مضر بالمرأة من وجهين، لأنه يحرّمها من حقين؛ الأول: حق الإرث⁸، والثاني: حق النفقة قبل التفريق وبعده.

وقد جعل الشارع من أسباب الميراث المصاهرة، فالزوجة ترث زوجها، والزوج يرث زوجته، قال الله تعالى: {وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} (سورة النساء، آية 12).

وجعل الشارع نفقة الزوجة واجبة على زوجها، قال الله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} (سورة النساء، آية 34). قال الله تعالى: {لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} (سورة الطلاق، آية 7). وقال الرسول: (وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (مسلم النيسابوري، دت، 886/2).

فتقييد الحاكم سن أهلية الزواج بثمانين عشرة سنة، وحكمه على العقد بالفساد إذا حصل دخول، ترتب عليه عدم ثبوت حق الإرث بين الزوجين، وعدم استحقاق الزوجة النفقة قبل التفريق وبعده، وهذا يتعارض مع القرآن الذي جعل الزوجية سبباً من أسباب استحقاق الميراث، وضرر بالزوجة وبالزوج نتيجة حرمانها من هذا الحق، وضرر بالزوجة لحرمانها من حق النفقة قبل التفريق وبعده. وقد تقرر في المبحث السابق أن العلماء وضعوا ضوابط لجواز تقييد الحاكم المباح، منها: ألا يتعارض تقييده مع نص من الكتاب، أو السنة، أو إجماع. وألا يؤدي تقييده لضرر. وقد ترتب على تقييد إباحة سن الزواج،

⁷ قال أحمد شاكر: "وهذا إسناد صحيح".

⁸ وكذا يحرم الرجل من إرث زوجته.

والحكم بفساد عقد من لم يبلغ الثامنة عشرة سنة، تعارض مع نص قرآني صريح، وضرر بالزوجين بحرمانها من حق التوارث، وضرر بالزوجة من حرمانها من حق النفقة.

ولا يخفى أن المصاهرة التي ثبتت بعقد الزواج سبب لاستحقاق الإرث، وأن عقد الزواج سبب لاستحقاق الزوجة النفقة، والأصل أن تكون (الأسباب التي نصّبها الشارع مفضية إلى مسبباتها) (ابن القيم، 1991، 260/3)، بل إن (أدنى درجات السبب أن يكون طريقاً إلى الحكم) (البخاري، دت، 183/4). وتعطيل استحقاق الميراث بين الزوجين، وحرمان المرأة من حقها في النفقة، ينافي قصد الشارع، فإن (وضع السبب مكمل الشروط، يقتضي قصد الواضع إلى ترتب السبب عليه، وإلا فلو لم يكن كذلك، لم يكن موضوعاً على أنه سبب) (الشاطبي، 1997، 445/1). ومن هنا تتبين المخالفة لمقتضى أدلة الشرع، والضرر الشديد الذي يترتب على الحكم بفساد زواج من لم يبلغ ثماني عشرة سنة.

إن ما نص عليه قانون الأحوال الشخصية في مادته الخامسة بأنه (يشترط في أهلية الزواج أن يكون الخاطب والمخطوبة عاقلين، وأن يتم الخاطب السنة السادسة عشرة، وأن تتم المخطوبة الخامسة عشرة من العمر). لم يوضع عبثاً، بل نتيجة خبرات وقضايا عُرِضت على المحاكم تبين للقضاة منها، أن بعض الأولياء يتعسفون في تزويج بناتهم وهن صغيرات لا اعتبارات كثيرة، لعل أهمها الجشع والإغراء المالي ممن يتقدم للزواج من الصغيرة. ويمكن علاج هذا الأمر بمعاينة من يجري عقد الزواج لمن لم يتوافر فيهم أهلية الزواج التي نص عليها القانون، كما جاء في تعديل قانون الأحوال الشخصية المصري، المادة (31 مكرراً) والمضافة عام 2008 للقانون 143 لسنة 1994 بشأن الأحوال المدنية على أنه "لا يجوز توثيق عقد زواج لمن لم يبلغ من الجنسين ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة... ويعاقب تأديبياً كل من وثق زواجا بالمخالفة لأحكام هذه المادة"⁹. أما أن يُحكم على فساد عقد من يتزوج دون الثامنة عشرة سنة، فإنه غير مقبول؛ لما يترتب على فساد العقد من المحاذير الشرعية المذكورة.

4.2 بطلان زواج الأطفال في ضوء قانون الأحوال الشخصية واتفاقية سيداو

نصت المادة الثانية والأربعون من قانون الأحوال الشخصية على أن الزواج الفاسد كالباطل، لا يترتب عليه أثر إذا لم يحصل دخول. ونصت النقطة الثانية من المادة السادسة عشرة من اتفاقية سيداو على عدم ترتب أي أثر قانوني على خطوبة الطفل، أو زواجه، وهذا يعني بطلان العقد، ولم تفرق اتفاقية سيداو بين حالتي حصول الدخول، وعدمه.

ولا يترتب على العقد الباطل أي أثر بحسب المادة الحادية والأربعين من قانون الأحوال الشخصية؛ فلا تثبت نفقة للزوجة، ولا تجب عليها عدة، ولا يثبت نسب للأطفال، ولا تثبت به حرمة مصاهرة، ولا استحقاق إرث أحد الزوجين من الآخر. ولا يثبت للمرأة مهر في العقد الباطل بمقتضى قانون الأحوال الشخصية في مادتيه الخامسة والثلاثين، ونصّها (إذا وقع العقد صحيحاً لزم به للزوجة على الزوج المهر والنفقة ويثبت بينهما حق التوارث)، والحادية والأربعين، ونصّها (الزواج الباطل سواء وقع به دخول أم لم يقع به دخول لا يفيد حكماً أصلاً، وبناء على ذلك لا تثبت به بين أحكام الزواج الصحيح كالنفقة والنسب والعدة وحرمة المصاهرة والإرث).

والقول بعدم ترتب أي أثر قانوني على عقد من لم يبلغ الثامنة عشرة سنة بحسب اتفاقية سيداو، مضر بالزوجين، وضرره بالزوجة أشد. فالزوجة تُحرَم من المهر، ومن استحقاق الإرث، -كما يُحرَم الزوج من استحقاق الإرث، ومن نسب ابنه إليه، ولا تجب العدة على المرأة، ولا تثبت حرمة المصاهرة، ولا يخفى ما في هذه الأحكام من تعارض مع النصوص القرآنية الصريحة¹⁰.

وقد جعل الشارع المهر حقاً للزوجة، وواجب لها على زوجها، باتفاق الأئمة¹¹ (الكاساني، 1982، 274/2؛ ابن رشد، 1975، 45/3؛ النووي، 1392 هـ، 324/16؛ ابن قدامة، 1405 هـ، 209/7)؛ لقول الله تعالى: {وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} (سورة النساء، آية 4). فإن دخل الزوج بزوجه، أو خلا بها خلوة شرعية، أو مات عنها استحققت الزوجة مهرها كاملاً، وإذا وقع الطلاق قبل الوطء، أو الخلوة الصحيحة، استحققت نصف المهر؛ لقول الله تعالى: {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ} (سورة البقرة، آية 237). وإن وقع الطلاق قبل تسمية المهر، وقبل الدخول، أو الخلوة الصحيحة وجبت المتعة للزوجة. وتقدّر حسب العرف والعادة بحسب حال الزوج، على ألا تزيد عن نصف مهر المثل؛ لقول الله تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ} (سورة البقرة، آية 236).

وأوجب الشارع العدة على الزوجة، قال الله تعالى: {وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (سورة البقرة، آية 228)، وتجب العدة حقاً لله تعالى وطاعة له؛ والحكمة منها عدم اختلاط الأنساب. وبحسب اتفاقية سيداو التي لا ترتب أثراً قانونياً على زواج من لم يبلغ الثامنة عشرة سنة، لو حصل دخول فلا عدة على الزوجة، ألا يتصور أن يحصل حمل، فتتزوج هذه المرأة من آخر بعد التفريق وتتجب فينسب الولد للزوج الجديد مع أنه من الزوج الأول الذي لم يبلغ الثامنة عشرة سنة. فهل يُعقل بحسب اتفاقية سيداو أن يتزوج

⁹ <http://ncw.gov.eg>

¹⁰ بينت في المطلب السابق معارضة عدم استحقاق المرأة النفقة، وعدم ثبوت حق التوارث بين الزوجين لنصوص صريحة من القرآن الكريم.

¹¹ وهو ما نصت عليه المادة الخامسة والثلاثون من قانون الأحوال الشخصية.

¹² وهو ما نصت عليه المادة الثامنة والأربعون من قانون الأحوال الشخصية.

¹³ وهذا ما نصت عليه المادة الخامسة والخمسون من قانون الأحوال الشخصية.

من هو دون الثامنة عشرة سنة ويحصل دخول، وحمل، ويفرّق بين الزوجين ولا نوجب العدة على الزوجة، مع ما يترتب على ذلك من اختلاط الأنساب؟

وهل يُعقل بحسب اتفاقية سيداو أن يتزوج من هو دون الثامنة عشرة سنة ويحصل دخول وحمل، ولا يُنسب الولد لأبيه، والله تعالى يقول في كتابه: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} (سورة الأحزاب، آية 5).

وهل يُعقل بحسب اتفاقية سيداو أن يتزوج من هو دون الثامنة عشرة سنة ويحصل دخول، ويتبعه تفريق، ولا تثبت حرمة مصاهرة؟

لقد حرّم الشارع بسبب المصاهرة أربعة أصناف من النساء؛ الصنف الأول: زوجة الأب، قال الله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاجِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا} (سورة النساء، آية 22)، ومع أن الزواج من زوجة الأب لا يتصور حصوله إلا نادراً، فإنه يمكن أن يحدث، كأن يتزوج من هو دون الثامنة عشرة سنة، وينجب، ثم يتزوج من أخرى بعد الثامنة عشرة، ثم يطلقها أو يموت عنها، فيأتي ابنه من الأولى ويتزوجها.

الصنف الثاني: زوجة الابن، قال الله تعالى في سياق ذكر المحرمات من النساء: {وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ} (سورة النساء، آية 23)، فهل يُعقل بحسب اتفاقية سيداو أن يعقد من هو دون الثامنة عشرة سنة، أو فوقها على من لم تبلغ الثامنة عشرة سنة ويدخل بها، ثم يُفرّق بينهما؛ لصغر سنّها، ونحكم عدم ترتب أثر على هذا الزواج، فنبيح لأبيه أن يتزوجها؟

الصنف الثالث: أم الزوجة، قال الله تعالى في سياق ذكر المحرمات من النساء: {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ} (سورة النساء، آية 23)، فهل يُعقل، بحسب اتفاقية سيداو، أن يعقد من هو دون الثامنة عشرة سنة، أو فوقها على من لم تبلغ الثامنة عشرة سنة ويدخل بها، أو لا يدخل، ثم يُفرّق بينهما؛ لصغر سنّها، ونحكم عدم ترتب أثر على هذا الزواج، فنبيح له الزواج من أمها¹⁴؟

الصنف الرابع: بنت الزوجة المدخول بها، قال الله تعالى في سياق ذكر المحرمات من النساء: {وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنَ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ} (سورة النساء، آية 23)، فهل يُعقل، بحسب اتفاقية سيداو، أن يعقد رجل لم يبلغ الثامنة عشرة سنة على امرأة ويدخل بها، ثم يُفرّق بينهما؛ لصغر سنّها، فنبيح له أن يتزوج من بنتها؟ فلا بُدَّ — إذن — من أن يُنظر إلى المحاذير الشرعية المترتبة على إقرار اتفاقية سيداو، التي لم تُرتب على زواج من لم يبلغ ثماني عشرة سنة أثراً، المتمثلة في إبطال حقوق الزوجين في استحقاق الإرث بينهما، وإبطال حق الوالد في نسبة ولده له، وحق الولد في نسبته لأبيه، وحق الزوجة في المهر، وحقها في النفقة، وعدم تحريم الزواج من النساء المحرمات بالمصاهرة، وهي أمور مخالفة للشرع الإسلامي.

5. الخاتمة والتوصيات

خلص هذا البحث إلى النتائج التالية:

- (1) الخير والعدل والسعادة في تطبيق شرع الله تعالى.
- (2) كل تشريع من وضع البشر لا بد أن يعتريه التناقض والقصور.
- (3) تطبيق القرار بقانون يحدد أهلية الزواج في ضوء قانون الأحوال الشخصية، يعطل أحكاماً ثابتة في القرآن الكريم.
- (4) تطبيق اتفاقية سيداو في ضوء قانون الأحوال الشخصية، يعطل أحكاماً ثابتة في القرآن الكريم.
- (5) يوصي الباحث بما يلي:
 - أن يُعطى قاضي المحكمة الشرعية صلاحية الموافقة على عقد من لم يبلغ أهلية الزواج، إن رأى مصلحة في ذلك؛ تيسيراً على الناس، واختصاراً للوقت والجهد.
 - التوافق مع تعديلات قانون الأحوال الشخصية المصري الذي يعاقب من يُجري العقد قبل 18 سنة، وعدم الحكم على عقده بالفساد؛ لما يترتب على الحكم بفساد العقد من محاذير شرعية.
 - عدم إقرار اتفاقية سيداو في دولة فلسطين؛ لما يترتب على ذلك من محاذير شرعية.

الإقرارات:

- تضارب المصالح: يقر الباحث بأنه لا يوجد أي تضارب مصالح مالي أو شخصي يؤثر في محتوى هذا البحث.
- توافر البيانات: البيانات المستخدمة والمحللة في هذا البحث متاحة لدى الباحثين ويمكن توفيرها عند الطلب.
- مصدر التمويل: لم يتلق هذا البحث أي تمويل من أية جهة رسمية أو خاصة.

¹⁴ هذه الحالة والتي تليها، وإن كانتا نادرتي الوقوع، فإنه يمكن عقلاً وقوعهما.

6. قائمة المراجع

6.1 المراجع العربية

- القرآن الكريم.
- الشيباني، أحمد بن حنبل (2001). المسند، حققه: شعيب الأرنؤوط، وآخرون. (ط1)، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الألوسي، محمود بن عبد الله (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني (ط1). حققه: علي عطية. بيروت، دار الكتب العلمية.
- الأمدي، علي بن محمد (1404 هـ). الإحكام في أصول الأحكام (ط1). بيروت، دار الكتاب العربي.
- البخاري، عبد العزيز بن أحمد (د.ت.). كشف الأسرار شرح أصول البزدي. القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (1987). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (ط3). بيروت، دار ابن كثير.
- الترمذي، محمد (1975). سنن الترمذي، حققه: أحمد شاكر وآخرون، ط2، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ابن حجر، أحمد (1959). فتح الباري شرح صحيح البخاري، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب. بيروت، دار المعرفة.
- الحميري، نشوان بن سعيد (1999). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. حققه: حسين العمري، وآخرون. بيروت، دار الفكر.
- ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد القرطبي (1975). بداية المجتهد ونهاية المقتصد (ط4). مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام (2004). دمشق، دار القلم.
- السرخسي، محمد بن أبي سهل (2000). المبسوط (ط1). بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (1997). الموافقات، حققه: مشهور سلمان (ط1). القاهرة، دار ابن عفان.
- الطبري، محمد (2002). جامع البيان في تأويل القرآن (ط1)، حققه: أحمد محمد شاكر. بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ابن عابدين، محمد (1992). رد المحتار على الدر المختار (ط2). بيروت، دار الفكر.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله (1999). المحصول في أصول الفقه. حققه: حسين البدر. (ط1). عمان، دار البيقار.
- العربي، هشام يسري (2018). سلطة ولي الأمر في تقييد المباح ورفع الخلاف من وجهة الفقه الإسلامي، مجلة المدونة، العدد 16، المجلد 4، 35-82.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد (1405 هـ). المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل (ط1). بيروت، دار الفكر.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (1991). إعلام الموقعين عن رب العالمين، حققه: محمد عبد السلام إبراهيم (ط1). بيروت، دار الكتب العلمية.
- الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد (1982). بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. بيروت، دار الكتاب العربي.
- ابن المنذر، محمد بن إبراهيم (2004). الإجماع (ط1). حققه: فؤاد عبد المنعم. الرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع.
- ابن منظور، محمد (1993). لسان العرب (ط3). بيروت، دار صادر.
- ابن نجيم، إبراهيم (1999). الأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ (ط1)، حققه: زكريا عميرات. بيروت، دار الكتب العلمية.
- النووي، يحيى بن شرف بن مري (1392 هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ط2). بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- النووي، يحيى بن شرف بن مري (1392 هـ). المجموع شرح المذهب (ط2). بيروت، دار الفكر.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (د.ت.). الجامع الصحيح. بيروت، دار الجيل.

6.2 رومنة المراجع العربية

- Al-Qur'an al-Karim.
- Al-Shaybani, Ahmad ibn Hanbal (2001). Al-Musnad (in Arabic), edited by Shu'ayb al-Arna'ut and others. (1st ed.), Beirut, Mu'assasat al-Risalah.
- Al-Alusi, Mahmud ibn 'Abd Allah (1415 AH). Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an wa al-Sab' al-Mathani (in Arabic) (1st ed.). Edited by Ali 'Attiyah. Beirut, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Amidi, Ali ibn Muhammad (1404 AH). Al-Ihkam fi Usul al-Ahkam (in Arabic) (1st ed.). Beirut, Dar al-Kitab al-'Arabi.
- Al-Bukhari, 'Abd al-'Aziz ibn Ahmad (n.d.). Kashf al-Asrar Sharh Usul al-Bazdawi (in Arabic). Cairo, Dar al-Kitab al-Islami.
- Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il ibn Ibrahim ibn al-Mughira (1987). Al-Jami' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min Umur Rasul Allah Sallallahu 'Alayhi wa Sallam wa Sunanihi wa Ayyamihi (in Arabic) (3rd ed.). Beirut, Dar Ibn Kathir.
- Al-Tirmidhi, Muhammad (1975). Sunan al-Tirmidhi (in Arabic), edited by Ahmad Shakir and others, 2nd ed., Cairo, Matba'at Mustafa al-Babi al-Halabi.
- Ibn Hajar, Ahmad (1959). Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari (in Arabic), edited by Muhammad Fu'ad 'Abd al-Baqi and Muhibb al-Din al-Khatib. Beirut, Dar al-Ma'arif.
- Al-Himyari, Nashwan ibn Sa'id (1999). Shams al-'Ulum wa Dawa' Kalam al-'Arab min al-Kuloom (in Arabic), edited by Hussein al-'Amri and others. Beirut, Dar al-Fikr.

- Ibn Rushd, Muhammad ibn Ahmad ibn Muhammad al-Qurtubi (1975). Bidayat al-Mujtahid wa Nihayat al-Muqtasid (in Arabic) (4th ed.). Egypt, Matba'at Mustafa al-Babi al-Halabi.
- Al-Zarqa, Mustafa Ahmad (2004). Al-Madkhal al-Fiqhi al-'Aam (in Arabic). Damascus, Dar al-Qalam.
- Al-Sarakhsi, Muhammad ibn Abi Sahl (2000). Al-Mabsut (in Arabic) (1st ed.). Beirut, Dar al-Fikr li al-Tiba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi'.
- Al-Shatibi, Ibrahim ibn Musa ibn Muhammad al-Lakhmi (1997). Al-Muwafaqat (in Arabic), edited by Mashhur Salman (1st ed.). Cairo, Dar Ibn 'Affan.
- Al-Tabari, Muhammad (2002). Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an (in Arabic) (1st ed.), edited by Ahmad Muhammad Shakir. Beirut, Mu'assasat al-Risalah.
- Ibn 'Abidin, Muhammad (1992). Radd al-Muhtar 'ala al-Durr al-Mukhtar (in Arabic) (2nd ed.). Beirut, Dar al-Fikr.
- Ibn al-'Arabi, Muhammad ibn 'Abd Allah (1999). Al-Mahsool fi Usul al-Fiqh (in Arabic), edited by Hussein al-Badri (1st ed.). Amman, Dar al-Bayariq.
- Al-'Arabi, Hisham Yusri (2018). Sultat Wali al-Amr fi Taqyid al-Mubah wa Raf' al-Khilaf min Wajhat al-Fiqh al-Islami (in Arabic), Majallat al-Madawwanah, Issue 16, Vol. 4, 35-82.
- Ibn Qudamah, 'Abd Allah ibn Ahmad ibn Muhammad (1405 AH). Al-Mughni fi Fiqh al-Imam Ahmad ibn Hanbal (in Arabic) (1st ed.). Beirut, Dar al-Fikr.
- Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub (1991). I'lam al-Muwaqqi'in 'an Rabb al-'Alamin (in Arabic), edited by Muhammad 'Abd al-Salam Ibrahim (1st ed.). Beirut, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Kasani, Abu Bakr ibn Mas'ud ibn Ahmad (1982). Bada'i' al-Sana'i' fi Tartib al-Shara'i' (in Arabic). Beirut, Dar al-Kitab al-'Arabi.
- Ibn al-Mundhir, Muhammad ibn Ibrahim (2004). Al-Ijma' (in Arabic) (1st ed.). Edited by Fu'ad 'Abd al-Mun'im. Riyadh, Dar al-Muslim li al-Nashr wa al-Tawzi'.
- Ibn Manzur, Muhammad (1993). Lisan al-'Arab (in Arabic) (3rd ed.). Beirut, Dar Sader.
- Ibn Nujaym, Ibrahim (1999). Al-Ashbah wa al-Naza'ir 'ala Madhhab Abi Hanifah al-Nu'man (in Arabic) (1st ed.), edited by Zakariya 'Amirat. Beirut, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Nawawi, Yahya ibn Sharaf ibn Muri (1392 AH). Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim ibn al-Hajjaj (in Arabic) (2nd ed.). Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Nawawi, Yahya ibn Sharaf ibn Muri (1392 AH). Al-Majmu' Sharh al-Muhadhdhab (in Arabic) (2nd ed.). Beirut, Dar al-Fikr.
- Al-Nisaburi, Muslim ibn al-Hajjaj ibn Muslim al-Qushayri (n.d.). Al-Jami' al-Sahih (in Arabic). Beirut, Dar al-Jil.

The Impact of the CEDAW Convention on Child's Marriage under the Personal Status Act in Palestine

Hussein Mutawe Al-Tarturi

Department of Jurisprudence, College of Sharia, Hebron University, Palestine

Corresponding Author: husaint@hebron.edu

Received: 03/04/ 2024.

Revised: 13/04/2024.

Accepted: 14/11/2024.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.7

Abstract

This article addressed the impact of the CEDAW Convention on children's marriage and spouses' rights under the Jordanian Personal Status Act of 1976 in Palestine. The article introduced the CEDAW Convention and the definition of a child and discussed the eligibility for marriage and the authority's rights to restrict it. In terms of the Personal Status Act, children's marriage, in which a spouse does not fulfill the legal capacity to marry is considered either void (batil) or invalid (fasid), while in CEDAW such a marriage is regarded as void (batil) in all cases. The article also discussed the legal implications of this treatment including preventing the woman from the right of dowry (mahr) and alimony (nafaqah), preventing both spouses from the right of inheritance, preventing from filiation of the child to his/her father, and other jurisprudential implications.

Keywords: CEDAW, Child marriage, Islamic jurisprudence, Palestine, Personal Status Law, Women rights



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

جدل المنفى والسيرة في شعر محمود درويش: قصيدتا: "نهار الثلاثاء والجو صافٍ" و"طباق" أنموذجاً

مفلق الحويطات

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات، الجامعة الأردنية، العقبة، الأردن
الباحث المراسل: m.hweitat@ju.edu.jo

Received: 19/06/ 2024.

Revised: 14/08/2024.

Accepted: 03/11/2024.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.8

الملخص

تتناول هذه الدراسة بالنقد والتحليل قصيدتين للشاعر محمود درويش هما: "نهار الثلاثاء والجو صافٍ"، و"طباق" الواردتان في ديوانه: "كزهر اللوز أو أبعد" تحت عنوان جامع هو "منفى"، وذلك من منظور محدّد، هو استجلاء سيرة الذات وتعالقاتها مع المنفى، كما يرويها الشاعر في هاتين القصيدتين؛ إذ يتبنّى للقارئ أنّ الشاعر يُقدّم في أولهما جوانب من سيرته الذاتية، وفي ثانيتهما جوانب من سيرة الناقد والمفكر الفلسطيني إدوارد سعيد، ويقرن ذلك بما شهدته هذه السيرة في شكلها الذاتي والغيري من تحولات متلاحقة، ولدها ما تعرّضت له الذات من نفي وتهجير واقتلاع من المكان. إلى جانب ذلك، فإنّ هاتين القصيدتين تكشفان- في الوقت ذاته- عن موقف الشاعر من قضايا متعدّدة، كالموت والحب والهوية والمكان واللغة والزمن والوجود والآخر... وهي قضايا شديدة الصلة بحياة المنفى، التي عاشتها الذات الشاعرة. كما أنّها تُفصّل- إلى حد بعيد- عن المدى الذي سارت فيه رؤية الشاعر والأفاق التي ارتادتها في هذه المرحلة من حياته الإبداعية.

الكلمات المفتاحية: محمود درويش، كزهر اللوز أو أبعد، الشعر العربي الحديث، المنفى، السيرة.

1. المقدمة

ارتبطت سير كثير من المبدعين بالمنفى ارتباطاً وثيقاً، وظلّ التلازم بين هذين الجانبين من الموضوعات ذات الحضور المتكرّر في مدوّنة الإبداع على مدى العصور. وإذا كان إدوارد سعيد يرى أنّه "لا يبعث على الأحزان مصير مثل العيش في المنفى" (سعيد، 2006، ص 92)، بالنظر إلى ما قد يُحدثه في حياة الإنسان وسيرته من آلام وإكراهات، فإنّه أي المنفى- يمكن أن يكون - أيضاً - من المحفّزات المثيرة للكتابة والإبداع، بل إنّه قد يكون - أحياناً - من الخيارات المرغوبة التي يسعى إليها الكثيرون بمحض إرادتهم واختيارهم. هذا إلى جانب ما قد يحملّه من إيجابيات أو "الذائد" بتعبير سعيد نفسه، الذي يرى - أيضاً - أنّ ثمة وجهاً آخر للمنفى؛ "فروية" العالم أجمع أرضاً غريبة" تُمكن من تكوين رؤية أصيلة. وفي حين لا يعرف معظم الناس سوى ثقافة واحدة، وخلفيّة واحدة، ووطن واحد، فإنّ المنفيين يعرفون اثنين على الأقل، وتعددية الرؤية هذه تولّد وعياً بالأبعاد المتزامنة، وعياً هو وعي طباقيّ، كما يُقال في لغة الموسيقى" (سعيد، 2007، ص 132-133). إنّ موضوع السيرة والمنفى من الموضوعات التي قدّمت فيها جهودٌ بحثية كثيرة، تناولت عديداً من القضايا المتصلة بهذا الجانب. ولعلّ جهود إدوارد سعيد ودراسات ما بعد الكولونيالية، أو ما بعد الاستعمار، أن تكون من الجهود الرائدة في هذا الاتجاه (انظر مثلاً: McClennen, 2004). هذا إلى جانب كتابات وإسهامات واسعة، تمثلت تجربة المنفى واستوحّت تأثيره في حياة المُبدع وسيرته على هذا النحو أو ذاك (انظر مثلاً: منيف، 1994؛ ناصر، 1996؛ طاهر، 2008). تُعدّ الحالة الفلسطينية من أكثر الحالات تمثيلاً لتداخل السيرة بالمنفى، إنّ كان ذلك على المستوى المعيشي والحياتي أو المستوى الفني والإبداعي، ويعود ذلك إلى ما تعرّضت له الذات الفلسطينية من صُور التهجير والتّغريب والنفي والاقتلاع من المكان ممّا هو معروف، وتُغني فيه الإشارة عن الإطالة والتفصيل. "ولعلّ الأدب الفلسطيني [بذلك] أن يكون من بين أكثر

الأدب العالمية التي تكونت وتطورت داخل بوتقة المنفى وعلى حوافه؛ فلا يمكن النظر إلى الأدب الفلسطيني إلا بوصفه أدب منفي واغتراب، ومحاولة للحفاظ على الهوية المهددة" (صالح، 2011، ص 25).

ويجتلي هذا الجانب تمامًا في شعر محمود درويش (1941-2008) الذي اقترن المنفى بسيرته فبدا علامة بالغة الوضوح في شعره (انظر مثلاً: Salmi, 2012, P 55-68؛ اليوسفي، 2011، ص 185-209؛ قطوس، 2019، ص 373-404)، وهو الشاعر الذي يُمكن إدراجه في مجموعته- كما يرى فخري صالح- "بوصفه مجازًا للمنفى" (صالح، 2011، ص 25). ويرقى- في تقدير إدوارد سعيد- "لأن يكون ضربًا من الجهد الملحمي الزامي إلى تحويل أغاني الضياع إلى دراما العودة المؤجلة حتى إشعار آخر" (سعيد، 2007، ص 124). وليس في الأمر غرابة في أن يُطلق كل ذلك على شاعر مثل درويش، وهو الذي طوّحت به الأمكنة، وأسلمته من غربة إلى غربة، فهُجّر من موطنه الأصلي، ومن غيره- أحيانًا- قسراً وكُرْهاً. وهو ما يؤكده الشاعر نفسه بقوله في شهادة له: "منذ طفولتي عشت تجربة المنفى في الوطن، وعشت تجربة المنفى الخارجي. وصرت لاحقاً في بلادي وخارجها. وعشت تجربة السجن. السجن أيضاً منفي. في المنفى الداخلي حاولت أن أحرّر نفسي بالكلمات. وفي المنفى الخارجي حاولت أن أحقق عودتي بالكلمات. صارت الكلمات طريقاً وجسراً، وربما مكان إقامة" (درويش، 2008، ص 14).

إنّ الناظر في شعر درويش يجد فيه هذا التلازم الدائم بين المنفى والسيرة، ما يتطلب بالضرورة مزيداً من المقاربات التي تتناول حضور هذه الظاهرة وفقاً لتطور تجربته الشعرية الغنية والمتشعبة بتحوّلاتها الدائمة على صعيدي الرؤية والتشكيل. وفيه- أي الشعر- تحضر سيرة الذات التي لا تنفصل بحال عن سيرة الجماعة، التي لم تغب أبداً عن قصيدة درويش وانشغالاتها؛ ف"ليس هناك [كما يذهب الشاعر في أحد حواراته] من شاعر مقطوع عن تاريخه الإنساني والثقافي وعن جماعته، مهما كبرت أو صغرت (...)"؛ لأنّ سيرتي الخاصة هي سيرتها، ولأنّ لغتي هي لغتها، ولأنّ تاريخي الوطني والثقافي هو تاريخها في اندماجه مع التاريخ الإنساني العام" (درويش، 2014، ص 86).

في قصيدتي: "منفى: نهار الثلاثاء والجوّ صافٍ"، و"منفى: طباق" الواردتين في ديوان "كزهر اللوز أو أبعد" (2005)، واللّتين تتخذ منهما هذه الدراسة نموذجاً تطبيقياً، يروي محمود درويش- في إطار الشعر- جوانب من سيرته الذاتية وسيرة صديقه المفكر والنّاقد إدوارد سعيد، وهي السيرة التي تشكّلت في أجواء المنفى في كلّ فصولها ومراحلها. ومن الملاحظ أنّ حضور السيرة يُعدّ من الملامح الواضحة التي اتّسم بها كثير من قصائد هذا الديوان. بل الأقرب إلى الدقة أن يُقرأ شعر درويش كلّهُ "بما هو سيرة؛ سيرة وجودية، وسياسية، وثقافية، وإنسانية، منذ دواوينه الأولى (...) وحتى مجموعته الشعرية الأخيرة التي صدرت بعد رحيله" (بلقزيز، 2009، ص 11).

ولعلّ إلحاح درويش على موضوع السيرة على هذا النحو اللافت، يُعبر عن سعيه إلى تأكيد حضور الذات وتجذرها في المكان، وتقديم حكايتها للعالم بصوتها، هي بعد أن بدّل المحتل الكثير في سبيل طمس هذه الحكاية أو إخفائها. والجدير بالذكر أنّ اهتمام درويش بالسيرة ليس أمراً جديداً، وإنّما هو حاضر في شعره ونثره معاً (انظر: درويش، 2006، ص 42)، بل إنّه كرّس مجموعة شعرية هي "لماذا تركت الحصان وحيداً" (1995) لتكون مخصّصة بكاملها لموضوع السيرة (انظر: الشيخ، 2005، ص 173-222؛ حديدي، 2008، ص 82-92). في هاتين القصيدتين- موضوع هذه الدراسة- وفي غيرهما من قصائد ديوان "كزهر اللوز أو أبعد" يستأنف درويش بناء هذه الصّورة، ويعيد تشكيلها بأدوات تعبير جديدة بعد سنوات طويلة، مرّت بها تجربته الإبداعية والحياتية، بما تخلّلها من تحولات كبرى على المستويين الذاتي والموضوعي.

2. جدل المنفى والسيرة

يورد محمود درويش في ديوان "كزهر اللوز أو أبعد" أربع قصائد، جاءت مغايرة لباقي قصائد الديوان من حيث طولها النسبي، ورؤيتها المركبة، وبنائها الذي يجمع بين الغنائية والسردية. وقد وُضع لكلٍ منها عنواناً عاماً هو (منفى)، إلى جانب عنوان خاص لكل قصيدة. "ولفظة (منفى) ليست غريبة على عالم درويش المعبر عن حالة خاصة من النفي، ويمكن ربط هذه اللفظة ذات الوظيفة الزمانية- المكانية، بمعاني الإبعاد والاغتراب، وفقدان الوطن، وتهديد الهوية... ممّا يتّصل بتجربة الشاعر وتجربة الشعب الفلسطيني الذي ينتمي إليه" (عبيد الله، 2021، ص 17). والعنوان يُعدّ- كما هو ثابتٌ ومستقرّ- من الموجهات الرئيسية في تحديد أفق القراءة، وكشف جوانب من مقاصد النصّ ودلالاته المتعددة (انظر: بلعابد، 2008؛ قطوس، 2011).

سنتناول هذه الدراسة- كما ذكر- قصيدتين من هذه القصائد الأربع، بوصفهما دالّتين على توضيح هذا المنحى في شعر درويش، وتمثيل شكلي السيرة الشعرية: الذاتية والغريبة. وستسعى الدراسة إلى استقصاء حضور سيرة الذات أو الآخر في القصيدتين، وتحليل ما يرتبط بهذه السيرة من مواقف وتجارب ومشاهدات ورؤى وتأمّلات، مع ملاحظة البعد الفني والتشكيلي الذي تجسّدت به. ولا يخفى ما لهذه الجوانب من اتّصال بموضوع المنفى، ولعلّ سيرة الذات (ممثلة هنا بسيرة محمود درويش وسيرة إدوارد سعيد) ما كان لها أن تتشكل على هذا النحو، أو تتبنّى مثل هذه المواقف والرؤى لو لم تكن قد نشأت في المنفى، بما له من تأثير واضح وأكيد في تشكيل الذات: وعياً ورؤية وموقفاً. وسيعمد إلى قراءة هاتين القصيدتين قراءة نصّية أساسها ومركزها النصّ الشعري، في الوقت الذي لن يُغفل فيه النظر تماماً عن ربط النصّ بحياة مُبدّعه، إلى جانب الاستفادة من نصوصه الموازية الأخرى، وذلك لما لمثل هذا الإجراء المنهجي من دور في إضاءة النصّ الشعري، وكشف الكثير من إشاراته ومعانياته.

وتجدر الإشارة - هنا - إلى أن ثمة دراساتٍ محدودةً بحسب اطلاع الباحث- تناولت هاتين القصيدتين، فقد درس صلاح فضل (فضل، 2011) قصيدة "طباقي" من منظور فكرة التماهي التي تقيمها القصيدة بين درويش وسعيد، متوقعًا وقفاتٍ سريعةً عند بعض محاور القصيدة، من مثل دلالة العنوان، وتعاضد عنصرَي السرد والتصوير في خدمة رؤية القصيدة. كما درس حاتم الصكر (الصكر، 2019) القصيدة ذاتها في سياق دراسةٍ، قدمها- في الأساس- عن إدوارد سعيد، وإشكاليات خطاب الاستشراق والهوية والمكان في فكره ونقده. ويُلاحظ أن قراءة الصكر جاءت- انسجامًا مع موضوعها وهدفها- محصورةً بموضوع الهوية، فعمد- في تتبع دقيق- إلى تلمس انعكاسات سيرة سعيد "خارج المكان" كما تجلّت في نص القصيدة. أما قصيدة "نهار الثلاثاء والجو صافٍ" فقد أفرد لها محمد عبيد الله (عبيد الله، 2021) دراسة نصية داخلية مستقصية، تضمنت دراسة سيمياء العنوان وبنية القصيدة من جوانبها الغنائية والسردية والإيقاعية والمعمّية والتركيبية والتخييلية. وتهدف الدراسة الحالية- كما أشير إلى ذلك على نحو أو آخر- إلى تخصيص القول في موضوع "المبيرة والمنفى" تحديدًا، وبحث الجدلية القائمة بينهما، وأثرها في رؤية درويش الفنية كما تبدّت في هاتين القصيدتين اللتين تكشفان عن المستوى الجمالي الذي بلغته تجربة الشاعر في مرحلته الشعرية الأخيرة.

3. منفى: نهار الثلاثاء والجو صافٍ

يورد محمود درويش- في أحد حواراته الأخيرة- قولاً مفاده "أن كل قصيدة غنائية هي قصيدة أوتو- بيوغرافية أو سير- ذاتية" (درويش، 2006، ص 42). ويأتي هذا القول في أثناء حوار يجريه معه عبده وازن؛ فحين يسأله محاوره: "هل عشت قصص حب وخيبات حقيقية؟ وهل كتبت انطلاقًا من تجارب عشق حية؟" يجيب الشاعر: "كل ما أكتبه في الحب أم في سواه، ناجم عن تجارب حية" (درويش، 2006، ص 67). ولعل المدقّق في كثير من قصائد درويش يجد غلبةً لضمير المتكلم الذي يؤكد هذه الغنائية التي أشار إليها؛ "فهو الضمير الأساسي فيها، وتشير القرائن والدلائل اللفظية والسباقية إلى أنه ضمير الشاعر نفسه، وأن الشاعر يتكلم بصوته مباشرة، ويوجه خطابه إلى نفسه، ولا يوجهه إلى متلقٍ خارجي" (عبيد الله، 2021، ص 24-25). وهذا يعني أنه يمكن للباحث تلمس وجوه من سيرة الذات، أو تعرّف ملامح من سيرتها الفكرية والجمالية التي تُعدّ- على كلّ الأحوال- جزءًا من سيرتها الذاتية عامةً.

إنّ المتأمل في قصيدة درويش "منفى: نهار الثلاثاء والجو صافٍ" (درويش، 2009، ص 105-125) يجد أنّها "تقترب من مقطع من سيرة ذاتية" كما يذهب إبراهيم السعافين (السعافين، 2018، ص 309)، يستدعي فيها الشاعر بعض تجاربه في المنفى من خلال جملة من التدايعات التي ترُدّ على شكل حوار داخلي، تكشف فيه الذات عن ملامح من سيرتها ورويتها لقضايا متعدّدة، من مثل الهوية والموت والحب والزمن والمكان واللغة.

يُصور مطلع القصيدة ذاتاً منطلقةً متألمةً محتفيةً بالطبيعة وجمالياتها. وقد ساعد على تجسيد حضور هذه الذات ما اتّسمت به القصيدة من وضوح عنصر الحركة الذي تظهر على نحو واضح في فكرة "المشي": "أمشي خفيفًا خفيفًا..." (درويش، 2009، ص 106، 109، 120، 122). ولفظ "أمشي"- كما لاحظ محمد عبيد الله- هو "اللفظ المولد والرحمي في قصيدة درويش (...) بدلالته على مشوار الحياة أو مسيرة الشاعر (عبيد الله، 2021، ص 38)، ويؤكد هذا أنّ هذا الفعل شكّل- بتكراره اللافت- لازمةً تكرّرت في بداية عدد من مقاطع القصيدة. ولعلّ ما يؤكد وضوح الحركة في القصيدة - أيضًا - كثرة توالي الأفعال المضارعة المُسنّدة إلى ضمير المتكلم: أسيرُ، أنظر، أتصفّح، ألقُب، أحقّق، لا أحفظ ... إلخ. وعلى ما تُبديهِ الذات من تفاعلٍ إيجابيٍّ مع المكان، وتناغمٍ واضحٍ مع عناصره، فإنّ مظاهر اغترابها عنه تبدو- مع ذلك- واضحةً:

"أحقّق في اللافتات على الجانبين.../ ولا أحفظ الكلمات" (درويش،

2009، ص 105)، "... وأنظرُ حولي/ لعلّي أرى شَبَهًا بين نفسي/

وصفصاف هذا الفضاء فلا أتبيّن/ شيئًا يشيرُ إليّ" (درويش، 2009،

ص 106).

ومع أنّ معالم هذا المكان لا تبدو محدّدة كما نلاحظ، فإنّ الشاعر يستحضر- في موضع لاحق قريب- مكانًا آخر يظّهر على نحو أكثر "تعيينًا" و"تخصيصًا"، ويُشير إشارةً لا تخفى إلى مكان الشاعر "الأصليّ" أو "أرضه الأولى" بما يتخلّق حولها من وجوه الصّراع التي يُجسّدُها الشاعر بمزيدٍ من المفارقات، مُعمّقًا فكرة المنفى التي تتلبّس رؤية الذات في هذا العالم:

"لا أرض ضيقة كأصيص الورود/ كأرضك أنت.. ولا أرض واسعة/

كالكتاب كأرضك أنت.. وروياك/ منفاك في عالم لا هوية للظلّ/ فيه،

ولا جاذبية" (درويش، 2009، ص 107).

إلى جانب ذلك، فإنّ هذه الذات تبدو على علاقة قلقة بالزمن؛ ولذا فهي تحاول مقاومة وعوده غير المتحقّقة بالسعي إلى استثمار اللحظة القائمة:

"عش غَدك الآن! مهما خبيث فلن تبلى/ الغد... لا أرض للغد، واحلم/

ببطء، فمهما حلمت سنُدرِك أنّ/ الفراشة لم تحترق لتضينك" (درويش،

2009، ص 106).

وكانَ هذه الذاتُ كُتِبَ عليها أن تُوجَلَ حاضِرَها، وتبقى متعلِّقةً بأطياب غَدٍ مستعصٍ على المجيء، ومن هنا فإنَّ القارئ يفهم مَعْرَى دعوة المتكلم ذاته أن تعيشَ غَداً "الآن"، وتتحقق مثلُ هذه الدعوة بتكرار اللازمة: "إذا لم يُغنِ الكناريُّ/ يا صاحبي لك... فاعلم/ بأنك سَجانُ نفسك..." (درويش، 2009، ص 106-107). وهي اللازمة التي تتكرَّر - بتحويلات بسيطة - في القصيدة ثلاثَ مرَّاتٍ في مواضع دالَّةٍ منها؛ في أولها ومنتصفها وخاتمتها (درويش، 2009، ص 106، 114، 125)، وفيها تتأكَّد دعوة الشاعر إلى "المبادرة والمشاركة عبر التذكير بإمكانات الذات الفاعلة غير القَدْرِيَّة، أو المنتظرة" (عبيد الله، 2021، ص 75).

يكشف درويش - في هذا النص - عن رؤيته وموقفه من قضايا وجودية كالموت الذي يُعدُّ من الثيمات المركزية في شعره (انظر مثلاً: المساوي، 2009؛ الغرافي، 2012، ص 38-47؛ عصفور، 2017، ص 281-297). وإذا كان حضور الموت في شعر درويش قد اتخذ - في جانب من تجربته ولا سيما في مراحلهِ الشَّعْرِيَّة الأولى - بُعداً نضالياً بطولياً، تمثَّل في الحديث عن موت الآخرين: الشَّهداء والأبطال والفدائيين والأصدقاء، حيث يتَّخذ هذا الحضور مضموناً رثائياً يُعبِّر عن مرارات الفقد، إلى جانب ما يتضمَّنه من أجواء احتفالية تعلو من شأن هذا الموت الذي يجسِّد قيم التضحية والفداء وحبِّ الأرض والموت في سبيلها (انظر مثلاً: درويش، 2005، ص 245-255، 259-273، 433-444، 447-454)، فإنَّ حضور الموت قد اتخذ في تجربة الشاعر الأخيرة منحى جديداً تمثَّل في الحديث عن موته الشَّخصي، فيحضر الموتُ في مواجهة الذات مواجهة مباشرة، ويصبح حاجساً ملازماً للشاعر منذ أن أجرى عملية القلب الأولى التي أصدر على إثرها قصيدة "جدارية" الشهيرة. في هذا الجانب نجد الشاعر يخاطب الموت خطاباً فلسفياً تأملياً، ويجري معه حواراً يقود إلى فكرة مصالحته مع الحياة، وهي الفكرة التي اعتاد أن يُكرِّرها في مجموعاته الشَّعْرِيَّة الأخيرة (انظر مثلاً: درويش، 2015، ص 45-47). يقول: "ولو أستطيع الحديث إلى شبح الموت/ خلف سياج الأضا ليا لقلت: ولدنا/ معاً توأمين، أخي أنت يا قاتلي/ يا مهندس دربي على هذه الأرض.../ أمي وأمي، فارم سلاحك" (درويش، 2009، ص 108).

يستحضر درويش - من جانب آخر - موضوع الحب؛ وذلك في شكل من التَّضادِّ الواضح مع موضوع الموت؛ فيسترجع لحظات من سيرة حبِّه الفتي، مستعيداً التجربة الحسية منه بمزيد من الصُّور الموحية والجديدة:

"ولو أستطيع الحديث إلى الحب، بعد/ الغداء، لقلتُ له: حين كنّا/ فتيَّين
كنّا لَهَّاثَ يدين على رَغب/ المفردات، وإغماءة المفردات على/
رُكبتين. وكُنْتُ قليل الصِّفات، كثير/ الحراك، وأوضح: فالوجهُ وَجْه/
ملاكٍ يجيء من النُّوم، والجسم/ كَبِشْ بِقُوَّة حُمى" (درويش، 2009، ص 109).

والمُلاحظ أنَّ استرجاع هذه الحالة من فتوة الذات وحبِّها المتقدِّم يثير قدراً لا يخفى من المفارقة؛ ف "الشاعر يصف حالةً مُستعادة، أو يجسِّد ذكرى لذة وقوة، تتضادَّ مع حالة ضعف الجسم، والتَّقدُّم في السن، ووجع القلب التي تُمثِّل رَاهَنَ القصيدة، وبعضها ما نعرفه من سيرة الشاعر وأحواله الخارجيّة" (عبيد الله، 2021، ص 124). يسترجع النصُّ الشَّعْرِي - من ثَمَّ - في شريطٍ ممتدٍّ من التَّداعيات، التي يقوم جانبٌ منها على الاسترجاع والتَّأمُّل واستعادة أطراف من سيرة الذات وأماكنها الأولى. ويُلاحظ أنَّ هذه التَّداعيات تتداخل فيها عمليَّتا النسيان والتَّذكُّر، وكأنَّهما في حالة من تبادل الأدوار وتلازمهما: "أَتَذَكَّرُ أَنِّي نَسِيتُ/ وأنسى كما أَتَذَكَّرُ" (درويش، 2009، ص 111). إنَّ درويش يعمد - هنا - إلى استحضار الماضي والطفولة وذكريات الحبِّ الأوَّل والبيوت القديمة ودروب الرِّحيل المضنيَّة، إلى جانب المنفى والهويَّة وتعدّيات المحتلِّ وترويعه المكانَ الآمن، مع ما تثيره هذه التَّداعيات - أحياناً - من مفارقاتٍ لافتةٍ تكشف عن انتقائيَّة الذاكرة وفاعليَّتها في الوقت ذاته:

"أنسى حوادث كبرى وهزَّة أرض مُدمِّرة/ أَتَذَكَّرُ تَبَعِ أبي في الخزانة
(...) أنسى أزيَّ الرِّصاص على قريةٍ أَقُفْتُ/ أَتَذَكَّرُ صوتَ الجداجد

في الحرش" (درويش، 2009، ص 112-113).

ويعاود الشاعرُ ذكْرَ حكايات العشق التي يصبغها المنفى بأجوائه وألوانه؛ فيستحضر لقاءً متخيَّلاً - فيما يبدو - مع محبوبه يصفُّها بالغريبة. وتغريب حالة الحبِّ ملمحٌ يتَّسم به شعر الحبِّ عامَّة لدى درويش، كما يُلحَظُ صبحي حديدي (انظر: حديدي، 2011، ص 14، 18). يوظِّف درويش - في حكاية الحبِّ هذه - السَّرد الذي يأخذ شكل "المرآيا المتناظرة" إنَّ جاز الوصف؛ بمعنى أنَّه يُقيِّمُ مشهدين سرديَّين، يستدعي كلُّ منهما صورةً مقابلةً له؛ فهو يُقدِّم - بموازاة صورة الحبيب الكهل الذي ضجر من انتظار محبوبه كأنَّها "إحدى نساء الخيال" (درويش، 2009، ص 114) - صورة الفتى الذي "يدخل الآن باب الحقيقة يحمل خمسا وعشرين زنبقة للفتاة التي انتظرته" (درويش، 2009، ص 117). ويُقدِّم - في المقابل - للحبيبة الغريبة التي تسوقها الخطى على غير ما هدف لهذا اللقاء، صورة البنت الصَّغيرة التي "يُفتَّتُّها الانتظارُ وتبكي" (درويش، 2009، ص 115). وكانَ الشاعر يسترجع بذلك ماضي الذات وفتوتها بعدما استلبتُ منهما كهولة العمر ما استلبت، ولذا فإنَّ الشاعر يُعقِّبُ هذا المشهد السَّردِي بمقطع غنائيٍّ يَبْزُرُ فيه الإيقاع على نحو واضح بما يقوم عليه من صور المجانسة والتَّكرار والتَّوازي والتَّقفية. وهو - أي الشاعر - يفتح بهذا المقطع على قيمة الحبِّ بكلِّ ما تنطوي عليه من إيجابيّة، يمكن أن يملأ بها وجوده الحالي المُثَقَّل بالكثير من الخسارات:

"صغيرٌ هو القلب... قلبي/ كبيرٌ هو الحبُّ... حُبِّي/ يسافر في الرِّيح،
يهبط/ يفرطُ رُمَانَةً، ثُمَّ يسقطُ/ في تيه عينين لوزيَّتين/ ويصعدُ من فجر

غَمَازَتَيْنِ/ وينسى طريقَ الرجوع إلى بيته واسمه/ صغيرٌ هو القلبُ...

قلبي/ كبيرٌ هو الحب... (درويش، 2009، ص 117-118).

ويأخذ النصُّ الشعريُّ- في حركةٍ جديدةٍ- منحىً مختلفاً يبدأه الشاعرُ بقوله الذي يُمهّد له بنقاط الحذف: "... وأمشي ثقيلاً ثقيلاً، كأنّي عليّ موعداً/ مع إحدى الخسارات" (درويش، 2009، ص 120). ولا بدّ أن تستوقف هذه البدايةُ نظرَ القارئ الذي استقرَّ "أفقٌ توقّعه" على قول الشاعر: "أمشي خفيفاً خفيفاً" (درويش، 2009، ص 106، 109)؛ وكأنّ هذا "المشي الثقيل" يأتي تعبيراً عن وقّع الخسارة التي تسكن الذات، وهي تُورّد سيرة "شاعر يستعدُّ لراحته الأبدية في ليل لندن" (درويش، 2009، ص 120)، في إشارة إلى الموت الذي يُعدّ- كما ذكر- من التيمات المتكررة في شعر المنفى. على أنّ المدقّق- في هذا المقطع من النصّ- يلحظ أنّ ثمة إشاراتٍ تُحيلُ فيه إلى موضوع الرثاء الذي يتعلّق مع غياب الأهداف التي قد تموت الذات قبل تحقيقها. وربما جاز للدارس أن يستعين - هنا - ببعض المعطيات السياقية التي تقع خارج النصّ، والتي يمكن أن يُعمّق استحضارها فكرةَ الفقد والخسارة التي يحملها هذا المقطع، ومن ذلك ما يُورده محمد شاهين من أنّ قصيدة "نهار الثلاثاء..." تتضمنُ رثاءً للشاعر نزار قبّاني (1923-1998) كما أخبره بذلك درويش مباشرةً (شاهين، 2018، ص 285). ومع أنّ استخلاص مثل هذه الفكرة من نصّ القصيدة، بمعزل عن هذه المعلومة، قد لا يكون مُحققاً لكثير من القراء، ومن ذلك ما قام به شاهين نفسه حين عرض هذه القصيدة على شاعر وناقد معروفين، ف "لم تُفصح القصيدة لهما عن أيّ هويّة لسبقها الذي أمّاط محمود درويش اللثام عنه" (شاهين، 2018، ص 285)، فإنّ المتأمل في هذا المقطع يُمكنه- مع ذلك- أن يلتقط بعض الإشارات الدالة التي تُؤكّد أنّ هذا المقطع قد جاء فعلاً في رثاء نزار، ومن ذلك قول درويش: "في ليل لندن... لم نبلغ الشام بعد" (درويش، 2009، ص 120)، وهما مكانان لا يخفى ارتباطهما بالشاعر السوري الكبير. ويبدو هذا الأمر أكثر وضوحاً حين يُدقّق القارئ في المقطع الغنائيّ التالي الذي يكشف فيه درويش عن ملامح شخصية نزار وشعره دون أدنى لبس. وهو مقطعٌ تؤدي فيه الغنائية- باستثمارها عناصر الإيقاع والتكرار والتوازي- دوراً في الاقتراب من عالم نزار وشعريته الأسيان العذبة:

"قصيدةٌ من لا يُحبون وصنّف الضباب/ قصيدته (...) سرُّ قلبين يلتجنان

إلى بَرْدٍ/ سِرّه/ نخلة السومرية أمّ الأناشيد/ نخلة (...) لا يُذيل

أشعاره باسمه/ فالفتاة الصغيرة تعرفه/ إن أحسّت بوخر الدبابيس/

والملح في دمه". (درويش، 2009، ص 120-121)

يجد درويش بعض القواسم التي تجمعها نزار: "هو، مثلي، يُطارده قلبه/ وأنا، مثله، لا أذيلُ باسمي الوصية" (درويش، 2009، ص 122). يُعبّر هذا الرثاء عن حالة الشاعر الذي يموت في المنفى بعيداً عن وطنه غريباً وحيداً. ورثاء درويش لنزار طافحٌ بمعاني الفقد خصوصاً حين يقترن بالحديث عن الطريق إلى الشام التي لم يبلغها بعد، وكأنّهما بذلك يُشبهان في مسيرهما امرأ القيس وصاحبها، وما تمخّضت عنه رحلتها من خيبة وخسران. ويُعمّق من تأثير هذا الرثاء ذكرُ لندن التي تُشكّل مثلاً "مثل المدن الكبيرة في العالم (الميتروبوليتان) ملاذاً للمنفين من كلّ صوب، فهي- إن صحّ التعبير- مدينة المنفى بامتياز، تحنّ على المنفى، وتضنّ عليه في منفاه في آن؛ لأنّها لا يُمكن أن تكون ذلك المكان الذي يُوفّر الهدوء والسكينة والاستقرار الذي يرحل المنفي (أي منفي) عنه طوعاً أو قسراً عندما يجد نفسه يعيش في المدينة المنفى" (شاهين، 2018، ص 286). ولعلّ إلحاح طيف نزار قبّاني على درويش هو ما جعل الأخير يكتب فيه مرثية صريحة ظهرت في عمله الشعريّ الأخير الذي نُشر بعد وفاته (انظر: درويش، 2014، ص 113-115).

وربما بسبب هذا كلّهُ؛ أعني بسبب شعور النفي والاعترا ب الملازمين لسيرة الشاعر ووجوده ندرك مسوّغ استحضاره للغة في الحركة اللاحقة من القصيدة، وكأنّه وجد فيها- أي اللغة- الوطن المُتاح الذي يمكن أن يأوي إليه وثاقاً مطمئناً كلّما أحسّ بثقل الغربة وعذابات المنفى (انظر: اليوسفي، 2011، ص 198؛ صالح، 2018، ص 1232). وسؤال اللغة سؤالٌ محوريٌّ وأساسيٌّ في إبداع درويش الذي يُلاحظ أنّ للغة فيه حضوراً يسترعي الانتباه (انظر مثلاً: درويش، 1995، ص 115-118، 158؛ درويش، 2000، ص 66-67). "وهي [أي اللغة] في تواترها لديه تُمثّل كلّ ما لقيه في مأزقه الوجودي. وهو يصفُ ببيانه الفذّ وقائع هذا المأزق المتمثّل في الاقتلاع من المكان، والمنفى في الوطن، وإنكار الهوية، ومصادرة الحرية. إنّه يصفُ بمرارة ساخرة وقائع هذه المعاناة التي كادت تنكّر وجوده!" (الموسى، 2013، ص 125)؛ ولذا فإنّ درويش يجد في اللغة- كما ذكر- "البديل" أو "المستقر" الذي يمكن أن يُعوّض حالة النفي التي ظلّ يعيشها. يقول مُؤكّداً مثل هذه الفكرة في إحدى مقالاته: "ستحلّ اللغة محلّ الواقع، ستحاول أن تلمّ شظايا المكان، وستمنحني اللغة القدرة على إعادة تشكيل عالمي، وعلى محاولة ترويض المنفى. وهكذا كلّما طال منفي الشاعر توطّدت إقامته في اللغة... صارت وطنه المجازي، وصارت وسيلته وجوهه معاً، وصارت بيته الذي يدافع عنه به" (درويش، 2008، ص 14).

في حركة النصّ هذه يُجري درويش تحويراً لافتاً على اللازمة: "أمشي خفيفاً خفيفاً..."، لتصبح: "أمشي مع الضاد في الليل..." (درويش، 2009، ص 122)، ولعلّ في هذا التحوير تعبيراً عن مركزية اللغة، وما تُمثّله من خصوصية فارقة (الضاد) في حياة الشاعر وتكوينه: "تلك خصوصيتي اللغوية" (درويش، 2009، ص 122). وتبدو اللغة- إلى جانب ذلك- عاملاً مساعداً في انطلاق الذات الشاعرة، وتجاوز واقعها المُحاصر لتحضن الكون، وتكسر شرنقة عزلتها على المستويين الداخلي والخارجي:

"يا لُعْنِي ساعديني على الاقتباس/ لأحتضن الكون. في داخلي شُرْفَةٌ
لا/ يَمُرُّ بها أَحَدٌ لِلتَّحِيَّةِ. في خارجي عالمٌ لا يردُّ التَّحِيَّةَ" (درويش،
2009، ص 123).

وإذا كانت علاقة الشاعر باللغة قد بلغت- في هذا المقطع- درجةً من القداسة والعشق الصوفي، ووصلت إلى حدودٍ من الأبوّة والأمومة والبنوة والكيونة: "لديني/ ألدك. أنا ابلك حياً، وحبياً أبوك/ وأمك. إن كُنْتُ كُنْتُ، وإن كُنْتُ كُنْتُ" (درويش، 2009، ص 123)، فإنّه- مع ذلك- لا ينسى النّظر إلى تجديده هذه اللغة، ومدها بروح النّطور والحياة، والانفتاح على الآخر والعالم، والتّفاعل مع "الزمان الجديد" (درويش، 2009، ص 123)، واستضافة "الغريب البعيد" (درويش، 2009، ص 123)، "وتنثر الحياة البسيط" (درويش، 2009، ص 124). إنّ درويش يسعى إلى الامتداد بهذه اللغة إلى أقصى طاقاتها؛ ليكون لشعره هذا النّضج الذي بقي يدأب على تحقيقه طيلة سني عمره؛ ذلك أنّ شِعْرَهُ هو كينونته التي لا يكون إلّا بها. وواضح أنّ الشاعر يدخل بهذا الطّرح في مجال "الميتا شِعْر"؛ أي أنّ يشرح الشّعر نفسه بنفسه. وهذا ملمح بادي الوضوح في شعر درويش (العلاق، 2017، ص 70-79). ومن المؤكّد أنّ أطراذه على هذا النّحو لا يأتي دون دلالات، وكأنّ هذا الشّعر "يفصح عن افتتانه بذاته إلى أقصى حدّ، لكنّه يُلقِي- في الوقت نفسه- خيطاً من الضّوء يقود المتلقّي إلى مكنن الخيرة أو الفاعلية في القصيدة" (العلاق، 2017، ص 71). وهي الخيرة أو الفاعلية التي يجد القارئ تمثّلها في السّطور الشّعريّة التالية التي تُوكِّد- إلى جانب ذلك- قيمة الشّعر في حياة درويش، ودوره في التّعبير عن ذاته بما تنطوي عليه من مسرّات وأوجاع:

"... فَمَنْ- إنْ نطقتُ بما ليس/ شِعْراً- سيفهمني؟ مَنْ يُكَلِّمُنِي/ عن حنين
خفيّ إلى زَمَنٍ ضائعٍ إنْ نطقتُ بما ليس شِعْراً؟ وَمَنْ- إنْ نطقتُ بما
ليس شِعْراً- سيعرف/ أرض الغريب؟" (درويش، 2009، ص 124).

يمكن القول في خاتمة هذا القسم من البحث: إنّ درويش قدّم، في هذه القصيدة، أطرافاً من سيرته الذاتية، وبعضاً من تجاربه ومشاهداته وذكرياته التي اتّصلت بحياة المنفى والاغتراب، إلى جانب ما تضمّنته القصيدة من تأملات وآراء في موضوعات متعدّدة. ويُلحظ أنّ درويش قد طوّع جانب البنية التي وَطّفت السّرْدَ والحركة والمناجاة في خدمة فكرة القصيدة ومضمونها. وكما يخلّص محمد عبيد الله في دراسته الفاحصة والعميقة لهذه القصيدة، فإنّ درويش لجأ إلى "اختيار مبنئ سرديّ ينهض على فكرة التّجوال أو الرّحلة. وهي رحلة ذات منزع ظاهريّ خارجيّ، وذات منزع جوّانيّ، وفي كليهما نرى جوانب من شخصية الشاعر ومواقفه ورؤاه" (عبيد الله، 2021، ص 41).

4. منفي: طباق

يقدم درويش في قصيدة "منفي: طباق" (درويش، 2009، ص 179-197) سيرة غيريّة لشخصيّة ذات حضور عالميّ كبير هي شخصيّة النّاقّد والمفكّر الفلسطينيّ الأمريكيّ إدوارد سعيد (1935-2003) الذي شكّل المنفى حضوراً مركزياً في حياته وفكره معاً (انظر: إبراهيم، 2011، ص 283-310). فالقصيدة تأتي - إذن - استنتاجاً لتجربة سعيد وسيرته في المنفى، من منظور "تستحضره مخيلة الشاعر عن رفيقه وسمته وعاداته، قبل أن ينخرط في حوار تاريخيّ عنه، يثير قضايا الهوية، ونوع الإبداع، وإشكاليّة المنفى، وحلم العودة، ثم يتوخّد معه في عنق المصير، حتّى يتبادلا الوصيّة الأخيرة بما أصبح مستحيلاً في منطق الأحداث" (فضل، 2010، ص 104). وقد حدّد درويش- في حوار أجري معه- هذه الغاية بقوله: "أردت في تلك القصيدة [طباق] أن أرصد سيرة إدوارد سعيد الشّخصيّة والعاطفيّة والسّياسيّة والفكريّة. ومن ثمّ، كان إلحاحي على موضوع الوطن والمنفى، الهويّة الضيقة والهويّة الإنسانيّة الواسعة. هذا هو الموضوع الذي كنت أبحث عنه" (ابن شريف، 2009، ص 135).

وإذا كان المنحى السّرديّ هو الغالب على شكّل هذه القصيدة وبنيّتها ما يشي أنّ البعد السّيريّ- ما دامت القصيدة تتناول شخصيّة معيّنة، وتستحضر جوانب من حياتها وفكرها- سيكون حاضراً فيها، فإنّ محمود درويش يلامس- في إطار هذه السّيرة- فكرة المنفى التي تجسّدت في حياة سعيد، ويختبر- في الوقت ذاته- موقفه الفكريّ منها، دون أن يغيب عن البال أنّ علاقة سعيد بالمنفى علاقةً مركّبة، كما أنّ موضوع المنفى تنطوي- في تصوّره الفكريّ والنّقديّ- على أبعادٍ وعناصرٍ متعدّدة ومتعارضة (انظر مثلاً: سعيد، 2006، ص 92-116؛ سعيد، 2007، ص 117-133). وبناءً على هذا فإنّه سيكتفي بمناقشة هذا الموضوع من البُعد الذي حملته قصيدة "طباق" لا أكثر. مع بعض الإشارات الخاطفة إلى آراء سعيد التي وردت في بعض مؤلفاته، وبما يُدعّم قراءة درويش التي استندت- في كتابة هذه القصيدة- إلى مدوّنة سعيد الشّخصيّة والفكريّة في هذا الجانب.

إنّ أوّل ما ينبغي الوقوف عليه - هنا - هو عنوان القصيدة اللافت "طباق". وهو مصطلح سبق الإشارة إليه عرَضاً في مقدّمة هذه الدّراسة، وقد استمدّه درويش من مصطلحات إدوارد سعيد نفسه؛ فالعنوان يعود إلى مصطلح "القراءة الطباقية" التي اجترحتها سعيد- في الأصل- من المجال الموسيقيّ كما ذكر. ودون الخوض في التّفاصيل فإنّ هذه القراءة تقوم على فكرة تعدّد الأصوات، أخذة "في الحساب كلّ من (أو جميع) الأبعاد لهذا التّعدّد الصّوتيّ لا بُدّاً واحداً، من أجل أن تكتشف ما الذي قد تخفيه القراءة الأحاديّة" (أشكروفت وأهلواليا، 2000، ص 129). هذا المصطلح يوضّح سعيد في سياق حديثه عن الهويّة في الصّفحة الأخيرة من سيرته الذاتية "خارج المكان"؛ فيقول واصفاً التيارات المتباينة التي تشكّلت منها ذاته وكينونته:

"ولكنها على الأقل في حراك دائم في الزمان وفي المكان، وبما هي أنواع مختلفة من المركبات الغربية، لا تتحرك بالضرورة إلى أمام، وإنما قد يتحرك أحياناً واحداً ضد الآخر، على نحو طباقي ولكن من غير ما محور مركزي" (سعيد، 2000، ص 358-359). وواضح أن درويش يفيد من هذا الأفق الممتد الذي يؤلده هذا المفهوم في قراءة سيرة سعيد وفكره. يبدأ درويش قصيدته بسرد استرجاعي يستحضر فيه لقاء كان جمعه بإدوارد سعيد قبل ثلاثين عاماً، حين "كان الزمان [على حد وصفه] أقل جموحاً من الآن" (درويش، 2009، ص 179)، محدداً غنوصي المكان والزمان تحديداً مباشراً: "نيويورك/ نوفمبر/ الشارع الخامس" (درويش، 2009، ص 179). ومع أن درويش يُعبر - في هذا اللقاء - عما استشعرته ذاته من غربة ضاعفت من حدتها - فيما يبدو - معالم المكان المشيئة: "الشمس صَحْنٌ من المعدن المتطاير (...)" هناك، على باب هاوية كهربائية/ يغلو السماء" (درويش، 2009، ص 179)، فإنه يُقيم - منذ البدء - تطابقاً مع قرينه سعيد، مستجلباً قدراً من الروح الواثقة التي تجمع بينهما في وحدة الموقف والهدف والمصير:

"قال كلانا: / إذا كان ماضيك تجربة/ فاجعل الغد معنى وروياً! /
لنذهب،/ لنذهب إلى غدنا واثقين/ بصدق الخيال، ومُعجزة العشب"

(درويش، 2009، ص 179-180).

وإذا كان درويش يعمد إلى رسم شخصية سعيد ببُعديها الداخلي والخارجي، مُبرِّزاً جوانب من ممارساتها ومواقفها المختلفة على نحو نابض بالحيوية والحركة:

"نيويورك. إدوارد يصحو على كسل/ الفجر. يعزف لحناً لموتسارت.
يركض/ في ملعب التنس الجامعي (...) يستحم. ويختار بدلة بأناقة
ديك/ ويشرب قهوته بالحليب. ويصرخ/ بالفجر: هيا، ولا تتلأأ"
(درويش، 2009، ص 181).

فإنه - أي درويش - يُقدِّم - في المقابل - لسعيد شخصية مركبة، يفيد في تشكيلها من مفهوم الطبايق ذاته بما يقوم عليه من تضاد في الألفاظ والدلالات والصُّور، ولذا تجده يلتقط بعض الإشكاليات والتناقضات المتضادة التي يُثيرها موضوع المنفى في حياة سعيد، ومنها ثنائيات المكان (هناك/ هنا) والاسم (إدوارد/ سعيد) واللغة (إنجليزية/ عربية)، وما يمكن أن تحدثه هذه الأقسام من انقسام أو التباس، أو حتى غنى في حياة الذات ووعيتها:

"يقول: أنا من هناك. أنا من هنا/ ولست هناك ولست هنا/ لي اسمان
يلتقيان ويفترقان/ ولي لغتان، نسبت بأيهما/ كنت أحلم/ لي لغة إنجليزية
للكتابية/ طيعة المفردات/ ولي لغة من حوار السماء مع/ القدس، فضية
النَّبر، لكنها/ لا تطيع مخيلتي!" (درويش، 2009، ص 182-183)

وإذا كان موضوع "الهوية" من الموضوعات التي كثيراً ما تُطرح حين يرد ذكر المنفى، فإن لسعيد - كما تُصوِّره القصيدة - رؤيته المتميزة في هذا الجانب:

"والهوية؟ قلت/ فقال: دفاغ عن الذات... إن الهوية بنت الولادة، لكنها/
في النهاية إبداع صاحبها، لا وراثته ماضٍ. أنا المتعدّد. في/ داخلي
خارجي المتجدّد..." (درويش، 2009، ص 183).

هذه الفكرة يُؤكِّدها إدوارد سعيد في سيرته الذاتية "خارج المكان" بقوله: "بين الحين والآخر، أرى إلى نفسي كتلة من التيارات المتدفقة. أؤثر هذه الفكرة عن نفسي على فكرة الذات الصلدة، وهي الهوية التي يُعَلِّق عليها الكثيرون أهمية كبيرة" (سعيد، 2000، ص 356)؛ ولذلك فإن رؤية سعيد للهوية ظلت تتسم بالرحابة والانفتاح، وهي بدل أن تكون ميداناً للرؤية الضيقة المنغلقة التي قد تقود إلى كثير من صُور التعصب والنزاع، تأخذ في فهم سعيد بُعداً كونياً أكثر ديناميةً وحيويةً وتفاعلاً؛ فالهوية دائماً في حالة من التغير والتشكل، وهي ليست كتلة جامدة ثابتة لا تقبل تحولاً أو تجدداً؛ إذ "هنا هامش يتقدّم. أو مركز يتراجع/ لا الشرق شرق تماماً/ ولا الغرب غرب تماماً/ لأن الهوية مفتوحة للتعدد/ لا قلعة أو خنادق" (درويش، 2009، ص 185).

تكتنر فكرة المنفى بدلالات إيجابية حيّة حين يعمد الشاعر إلى تقديم شخصية سعيد على هذا القدر من الامتلاء وهذه الفاعلية؛ فهو "يحبّ بلاداً ويرحل عنها" (درويش، 2009، ص 187)، دون أن يجد في الأمرين ما يثير التناقض، أو ما قد يُشكّل عائقاً أمام ذاته المتطلّعة دائماً إلى المستقبل والغد: "أنا ما أكون وما سأكون/ سأصنع نفسي بنفسي" (درويش، 2009، ص 187). بل يصبح المنفى لديه فعلاً إرادياً لا قهرياً؛ أي إنه فعلٌ مُنتجٌ خلاق: "وأختار منفاي/ منفاي خلفية المشهد الملحمي" (درويش، 2009، ص 187). وسعيد يقوم - كما يُقدِّمه النصّ، وكما تشهد بذلك سيرته ومواقفه وكتاباته - من موقعه ذاك بدور المدافع عن كلّ قيمة جميلة في الحياة:

"أدافع عن حاجة الشعراء/ إلى الغد والذكريات معاً/ وأدافع عن شجر
ترتديه الطيور/ بلاداً ومنفى/ وعن قمر لم يزل صالحاً لقصيدة حب"
(درويش، 2009، ص 187).

يتخذ هذا الدور "بُعْداً نضالياً" ملتزماً حين يتصل بمكانه "الأول - فلسطين" الذي بقي حنينه إليه ودفاعه عنه قائماً رغم كلّ التحولات التي مرّت بها شخصية سعيد الإشكالية. وهو موقفٌ فيه إدانة لا تحفى لضعف أصحاب الفكرة والبلاد اللتين لم

يحسنوا الدِّفاع عنهما على ما تتمتعان به من مشروعية وعدالة: "أدافع عن فكرة كسرثها هشاشة أصحابها/ وأدافع عن بلد حَظُّنُهُ الأساطير" (درويش، 2009، ص 188).

ومع وضوح هذا البعد الإيجابي في الموقف من المنفى، أو ما قد يكون للمنفي نفسه من دور في تطوير تجربة سعيد الحياتية والفكرية، ومدّ وعيه بأفاق إنسانية رحبة، فإن ذلك لم يحجب عنه تقديم الجانب القاتم من هذه التجربة في حياته؛ فقد بقي إحسّ طيلة منفاه بأنه يعيش "خارج المكان" وفُق ما عثّون سيرته الذاتية المثيرة التي انطوت على تشخيص عميق لإشكالية المنفى وغيرها من قضايا إنسانية وفكرية (انظر مثلاً: الشيخ، 2005، ص 247-257). كما عبّر سعيد عن هذا الجانب بدقة في أحد مؤلفاته المهمة عن المنفى بقوله: "وجدت نفسي وأنا أحيي من جديد ما في سنواتي الأولى من مازق سردية، إحساسي بالشك وبكوني خارج المكان، وشعوري الدائم بأنني أقف في الركن الخطأ، في مكان بدا كأنه ينزلق مني بعيداً كلما حاولت أن أهدّه أو أصفه" (سعيد، 2007، ص 371).

ينقل النصّ الشعريّ جوانب من هذا الشعور القاسي في سيرة سعيد، والحنين العارم الذي ظلّ يسكنه إلى المكان الأول: بيته في حيّ الطالبيّة في القدس، ويُقدّم درويش هذا المشهد الحواريّ تقديمًا بالغ الحيوية والثراء حين يبدو سعيد وهو يتسلّل إلى بيته كالغريب ليجد المكان "عامراً" بغرباء أصبحوا هم مالكيه الفعليين:

"وقفتُ على الباب كالمسؤول/ هل أطلب الإذن من غرباء ينامون فوق/ سريري أنا... بزيارة نفسي لخمس دقائق؟/ هل أنحني باحترام لسكان حُلْمي الطفولي؟/ هل يسألون: من الزائر الأجنبي/ الفضولي؟/ هل أستطيع الكلام عن/ السلم والحرب بين الضحايا وبين ضحايا/ الضحايا، بلا جملة اعتراضية؟/ هل يقولون لي: لا مكان لحلمين في/ مَخْدَع واحد؟" (درويش، 2009، ص 191).

وإذا كان الشاعر يستقرئ في هذا النصّ - كما ذكر - ملامح من سيرة إدوارد سعيد المفكر الكونيّ الشهير الذي بقيت رؤيته متجاوزةً للانغلاق وأحادية الهوية؛ "ففي السّفر الحرّ [كما يرد على لسانه في نصّ القصيدة] بين الثقافات/ قد يجد الباحثون عن الجوهر البشريّ/ مقاعد كافية للجميع" (درويش، 2009، ص 185)، فإن رؤية هذا المفكر لم تمنعه - مع ذلك - من الانحياز لصوت الضحية: "لكنني أنتمي لسؤال الضحية" (درويش، 2009، ص 183)، ولم تمنعه - أيضاً - من تصوير الجانب المأساويّ في الواقع الذي يبدو أنّ كلّ النوايا الطيبة والدعوات المتسامحة التي ظلّ سعيد نفسه ينادي بها لم تجذّ في هذا العالم الاستقبال المأمول والاستجابة الكافية، وكأننا أمام مفارقة غريبة تتمثّل في أنّ هذا العالم الذي حقق في مجالات التقنية والحضارة والعلم نتائج مُبهرة، ما تزال - في المقابل - القيم السامية العليا من تسامح وتعايش وعدالة غائبة عنه؛ إذ "قد يكون التّفدّم [كما يرد في القصيدة] جسر الرجوع إلى البربريّة" (درويش، 2009، ص 181). ويبدو أنّ رؤية سعيد/ درويش تخلص إلى أنّ الصّوت الآخر الذي يرى أنّ "لا مكان لحلمين في مخدع واحد" (درويش، 2009، ص 191) ما يزال هو الصّوت الأعلى في تحديد أطر العلاقة بين القويّ والضعيف في عالم لا وجود للعدل فيه - وفقاً لنصّ القصيدة - حتّى "في صفحات الكتاب المقدّس"! (درويش، 2009، ص 193)، ولذا فإنّ النصّ الشعريّ يفتح على مشاهد صادمة تُصوّر حركيّة الصّراع الدّمويّ في هذه البلاد. وهو الصّراع الذي تُجسّده صورة الدّم بما يحمله اللون هنا من مؤثرات بصرية قاسية:

ودمّ،

ودمّ

في بلادك" (درويش، 2009، ص 192).

تعمّ صورة الدّم وتنتشر لتظهر في كلّ شيء، "في اسمي وفي اسمك، في زهرة/ اللوز، في قشرة الموز، في لبن/ الطّفّل، في الضوّ والظّل، في/ حبة القمح، في غُلّة الملح؛" ثمّة دائماً "قناصة بارعون يصيبون أهدافهم بامتياز" (درويش، 2009، ص 192). وهي الصورة التي ساعدت البنية التركيبية القائمة على التوازي والتقنية الداخلية لكلّ جملتين متتابعين على خلق إيقاع قادر على شدّ القارئ ولفت انتباهه. ويتوالى حضور الدّم في المقطع، ويُساق ذلك في صورة بصرية معيّنة حين تبدو "هذه الأرض أصغر من دم أبنائها/ الواقفين على عتبات القبامة مثل/ القرايين" (درويش، 2009، ص 193). ويُصعد الشاعر حسنّ المأساة حين يتساءل: "هل هذه الأرض حقاً/ مباركة أم مُعمّدة بدمٍ ودمٍ؟" (درويش، 2009، ص 193). وهي مفارقة صادمة تُصوّر قدرّ هذه الأرض "المباركة" التي لم يهدأ - مع ذلك - الصّراع حولها في يوم من الأيام. هكذا تطفّخ في المشهد صورة الدّم الذي "لا تُحقّقه الصلوات ولا الرّمّل" (درويش، 2009، ص 193)، ولا يعلّق في ذهن القارئ من هذا المشهد - في المحصلة - إلا صورة هذا الدّم: "دم في النهار. دم في الظلام. دم في الكلام." (درويش، 2009، ص 193).

واللافت في هذا المقطع هو تكرار كلمة "دم"، بصيغتها التكريرية، ثلاث عشرة مرّة، ومجيئها على الحالات الإعرابية الثلاث: الرّفْع والتّصْبِ والجَزْ (دمّ، دمًا، دم)، إلى جانب كتابتها - طباعياً - في سطر مستقلّ وعلى نحو مائل مغاير لباقي سطور النصّ كما ورد أعلاه. ومن المؤكّد أنّ مثل هذا التشكيل البصريّ في إخراج النصّ لا يأتي معزولاً عن رؤية الشاعر والدلالة التي يتوخّى تقديمها (انظر: الرواشدة، 1997، ص 501-542)؛ فالتكرار من أخصّ وظائفه - كما هو معروف - التأكيد؛ تأكيد المعنى في وعي القارئ. وورود كلمة "دم" في حالاتها الإعرابية الثلاث يأتي كأنه استيفاء لكلّ ما تحتّمه هذه اللفظة من أوضاع وحالات. أمّا الشكل الطباعيّ الذي يرسم هذه الكلمة على هذا النّحو العمودي المتقاطر، فهو بصورته المغايرة لغيره في الصفحة من شأنه أن يلفت نظر القارئ لهذه الكلمة، ويدفعه إلى التدقيق فيها وتأمل دلالتها، وما يمكن أن يصحبها - في هذا

السَّيِّاق- من مشاعر وإيحاءات يتعمد الشاعر إثارتها في وجدان مستقبل خطابه باستثمار هذا التشكيل البصري الذي لا ينفصل- كما ذكر- عن موقف الشاعر، ورؤيته لما يجري في بلاده من صور العسف والظلم والتشكيل.

يوظف درويش- إلى جانب ذلك- الحوار في كشف بعض الجوانب الأخرى المتصلة بشخصية سعيد، فيظهر في القصيدة صوتان متحاوران: سائل هو صوت درويش، ومجيب هو صوت سعيد. ومن هذه الجوانب التي يقدمها درويش ويغرفها كل من قرأ سيرة سعيد أو ما كتب عنها، محاولة سعيد كتابة الرواية، وهو ما تؤكد بعض المؤلفات التي تناولت سيرته الذاتية (برن، 2022، ص 124، 333)؛ فيرد في القصيدة الحوار التالي:

"- هل كتبت الرواية؟

□ حاولت... حاولت أن أستعيد بها/ صورتي في مرايا النساء

البعيدات/ لكنهن توغلن في ليلهن الحنين/ وقلن: لنا عالم مستقل عن

النص" (درويش، 2009، ص 186).

وإذا كان سعيد قد فشل في كتابة الرواية كما يُقر بذلك: "ضحكت على عبثي/ ورميت الرواية في سلة المهملات!" (درويش، 2009، ص 186-187)، فإن هذا الأمر يكشف عن مدى التباين الواضح لديه بين شخص المبدع/ الفنان الذي يحضر في إبداعه الخيال وإعادة تمثيل الواقع، وشخص الناقد/ المفكر الذي يحضر في عمله الفكر والنقد والتحليل، وهو ما يؤكد سعيد في القصيدة بقوله: "المفكر يكبح سرده الزاوي/ والفيلسوف يُسرح ورد المغني" (درويش، 2009، ص 187).

والحقيقة أن هذا الموضوع قد تطرق له ثمثي برن Timothy Brennan في إصدار حديث له تناول فيه سيرة إدوارد سعيد تناولاً مستوعباً شاملاً؛ فتحضر هذه الجدلية التي تُبرز ذلك الصراع بين هذين الاهتمامين في شخصية سعيد، وهو ما انتهى به إلى رفض إتمام الرواية التي حاول كتابتها؛ "ففي انقلاب على النفس في الجزء الأخير من حياته، في ضوء حياة قضائها في التعليم رفض الرواية بوصفها شكلاً من أشكال الأدب، وقال إنها لم تعد تعني شيئاً" (برن، 2022، ص 379). ولا نعرف هل هذا الحكم يأتي نتيجة قراءة دقيقة توصل إليها سعيد بعد طول ألف واتصال بفر الرواية، أم هو محض رأي ألقاه في موقف انفعالي عابر؟ ومع هذا فإن هذا الحكم يثير في نفس القارئ قدراً من الغرابة، وخصوصاً حين يُقرن ذلك بما يُروى عن سعيد نفسه "أن أمنيته هي الانسحاب من العالم من أجل كتابة رواية" (شاهين، 2013، ص 140). ومن اللافت أن كتابه "خارج المكان"- وهو جنس من السيرة والمذكرات التي تدرج في إطار السرد- سيصبح، وفق برن، "أوسع كتب سعيد انتشاراً في المنطقة" (برن، 2022، ص 379).

واتصالاً بهذا الجانب من حياة سعيد يقف درويش على بعض آراء سعيد وأحكامه في الفن والإبداع؛ فسعيد، قبل أن يكون مفكراً رصيناً وناشطاً سياسياً فاعلاً ومؤثراً في الحياة العامة، فهو ناقد أدبي مرموق، له إسهاماته الواضحة في النقد الأدبي والنظرية النقدية، ولا بد أن يحضر مثل هذا الجانب في قصيدة تسعى إلى رصد سيرة إدوارد سعيد بأبعادها المتعددة كما أكد درويش في أحد أقواله التي وردت في مستهل هذا القسم من البحث. ولذا فإن الشاعر يقف على هذا الجانب، فيقيم- على لسان سعيد في القصيدة- عدداً من الآراء المتصلة بالإبداع وقضاياه، من ذلك مثلاً تحديده معنى "الجمالي" في العمل الإبداعي؛ فيرد له في النص ثلاثة أحكام نقدية دالة في هذا الموضوع، هي:

- "ليس الجمالي إلا حضور الحقيقي في الشكل" (درويش، 2009، ص 194).

- "إن الجمالي حرية" (درويش، 2009، ص 195).

- "ليس الجمالي إلا بلوغ الملائم" (درويش، 2009، ص 196).

وواضح أن سعيد - هنا - يربط الجمالي بالوظيفة والدور، وأن تحقق هذا الجمالي لا يتعارض أبداً مع تجسيد هذه القيمة؛ فهو لا يوافق "على الفصل بين الجماليات والعالم المعاش الذي ثمل علينا الحياة اختباره واختبارنا فيه عملياً" (شاهين، 2013، ص 13). وإذا كانت القصيدة - كما يرد في النص- يمكن أن "تستضيف الخسارة"، أو تُعد "إحدى هبات العزاء" (درويش، 2009، ص 194) في هذا العالم الذي تصبح الأرض فيه كالأهوية، فإن المبدع مطلوب منه- مع كل ذلك- أن يكون ذا دور في إسماع صوت المقهورين والمغلوبين وإيصاله لكل أرجاء الأرض: "واصرخ لتسمع نفسك، واصرخ لتعلم/ أنك ما زلت حياً وحيّاً، وأن الحياة/ على هذه الأرض ممكنة. فاخترع أملاً/ للكلام، ابتكر جهة أو سرباً/ بطيل الرجاء/ وغنّ، فإن الجمالي حرية" (درويش، 2009، ص 194-195). هكذا يُحدّد سعيد مهمة المبدع، وما قد يكون لكلماته من دور في نشدان الحرية وطلب الحياة: "يقول: سنحيا، ولو تركتنا الحياة/ إلى شأننا. فلنكن سادة الكلمات/ التي ستجعل قراءها خالدين" (درويش، 2009، ص 195).

وإذا كان درويش قد بدأ قصيدته- كما لاحظنا- باستدعاء لقائه بسعيد الذي حصل قبل ثلاثين عاماً، فإنه يعود ليختتمها بزيارة الوداع الأخير: "عندما زرته في سدوم الجديدة/ في عام ألفين واثنين، كان/ يقاوم حرب سدوم على أهل بابل/ والسرطان معاً" (درويش، 2009، ص 196)، في إشارة إلى معارضة سعيد لحرب أمريكا على العراق، وإصابته بمرض السرطان الذي قضى فيه أخيراً عام 2003. ويلاحظ أن درويش يعمد- في القفلة النهائية لقصيدته- إلى الارتقاء بصورة سعيد ليصل إلى مقام أبطال الأساطير، فيبدو مثل بطل ملحمة أخير "يدافع عن حق طروادة/ في اقتسام الرواية"، وكنسر "يودع قمتة عالياً/ للإقامة فوق الأولمب/ وفوق القمم/ قد تنثر السأم" (درويش، 2009، ص 196-197). هكذا تظهر صورة سعيد في مخيلة درويش وإبداعه على هذا النحو من السمو والتعالي، وهي الصورة التي تُعبر- في النتيجة- عن تقدير درويش لدور سعيد، ومواقفه الحازمة في الانحياز لصوت المقموع/ الضحية، إلى جانب حرصه على إبراز مكانته الفكرية والإبداعية التي كفلت له مثل هذا الحضور وهذه الفاعلية.

والخلاصة أنّ درويش أفاد- في هذه القصيدة- من فكرة "القراءة الطباقية"، وأحسن توظيفها شعرياً، فتمكّن بذلك من استجلاء ذلك الجدل القائم بين السيرة والمنفى في حالة سعيد، وقد تجلّى ذلك في تقديم قصيدة حوارية مركبة الرؤية والبناء، تعدّدت فيها الأصوات وتقابلت الرؤى والأفكار، واستثمرت عناصر البناء من لغة ورمز ومجاز وصور، إلى جانب توظيف السرد والحوار والوصف في الكشف عن ملامح من سيرة سعيد، وتقديم جوانب من رؤيته في قضايا متعدّدة من مثل المنفى والهوية والمركز والهامش والصراع والإبداع...، وهي القضايا التي تتشابك وتتعلق مع رؤية درويش الحاضرة في هذه السيرة والمتفاعلة معها في الوقت ذاته.

5. الخاتمة

قدّم محمود درويش في قصيدتي: "نهار الثلاثاء والجوّ صافٍ"، و"طباق" جوانب من سيرته الذاتية وسيرة الناقد والمفكر إدوارد سعيد، وهما السيرتان اللتان تحضر من خلالهما سيرة الجماعة الفلسطينية عامّة بمهاجرتها وأحزانها؛ فيتعدّر في حالة درويش فصلُ الخاصّ عن العام؛ فهو حتّى في أعماله الأخيرة، التي كثيرًا ما أنّهم فيها بمفارقة خطّ الجماعة، والانحصار في شرنقة الذات الضيقة، لم تغبّ عن شعره حكاية العامة: حكاية أرضه وناسه وقضيته التي لم تتوار عن اهتمامه وشعره أبداً، وإن تبدّلت لديه أساليب الشعر وطريقة مقاربه موضوعاته التي سعى دائماً إلى تطويرها وتجديدها.

لقد هدف درويش في هاتين القصيدتين إلى تقديم أطراف من سيرة الذات الفلسطينية التي لا يمكن تصوّرّها أو استحضارها بغياب الحديث عن المنفى والغربة والرحيل، وهذا أمرٌ مفهومٌ إذا ما أدركنا أنّ حياة النفي والانسلاخ عن المكان، هي التي طبعت ملامح هذه الحكاية التي ما تزال فصولها تنطق بالكثير من وجوه التنكيل والألم والإكراه. ومن المؤكّد أنّ حكاية النفي هذه هي أول ما فتّح عليه الطّفّل درويش عينيه حين قدّم على هذه الدنيا، وهي آخر ما أغمضها عليه لحظة مغادرته لها بعيداً وغريباً في مكان بعيد وغريب. ومع ما أثارته تجربته النفي في حياة درويش وسيرته من آثار قاسية ومؤلمة، فإنّه لا يُمكن- في المقابل- إغفال أثرها في نُضج رؤيته وتطوّر شعره بما انفتح عليه من آفاق، وما وصل إليه من حدود وذرى ما كان بالإمكان ارتيادها لو بقي الشاعر جاثماً في مكانه الأول لم يبرحه!

6. قائمة المراجع

6.1 المصادر والمراجع العربية

- إبراهيم، عبدالله، (2011)، تشريح حالة المنفى: مدوّنة إدوارد سعيد، في: الكتابة والمنفى، تحرير: عبدالله إبراهيم، الطبعة الأولى، الجزائر- الجزائر وبيروت- لبنان، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون.
- أشكروفت، بيل، وبال أهواليا، (2000)، إدوارد سعيد: مفارقة الهوية، ترجمة: سهيل نجم، الطبعة الأولى، دمشق- سوريا، نينوى للدراسات والنشر، ودار الكتاب العربي.
- بُرنن، يُمثي، (2022)، إدوارد سعيد: أماكن الفكر، ترجمة: محمد عصفور، الكويت- الكويت، عالم المعرفة، ع 492.
- بلعابد، عبدالحق، (2008)، عتبات: جبرار جينيت من النصّ إلى المناص، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان والجزائر- الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف.
- بلقزيز، عبدالإله، (2009)، مقدّمة، في: هكذا تكلم محمود درويش: دراسات في ذكرى رحيله، تحرير: عبدالإله بلقزيز، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.
- حديدي، صبحي، (2008)، محمود درويش ومثلث السيرة: الشاعر والمكان والتاريخ، مجلة الدراسات الفلسطينية، 19 (76)، ص 82-92.
- حديدي، صبحي، (2011)، محمود درويش في "سريّر الغريبة": قصيدة الحبّ والنّداء الملحمي، مجلة الكرمل الجديد، ع 2، ص 7-32.
- درويش، محمود، (1995)، لماذا تركت الحصان وحيداً، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، رياض الريس للكتب والنشر.
- درويش، محمود، (2000)، جداريّة محمود درويش، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، رياض الريس للكتب والنشر.
- درويش، محمود، (2005)، الدّيوان: الأعمال الأولى 2، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، رياض الريس للكتب والنشر.
- درويش، محمود، (2006)، وُلدت على دفعات، حوار: عبده وازن، مجلة الكرمل، ع 86، ص 68-7.
- درويش، محمود، (2008)، عن المنفى، المجلة الثقافية، ع 71، ص 12-14.
- درويش، محمود، (2009)، كزهر اللّوز أو أبعد، الطبعة الثالثة، بيروت- لبنان، رياض الريس للكتب والنشر.
- درويش، محمود، (2014)، أنا الموقع أدناه. حوار: إيفانا مرشليان، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، دار الساقى.
- درويش، محمود. (2014ب). لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي، الطبعة الأولى، رام الله- فلسطين وعمّان- الأردن، مؤسسة محمود درويش، دار الناشر، الأهلية للنشر والتوزيع.
- درويش، محمود، (2015)، أثر الفراشة، الطبعة الأولى، رام الله- فلسطين وعمّان- الأردن، مؤسسة محمود درويش، دار الناشر، الأهلية للنشر والتوزيع.
- الرواشدة، سامح، (1997)، تقنيات التشكيل البصري في الشعر العربي المعاصر، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، 12 (2)، ص 501-542.
- السّعافين، إبراهيم، (2018)، شعر محمود درويش: تحولات الرؤية.. تحولات اللغة، الطبعة الأولى، عمّان- الأردن، دار الشروق.

- سعيد، إدوارد، (2000)، خارج المكان، ترجمة: فواز طرابلسي، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، دار الآداب.
- سعيد، إدوارد، (2006)، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، القاهرة- مصر، رؤية للنشر والتوزيع.
- سعيد، إدوارد، (2007)، تأملات حول المنفى ومقالات أخرى، ترجمة: ثائر ديب، الطبعة الثانية، ج1، بيروت- لبنان، دار الآداب.
- شاهين، محمد، (2013)، إدوارد سعيد: رواية للأجيال، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، منشورات وزارة الثقافة.
- شاهين، محمد، (2018)، نزار قباني: بيت الدمشقي بيت من الشعر، مجلة نزوى، ع 95، ص 285-294.
- ابن شريف، عبدالصمد، (2009)، حوار تلفزيوني مع القناة الثانية المغربية أجراه عبدالصمد بن شريف، ونشر في جريدة القدس العربي 22/ 3/ 2005 في: محمود درويش: سنكون يوماً ما نريد، تحرير: مهند عبدالحמיד، رام الله- فلسطين، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية.
- الشيخ، خليل، (2005)، السيرة والمتخيل: قراءات في نماذج عربية معاصرة، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، أزمنة للنشر والتوزيع.
- صالح، فخري، (2011)، مفهوم أدب المنفى، في: الكتابة والمنفى تحرير: عبدالله إبراهيم، الطبعة الأولى، الجزائر- الجزائر وبيروت- لبنان، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون.
- صالح، فخري، (2018)، عالم محمود درويش الشعري، مج2، في: الثقافة العربية في القرن العشرين- الحصيلة الأدبية والفنية، بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.
- الصكر، حاتم، (2019)، الاستشراق، الهوية، المكان: مفارقات معرفية في فكر إدوارد سعيد، المجلة العربية للثقافة، 36 (65)، ص 235-259.
- طاهر، بهاء، (2008)، الحب في المنفى، بيروت- لبنان، دار الآداب.
- عبيد الله، محمد، (2021)، بلاغة المنفى: تجربة في قراءة القصيدة الدرويشية، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عصفور، جابر، (2017)، تحولات شعرية، الطبعة الأولى، القاهرة- مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- العلاق، علي جعفر، (2017)، محمود درويش: بنية النص وفتنة المجاز، في: من نص الأسطورة إلى أسطورة النص، الطبعة الثانية، عمان- الأردن، دار فضاءات للنشر والتوزيع.
- الغزافي، مصطفى، (2012)، خطاب الموت في جدارية محمود درويش، مجلة نزوى، ع 72، ص 38-47.
- فضل، صلاح، (2010)، محمود درويش: حالة شعرية، الطبعة الأولى، القاهرة- مصر، الدار المصرية اللبنانية.
- قطوس، بسام، (2011)، سيمياء العنوان، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، منشورات وزارة الثقافة.
- قطوس، بسام، (2019)، تأويل المنفى: قراءة في تطور رؤية المنفى في شعر محمود درويش، مجلة جرش للبحوث والدراسات، 20 (2)، ص 373-404.
- المساوي، عبدالسلام، (2009)، جماليات الموت في شعر محمود درويش، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، دار الساقى.
- منيف، عبدالرحمن، (1994)، الكاتب والمنفى: هموم وآفاق الرواية العربية، بيروت- لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الموسى، نهاد، (2013)، الفتنة باللغة في خطاب محمود درويش، مجلة العربي، ع 650، ص 123-126.
- ناصر، أمجد، (1996)، خبط الأجنحة: سيرة المدن والمنافي والرحيل، بيروت- لبنان، رياض الرئيس للكتب والنشر.
- اليوسفي، محمد لطفي، (2011)، الكتابة الشعرية والمنفى، في: الكتابة والمنفى، تحرير: عبدالله إبراهيم، الطبعة الأولى، الجزائر- الجزائر وبيروت- لبنان، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون.

6.2 رومنة المراجع العربية

- Ahluwalia, Pal, wa Bill Ashcroft. (2000). Edward Sa'īd: Mufāraqat al-Huwiyya, (in Arabic), Trans. Suhil Najim. 1st ed. Dimashq: Ninawā lil-Dirasāt wa al-Nashr & Dār al-Kitāb al-'Arabī.
- Al-'Allāq, Ali. (2017). "Maḥmūd Darwish: Binyat al-Naṣṣ wa Fitnat al-Majāz", (in Arabic), in: Min Naṣṣ al-U'stūrati Ilā U'stūrati al-Naṣṣ. 2nd ed. Amman: Dār Faḍā'āt lil-Nashr wa al-Tawzī'.
- Al-Ghurāfi, Muṣṭafā. (2012). "Khiṭab al-Mawt fī Jidāriyyati Maḥmūd Darwish", (in Arabic), Majallat Nizwa 72: 38-47.
- Al-Masāwī, 'Abd ul-Salām. (2009). Jamāliyyātu al-Mawt fī Shi'r Maḥmūd Darwish, (in Arabic), 1st ed. Baeirut: Dar Al-Saqī.
- Al-Mūsā, Nihād. (2013). "al-Fitnatu bil-Lughati fī Khiṭābi Maḥmūd Darwish", (in Arabic), Majallat al-'Arabī 650: 123-26.
- Al-Rawāshdeh, Sāmiḥ. (1997). "Taqniyāt al-Tashkīl al-Baṣarī fī al-Shi'r al-'Arabī al-Mu'āṣir", (in Arabic), Mu'tah lil-Buḥūth wa al-Dirasāt 12, no. 2: 501-42.
- Al-Sa'āfin, Ibrāhīm. (2018). Shi'r Maḥmūd Darwish: Taḥawulātu al-Ru'uatī Taḥawulāt al- Lughati , (in Arabic), 1st ed. Amman: Dar Al-Shorouk lil-Nashr wa al-Tawzī'.
- Al-Saqr, Hatim. (2019). "al-Istishrāq, al-Huwiyya, al-Makān: Mufāraqāt fī Fikr Edward Sa'īd", (in Arabic), al-Majallah al- 'Arabiyya 36, no. 65: 235-59.
- Al-Shaikh, Khalīl. (2005). al-Sīra wa al-Mutakhiyyal: Qirā'atun fī Namāthij 'Arabiyya Mu'āṣira", (in Arabic), 1st ed. Amman: Dar Azmina lil-Nashr wa al-Tawzī'.
- Al-Yūsufi, Muḥammad Luṭfī. (2011). "al-Kitābatu al-Shi'riyyatu wa al-Manfā", (in Arabic), in: al-Kitābatu wa al-Manfā. ed. 'Abdullah Ibrāhīm, 1st ed. Beirut: al-Dār al-'Arabiyya lil-'Ulūm Nāshirūn.

- ‘Aṣfour, Jābir. (2017). Taḥawulāt Shi‘riyya, (in Arabic), 1st ed. Cairo: al-Haī’a al-Miṣriyya lil-Kitāb.
- Bil‘ābid, ‘Abd ul-Ḥaq. (2008). ‘Atabāt: Gerard Genet min al-Naṣṣ Ilā al-Manāṣṣ, (in Arabic), 1st ed. Beirut: al-Dār al-‘Arabiyya lil-‘Ulūm Nāshirūn.
- Bilqzīz, ‘Abd ul-Ilāh. (2009). "Muqaddima", in: Hākathā Takallama Maḥmūd Darwish: Dirāsāt Fī Thikrā Raḥīlihi, (in Arabic), ed. ‘Abdulilāh Bilqzīz, 1st ed. Beirut: Markiz Dirāsāt al-Waḥda al-‘Arabiyya.
- Brennan, Timothy. (2022). Edward Sa‘īd: ‘Amākin al-Fikr, (in Arabic), Kuwait: ‘Ālam al-Ma‘rifa. no. 492.
- Darwish, Maḥmūd. (1995). Limādhā Tarakta al-Ḥiṣāna Waḥīdan, (in Arabic), 1st ed. Beirut: Riadh al-Rayyes lil-Kutub wa al-Nashr.
- Darwish, Maḥmūd. (2000). Jidāriyya, (in Arabic), 1st ed. Beirut: Riadh al-Rayyis lil-Kutub wa al-Nashr.
- Darwish, Maḥmūd. (2005). al-Diwan: al-A‘māl al-‘ulā 2, (in Arabic). 1st ed. Beirut: Riadh al-Rayyis lil-Kutub wa al-Nashr.
- Darwish, Maḥmūd. (2006). "Wulidtu ‘Alā Dufu‘āt", Ḥiwār: ‘Abdū Wāzin, (in Arabic), Majallat al-Karmel 86: 7-68.
- Darwish, Maḥmūd. (2008). "‘An al-Manfā", (in Arabic), al-Majalla al-Thaqāfiyya 71: 12-14.
- Darwish, Maḥmūd. (2009). Kazahr al-Lawz aw Ab‘ad, (in Arabic), 3rd ed. Beirut: Riadh al-Rayyis lil-Kutub wa al-Nashr.
- Darwish, Maḥmūd. (2014a). ‘Anā al-Muwaqqi‘ ‘Dnāh, (in Arabic), Ḥiwār: Ivana Marshlyan. 1st ed. Beirut: Dār al-Sāqī.
- Darwish, Maḥmūd. (2014b). Lā Urīdu Lihāthī al-Qaṣīda An Tantahī, (in Arabic), 1st ed. Ramallah, Amman: Muassasat Mahmoud Darwish, Dar Al-Nāsher.
- Darwish, Maḥmūd. (2015). Athar al-Farāsha, (in Arabic), 1st ed. Ramallah, Amman: Muassasat Mahmoud Darwish, Dar Al-Nāsher.
- Faḍl, Ṣalāh. (2010). Maḥmūd Darwish: Ḥālatun Shi‘riyya, (in Arabic), 1st ed. Cairo: al-Dār al-Miṣriyya al-Lubnāniyya.
- Ḥadīdī, Ṣubḥī. (2008). "Maḥmūd Darwish wa Muthallath al-Sīrah: al-Shā‘ir wa al-Makān wa al-Tārīkh, (in Arabic), Majallat al-Dirāsāt al-Filastīniyya 19, no. 76: 82-92.
- Ḥadīdī, Ṣubḥī. (2011). "Maḥmūd Darwish fī Sarīr al-Gharība: Qaṣīdatu al-Ḥubb wa al-Nidā al-Malḥamī", (in Arabic), Majallat al-Karmel al-Jadīd 2: 7-32.
- Ibn Sharif, ‘Abd ul-Ṣamad. (2009). "Ḥiwār Tilifazyounī ma‘a al-Qanāt al-Thaniya al-Maghribiyya", (in Arabic), in: Sanakūnu Yawmun mā Nurīdu. ed. Muhnnad Abalḥamid. Ramallah: Wizārat al-Thaqāfa al-Filastīniyya.
- Ibrahīm, ‘Abdullah. (2011). "Tashrīḥu Ḥālāt al-Manfā: Mudawwanat Edward Sa‘īd", (in Arabic), in: al-Kitābatu wa al-Manfā. ed. ‘Abdullah Ibrahīm, 1st ed. Beirut: al-Dār al-‘Arabiyya lil-‘Ulūm Nāshirūn.
- Munīf, ‘Abd ul-Raḥmān. (1994). al-Kātib wa al-Manfā, (in Arabic), Beirut: al-Muassasa al-Arabiyya lid-Dirasāt wan-Nashr.
- Nasser, Amjad. (1996). Khabṭu al-Ajniḥa: Sīrat al-Mudun wa al-Manāfi wa al-Raḥīl, (in Arabic), Beirut: Riadh al-Rayyis lil-Kutub wa al-Nashr.
- Obaidullah, Moḥammad. (2021). Balāghat al-Manfā: Tajribatun fī Qirā‘at al-Qaṣīda al-Darwīshiyya, (in Arabic), 1st ed. Beirut: al-Muassasa al-Arabiyya lid-Dirasāt wan-Nashr.
- Qaṭṭūs, Bassām. (2011). Sīmyā’ al-‘Unwān, (in Arabic), 1st ed. Amman: Wizārat al-Thaqāfa.
- Qaṭṭūs, Bassām. (2019). "Ta‘wīl al-Manfā : Qirā’a fī Taṭawwur Ru‘yat al-Manfā fī Shi‘r Maḥmūd Darwish", (in Arabic), Majallat Jarash lil-Buḥūtyh wad-Dirasāt 20, no. 2: 373-404.
- Sa‘īd, Edward. (2000). Khārij al-Makān, (in Arabic), Trans. Fawwāz Ṭarabishī. 1st ed. Beirut: Dar Al-Aadab.
- Sa‘īd, Edward. (2006). Al-Muthaqaf wa al-Sulṭa, (in Arabic), Trans. Moḥammad ‘Anānī, Cairo: R’uya lil-Nashr wa al-Tawzī‘.
- Sa‘īd, Edward. (2007). Ta‘mmulāt ḥawl al-Manfā wa Maqālātun U’hrā, (in Arabic), Trans. Tha‘ir Deeb. 2nd ed. Beirut: Dar Al-Aadab.
- Ṣāliḥ, Fakhrī. (2011). "Mafhoum Adab al-Manfā", (in Arabic), in: al-Kitāba wa al-Manfā. ed. ‘Abdullah Ibrahīm, 1st ed. Beirut: al-Dār al-‘Arabiyya lil-‘Ulūm Nāshirūn.

- Ṣālih, Fakhrī. (2018). "Ālam Maḥmūd Darwish al-Shi'rī", (in Arabic), in: al-Thaqāfa al-‘Arabiyya fī al-Qarn al-‘Ishrīn, al-Ḥaṣīla al-Adbiyya wa al-Fanniyya. Beirut: Markiz Dirāsāt al-Waḥda al-‘Arabiyya. Vol. 2: 1227-34.
- Shāhīn, Muḥammad. (2013). Edward Sa‘īd: Riwāya Lil-’Ajjāl, (in Arabic), Amman: Wizārat al-Thaqāfa.
- Shāhīn, Muḥammad. (2018). "Nizār Qabbānī: Baytu al-Dimashqī Baytun mīn al-Shi'r", (in Arabic), Majallat Nizwa 95: 285-94.
- Ṭahir, Bahā'. (2008). al-Ḥubb fī al-Manfā, (in Arabic), Beirut: Dar Al-Aadab.

6.3 المراجع الأجنبية

- McClennen, Sophia A. (2004). The Dialectics of Exile: Nation, Time, Language, and Space in Hispanic Literatures. West Lafayette: Purdue UP.
- Salmi, Charlotta. (2012). "A Necessary Forgetfulness of the Memory of Place: Mahmoud Darwish's Poetry of No Return." Interventions: International Journal of Postcolonial Studies 14, no. 1: 55-68.

The Dialectics of Exile and Biography in the Work of Mahmoud Darwish:

“Tuesday with clear weather” and “Antithesis” as a Case Study

Mufleh Hweitat

Department of Arabic Language and Literature, School of Languages, The University of Jordan,
Aqaba, Jordan

Corresponding Author: m.hweitat@ju.edu.jo

Received: 19/06/ 2024.

Revised: 14/08/2024.

Accepted: 03/11/2024.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.8

Abstract

This study presented a critical textual analysis of two of Mahmoud Darwish's long poems: "Tuesday with clear weather" and "*Antithesis*", which the poet included in his Diwan "Almond Blossoms or Beyond" under the collective title "Exile." The two poems are interpreted from the perspective of the poet's biography as being part of the Palestinian collective identity and its relationship with exile as experienced and narrated by the poet. A reading of the two poems would reveal that in the first poem the poet presented phases of his biography, while in the second poem he portrayed some phases of the biography of the Palestinian critic and intellectual Edward Said. Moreover, the poet associated his biography of exile with the traumatic Palestinian collective memory of successive tragic transformations generated by all forms of victimization such as exile into diaspora and uprooting from homeland the poet and his fellow countrymen were exposed to. In addition, the poet's self-narrative reveals, at the same time, his perception of various issues such as death, love, homeland, language, time, existence, and his view of the other; issues that are closely related to life in exile that both the poet as an individual and his community have experienced. The poet's biography also portrayed to a large extent, his vision, and the horizons he aspires to reach in this stage of his creative writing.

Keywords: Mahmoud Darwish, Like the Flower of Almond or Beyond, modern Arabic poetry, exile poetry, biography.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

مستقبل إدارة الموارد البشرية في العصر الرقمي: مراجعة تحليلية للأدبيات حول الإيجابيات والسلبيات

علاء الدين السيد

قسم إدارة الأعمال، كلية الإدارة والتمويل، جامعة الأقصى، فلسطين
الباحث المراسل: alaedina@hotmail.com

Received: 11/07/2024.

Revised: 20/07/2024.

Accepted: 05/12/2024.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.9

المُلخَص

تسعى هذه الدراسة إلى استشراف مستقبل إدارة الموارد البشرية في ظل تنامي التطور التكنولوجي. وبالتالي، فهي تستعرض أبرز الإيجابيات والسلبيات المحيطة في ظل العصر الرقمي، وتُشخصها، وتُلقي بظلالها على وظائف إدارة الموارد البشرية المختلفة، وكيف يُمكن لكل وظيفة أن تتأثر إيجاباً أو سلباً. وعليه، تتخذ المنظمة التدابير المناسبة للحد من السلبيات وتوظيف الإيجابيات عند إدارتها للموارد البشرية. كما يُفيد ذلك في تبصير مُتخذي القرار وصناعه في تقادي المُشكلات، واغتنام الفرص المتاحة، ما يجعل رسم خطط المنظمة أكثر نجاعة على وجه العموم، ويُعزز التخطيط الفعّال لإدارة الموارد البشرية على وجه الخصوص. وتُقدم هذه الدراسة مُراجعة نظرية لتأثير التكنولوجيا إيجاباً وسلباً في سبت وظائف أساسية لإدارة الموارد البشرية، وهي: (تخطيط الموارد البشرية، والاستقطاب والاختيار والتعيين، والتدريب والتطوير، وتقييم الأداء، والأجور والتعويضات، والصحة والسلامة المهنية)، وذلك في محاولة للخروج بتوصيات تُعزز مستقبل إدارة الموارد البشرية، التي يُمكن توظيفها للاستفادة من الفرص المتاحة في إدارة المورد البشرية أمام المنظمات المختلفة.

الكلمات المفتاحية: إدارة الموارد البشرية، الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية، إيجابيات التكنولوجيا، سلبيات التكنولوجيا.

1. المقدمة

تشهد المنظمات المعاصرة تحوُّلاً تكنولوجياً كبيراً، فقد استطاعت التكنولوجيا أن تُفرض نفسها بوصفها أحد مكونات النجاح الأساسية، بل باتت لُغة العصر بلا منازع. لذلك، فإن تأخر المنظمات عن مواكبة التطور التقني في حد ذاته -خسارة كبيرة، فضلاً عن الثبات في توظيف التكنولوجيا في أنشطتها ومهامها. لقد امتد تأثير التكنولوجيا على أعمال المنظمة الأساسية والثانوية كافة، فشمّل ذلك؛ التحول في إجراءات العمل، وطرق الإنتاج، وأساليب تقديم الخدمات، وتحسين ظروف العمل وبيئته، بل باتت التكنولوجيا جزءاً من الثقافة والهوية التنظيمية وأحد أبرز ملامح التطور التنظيمي والسلوكي في المنظمة على حدٍ سواء. لذلك، ولأن الأفراد هم عصب المنظمة، فإن الاستثمار في تهميتهم يُعد مُرتكزاً جوهرياً لاكتساب ميزة تنافسية، ويتطلب ذلك توظيفاً للتكنولوجيا؛ لتطوير الكفاءات، وتنمية الخبرات، وصقل المهارات، وحمايتها من التآكل. وما بين التطور التكنولوجي والسعي لتنمية الأفراد ينشأ مسار يهدف إلى تحقيق التكامل بين هاتين الغايتين، وهذا ما ترنو الدراسة لتحقيقه. لذا، تسعى هذه الدراسة إلى تحديد كيفية إسهام التكنولوجيا في تطوير إدارة الموارد البشرية في المنظمات بما يُعزز كفاءتها، والكشف عن الآثار السلبية المترتبة على ذلك. وذلك بَعِيّة التوصل إلى استشراف لمستقبل إدارة الموارد البشرية إلكترونياً لكسب أقصى فائدة من ميزة التكنولوجيا مع تقادي السلبيات المترتبة عليها، بما يضمن تطور المورد البشري في المنظمات على وجه الخصوص، ويُحقق تطور المجتمع وازدهاره.

مشكلة الدراسة: باتت المنظمات تواجه تحديات مُتباينة في البيئة الخارجية، تدفعها إلى إجراء تغييرات طارئة على منظومة أعمالها. وقد يتعذر التنبؤ بطبيعة تلك التحديات وشدها، ولعل من أبرز الأمثلة التي عَصِفَت بالمنظمات جائحة كُورَونا، وما ترتب عليها من تغيير في أعمالها. كما أن بعض الدول قد تشهد تغييرات مُفاجئة سياسياً أو إقتصادياً، أو تتعرض لكوارث طبيعية، فتتعاكس آثارها على قطاعات إقتصادية مختلفة، فتلعب التكنولوجيا دوراً هاماً في علاج تلك الأزمات (سناجلة،

(2021)، وتقليص التحديات، ويصبح توظيفها مَدخلًا ليس فقط لتخطي الأزمة بل للتطور والنمو التنظيمي بوصفها أحد المراكز الاستراتيجية. إنَّ ما يثير التساؤل هو: هل المنظمات باتت توظف التكنولوجيا طواعية أم إكراهًا عند إدارة المورد البشري؟ وهل مستوى تأثير التكنولوجيا قد تخطى حدود المنظمة بوصفها وحدة وظيفية إلى سلوك الأفراد؟ وبات مؤثرًا في تفاعلهم مع الآخرين، وكذلك داخل المجتمع؟ وإلى أيِّ حدِّ باتت إدارة المورد البشري تعمل بين مطرقة التكنولوجيا وسندان التكيف معها؟

إنَّ المنظمات ذات التوجُّه الاستراتيجي، هي تلك التي تحرص على امتلاك موردٍ بشريٍّ غنيٍّ بالمهارات والكفاءات، وتستثمر في رأسمالها الفكري بالتوازي مع استثماراتها التكنولوجية، فتحرص على توظيف التكنولوجيا في تطوير قدرات الأفراد، وتسهيل أعمالهم، وتحسين بيئة العمل، وحل المشكلات (منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية وآخرون، 2022)، وتحقيق أفضل الإنجازات بأقل الموارد والجهود، وتنبُّد الكفاءة والفعالية في الأداء وتبقى حريصة على تحقيق التقدم والتطور في أنظمة العمل، لذلك؛ فهي حريصة على أن تستجيب للتطور التكنولوجي بوسفه مؤثرًا خارجيًا جنباً إلى جنب مع البحث عن التكنولوجيا الرقمية لتوظيفها في تطوير أنظمة العمل وتقديم حلول أفضل لحل المشكلات وتذليل العقبات.

لذلك؛ قد شكَّلت التكنولوجيا الرقمية سلاحاً ذا حدين، فهي تُحقق منافع للمنظمة وتفرّض واقعا جديداً ذا تحديات يتعذر إغفالها (منظمة الأمم المتحدة، 2018). ونظراً لأنَّ هذا الواقع يُلقي بظلاله على أهم موارد المنظمة -وهو المورد البشري- وينعكس على منهجية إدارته وتطويره والاستثمار فيه، فإنَّ الكشف عن مستقبل إدارة الموارد البشرية بوظائفها المختلفة في ظل التَّقدم التقني هو ركيزة هامة، تُساعد المنظمات مُستقبلاً على التخطيط التنبؤي، ورسم سيناريوهات عمل مرنة تُساعد على مواجهة المستقبل.

أسئلة الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما الآثار الإيجابية لتوظيف التكنولوجيا في إدارة الموارد البشرية؟
2. ما الآثار السلبية لتوظيف التكنولوجيا في إدارة الموارد البشرية؟
3. كيف يُمكن إستشراف مستقبل أفضل للمنظمات عند إدارتها للموارد البشرية في ظل العصر الرقمي؟

أهداف الدراسة: تتركز أهداف الدراسة فيما يلي:

1. تسليط الضوء على إيجابيات توظيف التكنولوجيا في إدارة المورد البشري.
 2. الكشف عن الآثار السلبية لتوظيف التكنولوجيا في إدارة المورد البشري.
 3. تقديم توصيات تُمهِّد لمسار أفضل للمنظمات عند توظيف التكنولوجيا في إدارة المورد البشري في العصر الرقمي.
- أهمية الدراسة:** هنالك عديد من الدراسات التي تناولت الإدارة الإلكترونية بإيجابياتها وسلبياتها، وأخرى أسهبت في نقاش التحول الرقمي بفرصه وتحدياته، إلا أنَّ تلك الدراسات تحدّثت في عموم الإنعكاسات دونما تفصيل الوظائف الأساسية للمنظمة. ولأنَّ إدارة الموارد البشرية هي أحد أبرز تلك الوظائف؛ فإنَّ تناول تأثير التكنولوجيا في كل نشاط من أنشطتها الرئيسية مع التنبؤ بالمستقبل، يُشكِّل إضافة نوعية للمعرفة، ودليلاً إرشادياً للمنظمة؛ يُعينها على التنبؤ بالمستقبل وتطوير الخطط الطموحة، ورسم السيناريوهات الكفيلة بمواجهة تحديات المستقبل بنجاح.

إنَّ هذه الدراسة إلى جانب ما تقدمه من توجيهات غنية لصنَّاع القرار في توظيف التكنولوجيا عند إدارة الموارد البشرية، والوعي الكافي لتحدياتها بما يُحوِّلها من شقٍّ طريقها نحو النجاح؛ فإنَّها في الوقت ذاته تفتح شهية الباحثين إلى مزيد من الدراسات التطبيقية الداعمة لهذه الدراسة النظرية، حتى تُفتح آفاق جديدة لدراسة انعكاسات التكنولوجيا على وظائف المنظمة الأخرى، كالتمويل، والتسويق، والإنتاج والخدمات، والتي يُمكن أن تُشكِّل رافداً تنموياً للمنظمة، يُذلل العقبات التي تُعيق نجاحها.

منهجية الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة على المراجعة النظرية للدراسات السابقة، والوقوف على توصياتها، والاستفادة من مُخرجاتها في حصر الإيجابيات والسلبيات الخاصة بكل وظيفة من وظائف الموارد البشرية، وكيفية الاستفادة من ذلك في تعظيم الفائدة المرجوة من الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية. وقد تضمنت منهجية الدراسة مراجعة نظرية للأدبيات، كما يلي:

1. المراجعة النظرية: تتضمن تحليل الأدبيات السابقة لتحديد الموضوعات الرئيسية والمزايا والعيوب المتعلقة بوظائف الموارد البشرية وإدارة الموارد البشرية الإلكترونية (e-HRM).
2. التحليل النوعي: تُركز الدراسة على الأفكار النوعية المُستمدة من الأبحاث السابقة، ما يجعلها مناسبة لتجميع النتائج من الدراسات المختلفة.
3. التحليل المقارن: من خلال تقويم إيجابيات تطبيق التكنولوجيا في وظائف الموارد البشرية وسلبياتها، لتقويم كيفية أداء الأساليب المختلفة، والمقارنة بينها.
4. تجميع التَّوصيات: تسمح المنهجية بالاعتماد على التوصيات والنتائج من الدراسات السابقة لتوجيه أفضل الممارسات في إدارة الموارد البشرية الإلكترونية.

2. الدراسات السابقة:

تستعرض هذه الدراسة مراجعة نظرية لتسع عشرة دراسة سابقة، بعضها قدَّم مراجعة نظرية، وغالبيتها قدَّمت رُؤى تطبيقية، وقد تمت المزاوجة ما بين الدراسات العربية والأجنبية، وذلك على النحو الآتي:

دراسة (Mishel and Situmorang 2024) التي طُبِّقت على (44) موظفا يعملون في الشركات الإندونيسية، كما استخدمت الدراسة أسلوبا نوعيا لتحقيق أهدافها. وتبين أنَّ الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية كان لها تأثير إيجابي، دال إحصائياً في الأداء التنظيمي، وقد لعب كل من الأداء والرضا الوظيفي دوراً وسيطاً. أما دراسة (Muchsam et al., 2024) فقد استهدفت عينة عشوائية من (300) موظف في مستشفى باندونج بإندونيسيا. وتوصلت إلى أنَّ ممارسات إدارة الموارد البشرية الإلكترونية العلائقية لها تأثير إيجابي في أداء الموظفين. وفي دراسة (Obinna and Jaja, 2024) التي طُبِّقت على عينة من (354) موظفا يعملون في صناعة الوجبات السريعة في بورت هاركورت بنيجيريا، تبين أنَّ إجراءات الموارد البشرية الإلكترونية كان لها تأثير دال إحصائياً على رضا الموظفين، وقد نصحت الدراسة مُتخذي القرار بزيادة الاستثمار في التكنولوجيا لتأهيل الموظفين لاستخدام أفضل لإدارة الموارد البشرية الإلكترونية. في حين قدمت دراسة الحميد وآخرين (2023) عرضاً نظرياً لتأثير تطبيق الإدارة الإلكترونية في كفاءة رأس المال البشري، وفعاليته، مُستهدفة المنظمات الحكومية في أمانة القصيم في السعودية، وعرضت مُتطلبات الإدارة الإلكترونية، وتعرفت إلى واقع تطبيقها، وتحدياتها. أما دراسة بابية ودقيوس (2023)، فطُبِّقت على عينة بلغت (45) موظفا من الموظفين الإداريين في مصالح الصندوق الوطني للتأمينات الاجتماعية وأقسامه، للعمال الأجراء في وكالة أدرار بالجزائر. وتبين أنَّ للإدارة الإلكترونية للموارد البشرية دوراً محدوداً في تحسين النتائج عموماً، إلا أنَّها كان لها إسهام في تحسين جودة الخدمة العمومية، فقد وُجد أنَّ هُناك دوراً معنوياً لها في تحقيق رضا الموظفين والمُستفيدين.

وقدمت دراسة مهران وآخرين (2023) إطاراً نظرياً حول إدارة الموارد البشرية الإلكترونية، وكيف يمكن الاستفادة منها وتعزيزها بوصفها اتجاهاً حديثاً في إدارة الموارد البشرية في المنظمات. وقد استعرضت الوظائف الإلكترونية لإدارة الموارد البشرية، وأشارت إلى أهميتها في إضافة قيمة للمنظمة على المدى البعيد. ودراسة ثابت والشوا (2022)، فقد طُبِّقت على (40) موظفا يعملون في المواقع الإشرافية بجامعة فلسطين، وتبين أنَّ هُناك علاقة لممارسة الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية وتحسين الأداء المنظمي، وقد لعبت دوراً جوهرياً في تحسين الأداء المنظمي. أما دراسة (Johnson et al., 2021) فتناولت منافع إدارة الموارد البشرية الإلكترونية والذكاء الاصطناعي في الاستحواذ على المواهب، وطُبِّقت على قطاع السياحة في الولايات المتحدة الأمريكية. وتوصلت إلى أنَّ الاهتمام بالموارد البشرية الإلكترونية يمكن أن يُحقق لها مخرجات تنظيمية أفضل.

وفي سياق آخر تناولت دراسة (Yuvaraj and Suganthiya 2021) تأثير التكنولوجيا في إدارة الموارد البشرية، فركّزت على تأثير ثورة الإنترنت والإنترنت والتغيير الذي أحدثته في طريقة أداء الأعمال على مستوى العالم، وانعكاساتها على الهند. واستعرضت كيف أنَّ هذه التكنولوجيا المتسارعة ساعدت المُساهمين في النمو وتنمية كفاءة المنظمات على المدى البعيد، كما تحدثت عن تأثير التكنولوجيا في وظائف إدارة الموارد البشرية. أما دراسة (Malekano 2021) فقد طُبِّقت على (119) موظفا يعملون في الحدائق الوطنية في تنزانيا. وتوصلت إلى أنَّ الاستقطاب الإلكتروني قد أدى إلى خفض التكاليف والوقت، ووسع فرص الاختيار أمام المتقدمين، كما ساعد في تسهيل الوصول إلى المعلومات. أما دراسة الجبوري (2021) فقد استهدفت عينة بلغت (87) عضواً في مجالس الجامعات والكليات الأهلية في محافظة كربلاء العراقية، وتبين أنَّ تطبيق الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية قد أثر إيجاباً في تحسين جودة الخدمات المُقدَّمة في الجامعات المُستهدفة.

وفي عرض نظري، تناولت دراسة (Ganeshan and Vethivajan 2020) التفاعل بين ممارسات الموارد البشرية الإلكترونية وتصورات الموظفين لشركات الخدمات التي تدعم تكنولوجيا المعلومات في الهند. وناقشت التطور التاريخي لإدارة الموارد البشرية في تعاملها مع المعلومات، كما وضحت بعض العوامل التي تؤثر في إدارة الجودة البشرية في التنظيم الحكومي وتشريعات العمل والابتكار. وفي استعراض نظري آخر، بحثت دراسة (Shah et al., 2020) تأثير استخدام إدارة الموارد البشرية الإلكترونية في النجاح التنظيمي في تنزانيا، فعرضت الأدبيات الخاصة بإدارة الموارد البشرية بأنواعها الثلاثة، ثم بيَّنت كيف يُمكن أن تُسهم تطبيقاتها في تحقيق نجاح المنظمة. وخُصِّصت إلى وصف فوائد إدارة الموارد البشرية الإلكترونية، وكيف يُمكن أن تُسهم في نجاح المنظمات، مُسلِّطة الضوء على الدور المهم لتكنولوجيا المعلومات في دعم إدارة الموارد البشرية، وأوصت بدمج ممارسات الموارد البشرية مع تكنولوجيا المعلومات لتحقيق نتائج تنظيمية متفوقة، تؤدي إلى النجاح التنظيمي. واستهدفت دراسة حيدر (2020) عينة ميسرة بلغت (120) شخصاً يعملون في قطاع البنوك الخاصة التقليدية في دمشق. وتوصلت إلى أنَّ تكنولوجيا المعلومات تؤثر إيجاباً في أداء العاملين. أما دراسة غنام (2020)، فطُبِّقت على عينة من (193) موظفا يعملون في الوزارات الفلسطينية، وتوصلت إلى وجود علاقة طردية بين وظائف الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية وتحسين الأداء.

وناقشت دراسة (Malkawi 2018) دور إدارة الموارد البشرية الإلكترونية في التَّميز التنظيمي، وقد طُبِّقت الدراسة على عينة بلغت (82) موظفاً من مستويات الإدارة الوسطى والعليا، يعملون في المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي - الأردن. وتبين أنَّ استخدام المؤسسة لإدارة الموارد البشرية الإلكترونية كان مُرتفعاً، كما ظهر أنَّ المؤسسة قد تميَّزت تنظيمياً، وكان هُناك تأثير لإدارة الموارد البشرية الإلكترونية في التَّميز التنظيمي، حيث بُعد تطبيقها مَدخلاً هاماً للتَّميز التنظيمي. وفي دراسة (Berber et al., 2018) تم تسليط الضوء على أهمية مفهوم إدارة الموارد البشرية الإلكترونية، وخصائصها، إلى جانب المزايا التي تحظى بها، وكذلك الكشف عن مستوى استخدامها في صربيا. وقد اعتمدت الدراسة على المراجعات النظرية إلى جانب البيانات المتاحة من قواعد البيانات. وتوصلت إلى أنَّ إدارة الموارد البشرية الإلكترونية تُعد نوعاً من الابتكار الذي يُحفِّز تطبيقات إدارة الموارد البشرية ويُطوِّرها ويُسهِّلها لكل من المُديرين والموظفين على حدٍّ سواء. وفي دراسة (Atallah 2016)

تم تطبيق الدراسة على (308) موظفين، يعملون في مكتب الأونروا الميداني في مدينة غزة - فلسطين. وتبين أن إدارة الموارد البشرية الإلكترونية تساهم في تحقيق أهداف المؤسسة، وفي تنمية الموظفين وتطويرهم، وكان لها تأثير في التطوير التنظيمي للأونروا، فقد كان للتوظيف الإلكتروني التأثير الأكبر من بين الوظائف الأخرى لإدارة الموارد البشرية الإلكترونية... وأخيراً دراسة علي (2014) فقد طبقت على (122) موظفاً يعملون في شركة جازي للاتصالات بالجزائر، وكشفت نتائجها عن أن الشركة المستهدفة قد وفّرت المتطلبات التكنولوجية اللازمة لتطبيق المعرفة، كما تبين أن لديها نظاماً جيداً للإدارة الإلكترونية للموارد البشرية أدى إلى زيادة كفاءة الموظفين لحصولهم على معلومات بشكل سريع، وسهّل إجراءات العمل، واتخاذ القرارات إلكترونياً، ما ساعد في توثيقها وزرع الثقة بين الموظفين وإدارة الموارد البشرية.

2.1 تعقيب على الدراسات السابقة

يُمكن تصنيف الدراسات السابقة إلى ثلاثة أقسام؛ الأول يتضمن الدراسات الاستكشافية التي تدرس واقع الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية أو متطلبات نجاحها في منظمة معينة، مثل دراسة (غنام، 2020). وعلى الرغم من أن عِدّة دراسات تناولت واقع إدارة الموارد البشرية الإلكترونية وتوقفت عند ذلك، فإنها أبقت ذلك مقتصرًا على الجوانب التطبيقية كما يراها المبحوثون في المنظمات التي طبقت عليها الدراسة. أما القسم الثاني، فقد تناول عرضاً نظرياً مثل دراسة (Berber et al., 2018) ودراسة (Johnson et al., 2021)، ودراسة (مهران وآخرين، 2023)، ودراسة (Yuvaraj & Suganthiya, 2021)، ودراسة (Berber et al., 2018). ولعل ذلك يُشير إلى حداثة المفهوم، الذي لازال بحاجة إلى مزيد من الاستدلالات النظرية، ومزيد من التوضيح، ونظراً لأهميته واتساع مجالات تطبيقه. وفي القسم الثالث تم التركيز على الدراسات التي ربطت بين الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية بوصفها متغيراً مستقلاً؛ ومتغيرات تابعة مختلفة مثل إدارة المعرفة والأداء التنظيمي، وجودة الخدمة مثل دراسة (ديلمي، 2015)، ودراسة (علي، 2014)، ودراسة (الجبوري، 2021)، ودراسة (بابية ودقيوس، 2023)، ودراسة (Atallah, 2016)، ودراسة (ثابت والشوا، 2022). ومن الملاحظ أن غالب تلك الدراسات هي دراسات حديثة، ما يدل على أن الربط بين مفهوم الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية والمتغيرات الأخرى ما زال محدوداً، وغالب التطبيقات كانت عبر دراسات حديثة.

وبالرغم من أن الدراسات السابقة في مجملها تناولت إيجابيات الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية وسلبياتها؛ فإنها لم تفصل فيها، كما فعلت هذه الدراسة، لذا فإن هذه الدراسة قد تميزت عن سابقتها بتسليط الضوء على الإيجابيات والسلبيات الخاصة بكل وظيفة أساسية من وظائف إدارة الموارد البشرية المطبقة إلكترونياً. كما أن هذه الدراسة سعت لتقديم عرض لتعريف تلك الوظائف كما في الدراسات السابقة في ضوء الإدارة التقليدية والإدارة الإلكترونية للموارد البشرية، وخُصّصت إلى استنتاج تحليلي في ضوء مراجعة نظرية عميقة، يمكن أن يُقدّم إلى المعنيين للاستفادة من هذه المخرجات عند التوجه نحو التحول الرقمي في إدارة الموارد البشرية. وبالتالي فقد اعتمدت هذه الدراسة على المراجعة النظرية بشكل أساسي في حصر الإيجابيات والسلبيات المحيطة بتطبيقات الوظائف الأساسية لإدارة الموارد البشرية، إلى جانب رؤية الباحث في ضوء تجاربه المهنية وقرآته للدراسات السابقة.

3. الإطار النظري

3.1 مفهوم إدارة الموارد البشرية

تعد إدارة الموارد البشرية - بوصفها مصطلحاً علمياً - أحد أهم المعارف الإدارية الحديثة التي تُعنى بالتخطيط والتنظيم والمتابعة والرقابة على عمل المورد البشري في المنظمة، وتُعد الوحدة التنظيمية التي تحمل اسمها - غالباً - وحدة متخصصة تؤدي دوراً تنظيمياً محورياً من وظائف أية منظمة. ويُعرفها (Armstrong and Taylor, 2020) بأنها منهج استراتيجي يتركز على إدارة الأفراد بوصفهم الأصول الأعلى ثمناً في المنظمة، والتي تستطيع تحقيق أهدافها من خلال إسهامات فردية أو جماعية، تحكمهم سياسات ترتبط بفلسفة إدارة المورد البشري في المنظمة. ويرى آخرون بأنها أحد أدوار المنظمة الأساسية التي تحرص على التوظيف الأمثل للموارد البشرية فيها وفقاً لاستراتيجية تتضمن سياسات وممارسات متعددة، تتوافق مع تحقيق أهداف المنظمة ورسالتها (بودبوس وزهمول، 2020). لذلك؛ فإن الاهتمام بالموارد البشري وإدراك أهميته وقيّمته المضافة للمنظمة، يستدعي المبادرة للاستثمار فيه، لما له من عوائد تُحقق النجاح والازدهار. وتؤدي إدارة الموارد البشرية أدواراً رائدة في المنظمة من خلال عدة وظائف أساسية، تشمل على: تخطيط الموارد البشرية، والاستقطاب والاختيار والتعيين، وإدارة الأجور والتعويضات، والتدريب وتطوير العاملين، وتوفير الأداء وإدارته، إلى جانب تحقيق السلامة والصحة المهنية وتعزيزها.

وتجدر الإشارة إلى أن وظائف الموارد البشرية تُمثل الفئة الأوسع من الأدوار التي يُمارسها متخصصو الموارد البشرية داخل المنظمة. فتتضمن وظائف مشتركة، كالتوظيف والاختيار، وعلاقات الموظفين، والتعويضات، والحوافز، والتدريب، والتطوير، والامتثال لقوانين العمل. أما ممارسات الموارد البشرية، فتعكس تطبيقات محددة ضمن وظائف الموارد البشرية الأوسع. وتشير إلى الأساليب والسياسات والمنهجيات التي تستخدمها المنظمة لإدارة مواردها البشرية. ومن أمثلتها: استراتيجيات التوظيف، وأنظمة إدارة الأداء، وبرامج التدريب، ومبادرات مشاركة الموظفين. أما أنشطة الموارد البشرية، فهي تطبيقات ذات سمة إجرائية ونطاق أكثر تحديداً من وظائف الموارد البشرية. فيُمكن تحقيق وظيفة واحدة من وظائف

الموارد البشرية من خلال عدة أنشطة فرعية. مثلاً: وظيفة التوظيف تتضمن عدة أنشطة كالاستقطاب، والمقابلات، والامتحانات، وتدقيق المستندات، وأنشطة إجرائية أخرى.

3.2 إدارة الموارد البشرية في العصر الرقمي وعلاقتها بالمتغيرات الأخرى

ما زال دور إدارة الموارد البشرية محورياً في المنظمات التي حظيت ببصيرة نافذة، جعلتها تُدرك أهمية المورد البشري، واستطاعت استثمار الفرص في تطويره وتنميته حتى يضيف قيمة للمنظمة. سيما أن المنظمات تواجه تحديات العولمة، والتكنولوجيا، والمنافسة المتنامية، والحوكمة، وغيرها من المستجدات التي باتت مُضطرة لمواكبتها حتى تبقى صامدة في تحقيق أهدافها دون تراجع. وفي إطار الاستجابة لتلك التحديات، فقد شهد الاهتمام بالأفراد والسلوك الإنساني تطورات مُضطردة على مدار التاريخ المعاصر، ولعل أحدثها ما أُطلق عليه الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية، كما في دراسات (الباز، 2022؛ بابية ودقيوس، 2023)، أو إدارة الموارد البشرية الإلكترونية (أبو العينين، 2019) وكذلك (Johnson et al., 2018; Berber et al., 2021)، أو إدارة الموارد البشرية إلكترونياً (بن دحمان، 2017)، وبالتالي فقد بات مُصطلح الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية رائجاً في عدة دراسات تحت مُسميات مُتقاربة، تهدف للتعبير عن المُصطلح ذاته، الذي ربط بين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والإنترنت مع إدارة الموارد البشرية وفقاً لمنهجية التحول الرقمي والتطوير التنظيمي.

واستناداً إلى ما سبق، فإن الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية تُعرف بأنها عملية تدمج ما بين وظائف الموارد البشرية الاعتيادية وتكنولوجيا المعلومات، فتعتمد على إتمام تلك الوظائف بشكل أساسي على استخدام شبكة الإنترنت، وذلك في إطار استجابة المنظمة لمتغيرات بيئيتها الداخلية والخارجية (Schramm, 2006). ويرى بعضهم أنها مفهوم يتمحور حول استخدام التكنولوجيا المُعتمدة على الويب لتقديم الخدمات ذات الصلة بإدارة الموارد البشرية في المنظمة، والتي تسمح بنفاذ واسع النطاق للمعنيين بخدماتها ابتداءً من وحدات إدارة الموارد البشرية، مروراً بالمديرين وحتى الموظفين (Berber et al., 2018). في حين يرى السقا (2013) أنها مجموعة من الوظائف الإدارية التي تشمل التخطيط، والتنظيم، والتوجيه، والرقابة، التي تُستخدم بشكل جوهري شبكات الاتصال وغيرها من التقنيات الحديثة بهدف تمكين إدارة الموارد البشرية من تحقيق أهدافها بكفاءة وفعالية. أما الجبوري (2021) فيرى أنها توظيف للتكنولوجيا الحديثة بما في ذلك الإنترنت وتطبيقات الحاسوب في تحقيق المهام والوظائف الإدارية ذات الصلة بالموارد البشرية بما يتكامل مع أنشطة المنظمة ككل، وينعكس في تحقيق أهدافها واستثمار مواردها بأقل كلفة. أما Wiley and Sons (2020) فقد ذكر بأنها مفهوم يشمل الطرق والأنشطة التي تتكامل بين إدارة المورد البشري وتقنية المعلومات والتي من شأنها أن تُضيف قيمة لهذه الأنشطة داخل المنظمة ومن خلالها، وذلك باستهدافها لجميع العاملين موظفين ومديرين. أما Alabaddi et al., (2020) فقد ركّز على أنها تحويل للأنشطة والعمليات الخاصة بالموارد البشرية من الصورة التقليدية إلى الممارسة الإلكترونية، وذلك بهدف تحقيق ميزة تنافسية للمنظمة بما يمكنها من تحقيق أهدافها وتحسين أداء العاملين.

وتُعد نظم معلومات الموارد البشرية أحد المكونات الأساسية لإدارة الموارد البشرية، وتزايد أهميتها عند استخدام التكنولوجيا الرقمية في إدارة الموارد البشرية. ويُمكننا القول إن توظيف التكنولوجيا في إدارة الموارد البشرية قد يكون على نحو إجرائي لإتمام أنشطة إجرائية، وبالتالي فإنها تُحقق مزايا الإدارة الإلكترونية، أو الأتمتة والحوسبة ونحو ذلك، أو إنها تتخطى ذلك لتُشكل ممارسات كاملة لوظائف تؤدي إلكترونياً، فتُعتبر عن أدوار وظيفية لا يمكن أن تُدار إلا إلكترونياً. وعطفاً على ما سبق، فقد وجد الباحثون أن للإدارة الإلكترونية للموارد البشرية تأثيراً إيجابياً ملموساً في إدارة المعرفة (ديلمي، 2015)، كما أسهمت في تسهيل إجراءات العمل واتخاذ القرارات إلكترونياً (علي، 2014)، وكان لها دور كبير في تحسين جودة الخدمة التعليمية (الجبوري، 2021)، كما أسهمت في أداء الخدمة العمومية (بابية ودقيوس، 2023)، كما أثّرت إجراءات الموارد البشرية الإلكترونية في رضا الموظفين (Obinna & Jaja, 2024)، وفي الأداء الوظيفي (ثابت والشوا، 2022؛ Muchsam et al., 2024; Mishel & Situmorang, 2024)، كما تزيد من جودة الحياة الوظيفية (أبو العينين، 2019)، كما تبيّن أن الاستقطاب الإلكتروني يُحقق نتائج إيجابية في تحسين سمعة مؤسسات التعليم العالي (أحمد، 2022).

3.3 إيجابيات استخدام التكنولوجيا في إدارة الموارد البشرية وسلبياتها

تتناهى الدراسات التي تبحث في مميزات التكنولوجيا وأثارها الإيجابية في المنظمة والمجتمع، إلا أن الدراسات التي تفرّدت بالحديث عن أثارها السلبية ما زالت قليلة نسبياً. وقد يعود السبب في ذلك إلى النتائج المباشرة والسريعة التي تحدثها التكنولوجيا، ولا يعني ذلك أننا ننظر إلى التكنولوجيا بسلبية مُطلقة، بل إننا ندرك أنها تُقدّم إيجابيات قد تفوق سلبياتها في كثير من الأحيان، إلا أن هذا التقييم، وحتى يتصدّر عنه أحكام، فلا بد أن يكون شاملاً للأفراد والمنظمات، وأن يُقاس على المدى القريب والبعيد، فمئة إيجابيات آنية ترتب عليها سلبيات على المدى البعيد والعكس صحيح. لذا فإننا نركز في دراستنا على انعكاس التكنولوجيا -على المدى البعيد- على كل من: الأفراد بوصفهم أحد الموارد التنظيمية، وكذلك على المنظمة. وتأتي دراستنا لتتناول الإيجابيات والسلبيات في إطار السعي لتوجيه المنظمة إلى مسار قويم عند تحول وظائف مواردها البشرية إلكترونياً. وتحاول الدراسة تركيز اهتمامها على الإيجابيات والسلبيات المُختصة بإدارة الموارد البشرية على وجه الخصوص، ولجميع وظائفها الأساسية.

3.3.1 تخطيط المورد البشري

يُشير مفهوم تخطيط الموارد البشرية إلى عملية تحديد احتياجات المنظمة من العاملين في المستقبل من حيث العدد والكفاءة، ولجميع الوظائف والأنشطة، وبما ينسجم مع التخطيط الشامل فيها، ويتضمن ذلك التحقق من توافر الأعداد المناسبة في المكان والوقت المناسبين، وضمان الاستخدام الأمثل لتلك الموارد مع تحقيق التوازن بين العرض والاحتياجات المطلوبة (بودبوس وزهمول، 2020). كما يُعتبر هذا المفهوم عن عملية تهدف للتحقق من أنَّ القوى البشرية المناسبة للمنظمة قد توافرت كمًّا ونوعاً وفي المكان والتوقيت المناسبين للقيام بالأعمال المناط بها في المنظمة (درة والصباغ، 2008). ولعل أبرز ما يُعيق تنفيذ هذه الوظيفة هو توافر المعلومات ودقتها، وتوظيف الأساليب الكمية في عمليات التنبؤ وتحليل البيانات، إلى جانب الجهد المبذول في عملية التخطيط ذاتها والتي قد تكون محفوفة ببعض المخاطر، سيما إن كانت بيئة عمل المنظمة لا تتوافر فيها المعلومات بالقدر الكافي أو بالدقة المناسبة. لذلك فإن المنظمات -في تعزيز تخطيطها للمورد البشري- تستند إلى التحليل الوظيفي الذي يُعد مدخلاً جوهرياً لتحديد المواصفات اللازمة لأداء المهام الوظيفية في حدها الأدنى، فيُمثل ذلك معياراً لفحص متطلبات التوظيف ومقارنته، لِشغل كل وظيفة، أو للمفاضلة عند التعيين أو الترقيّة لوظيفة أعلى، أو النقل إلى وظيفة أخرى في المنظمة، ويستلزم ذلك جمع البيانات والمعلومات كافة، وتبويبها، حول واجبات الوظيفة ومهامها ومتطلبات إشغالها (القحطاني، 2015). ويُعرفه درة والصباغ (2008) بأنه عملية تهدف إلى جمع معلومات وبيانات عن كل وظيفة في المنظمة، بهدف الكشف عن وصفها ومتطلباتها، وخصائصها، ومواصفاتها. ويتضمن التحليل الوظيفي تحديد مواصفات الوظيفة والتي تُشير إلى مضمون الوظيفة وما تشمله من مهام من خلال تحليلها، ومواصفات الأفراد الذين سيقومون بها للقيام بمستوى يُرضي أرباب العمل (كشوي، 2006). سيما أنَّ التغيير نحو الاعتماد على التكنولوجيا قد فرض مؤهلات ومهارات جديدة لم تكن في السابق، وفي هذا السياق يُشير كشك (2023) إلى أنَّ التعليم الجامعي لم يعد هو الرّكيزة الأهم في إعداد الكوادر مُستقبلاً، كما أنَّ الواسطة والمحسوبية لم يعد لها دور مؤثر في تعيين الأفراد بقدر ما تفرص المهارة الشخصية والتقنية نفسها عند استقطاب الأفراد. ويُشير التحليل الوظيفي الإلكتروني وفقاً لرؤية الباحث إلى توظيف تكنولوجيا المعلومات في جمع البيانات اللازمة لتحديد خصائص الوظائف في العصر الرّقمي، وتحديد المواصفات المطلوبة لأدائها على نحو يحقق أهداف المنظمة بفعالية. وقد أشار بن دحمان (2017) إلى أنَّ إدارة الموارد البشرية في توجُّهها نحو التكنولوجيا، ركّزت على نظام الإدارة الذاتية أو الخدمة الذاتية للموظف Employee Self Service الذي يتيح للموظفين تقديم معلومات عن أنفسهم وأداء بعض مهام إدارة الموارد البشرية، سيما في إدخال بيانات الموظفين أو تحديثها. ويرى الباحث أنَّ هذه البيانات تُسهم بشكل ملموس في إجراء التحليل الوظيفي الذي يُستفاد منه في جميع الوظائف الأخرى لإدارة الموارد البشرية، والتي تُعد خارطة طريق، تعكس تخطيطاً جيداً للمورد البشري على مستوى المنظمة.

لذلك؛ كان لا بد من الاعتماد على تخطيط المورد البشري بتوظيف التكنولوجيا واستخدام الأدوات الرّقمية سواء في عملية التنبؤ ذاتها، أو في رسم الخطط، أو جمع المعلومات وتحليلها، سيما أنَّ هذه الأنشطة يمكن ممارستها عبر منظومة إلكترونية تُساعد على إتمام عملية التخطيط بجودة أعلى، ووقت قياسي، مع مستوى أخطاء منخفض. لذلك؛ فإنَّ التخطيط الإلكتروني للمورد البشري نافذة نحو الفضاء الإلكتروني. لذلك؛ فإنَّ تخطيط المورد البشري يُشير إلى عملية مُنظمة، تُحدد ما ترغب المنظمة في تحقيقه حالياً ومُستقبلاً جيل مواردها البشرية عبر تدفق ضخم للمعلومات من داخل المنظمة وخارجها، وهي بذلك تتيح للموظفين القيام بتحديث بياناتهم وإجراء أية تغييرات شخصية، بما يُسهم في ضمان صحة تلك البيانات (بابية ودقيوس، 2023). وينبغي عند تخطيط المورد البشري مراعاة الوظائف التي ستنتهي مُستقبلاً، كالوظائف الروتينية وذات المهارات المُخفضة، أو وظائف في قطاعات واسعة، مثل عمال الصِّرافة، ومُحَصِّلِي الكهرباء، وأية وظيفة يمكن استبدالها بالأجهزة أو الحاسوب (كشك، 2023).

الإيجابيات: تُحقق التكنولوجيا إسهامات متعددة في تخطيط المورد البشري، فساعدت على تحقيق التَّباين في تركيبة القوى العاملة داخل المنظمات، وذلك وفق التَّسهيلات التي منحتها التكنولوجيا في أداء عديد من الوظائف (علون وآخرون، 2017). وبالتالي زادت من البدائل المُتاحة في عملية التخطيط. كما لُعبت دوراً في تسهيل مراقبة كل من العرض والطلب على الموارد البشرية لتعزيز التخطيط المُستقبلي ودعمه (Shah et al., 2020). ومما يُميّز التخطيط الإلكتروني للموارد البشرية أنَّه يُسمح باتخاذ قرارات لخدمة مُختلف أقسام المنظمة (غنيم، 2004). كما يُتيح الفرصة لتوليد خطط مُتعددة للاستجابة للظروف المُختلفة، تتسم بالمرونة العالية، والاستجابة الديناميكية للتَّغيرات (نجم، 2004). كما أسهم في تقليص الجهد المبذول ووقت إنجاز المهام، وبالتالي خَفَضت عبء العمل، إلى جانب سرعة الحصول على المعلومات وسهولتها (علون وآخرون، 2017). ويُسهم التخطيط الإلكتروني للموارد البشرية الذي تنامي مع ظهور الإنترنت، في زيادة مرونة عمل المنظمة، وسرعة استجابتها للتَّغيرات البيئية، كما يُسمح بمشاركة المستويات التنفيذية في العملية التخطيطية (غنام، 2020). لقد بات واضحاً أنَّ التكنولوجيا الرّقمية قد أفسحت مجالاً واسعاً أمام استخدام تطبيقات تُنظم تخطيط الموارد ERP Enterprise Resource Planning (الباز، 2022)، الذي يُحقق في مجال تخطيط الموارد البشرية ميزاتٍ عدة، كتوفير نهج مُتماسك في دعم الموظفين من الاستقطاب إلى التقاعد وفق مجموعة من الوحدات البرمجية التي تسمح بإدارة المسارات الوظيفية، وتحفز الموظفين على لعب دور رئيسي في خطط التطوير الوظيفي الخاصة بهم، وتمكين الموظفين من إدخال بعض البيانات بأنفسهم عند التقدم للترقية أو المُنافسة على الفرص الجديدة (برادفورد، 2018).

من جهةٍ أخرى، فقد سمحت التكنولوجيا بمواكبة التطور التَّوحي والكمّي لتقنية المعلومات وأنظمتها، وبالتالي فإنَّها تُمكن المنظمة من التغلب على مُشكلات النمط التقليدي لإدارة الموارد البشرية، إلى جانب تحسين تقديم الخدمات للمُستفيدين

(الجبوري، 2021)، وتشكّل إستجابة قوية للمنظمة في التعامل مع المتغيرات المختلفة (Malkawi, 2018). كما أسهمت التكنولوجيا وتطبيقاتها في رفع الحد الأدنى لكفاءة المورد البشري، وبالتالي فرضت على الإدارة التعامل مع فئات أكثر وعياً وتعلماً، وبالتالي فإن طبيعة الدور الإشرافي للمديرين أصبحت ذات سمة استشارية، وتطلبت مهارات كبيرة وتنمية للقادة والمديرين (بوسدره وآخرون، 2018). وبالتالي منحت التكنولوجيا المنظمات فرصاً جيدة عند إجراء التحليل الوظيفي لجمع البيانات من الخبراء والمختصين حول متطلبات الوظائف والتوصيف الوظيفي باستخدام الاستبانة الإلكترونية عبر الإنترنت، سيما أن المنظمة تستخدم تقنيات مختلفة لجمع المعلومات لغايات التحليل الوظيفي كالاستبانة والمقابلة والتي تستغرق - في العادة - وقتاً طويلاً عند توظيفها لجمع البيانات، في حين أن التحليل الوظيفي الإلكتروني يجعل الأمر أكثر سهولة ويختصر الوقت (Johnson et al., 2021). إلى جانب ما سبق، فإن توظيف التكنولوجيا ساعد المنظمات على الاعتماد على نظام الإدارة الذاتية للموارد البشرية، وهذا النظام سمح بمشاركة الموظفين بأنفسهم أن يؤديوا جزءاً من المهام التي كانت تقوم بها إدارة الموارد البشرية، ومن أبرز تلك المهام رفد النظام الإلكتروني بالبيانات الشخصية والمستجدات الخاصة بالموظفين (بن دحمان، 2017). كما سمحت التكنولوجيا بإجراء اللقاءات عبر الفيديو كنفرنس والخاصة بمناقشة المهام ومتطلباتها، وتطوير الوصف الوظيفي من دون سفر أو التنقل إلى مكان آخر، وإجراء النقاش اللازم لاتخاذ القرارات الأنسب بالخصوص (Johnson et al., 2021). وبالتالي بات للتحليل الوظيفي الإلكتروني إسهاماً أكثر فاعلية وبشكل أكبر في إعداد بطاقة الوصف الوظيفي التي تكون أساساً في بناء معايير الاختيار للمورد البشري وقراره (Stone et al., 2013). كما لعب دوراً في تعريف المهام المرتبطة بالوظيفة بطريقة سريعة والتي من شأنها اختصار في مجمل خطوات عملية الاختيار (Johnson et al., 2021). وبالتالي يسهم التحليل الوظيفي الإلكتروني في منع ازدواجية المهام، فتصميم الأعمال إيجابياً سيعكس إلكترونياً صلاحيات محددة لتنفيذ تلك المهام، وبالتالي لن يكون هنالك ازدواجية عند القيام بها. كما يُحدد المهام القابلة للحوسبة، وبالتالي يسهل قياس حجم الأعباء الفعلية التي تُسند للموظفين، ما يجعل التخطيط أكثر دقة ويُمكن المنظمة من معالجة الفائض في مواردها البشرية.

السُّلبات: بالرغم من إيجابيات التكنولوجيا في تخطيط المورد البشري، فقد أثّرت سلباً في عدة جوانب، فوضعت المنظمات أمام تحديات جمة، سيما تلك التي اعتمدت على التكنولوجيا بشكل كلي. فقد وجدت تلك المنظمات نفسها مضطرة إلى مواكبتها، وإلا فإن ذلك سيؤثر سلباً في أنشطتها وإيراداتها، وبالتالي تكون المنظمات مضطرة لمواكبة التقنية حتى لو تكبدت تكاليف كبيرة. غير أن التقنية غالباً ما تُستهلك بالتقادم، وبالتالي فإن ما يُستخدم منها يُستهلك (بيزان، 2022). وبالتالي وجدت المنظمات نفسها مضطرة لتخطيط مواردها البشرية بمواصفات تضمن لها مواكبة التطور التكنولوجي، وبالتالي ستكون مضطرة لإجراء تحليل وظيفي دائم، وتحديث الوصف والتوصيف الوظيفي، ما يُشكل كلفة إضافية على المنظمة، ويضعها أمام خيارات محدودة. كما يؤدي توظيف التكنولوجيا إلى خفض فرص الحصول على الوظائف التي تستخدم تكنولوجيا معلومات مُتقدمة، فهي وظائف تحتاج إلى مواصفات محددة ما بين التأهيل المرتفع والمتنوع والمهارات العليا (حيدر، 2020). كما أن التكنولوجيا قد وضعت المنظمات أمام تحديات عند تخطيطها للمورد البشري، سيما مع اندثار عديد من الوظائف الروتينية أو ذات المهارات المتدنية (Osoba & William, 2017)، وبالتالي تضطر المنظمات لأن تبحث عن الوظائف البديلة، أو تكون مضطرة لأخذ هذا التحول بعين الاعتبار. كما أن خسارة المهارات سيما بفعل الأتمتة والحوسبة (Osoba & William, 2017) يُعد تحدياً إضافياً عند تخطيط المورد البشري، سيما أن ذلك سيحدد لاحقاً ما إن كانت المنظمة قد أضافت قيمة أم لا لمواردها البشرية. من جهة أخرى، فقد تزايد استخدام الروبوت (الإنسان الآلي) في عديد من المهن والوظائف، ما يؤثر سلباً في تحديد الطلب على القوى العاملة الاعتيادية (West, 2018) وتشير مجموعة ماكينزي - كمثال - إلى أن نحو 800 مليون شخص في العالم سيفقدون أعمالهم حتى العام 2030 بسبب التشغيل الآلي (منظمة الأمم المتحدة، 2020). وقد يؤدي التعامل الإلكتروني - بالنسبة للعاملين - إلى فقدان الاستقرار الوظيفي والشعور بالآمان، كون الآلة يُمكن أن تحل محلهم مستقبلاً (الخطيب، 2018)، وبالتالي قد يتسبب ذلك في تزايد معدل دوران العمل للموظفين الموهوبين بحثاً عن عمل أكثر استقراراً (خريس، 2011) أو تعمّد بعض الموظفين القيام بأعمال عدائية لضمان بقائهم في العمل (عبد الله، 2018). إلى جانب أن التحول نحو التكنولوجيا سيؤدي إلى تغيير في المهن التقليدية الروتينية التي سيتراجع الطلب عليها، في مقابل ارتفاع الطلب على الأيدي العاملة ذات الكفاءة الرقمية في تخصصات مختلفة جديدة كالمبرمجين والمصممين ومطوّري الأنظمة وغيرها من التطبيقات (Davies et al., 2011).

من جهة أخرى، فقد أثّرت التكنولوجيا سلباً في التحليل الوظيفي، فدفعت المنظمات للانشغال بالوصف والتوصيف الوظيفي بشكل دائم ومستمر، ودفعت المنظمات للإمعان في تحديد مواصفات الوظائف، ووصف شاغلها، ما جعل الحصول على المورد البشري أمراً صعباً نسبياً، كما أن ذلك ترتب عليه زيادة أكبر في أجور المورد البشري المطلوب. إلى جانب أن الاعتماد على النظم المُدارة ذاتياً وإشراك الموظفين في أداء جزء من مهام إدارة الموارد البشرية، قد يُشكل عائقاً في بعض الأحيان، فقد يتراخي الموظف عن إتمام المهمة المطلوبة بنفسه، ويُسندّها إلى موظف آخر أو إلى أحد مرؤوسيه، من خلال حسابه الشخصي، الأمر الذي قد يؤدي إلى تسرب كلمات المرور، ويحوّل دون تحقق السرية. من جهة أخرى، فإن استخدام عِدّة مُستخدمين للأنظمة قد يتطلب في بعض الأحيان عدة عمليات تحقّق، أو إدخال كلمات مرور متعددة، وبالتالي يُصبح النظام عبئاً على الموظف نفسه (بن دحمان، 2017) أو على المُختصين بالمنظمة عند تكرار استخراج كلمة بديلة.

مُستقبل تخطيط الموارد البشرية في العصر الرقمي: استناداً إلى رؤية الباحث التحليلية في قراءة ما سبق، ينبغي على المنظمات عند تخطيطها للمورد البشري مُستقبلاً أن تُراعي ما يلي:

1. التّغير النوعي والكمّي في القوى العاملة: وما يُصاحبه من تغيّر في وظيفة تخطيط المورد البشري نفسها، فقد أصبحت أكثر سهولة، سيّما في مراقبة التّغير في الطلب والعرض على القوى العاملة، ومتابعته، ولعلّ توظيف البرمجيات في تطوير نُظم معلومات الموارد البشرية أسهم في توفير المعلومات اللازمة لعملية التخطيط، وبالتالي سيكون الجهد المبذول نسبياً أقل من السابق، والحاجة بالطبع للعاملين في هذا المجال ستكون أقل، ما يزيد فعالية التخطيط الإلكتروني للموارد البشرية.

2. وفرة البدائل المتاحة أمام المنظمات: فالاعتماد على المورد البشري المحلي لم يُعد الخيار الوحيد، بل إنّ تباين تركيب القوى العاملة أسهم في البحث عن أفراد من خارج الحدود الجغرافية، كما أمكن التّعاقد عبر الإنترنت وبالتالي، يُمكن أن تُسند المنظمة مُهمّات إلى موظفين خارج حدود الدولة أساساً.

3. دفع المنظمات للإهتمام بالبحث والتطوير: فمواكبة التطور التقني، وتنمية مهارات العاملين وخبراتهم، أصبح ضرورة حتمية سيّما في مجال تخطيط المورد البشري، وبالتالي فإنّ مواكبة التطور النوعي والكمّي لتنقية المعلومات وأنظمتها يُساعد المنظمة في الحصول على الموارد البشرية المناسبة، فالمنظمة يجب أن تبقى في مكانة تكنولوجية تُمكنها من استقطاب الكفاءات، فلا تكون متخلفة عن سوق العمل أو تضطر إلى استقطاب مَنْ هم أقل أو أعلى تأهيلاً من مُستوى مُتطلبات الوظائف المتاحة.

4. التخطيط الاستثماري تقنياً للمورد البشري: ينبغي على المنظمات أن تُدرك عند تخطيط المورد البشري في ظل التطور التقني أنّها تستثمر في المورد البشري وليس فقط تُسد احتياجاتها، وبالتالي يتعين عليها أن تُخطط لاستقطاب مورد بشري قابل للتطور، ولا تقتصر على معالجة قضايا آنية، وبالتالي تُجد نفسها قد عزّزت مكانتها التنافسية بامتلاكها موردا بشريا غير قابل للتقليد ومواكب للتطور التكنولوجي، ومُراكم للخبرات التقنية على مدار سنوات، وتم صناعته في المنظمة نفسها.

5. التخطيط التّفاعلي المتجدد للمورد البشري: ولأنّ دورة حياة التقنية تكون نسبياً قصيرة، فإنّ استراتيجيات تخطيط المورد البشري وأساليبه ومنهجيّاته، يجب أن تكون مرنة بما يُمكن المنظمة من التفاعل معها، وإلاّ منيت المنظمة بخسائر كبيرة، فالمنظمة ستكون مُضطرة لتحديث أساليبها في دراسة البدائل، وفي التحليل الوظيفي، ودراسة بدائل التوظيف أولاً بأول.

6. إدراك الإدارة العليا لشدّة الفجوة المطاطية بين العرض والطلب على القوى العاملة: ينبغي على المنظمات أن تُدرك عند تخطيط القوى العاملة أنّها أمام تغيّر تقني في أساليب العمل، وفي نوعية الوظائف، وفي نوعية شاغليها، وبالتالي يتعين عليها أن تُعيد تصميم الوظائف في ظل الفرص البديلة، لتُكوّن بيئة جاذبة للمورد البشري المؤهل، وتستطيع الإبقاء عليه. التدرج الزمني عند مواكبة التطور: يتعين على المنظمات أن تُتدرج عند تخطيط مواردها البشرية في الاستقطاب والاستغناء والإحلال، وأن تُعالج المشكلات التي تتولد عن عمليات الاستغناء والإحلال بحكمة ووفق رؤية اقتصادية، وأن تُجهّز الخطط التنفيذية لذلك، وأن تُعد الخطط البديلة لمواجهة التحديات المتباينة، وأن تأخذ بالحسبان التّبعات التشريعية والقانونية للقرارات المُتخذة عند معالجة تلك التحديات.

8. اشتراط الحد الأدنى للتأهيل التقني: نظراً لأنّ وصف الوظائف وتوصيفها سيترتب عليه تحديد مواصفات تفرض على شاغل الوظيفة حداً أدنى من الكفاءة التكنولوجية والتطبيقية في ميدان العمل المطلوب، فإنه يتعين على المنظمات أن تكون يقظة لتحديد ذلك، وأن تكون موضوعية حتى لا تضطر للجوء إلى الاستثناءات إن كان التحليل الوظيفي غير واقعي.

9. ضرورة توظيف تقنيات ذكية لتحليل البيانات: فالتكنولوجيا تُسهم في جمع بيانات لأغراض التحليل الوظيفي بسهولة ويُسر، بما في ذلك توظيف الاستبانات والمقابلات الإلكترونية، وكذلك إشراك الموظفين وذوي العلاقة في رد المنظمة بالبيانات، ولكن تلك الخطوة ليست كافية إن لم يكن هنالك أوعية ذات مقاييس ذكية قادرة على تحليل البيانات، وتقديم مُخرجات تُساعد المنظمة على الاستفادة منها، كما أنّ إشراك الموظفين وغيرهم من أصحاب المصلحة في إدخال البيانات لا بد أن يكون مصحوباً بعمليات تُحقق واسعة، لضمان دقة البيانات وصحتها، سيّما أنّ هنالك قرارات هامة ستُتخذ وفقاً لتلك البيانات.

10. تصميم مرن ومتجدد للوظائف: بما أنّ محور ارتكاز الوظائف هو التكنولوجيا، ولأنّها تتسم بالتجدد، فإنّ تصميم الوظائف لا بد أن يتسم بالتجديد؛ حتى تتمكن المنظمة فعلياً وإجرائياً من مواكبة التطور، وأن تُغطي الوظائف بما لا يسمح بالازدواجية مع مراعاة أنّ وصف الوظائف وتوصيفها لا بد أن يتسم بمساحة من التفويض الإلكتروني، وهذا يفرض على إدارة الموارد البشرية والوحدات المختصة في المنظمة مهاماً جديدة، تضع ضمن أولوياتها إعادة النظر في تصميم الوظائف بشكل دوري، كما يتطلب النجاح في هذه المهمة مراعاة مُستجدات سوق العمل والتّغيرات التي تطرأ عليه، وما سيلحق بالمنظمة من تكاليف إضافية سواء في إعادة التصميم المتجدد للوظائف أو تكلفة الحصول على المورد البشري ذي الاختصاص المهني والتقني معاً.

11. ربط التحليل الوظيفي بجميع وظائف إدارة الموارد البشرية: تُعد بطاقة الوصف الوظيفي وتوصيفه مُرتكزاً مهماً لجميع وظائف إدارة الموارد البشرية، وعليه يتم تحديد الاحتياجات التدريبية وفقاً للمهام، ويتم تطوير مؤشرات قياس الأداء وفقاً للمهام، وكذلك تحديد الأجور، وتخطيط المورد البشري مُستقبلاً، كما تُعد مُرتكزاً لعملية التوظيف، وبالتالي فإنّ التّغيير في بطاقة التحليل الوظيفي سيُتبعه تغيّر في جميع الوظائف الأخرى. لذا، ينبغي أن تأخذ المنظمة ذلك بعين الاعتبار، وأن تُراعي تحقيق الاستفادة دونما إرباك لوظائف إدارة الموارد البشرية المذكورة آنفاً.

3.3.2 الاستقطاب والاختيار والتعيين

تُشير هذه الأدوار (الاستقطاب والاختيار والتعيين) إلى عملية التوظيف التي تُعبر عن عملية ترغيب المورد البشري المؤهل للعمل في المنظمة؛ لاختيار الأفضل من بينه وتعيينه في المنظمة بما يُحقق أهدافها (درة والصباغ، 2008). أما التوظيف الإلكتروني، فيُشار إليه بأنه عملية يتم بموجبها استخدام التقنيات الإلكترونية للتحقق من أن جميع الإجراءات الخاصة باختيار الأفراد وتعيينهم تتم وفق خطط محددة لجلب أفضل الموارد البشرية بأقل كلفة، ويعتمد على جذب المرشحين عبر الإنترنت (Malkawi, 2018). ويُشير مفهوم الاستقطاب إلى أنشطة منهجية مدروسة تهدف إلى إيجاد عدد وافر من المؤهلين لاختيار الأفضل من بينهم؛ لشغل وظائف معينة في المنظمة (الدوري وآخرون، 2010). ويكون الاستقطاب من داخل المنظمة أو من خارجها، ولكل منهما أساليب وطرق ومناهج (الحري، 2018). أما الاختيار والتعيين فيشيران إلى نشاط تكاملي يركز على البحث عن الأفراد المتميزين وتوظيفهم بما يُحقق أهداف المنظمة، بحيث يترتبان نجاح المنظمة في الأمد الطويل بنجاح هذا النشاط (بودبوس وزهمول، 2020). ويرى قريشي وآخرون (2017) أن الاستقطاب الإلكتروني هو عملية توظيف الإنترنت عند تحديد مؤهلات المرشحين وقدراتهم، وذلك بالإعلان الإلكتروني عن الشواغر، وتقديم المعلومات الخاصة عبر الوسائل الإلكترونية لجذب المورد البشري الأفضل بغض النظر عن مكانه الجغرافي، بما يُحقق سرعة في استقطاب المورد الأفضل.

وقد ذكر الحري (2018) أن الاختيار عملية تهدف إلى تصفية المرشحين الأفضل وانتقائهم، وهم بذلك الأفراد الذين توافرت فيهم متطلبات شغل الوظائف وفقاً لمعايير حدتها المنظمة مسبقاً. أما التعيين فهو عملية تسليم الموظف الذي وقع عليه الاختيار لعمله في المنظمة، ووضعه تحت التجربة إلى أن تُقرر المنظمة استمراره في العمل أو الإغفاء منه. أما الاختيار الإلكتروني فهو عملية نشر لوائح ومعلومات ذات علاقة بالمستقطبين، يتم بموجبها إجراء مقابلات إلكترونية أو إبلاغهم بتفاصيل مواعيد المقابلات بعد خطوات مسبقة، تم تنفيذها عبر الإنترنت، كاستلام طلب التوظيف الإلكتروني، والسيرة الذاتية (قريشي وآخرون، 2017).

الإيجابيات: تسمح التكنولوجيا بتحسين عملية الاستقطاب نفسها، فتمكّن المنظمة من استقطاب أصحاب المعرفة، كما تؤدي إلى خفض تكاليف الاستقطاب والسماح بالعمل في أي وقت، وتُقصّر من دورة التوظيف، ما يساعد المنظمة على تحسين صورتها (Anand & Chitra, 2017). كما تُسهّل التكنولوجيا الرقمية وتسرع من الوصول إلى المعلومات عن المرشحين للتوظيف، وتُقلّص من كلفة منخفضة، وجهد أقل، مقارنة بالطرق التقليدية (أحمد، 2022). وقد ساعدت التكنولوجيا المحوسبة على الاتصال عن بُعد وفتحت آفاقاً لاستقطاب المواهب من أماكن مختلفة في العالم، وسمحت للمستقطبين بالقيام بمهام من أي مكان (منصة مؤشر، 2020). وبالتالي فإن عملية الاستقطاب الإلكتروني باتت تنتج فُرصاً متكافئة لعدد كبير من ذوي الخبرات، الذين يتنافسون على الوظائف، وبالتالي فهي تقدم نموذجاً في عدالة الفرص المُقدمة من جهة، ومن جهة أخرى في استقطاب الأكفاء (Holm, 2012).

من جهة أخرى، حافظت التكنولوجيا الرقمية على سرية بيانات المتقدمين للوظائف، وضمنت أمن معلوماتهم، فبالإمكان إرسال ملفات التعريف أو السيرة الذاتية وتعبئة الطلبات بخصوصية تامة وعبر البريد الإلكتروني أو المواقع المُخصصة لهذا الغرض من دون كشف المعلومات أو إطلاع أي من غير المعنيين عليها (Dhamija, 2012). كما أسهمت في إحياء بعض الوظائف واستحداثها، كوظائف البحث والتطوير، ما دفع المنظمات للبحث عن كفاءات ذات مهارات واسعة (علون وآخرون، 2017). كما أنها خُفّضت من كلفة عملية الاستقطاب والاختيار بما في ذلك المقابلات والامتحانات والإعلانات، وقُلّصت الاعتماد على الأعمال الورقية (Kaur, 2015) سيما أن الأعمال الورقية تتطلب جهداً أكبر، وتستلزم عدداً أكبر من الموظفين، ويترتب على ذلك بالطبع أجوراً إضافية، إلى جانب القيمة المادية نفسها للأوراق، وكلفة حفظها وأرشفتها.

إلى جانب ما سبق، قلّص توظيف التكنولوجيا الرقمية من دورة الاستقطاب بنسبة لا تقل عن 30%، ما يُشير إلى إنجاز مهمة الاستقطاب في زمن أسرع (Dhamija, 2012). وقد أسهمت في خفض كلفة الاستقطاب، وكذلك بحث الأفراد عن الوظائف من حيث سهولة الحصول على المعلومات والاتصال، وعرض الوظائف عبر الإنترنت. (Kaur, 2015) وسمحت بإعطاء صورة وافية عن المنظمة وإتاحة المعلومات الكافية عن أنشطتها والوظائف الشاغرة على الدوام (Dhamija, 2012). في السياق ذاته، تُتيح التكنولوجيا الرقمية الفرصة للوصول إلى جمهور كبير من المرشحين المُرتقبين، وجذب ذوي الكفاءات العالية من الباحثين عن عمل وتحديد ذوي المواهب (أحمد، 2022؛ حجازي والسيد، 2021). وسمحت للمنظمات بتقديم معلومات عديدة عن أنشطتها، ورسالتها، كما يتّسم الاستقطاب الإلكتروني بالمرونة بوصفه مصدراً لجذب المواهب (أحمد، 2022). وبالتالي بات للاستقطاب الإلكتروني إسهام في إحداث تغيير ثقافي وسلوكي على مستوى المنظمة، وعلى مستوى المرشحين (Fred & Kinange, 2018).

وأخيراً، يُتيح الاستقطاب الإلكتروني توفير عدد أكبر من المرشحين، ما يجعل عملية التوظيف أكثر فاعلية، ويختصر وقت الاستقطاب، علاوةً على خفض تكاليف التوظيف (Findikli & Bayarcelik, 2015). ويعد التوظيف الإلكتروني توظيفاً أخضر صديقاً للبيئة، فيتقلّص استخدام أوراق كثيرة كما في الطريقة التقليدية عبر استخدام الطلبات الإلكترونية، فيسهم في خدمة البيئة وحمايتها من التلوث، ويُعد ذلك مقياساً لأداء المنظمة وسمعتها (Mukherjee et al., 2020).

وفي الختام، يرى الباحث أنَّ عملية التوظيف وما تمر به من مراحل كالاستقطاب والاختيار وامتحانات التوظيف والمقابلات وغيرها، هي عملية مُرهقة من جهة، وقد تجعل المنظمة عرضة لسطوة شخص أو جهة ما، أو تُتيح فُرصاً للواسطة أو أي من أشكال الفساد، وبالتالي فإنَّ الإمتثال لمنظومة الإلكترونية عند إتمام أنشطة التوظيف، يضع حداً لتلك التدخلات، ويقود إلى إجراءات أكثر شفافية ونزاهة. فتؤدي المنظومة الإلكترونية دوراً فعالاً في إثبات الفساد بطرق أكثر سهولة مقارنةً بآلياتها بالطرق التقليدية، كما يُمكنها تسريع الإجراءات الروتينية التي تُشكل بيئة خصبة لجرائم الفساد وتخطيها (العجمي، 2023). **السُّلبات:** أثر الاستقطاب الإلكتروني - على وجه الخصوص - سلباً في المنظمات، فسمح بانفتاحها بشكل كبير على أفراد غير مؤهلين، ما أعاق عملية الفرز والاختيار لاحقاً، كما يُحمل المنظمة تكاليف إضافية لاضطرارها لشراء برمجيات مُخصصة في معالجة الأعداد الهائلة من المُتقدمين، إلى جانب أنَّ بعض المُتقدمين لا يتحلون بالجِدَّة الكافية، وقد تواجه المنظمة نتيجة هذا الكم الكبير من البيانات، مُشكلات في المحافظة على سريَّة بيانات المُتقدمين وخصوصيتها، التي قد تتعرض للتسريب أو الاختراق، أو الإهمال، ما قد يُحمل المنظمة تبعات قانونية (لقراب، 2017). وإلى جانب ما سبق، فقد يترتب على بعض الأنشطة، سيِّما عند الاستقطاب الإلكتروني، تقديم معلومات غير مؤكدة، فقد يتقدم البعض بمعلومات غير شفافة، أو مُتقدمة، كما أنَّ تدقيق المهارات وتصفية المعلومات، التي تُرد بكميات هائلة، قد تكون مشكلة تواجه المنظمة وتستغرق وقتاً طويلاً، سيِّما عند اختيار معايير المفاضلة بين المُتقدمين؛ نظراً لوفرة البيانات وضخامتها (أحمد، 2022). ونظراً لغياب التواصل المباشر في المكان نفسه، يرى البعض أنَّ عملية الاختيار وما يترتب عليها من امتحانات ومقابلات، قد تُنطوي على خداع عندما تُنفَّذ إلكترونياً. كما يصف أحمد (2022) بعض المناطق الجغرافية بأنَّها قد تكون غير متصلة بتكنولوجيا الإنترنت على الدوام، أو لا تُتاح فيها مصادر الطاقة الكهربائية، ما يحول دون مشاركة البعض في البحث عن العمل. وقد يؤدي استهداف المنظمات لاستقطاب المرشحين من أماكن مختلفة إلى تنامي مُعدلات البطالة في المناطق المجاورة لها إن لم تتوافر فيها الكفاءات المطلوبة.

مُستقبل الاستقطاب والاختيار والتعيين في العصر الرقمي: وفق قراءة ما سبق وتحليله، يتعين على المنظمات أن تُراعي ما يلي:

1. التركيز على التنوع التكنولوجي عند استقطاب المواهب: تُراعي المنظمات الناجحة استقطاب ذوي المواهب من مختلف المجتمعات والثقافات، فيُمكن أن تُحتضن فريقاً مُتنوعاً من حيث الأعراق والجنس، والفئات العمرية، والخلفية الثقافية. كما عليها أن تُراعي التنوع التكنولوجي عند استقطاب المواهب، وعند توظيف الذكاء الاصطناعي والتقنيات الرقمية الأخرى، فتُحقق استفادة قصوى من مُؤهلات المُستقطبين دون الانتقاص من حق التخصيص للمُستقطب. بمعنى أن تكون المعارف والمهارات التكنولوجية معيار المفاضلة وليس سبب الاختيار عندما تكون وظيفة مُتممة لأحد التخصيصات المهنية.
2. التوظيف وفق أسلوب العمل الهجين: يسمح هذا الأسلوب للأفراد بأداء مهامهم من المنزل وبالتواجد في مكان العمل على حدٍّ سواء، كأن يعمل الموظف نصف أيام الأسبوع من المنزل في وقت العمل الرسمي، والنصف الآخر بتواجد فعلياً في بيئة العمل، ما يُعطي مرونة للموظفين ويُخفِّض من النفقات التشغيلية، ويُخفِّض عدد الموظفين في مكان العمل ويسمح بتناوب الموظفين على المكان نفسه، مع مراعاة تهيئة المنزل للعمل عن بُعد؛ لأنه قد لا يسمح أسلوب العمل هذا بالتوازن بين الحياة الشخصية وحياة العمل، كما أنه قد لا يكون مناسباً لبعض الأعمال التي تتطلب تواجداً مباشراً للموظفين في مكان العمل.
3. القابلية لتحمل تبعات سياسات التوظيف الإلكتروني: ما بين مصلحة المنظمة والقيود المفروضة عليها هنالك مساحة تُناور فيها المنظمات عند رسم سياسات التوظيف، فعلياً الموازنة بين المزايا المُتحققة والقيود المفروضة، فمثلاً، تُقرض بعض الحكومات على الشركات أن تُوظف نسبة مُحددة من القوة العاملة من جنسية الدولة نفسها، وبالتالي رُبما تجد الشركة المواهب من جنسية أخرى، ولكن تُضطر إما لتوظيف أفراد من مواطني الدولة لتخطي تلك القيود، أو أن تبحث عن قوى عاملة إضافية بجودة عالية وبكُلفة أقل، وبالتالي فإنَّ القيود التي تُعصِف بالشركات قد تقودها لرسم سياسات توظيف قد لا تُمكنها من تحقيق أقصى منفعة من توظيف التكنولوجيا في عمليات الاستقطاب والاختيار والتعيين.

3.3.3 التدريب والتطوير

التدريب هو سلسلة أنشطة تسعى إلى إكساب الأفراد معارف وخبرات جديدة، كما يهدف إلى تغيير سلوكهم ليؤدي إلى زيادة الأداء الوظيفي وتحسينه (Armstrong, 2007). لذلك فهو نشاط إداري يشمل عدة عمليات مخططة تُرَوُّ لتحقيق أهداف مُحددة بما في ذلك تنمية قدرات الأفراد بما يُوائم مُستجدات بيئة العمل وبما يُمكنهم -من ناحية أخرى- من أداء مهامهم بكفاءة وفعالية وفقاً لمتطلبات العمل (بودبوس وزهمول، 2020). وأشارت دراسة الحريري (2018) إلى أنَّ التدريب يُعد بمثابة عملية إستشارية للموارد البشرية، فهو يُشكِّل -لاحقاً- عائد للمنظمة، ويزيد من مخرجاتها ويُحسِّن نوعيتها، سيِّما وأنه يهدف إلى تنمية مهارات الأفراد وقدراتهم الإدارية والفنية والسلوكية. أما التطوير فيختلف عن التدريب في كونه يُعنى بمنح معرفة ومهارة وخبرة تُمكن الأفراد من القيام بأدوار وظيفية ومسؤوليات في مستويات أعلى وذات مُتطلبات أكبر (كشواي، 2006).

ويمكن التفرقة بين التدريب والتطوير من عدة أوجه (بصبوص، 2023؛ الفراج، 2014؛ عباس، 2006)، فمن حيث التركيز، فإن التدريب يركز، في المقام الأول، على تعزيز مهارات بعينها، أو معارف لازمة للوظيفة الحالية. وهذا غالباً ما يُوجّه نحو المهام، ويهدف إلى تحسين الأداء على المدى القصير. أما التطوير فيركّز على النمو الشامل للموظف، وإعداده للأدوار والمسؤوليات المستقبلية، فالأمر يتعلق أكثر بالنمو الشخصي والمهني.

أما من حيث الإطار الزمني، فالتدريب عادةً ما يكون قصير المدى، ويتم إجراؤه - غالباً - في شكل مُنظَّم، مثل ورش العمل أو الندوات. أما التطوير فهو عملية تمتد لأمد طويل، ويتضمن فرص التعلم المستمر مثل التوجيه أو التدريب أو التعليم المُتقدِّم. ومن حيث المحتوى، فالتدريب يتضمن - عادة - مهارات تقنية أو معرفية محددة تتعلق بالوظيفة. أما التطوير فيشمل موضوعات أوسع كالمهارات القيادية، والتفكير الاستراتيجي، والتنمية الشخصية. وأخيراً، من حيث الحصيلة؛ فالتدريب يهدف لتحسين الأداء الوظيفي والكفاءة بشكل فوري. أما التطوير فيهدف إلى إعداد الموظفين لمواجهة التحديات والأدوار المستقبلية داخل المنظمة.

من جهة أخرى، يُشير التدريب الإلكتروني إلى إكساب المهارات والمعارف وتغيير الاتجاهات لدى الأفراد تماماً كما في التدريب التقليدي ولكن خلال فترة زمنية أقصر بكثير، ويعتمد في تحقيق ذلك على التكنولوجيا الرقمية التي تتيح الفرصة للتعلم الذاتي وعبر وسائل مختلفة، ويمكن أن يكون التدريب الإلكتروني متزامناً أي يحتاج إلى وجود المُدرِّب والمُتدرب في نفس الوقت، أو غير المتزامن، فلا يشترط وجودهما معاً في الوقت نفسه (بودبوس وزهمول، 2020). وعرفه عبد المعطي وزارع (2012) بأنه عملية يتم بموجبها تهيئة مناخ تفاعلي يعتمد على تطبيقات الحاسب الآلي والوسائط المتعددة، فتمكّن المُتدرب من الانخراط بنجاح في العملية التدريبية ويتفاعل مع مصادرها في أقصر وقت ممكن وبجهد أقل، وبأعلى جودة، وذلك دون قيود زمنية أو مكانية. وهو نشاط يُعطي حزمة تطبيقات واسعة عبر الإنترنت (بوخاري ولقرب، 2017). فيشمل تقديم محتوى تعليمي عبر الإنترنت باستخدام صفوف افتراضية وتعاون رقمي واستخدام أدوات تفاعلية كالفيديو والاتصال التفاعلي (Swaroop, 2012).

الإيجابيات: أسهمت التكنولوجيا الرقمية في تحقيق أهداف التدريب بجهد أقل ومستويات خبرة أعلى، كما أن عملية التدريب باتت أقل تقييداً بحدود الزمان والمكان، ويمكن تنفيذ التدريب في أي مكان طالما توافر الحاسوب والإنترنت (علون وآخرون، 2017). سيّما أن التدريب الإلكتروني يفسح المجال أمام المتدرب في تحديد وقت التدريب المناسب واختياره وفقاً لظروف عمله، كما يُتيح الفرصة في تخطي أية أنشطة تدريبية يعرفها المتدرب (العيسى والعمران، 2021).

كما أسهم التدريب الإلكتروني في الحفاظ على وقت الموظفين، فبالإمكان المشاركة في التدريب دون الحاجة إلى الانتقال إلى مكان آخر، كما يخفض من كلفة السفر، وفي نفقات التدريب التشغيلية كطباعة المواد التدريبية وتقديمها وإنتاجها (العيسى والعمران، 2021). وبالتالي رفعت كفاءة الموارد البشرية، ما جعلها أكثر وعياً وتعلماً (علون وآخرون، 2017). وبالتالي حفّز التدريب الإلكتروني على تصفح الإنترنت بشكل دائم للبحث عن معلومات إضافية حول موضوعات التدريب المُستهدفة (العيسى والعمران، 2021). ولذلك فإن المنظمات التي حرصت على تطوير كفاءة العاملين فيها قد اهتمت بالتدريب الإلكتروني نظراً لتقدم المهارات المكتسبة نسبياً وصغر دورتها الزمنية (علون وآخرون، 2017).

السلبات: بالرغم مما يُحققه التدريب الإلكتروني من مزايا، فإن تسارع وتيرة التغيير في البيئة التقنية جعل المهارات المكتسبة سريعة التقادم، ما يفرض على المورد البشري ضرورة استمرار التدريب لتطوير الكفاءات وتنمية المهارات بشكل دائم (بوسدره وآخرون، 2018). وبالتالي فإن مواكبة التكنولوجيا في حقول اختصاص متعددة، قد تفرض على المنظمة تدريباً مستمراً، وقد لا يكون ذلك مُحبباً لدى جميع الموظفين (Shilpa & Gopal, 2019). بالرغم من ذلك، فإن تراجع مُعدّلات الأخطاء -بفعل التكنولوجيا الذكية- يؤدي إلى غياب فرص التعلم من الأخطاء (حمدي، 2008). من جهة أخرى، رُبما يتعذر في التدريب الإلكتروني تطبيق بعض المهارات المراد تعلمها في بعض البرامج التدريبية، كما يتعذر تقويم المتدربين لصعوبة إيصال أفكار المُدرِّب إليهم من خلال المقرر الإلكتروني وغياب التفاعل المباشر في بيئة تدريبية مادية (بوحلفاية، 2022). كما يحول التدريب الإلكتروني دون التدريب التفاعلي الذي له إسهام كبير في تنشيط المتدربين (الموزان، 2015)، وبالتالي فإن مع تنامي التدريب الإلكتروني وتزايد اعتماد المنظمة عليه؛ فإن علاج المشكلات غير المرئية يصبح أمراً مُتعذراً لغياب الحضور المباشر للمُدرِّب في مكان التدريب المادي (أبو صالح، 2019)، إلى جانب أن المُتدربين قد يشعرون بالملل والتثقل من التدريب بسبب غياب الأنشطة الجماعية وروح الفريق، وبالتالي قد ينتاب المُتدرب شعور بالعزلة عن المُدرِّب أو الأقران، ما يُسبب شعوراً بالملل، سيّما مع تزايد الاعتماد على التكنولوجيا في التدريب بشكل دائم (بوحلفاية، 2022). ويرى الباحث، أن هنالك أنشطة مختلفة، سيّما في التدريب، يُحرّم منها المتدربون، كالتعلم من الأقران، وتبادل الخبرات، وغيرها من الأنشطة غير المُخطّط لها ولكنها مُفيدة بشكل غير مباشر، أو رُبما تتحقق الفائدة لأنشطة ومهام أخرى في المنظمة أو على المستوى الشخصي. من جهة أخرى، فإن الاعتماد الكلي على التكنولوجيا قد يضر بعض المهارات الحياتية الأساسية نتيجة عدم توظيفها أو الاستفادة منها في بيئة العمل الإلكترونية، كما يؤدي إلى تراجع المهارات التقليدية عند اعتماد الفرد كلياً على التكنولوجيا في أداء المهام اليومية (بو بكر، 2023)، وقد يؤدي ذلك إلى تحوّل المورد البشري إلى مُجرّد مُستخدم للأجهزة والبرامج والمُعدّات بعيداً عن كيفية تصنيعها، وفهم خُطواتها، فمثلاً المحاسب يصبح مُجرّد مُدخّل بيانات، والمهندس يُعاوَنه الحاسوب، والطبيب بات يُستعاض عنه بتكنولوجيا وروبوت (الجعفري، 2023).

أما من جهة المُدرِّب، فيتعذر عليه متابعة المتدرب النشط أو غير النشط أو ذلك الذي يظهر عليه الملل (بوحلفاية، 2022)، ورُبما يكون ذلك لغياب التواصل بلغة الجسد وقرءاءة انعكاس ذلك على الوجوه والحركات الأخرى ك لغة الجسد التي تعبر عن

ردود أفعال المتدربين. ويرى البعض أنَّ فرض التكنولوجيا الرقمية وانتشارها في إدارة المَورد البشري قد وضع المنظمات أمام تحديات تُضطرُّها لإستحداث برامج تدريبية تهدف إلى تعويض ما يُفقد من المهارات الأدائية، إلى جانب تراجع المعارف نتيجة النمطية في بعض الوظائف، وصولاً إلى اضمحلال مهارات التفكير (الحسن، 2019)، سيِّماً أنَّ النمذجة أو النمطية في العمل -التي تفرضها البيئة الإلكترونية على المَورد البشري- تجعله وكأنَّه يعمل في قالب، وبالتالي يحتاج لأنشطة تدريبية مستمرة، تُعالج هذه الحالة أو تُخرجه من هذا القالب (بو بكر، 2023). ونظراً لتوقع عديد من المنظمات فقدان أعداد مُتزايدة من الموظفين لأعمالهم بسبب عدم التدريب الكافي على استخدامات التكنولوجيا؛ فإنَّ ذلك ينعكس عليهم بشعور القلق خَشية ألا يمتلكوا المهارات المطلوبة للمحافظة على أعمالهم، أو لعدم تدريبهم للبقاء في أعمالهم (منظمة الأمم المتحدة، 2020). ويرى الباحث أنَّ إقدام المنظمات على التَّحول الرقمي قد يُمكنها من امتلاك التقنية المادية والبرمجية وتوظيفها سريعاً، إلا أنَّ إعداد الأفراد لتشغيل تلك التقنية قد يكون عائقاً إنَّ لم يكن التدريب وإدخال التقنية في حَالَة توافق كامل، وبالتالي قد تُواجه المنظمات تحدياً جديداً في تأهيل الموظفين سواء من الناحية المادية، أو الوقت المُخصص للتدريب أو حتى في إستجابة الأفراد للتأهيل ونجاحهم في تحقيق طُموحات المنظمة والبقاء عند حُسْن ظن إدارتها في اكتساب المهارات المرغوبة في الوقت المطلوب.

مُستقبل التدريب والتطوير والتعلم التنظيمي في العصر الرقمي: استخلاصاً من قراءتنا للإيجابيات والسلبيات المُحيطة بالتدريب الإلكتروني، يتعيَّن على المنظمة – لتحقيق التدريب الإلكتروني الفعال- أن تأخذ ما يلي بالحياسان:

1. التباين بين أهداف الأفراد وأهداف المنظمة: يُتيح التدريب الإلكتروني فرصاً لاكتساب المهارات في فترات أقصر، ويُسهِّم في تنامي مهارات الأفراد ورفع كفاءتهم بشكل كبير، وبالتالي قد يُؤثر في وتيرة تحقيق الأفراد لأهدافهم مقارنة بتحقيق أهداف المنظمة، سيِّماً أنَّ تحقيق أهداف المنظمة غالباً ما يستغرق وقتاً أطول، في الوقت الذي يُمكن للأفراد أن يُحقِّقوا أهدافهم بشكل أسرع، وهذا بالطبع يفرض تحدياً جديداً ربَّما يُفوّد الأفراد للبحث عن فرص في أماكن أخرى، وبالتالي يتزايد معدل دوران العمل.
2. التحفيز الدائم وتفقُّو الأفراد: فالتدريب الإلكتروني يعتمد على الأفراد أنفسهم بشكل مباشر، وحتى يتدرب الموظفون ويشاركوا في الأنشطة الإلكترونية، فلا بد أن يُصاحب هذا التدريب تحفيز إيجابي أو سلبي، فغياب التحفيز قد لا يُحقق هدف التدريب، وبالتالي، ومع مراعاة سلبيات التحفيز السلبي؛ فإنَّ المنظمة ستجد نفسها مُضطرة للتطوير في ممارسات المَوارد البشرية حتى يُكون التدريب الإلكتروني أكثر نفعاً. من جهةٍ أخرى، فإنَّ امتلاك الأفراد مهارات مُتنامية قد يُفوّد إلى امتلاك معارف وخبرات ربَّما تفوق مستوى القيادة، سيِّماً في حقل الاختصاص الدقيق، وتتزايد خطورة ذلك عند انشغال القيادة في مهام متعددة، يتعذر معها متابعة الموظفين في ميادين الاختصاص الدقيق، وبالتالي – ومع ممارسة القيادة عن بُعد - يخشى هنا أن ينشأ نمط القيادة التَّرسُّلية (الفوضوية) التي تنسم بمحدودية التنبؤ؛ لأنَّ القائد غالباً ما يُعَيِّز رَأْيَه، كما أنَّ هذا النمط القيادي ينسم بضَعْف التنظيم الرَّسمي، وتكون احتمالية الصِّراع فيه مرتفعة مع تنامي الشعور بالتوتر والقلق نتيجة عدم القدرة على التنبؤ.
3. تنامي تكاليف التدريب المستمر: بالرغم من أنَّ التدريب الإلكتروني يُحقق وفرة في التكاليف بشكل ملموس، فإنَّ التدريب في البيئة الإلكترونية ومواكبة التطور التقني يتطلب تدريباً على نحو مستمر، وبالتالي فلا بد أن يُصاحب التدريب مُحفِّزات للأفراد حتى يستمروا في التدريب بنجاح، والاستمرار في التدريب قد يُحمِّل المنظمة تكاليف إضافية إذا ما عَزَمَت على مواكبة التطور، ويتطلب تخصيصها موازنات لذلك. كما أنَّ برامج التدريب الإلكتروني كُلِّما اتجهت نحو التخصصات الأدق، كانت تكلفتها أعلى، وبالتالي فعلى المنظمة أن تُوازن بين تكاليف التدريب الإلكتروني مُقارنةً بالتقليدي والتي تبدو منخفضة –في برامجها التعريفية أو العامة- إلا أنَّها تكون أكثر كلفة عند الوُلوغ في تخصصات دقيقة. وينبغي على المنظمة، من جهةٍ أخرى، أن تُراعي تنامي كلفة استمرار التدريب، سيِّماً أن كان خلال أوقات العمل، أو تُحسب فترة تنفيذه ساعات عمل، فإنَّ التَّكَلُّف هنا ستكون مُتزايدة على المنظمة نفسها. وأخيراً، فقد لا يُلقى الموظفون بالاً للتدريب الإلكتروني عند مُقارنته الوقت المُستنفذ فيه مع تكاليف الفرص البديلة، سيِّماً إنَّ أُتيح لهم فرص عمل إضافية بمقابل خارج أوقات العمل الرَّسمي.
4. التدريب التقليدي لا بدَّ منه: حتى لا تُسهِّم البيئة الرقمية في إعادة قولبة الأفراد وكأنهم أكواد برمجية في أحد البرامج المُحسوبة – تماماً كما كانت نظريات الإدارة التقليدية، التي ترى العامل آلة- فإنَّ التدريب التقليدي لا بدَّ أن يكون قائماً ليستفيد الموظفون من مهارات أقرانهم، ولضمان التفاعل وتحقيق أهداف التدريب الجماعية، وضمان تفرُّغ الموظف للتدريب وعدم انشغاله بأعمال وإنَّ كانت يسيرة خلال فترة التدريب قد تؤثر في الإنباه أو تُؤدي للتشتت. فالتدريب الإلكتروني قد يَحرم الموظفين من فرص التعلم من أقرانهم، كما يَحرمهم من التَّفاعل الحي، الذي يتم فيه تمثيل الأدوار، والتَّصفيق، واللعب، والتعبير عن المشاعر المختلفة كالضحك، والخجل، والجُراة، والنقاش، وإبداء الرأي والدفاع عنه، والانسحاب، والاعتذار، والتَّعلم من الأخطاء، وخوض التَّحدي، وبالتالي فإنَّ مُعالجة بعض القضايا -سيِّماً تلك المُتولَّدة عن استخدام التكنولوجيا نفسها- لا بدَّ أن تتم وفق تفاعل مُباشر، وبالتالي فإنَّ عقد بعض البرامج التدريبية التقليدية بطرق مُبتكرة وأساليب حديثة خَلَّاقة، لا بدَّ أن يتم، وأن تُراعي المنظمة أن تشمل تلك البرامج مَواردها البشريَّة التي تعمل عن بُعد للمشاركة في التدريب في أوقات مختلفة؛ لما لذلك من أثر في زيادة ولاء الموظفين، مع مُراعاة ما يترتب على ذلك من تكاليف إضافية كالسفر ونحو ذلك.

3.3.4 إدارة الأداء وتقويمه

يُشير تقويم الأداء إلى عملية شاملة تهدف إلى تحليل أداء العاملين ومُسالكهم، وتقويمه، وذلك بهدف قياس مدى صلاحية الأفراد وكفاءتهم للقيام بمهامهم الوظيفية الحالية، ومدى تحمُّلهم للمسؤولية حيالها، وإمكانية تقلُّدِهم مناصب أعلى مُستقبلاً (القحطاني، 2015). أما جميل (2015) فيرى أنَّه نشاط يهدف إلى قياس أداء الأفراد بغرض الكشف عن نقاط القوة والضعف وما يترتب على ذلك من إيجابيات وسلبيات تنعكس على إنتاجية الفرد، والكشف عن مدى جودة أدائه في المُستويات الإدارية في المنظمة. أما عملية إدارة الأداء، فهي عملية تُصمَّم للربط بين أهداف الأفراد وأهداف المنظمة، فيُمكن أن تتناغم تلك الأهداف قدر المُستطاع، فعند تحقيق الأفراد لأهدافهم وتحفيزهم لذلك؛ فإنَّهم سيُقدِّمون مستوى أداء أعلى وبذلك يُحققون أهداف المنظمة (كشواي، 2006). ويُعد تقويم الأداء الإلكتروني وظيفة أساسية حيث ذكر (Ganeshan and Vethivajan 2020) أنَّ تقويم الأداء الإلكتروني هو استخدام برمجيات لقياس أداء الموظف بدقة، ليساعد المنظمة للكشف عن مواطن ضعفه ومعالجتها، وتقديم مقترحات لتحسين أداء الموظف في تلك النقاط وزيادته. وقد أشار (Nenwani and Raj 2013) في هذا السياق إلى أنَّه النظام الذي يعتمد على الشبكات الإلكترونية، كشبكة الويب عند تقويم فعالية مهارات الأفراد وقياس أداءهم الوظيفي.

الإيجابيات: تُحقق عملية تقويم الأداء إلكترونياً عدة مزايا للمنظمة والأفراد، فتُسهم التكنولوجيا الرقمية في زيادة كفاءة أداء المنظمة ورفدها بما تحتاج من أعداد وتخصصات؛ ليمكِّنها من إنجاز خططها في الوقت المناسب (Malkawi, 2018). كما تزيد كفاءة عمل الموظفين وتنمي إنتاجيتهم، لتمكِّنهم من أداء مهامهم بدقة وسرعة، وتقديم المعلومات في الوقت المناسب (حيدر، 2020). وتُسهم التكنولوجيا الرقمية في زيادة قدرة الأفراد على أداء مهام متنوعة ومُترابطة، تزيد إنتاجيتهم -على مستوى مُخرجات الأعمال- وتزيد قدرة المديرين على التَّواصل مع الموظفين، وبين الموظفين وزملائهم (Aral et al., 2012). من جهة أخرى، أدى توظيف التكنولوجيا في إدارة المورد البشري إلى تقليص حجم المعلومات التي تحتاجها المنظمة وسهولة مرورها عبر مستويات تنظيمية مختلفة عند اتخاذ القرار، ما جعل اتخاذ القرار عملية سهلة، وتتم في وقت قياسي، وقد أسهمت الشبكات الإلكترونية في سهولة تدفق المعلومات وانسيابية القرارات المُتخذة، ما ساعد المديرين على التحرر من الأعباء الروتينية والتركيز على المهام الإشرافية، كالخطيط واتخاذ القرار (الحميري وبيريس، 2020)، فالقرارات الرشيده السَّلسة على مُستوى المنظمة وبين المُستويات التنظيمية أحد أبرز مؤشرات قياس الأداء في المنظمة. وبالتالي ساعدت المُنظمات في اتخاذ قرارات مهمة في التَّوقيت المناسب، وذلك بسبب خفض كلفة نقل البيانات والمعلومات وسرعة الحصول عليها وسهولتها (حيدر، 2020). كما أنَّ التكنولوجيا الرقمية تُسهل اتخاذ القرارات الإجرائية ذات الصلة بالموارد البشرية وتُسرعها، وتساعد في أتمتة معلومات الموظفين (Shah et al., 2020). وقد أدت إلى سهولة الرقابة على أداء الأفراد وضمان تنفيذ أعمالهم وفق معايير مُحددة مُسبقاً وبطرق صحيحة، وبالتالي ينعكس ذلك إيجاباً على الحدِّ من الفساد (Barasa, 2020). وأخيراً، أسهمت التكنولوجيا الرقمية في خفض تكاليف التشغيل، وقللت خطر المفاجآت، وخَفَضت وقت إنجاز المهام (الحميري وبيريس، 2020). ويرى الباحث أنَّ توظيف التكنولوجيا الرقمية يُسهم في توثيق الأعمال المُنجزة على مُستوى الفرد، وأرشفتها، فيُسهل تحليل الإنجازات، وقياسها مع ربطها بمُنغِّيرات الزمن والنوع، ويُمكن للتكنولوجيا الرقمية أن تحدد عبء العمل، وتقيس إنتاجية الأفراد، وتطوِّر مؤشرات دقيقة لقياس الأداء.

السَّلبات: قد تتسبب التكنولوجيا بأضرار جسيمة، تنعكس على أداء الموظفين، فيُمكن أن تؤدي إلى تراجع مُستوى المهارة لدى العاملين، ما يؤدي إلى انخفاض الإنتاجية (منظمة الأمم المتحدة، 2020) سبباً إذا اعتاد الموظف على القيام بأعمال مُحددة بطريقة روتينية مُبرمجة، كما تتسبب في خفض جودة أداء إدارة الموارد البشرية والقيام بمهامها -على النحو الأمثل- وذلك لنقل المديرين جزءاً من مهامهم في إطار تفويض الصلاحيات -إلكترونياً- إلى مستويات إدارية أقل (أبو العينين، 2019)، وتتعاظم تلك الآثار سبباً عندما يتجاهل تقويم الأداء، أو لا يأخذ بالإعتبار تأثيراتها السَّلبية في الأداء عند قياس أداء الموظفين أو تقويمهم. فمثلاً، تؤثر التكنولوجيا في المورد البشري وتؤدي إلى فقدان الانتباه أو تشتتته، كما تؤثر سلباً في القدرة على التركيز والتفكير العميق (عمون، 2023) وجميعها مؤثرات سلبية يُمكن أن تنعكس على الأداء دونما إدراك أنَّ مُسببها الرئيس كان ناتجاً عن توظيف التكنولوجيا الرقمية على وجه الخصوص. ويُمكن أن تؤثر في أداء الأفراد نتيجة اللهو وإضاعة الوقت، فتُصبح الألعاب، ومواقع التواصل الاجتماعي، والإعلانات، وتصفُّح الفيس بوك وغيرها وكأنَّها جزء أساسي من وقت العمل (فوزي، 2019). وأخيراً، ينبغي أن ندرك أنَّ تطبيق الإدارة الإلكترونية في وظائف إدارة الموارد البشرية يُخد من احتكاك الموظفين ببعضهم البعض، وبالتالي يؤثر ذلك سلباً في العلاقات الإنسانية فيما بينهم (الخطيب، 2018). ومن أبرز تلك الانعكاسات ضعف التفاعل والعلاقات بين الموظفين داخل المنظمة الواحدة، واعتماد التواصل بينهم عبر الوسائل التقنية، كالبريد الإلكتروني والرسائل النصية والأجهزة المحمولة (منصة مؤشر، 2020)، إلى جانب العزلة الاجتماعية والتباعد الاجتماعي (فوزي، 2019)، وجميعها عوامل تنعكس سلباً على الأداء الوظيفي.

مستقبل تقويم الأداء في العصر الرقمي وإدارته: نظراً لأنَّ العوامل المؤثرة في عملية تقويم الأداء مُتعدِّدة، إلى جانب تأثير التكنولوجيا الرقمية، فإنَّ المنظمات تواجه تحديات مختلفة عند تقويم أداء العاملين والأداء التنظيمي على حدِّ سواء، لذلك فعليها أن تُواجه بعض تلك التحديات من خلال ما يلي:

1. توظيف أساليب متنوعة ومتقدمة في تقويم الأداء: يتطلب من المنظمة أن تستخدم أساليب متقدمة في عملية تقويم الأداء، تتناسب مع طبيعة الأعمال والمهام التي تؤدي عبر الوسائط التكنولوجية، سيما أن وتيرة التغيير في المهام مرتفعة، مقارنة بالمهام التقليدية. كما يتعين عليها أن تراعي حداثة أساليب التقويم، وإمكانية الاستفادة منها، ليس في قياس الأداء فحسب وإنما في تحليل الأداء، وفق منظومة تسمح بإصدار تقارير ومؤشرات ذكية توضح جوانب التميز والقصور في الأداء على مستوى الأفراد، والوحدة التنظيمية، والمهنة، والمنظمة ككل، وبالتالي يمكن توظيفها بسهولة لتستفيد من مخرجاتها جهات مختلفة في المنظمة كإدارة التدريب، وعند الترقيات، ولصرف المكافآت، ولغايات الاستقطاب لاحقاً، ولأي جهة أو إدارة أخرى.
2. التقويم الشامل للمهارات كافة: تؤثر التكنولوجيا الرقمية بتفاوت في المهارات، فبعضها يتأثر إيجاباً من حيث تنميتها وتطويرها، والبعض الآخر قد يندثر بفعل التكنولوجيا الرقمية كالمهارات الأدائية والحياتية، لذلك؛ ينبغي عند تقويم الأداء عدم إغفال التراجع في المهارات الحياتية والأدائية بجانب تقويم التقدم في المهارات التخصصية والمهنية، وتقديم التوصيات اللازمة لعلاج التراجع فيها. كما ينبغي عند تقويم الأداء دراسة المؤثرات العكسية للتكنولوجيا الرقمية في الأداء، كتشتت الانتباه، والأمراض المهنية، لذلك ينبغي تحليل مسببات قصور الأداء، وما إن كانت ناتجة عن الموظف نفسه أو عن البيئة التي يعمل بها، وأثرت بشكل مباشر أو غير مباشر في الأداء.
3. استخدام مقاييس متعددة وتحليلية عند تقويم الأداء: ينبغي عند تقويم الأداء في البيئة الإلكترونية مراعاة بطاقة الوصف والتوصيف الوظيفي التي تشمل المهام الأكثر ثباتاً، والمهام المتغيرة أو المتجددة، كما يتطلب مراعاة شمول عملية التقويم للجهات المختصة، فمثلاً تقويم الأداء وفق نموذج 360 درجة يتطلب أن يكون للمستفيدين من الخدمة دور في تقويم جودة أداء مقدم الخدمة، ويتم الحكم في تقويم الأداء وفق إجراءات محوسبة، وبالتالي فإن جوانب التفاعل الشخصي تبقى إلى حد ما محدودة، وهي غالباً ما تكون جزءاً مهماً من عملية التقويم.
4. تطوير منظومة التقويم الإلكتروني وتحديثها: لتحقيق عملية تقويم الأداء الاستفادة القصوى من التكنولوجيا، فينبغي تقويم تأثير البيئة التقنية نفسها في الأداء، فزيادة كفاءة الموظفين وزيادة إنتاجيتهم، وإنجاز المهام بسرعة وغيرها من المزايا، فلا بد أن تتوافق مع متطلبات مختلفة، تمكن الموظفين من إتمام العمل اللواري توقعات الإدارة، وبالتالي لا بد أن تُعطى مساحة مناسبة في عملية التقويم - ما بين جمود التقويم الآلي وتباين موضوعية التدخل البشري - للمسؤولين في التقويم.
5. شمول عملية التقويم وتعدد أبعادها: بما أن مستقبل الوظائف سيتضمن تعامل الموظف مع عدد من المهام المتغيرة والمتجددة، وتجدد في بطاقات الوصف الوظيفي، فإن عملية تقويم الأداء ينبغي أن تتضمن أبعاداً ومؤشرات تبقى متباعدة ومتعددة، وبالتالي فإنها تحتاج إلى مقاييس مختلفة، يتعين أن تبقى هذه المقاييس محدثة وواضحة، ضمن منظومة لتقويم الأداء، قابلة للتطور بمرونة، ومع تنفيذ الجزء الأكبر من المهام إلكترونياً، فإن عملية التقويم أو قياس الإنتاجية والإنجاز يمكن أن يحتسب بسهولة ويسر، ويتم توثيق الإنجازات وفق متغيري الزمان والمكان.
6. التدريب المستمر لغايات التقويم وتطوير الأدلة الإرشادية: تحتاج عملية تقويم الأداء في البيئة الإلكترونية إلى تطوير مستمر، سيما أن الوظائف تتغير والمهام تختلف، وبالتالي فإن ثمة تغييرات يجب أن تتم على الأدلة الإرشادية والأنظمة المصاحبة لها، وبالرغم من أن هذه المهمة قد تُسهل في خفض المهام في جانب، فإنها تُضيف مهاماً جديدة، تشمل مراجعة الأنظمة والأدلة الإرشادية، وتحديثها على الدوام.

3.3.5 الأجور والتعويضات

تمثل الأجور والتعويضات المقابل الذي يحصل عليه الفرد جزاء قيامه بعمل أو وظيفة ما في المنظمة (درة والصباغ، 2008). ويُعد تطوير نظام الأجور والتعويضات وإدارته أحد المهام الأساسية المناطة بإدارة الموارد البشرية، سيما أنها - أي الأجور - تمثل جزءاً من كلفة الإنتاج، وتُصنف مدى قدرة المنظمة على استقطاب العاملين، ومدى قدرتها على تحديد ربحيتها واستمرارها (القحطاني، 2015). إلى جانب أنها تكون على وجهين؛ التعويضات المباشرة، وهي التي تجعل من الوظيفة مصدراً اقتصادياً لكل عامل، وتتضمن ما يحصل عليه من أجور وامتيازات، ورواتب، وتُعد المصدر الأهم لجذب الأفراد للعمل وتحفيزهم لتقديم الجهد المطلوب لأداء المهام. أما التعويض غير المباشر، فيتمثل بالمزايا والمنافع التي تقدمها المنظمة لتعزيز ولاء الموظف وانتمائه للمنظمة. وقد أشار بودبوس وز همول (2020) إلى أن نظام الأجور والتعويضات الإلكتروني لا يختلف عن النظم التقليدية سوى في استخدام الحاسبات الإلكترونية عند إجراء التطبيقات عليه، إلى جانب كونه يُقدّم بيانات الأجور لمنظومة التشغيل من خلال جزمة برمجية مُعدة مسبقاً، تتولى القيام بالإجراءات الحاسوبية التي كان يقوم بها شخص مسؤول في السابق، وبالتالي فإن دور الموظف بات مُركّزاً فقط على إدخال البيانات والمعلومات إلى النظام، وبدوره يتولى جميع العمليات الحسابية إلكترونياً والتي كانت تُنفَّذ يدوياً. إلا أن أبا العينين (2019) قد ذكر أنها أنظمة إلكترونية تُستخدم لتطوير أنظمة دفع الأجور وتنفيذها، وتُقدّم عدة منافع، فتُسهل في تقويم فعالية نظام التعويضات في المنظمة، وتتسم هذه الأنظمة بالكفاءة العالية وقدرتها على تحقيق أهداف المنظمة. وأضاف بوخاري ولقراب (2017) أن هذا النظام يُسهل مراجعة الرواتب والمكافآت، كما يُتيح البحث عن المعلومات بسهولة، سيما تلك المتصلة بالخطط الخاصة بالمكافآت. وعليه فإن نظام الأجور الإلكتروني يُحقق فرصة جيدة للمنظمة في تخصيص زيادات الرواتب بشكل عادل، مع الإبقاء على الالتزام بالمبادئ التوجيهية للموازنة (Nenwani & Raj, 2013).

الإيجابيات: تسهم أنشطة التعويضات الإلكترونية في إنجاز عدة عمليات مالية معقدة بدرجة متناهية من الدقة، سيما في مستوى الإجراءات، فهي من جهة تضمن دقة احتساب استقطاعات الأجور وسرعتها، سيما في حالات الحصول على الإجازات، أو إيقاف عقوبات (Panneerselvam, 2017). كما تُوفر ميزة تنافسية للمنظمات عند البحث عن الموظفين الموهوبين، فيُنحى نظام التعويضات الإلكتروني اتخاذ قرارات ذات صلة بالتأمين على الحياة، والعجز، والصحة، وغيرها واحتسابها بدقة وتلقائية، وفق بعض المدخلات (Atallah, 2017). من جهة أخرى، قلّلت التكنولوجيا الرقمية أعداد العاملين في مجال الموارد البشرية، ما أدى إلى خفض النفقات التشغيلية، سيما كلفة الرواتب على المنظمة (الحسن، 2019). كما أسهمت في ارتفاع عوائد المورد البشري داخل المنظمة، وذلك نظراً لزيادة وعي الأفراد وانخفاض ضغط العمل (علون وآخرون، 2017). وعادت التكنولوجيا الرقمية بالنفع على الأفراد خصوصاً، فحققت مزايا في زيادة الأجور وتحسين ظروف العمل، لأنها تسهم في زيادة إنتاجية العامل (Raja et al., 2017). وساعدت وحدات إدارة الموارد البشرية في معالجة البيانات، سيما تلك الخاصة بالأجور وساعات العمل بدقة عالية وبأخطاء - تقريباً - صفرية (الحسن، 2019). كما أنّ احتساب قوائم الأجور والمكافآت وإعدادها أصبح يتم في زمن قياسي، وتسريع عملية تقييمها، إلى جانب إضفاء طابع العدالة في منحها واحتسابها (مومن، 2019). كما تُحقّق التكنولوجيا المساواة في الأجور (Findikli & Bayarcelik, 2015). ويرى الباحث أنّ أنظمة التعويضات المالية الإلكترونية لها عظيم الأثر في مساعدة الإدارة على التخطيط المالي والرقابة المالية واتخاذ القرارات ذات الصلة بهاتين الوظيفتين، وتساعد مُتخذ القرار على سدّ ثغرات الاستثناءات في صرف المكافآت، وتسمح باستخراج كشوف تحليلية لجميع بُنود الإنفاق على مستوى النشاط من جهة، وعلى مستوى حساب الموظف من جهة أخرى، بما يسمح بتدقيقها للتحقق من سلامة التصرف المالي وليس فقط سلامة الإجراءات المالية.

السلبات: وجدت المنظمات نفسها مضطرة إلى استحداث وظائف جديدة ذات مواصفات محددة تزيد من تكاليف الأجور، وقد تكون باهظة الأثمان أحياناً (الحسن، 2019)، فكما أنّ التكنولوجيا قد أسهمت في تقليص عدد الموظفين، وقلّصت - بالتالي - فاتورة الأجور على مستوى عدد الموظفين، فإنها رفعت من نصيب الفرد الواحد في الأجر، سيما عندما يكون دور الموظف محورياً وهاماً في المنظمة. إلى جانب أنّ التكنولوجيا الرقمية في مراحل التأسيس ذات تكلفة مرتفعة نسبياً، سيما على المدى القريب، وما تلبّث أنّ تُحقّق المنظمات عوائد من استخدامها حتى تجد نفسها مكبلة بتكاليف أخرى كالتدريب والتهيئة، وإعادة تدريب الموظفين لإكساب المهارة وتنميتها، وتكاليف الصيانة الدورية، أو حاجة المنظمة إلى توظيف تقنيين مُتخصصين للإشراف والمتابعة (Faster Capital, 2024). ونظراً لأنّ التكنولوجيا الرقمية تُضيف قيمة للأفراد، فإنها ستؤدي إلى ارتفاع أجورهم، فلا يُمكن الحصول على مورد بشري ذي كفاءة عالية وتأهيل مناسب بالأجور الاعتيادية (حيدر، 2020)، وبالتالي قد تُكوّن الوفورات التي حققتها المنظمة في تقليص عدد العاملين أقل من تلك التي تتكبّدها لسد الاحتياجات في تغطية الأيدي العاملة الماهرة تقنياً.

مستقبل الأجور والتعويضات في العصر الرقمي: تحلّ الأجور والتعويضات مكانة كبيرة ضمن نفقات المنظمة التشغيلية، وقد يُشكّل بند الإنفاق الأعلى على الإطلاق في المنظمات الخدمية كالجامعات مثلاً، لذلك؛ فإنّ الاهتمام بكيفية إدارتها إلكترونياً يُمكن أن يُحقّق مزايا للمنظمة، ولتعظيم المنفعة من ذلك، تنصح المنظمات بما يلي:

1. الإدارة الفعّالة لتكاليف الموارد البشرية: إنّ عملية استقطاب الموارد البشرية -حتى وإن كانت إلكترونياً- يترتب عليها تكاليف مختلفة، يجب أن تكون مُجدية اقتصادياً، كما أنّ تأهيل الأفراد للمنافسة يتطلب إدارة جيدة لتلك التكاليف، وبالتالي لا بد أن تُوازن المنظمة ما بين تكلفة إعداد المورد البشري والأجور التي يستحقّها.
2. تصميم هياكل مرنة واقتصادية للأجور والرواتب والحوافز: يتعين على المنظمات أن تُوازن بين تكلفة المورد البشري وكلفة تعويضه، سيما أنّ الحصول على مورد بشري مُتخصّص تقنياً أمر ليس سهلاً، أو قد تكون كلفة إعدادهِ وتدريبهِ مُرتفعة، سيما للوظائف التي تنسم بالندرة، وبالتالي لا بد أن تُراعي المنظمة كلفة الأجور والمنافع المُترتبة عليها، وقد تُوفّر التكنولوجيا الرقمية، والبرامج المُحوسبة، مقومات رائعة تُمكن المنظمة من تحقيق تلك الأهداف بسهولة ويُسر.
3. الموازنة بين صرف الأجور وشراء التقنية: تجد المنظمات نفسها مضطرة للموازنة بين توظيف المورد البشري وما يترتب على ذلك من كلفة تدريب وصيانة وتعويض وغيرها من التكاليف، وبين شراء الخدمة التقنية نفسها لتُكوّن مُنجزاً غير منظمات أخرى، أو ربما تستعويض عن تلك التكاليف بمنظومة برمجية أو نحو ذلك ليتم إنجاز المهام دون الحاجة إلى موظفين أصلاً، ويبقى الأمر مُرتبناً بسياسات المنظمة، والقيود التي تُواجهها على المستوى الداخلي والخارجي، سيما تلك التي تفرضها الحكومة. وبالتالي على المنظمة أن تُحدد ما إن كان توظيف التكنولوجيا في إدارة الموارد البشرية -وفقاً لحجمها التنظيمي ودورها- أكثر جدوى من الإبقاء على النمط التقليدي، كما عليها أن تضع بالجسبان عند صرف وتحديد الأجور المسؤولية الاجتماعية تجاه أصحاب المصلحة، وأن تُقرر ما إن كان توظيف التكنولوجيا أكثر جدوى على مستوى الأعمال الإجرائية فقط ولبعض الوظائف دون العمليات العليا لإدارة الموارد البشرية.
4. الأجور والتعويضات عامل جذب مهم: ينبغي على إدارة المنظمة أن تعي جيداً أنّ الأجور والتعويضات المُقدّمة هي أحد أهم عوامل الجذب، بما في ذلك التعويضات المباشرة وغير المباشرة، والنقدية وغير النقدية، وبالتالي عند تصميمها لهياكل الأجور يجب أن تُراعي كيفية توظيفها بما يُحقّق لها جذب العناصر الأفضل مع الموازنة بين كلفة المورد البشري والنتائج المُتوقعة من توظيفه، وأن تُراعي مُخصصات المهارات التقنية كأساس في مُفاضلة الأجور، التي يُمكن أن تُصرف على شكل علاوات مثلاً.

3.3.6 الصحة والسلامة المهنية

تشمل جميع الأنشطة والإجراءات التي تعكس الالتزامات الأساسية للمنظمة أو صاحب العمل، والمطلوب أن يوفرها للموظفين حتى تكون بيئة العمل آمنة وصحية (كشواي، 2006). ويقصد بها - لغايات هذه الدراسة - الأنشطة والإجراءات التي تُحقق وعي الأفراد لتجنب المخاطر المتولدة عن العمل في البيئة الإلكترونية، وكذلك السلوك الأفضل لأداء الأفراد وظائفهم لتجنب أمراض المهنة التي تؤدي عبر التكنولوجيا الرقمية والوسائط الرقمية.

الإيجابيات: أسهم توظيف التكنولوجيا في تفادي الأفراد القيام ببعض الوظائف أو المهام الخطرة، وبالتالي أمكن تجنبهم لعدد من المخاطر وحوادث العمل (Osoba & William, 2017). ولعل من أبرز تلك الصور الرجل الآلي أو الروبوت، الذي لعب دوراً في القيام بمهام خطيرة، أدت إلى تأخير مرض الأفراد أو تجنبهم للأمراض أساساً، وحافظت على حياة الإنسان (الحري، 2018). ويرى الباحث أن التكنولوجيا الرقمية قد تسهم في الحد من الإجهاد لبعض المهن، كذلك المرتبطة بالبحث والتطوير، والتصميم، وبالتالي يمكن أن يشعر الموظف بالإنجاز نتيجة توظيف التكنولوجيا الرقمية، وبالروح المعنوية العالية. **السلبيات:** تؤدي التكنولوجيا الحديثة وأدواتها نتيجة الاستخدام المفرط أو الاعتماد عليها بشكل دائم، إلى التوتر والعصبية الناتجة عن الضرر الذي يلحق بخلايا الجسم (فوزي، 2019). وتؤثر التكنولوجيا الإلكترونية في المورد البشري، ما تضطرهم مثلاً للجلوس بوضعية ثابتة لفترة طويلة، وتؤدي إلى زيادة الوزن، وفقدان اللياقة البدنية، كما ينتج عنها مخاطر الإصابة بالأمراض المزمنة، وعدم قدرة الشخص مستقبلاً على ممارسة أعمال بعينها (منصة النجاح، 2023)، إلى جانب كونها تولد أمراضاً مهنية جديدة، منها متلازمة الأصابع، ومتلازمة الرقبة، ومتلازمة الفخذين، ومتلازمة العين الرقمية وغيرها (عواض، 2017). ويرى البعض أن تزايد الاعتماد على التكنولوجيا الرقمية في الأعمال يقلص التفاعل والنقاش والحوار والاجتماعات والتواصل وجهاً لوجه، وبالتالي يكبت الانفعالات، ويؤدي إلى العزلة الاجتماعية والتوتر والعصبية (فوزي، 2019)، وتنعكس تلك الآثار سلباً على الحالة المزاجية والنفسية لدى العاملين، وقد تحدث ضرراً بالصحة عموماً.

مستقبل الصحة والسلامة المهنية في العصر الرقمي: بما أن المورد البشري هو المورد الأهم في المنظمة، فإن المحافظة على صحته وسلامته وجماعته من المخاطر تعد أحد أبرز أولويات إدارة الموارد البشرية، لذلك، وفي إطار ما تقدم من إيجابيات وسلبيات، يمكن توجيه المنظمات إلى ما يلي:

1. الموازنة بين كلفة البدائل التقنية والوقاية من المخاطر: قد تبدو التكنولوجيا القائمة على توظيف الروبوت حلاً مناسباً لتجنب الأفراد المخاطر، ولكنها مكلفة، وبالتالي على المنظمة أن توازن بين التكاليف المصاحبة للوقاية من المخاطر، وبين المخاطرة نفسها وما يترتب عليها من علاوات وتدريب، ومطلبات أخرى ومستوى المنفعة أو العائد على المنظمة من الوظيفة نفسها.
2. الوقاية من الأمراض المهنية المتولدة عن التكنولوجيا الرقمية: يتعين على المنظمات أن تحدد لجميع المهن جميع الأمراض المهنية، فيوضح للموظف الأمراض المهنية التي يمكن أن يصاب بها نتيجة ممارسته لوظيفته، سيما عند استخدام التكنولوجيا بشكل مباشر ومتكرر، وذلك لتوعية الموظف بالأمراض التي قد تُصيبه في مهنته، حتى يتخذ الإجراءات الوقائية الكافية، وذلك لحمايته أولاً، ولوقوف الإدارة العليا عند مسؤولياتها الأخلاقية والقانونية، سيما عند الإصابة بمرض أو نحو ذلك، وما يلحق ذلك من تكلفة التأمين وغيره من التبعات المالية التي يجب أن يثبت فيها علم الموظفين بالمخاطر المهنية، وتوعيته بكيفية تفاديها أو الوقاية منها، وتحديد الجهة المختصة عند وقوع الضرر.
3. الرقابة على التزام الموظفين بإشتراطات الصحة المهنية في بيئة العمل الرقمية: لا بد للمنظمة أن تتحقق من التزام الموظفين بإجراءات الصحة والسلامة المهنية الإلكترونية، والرقابة على ذلك، لوقاية الموظفين من الأمراض المهنية، ولضمان خلو بيئة العمل من مخاطر التكنولوجيا الرقمية.
4. تحسين بيئة العمل المادية والافتراضية وخفض مخاطرها: ينبغي على الجهة المختصة في المنظمة أن تحدد المخاطر المحيطة ببيئة العمل، والمقصود - هنا - المخاطر الخاصة بالبيئة المادية نفسها، كالتهدية والإنارة والضوضاء وغير ذلك، والتي تحتاج إلى تدخل الإدارة المباشر لضمان بيئة عمل آمنة، إلى جانب مخاطر بيئة العمل الافتراضية، كتعرض أجهزة الموظفين أو حساباتهم الشخصية للقرصنة، والاستهداف والاختراق أو الابتزاز الإلكتروني وغيرها من الجرائم الإلكترونية.

4. الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى تبصّر مستقبل إدارة الموارد البشرية في ظل التطور الذي يشهده العصر الرقمي، وقد سلّطت الضوء على الإيجابيات والسلبيات التي يمكن أن تواجه المنظمات في إدارتها للموارد البشرية، كما استعرضت اهتمام المنظمات وكيفية استفادتها من توظيف التكنولوجيا في إدارة المورد البشري، وما يمكن أن يترتب على ذلك مستقبلاً وفقاً لقطاع عمل المنظمة؛ كونها هادفة أو غير هادفة للربح. فتجاهل التقدم الرقمي خصوصاً في المجتمعات الناشئة يترتب عليه مضاعفات خطيرة على مستوى النهوض بالمورد البشري وتنميته، وينعكس ذلك على نهضة المنظمات والمجتمع. فالمنظمات التي تستخدم التكنولوجيا عموماً وفي إدارتها للمورد البشري على وجه الخصوص، تساعد على التواصل بين الأفراد ومع

المنظمات المتقدمة على المستوى المحلي والدولي. وبالتالي تستطيع القيام بأدوار أكثر رفعة، وتُحقق عدداً من مزايا اختصار الوقت والجهد والتكلفة. أما بخصوص سبلات التكنولوجيا وانعكاساتها على مستقبل إدارة الموارد البشرية، فتكمن أهمية التعرف إليها في اتخاذ التدابير والخطوات المسبقة للحيولة دون الوقوع فيها، وبالرغم من السبلات التي استعرضتها الدراسة لكل وظيفة من وظائف إدارة الموارد البشرية، فإن الكشف عنها ومعرفة مبركاً، واتخاذ تدابير الوقاية، وإجراءات المعالجة، تُسهم - بشكل كبير - في تخفيف آثارها، وهذا بلا شك لا يقل أهمية عن جانب الاهتمام بالتكنولوجيا أساساً، فيتعين على المنظمات أن تأخذ هذين البعدين بشكل نظامي متكامل.

لذلك، على الحكومة - بوصفها الجهة المسؤولة عن إصدار التشريعات ومتابعة تنفيذها - بجانب شركائها في القطاعات الأخرى، كالقطاع الخاص والقطاع الأهلي؛ أن تسعى لرسم استراتيجية وطنية لتوجيه التكنولوجيا الرقمية بما يُحقق تنمية المورد البشري على صعيد المنظمات كافة، وبما يشمل نقطة تحول في توظيفها واستثمارها؛ ليُحقق النفع على مستوى الأفراد والمنظمات، ويُسهّل إدارة المورد البشري بنجاح وفق أبجديات ما تُواكبُه المنظمات المناظرة عالمياً. وأن تبدّل المنظمات جُهداً كافياً لتوعية موظفيها باستخدام التكنولوجيا الرقمية وكيفية توظيفها بما لا يؤثر سلباً في مستوى أدائها، وبما يُحقق أقصى منفعة ممكنة لتحقيق نجاحها. وأخيراً، ينبغي على المنظمات ألا تنبهر بالنتائج السريعة المباشرة التي تُحققها التكنولوجيا على صعيد المورد البشري، فإغفال الآثار العكسية يُمكن أن يعصف بالمنظمات على المدى الزمني البعيد، ويُفقدُها الكثير من المزايا، كما أن المنظمات - بلا شك - لا بد أن تُواكب التطور، فعدم الانخراط في مواكبته سينعكس سلباً عليها، فبالرغم من تطور التكنولوجيا وتوظيف الذكاء الاصطناعي، واستحداث بيئة العمل الافتراضية، والعمل عن بعد، فإن السؤال الذي يبقى مطروحاً ولا زال جديراً بالدراسة والتقصي: ماذا لو واجهت المنظمات غياب التكنولوجيا نتيجة خلل أو عطل أو استهداف أو قطع للإنترنت، كما يحصل في مناطق الحروب والزيارات والكوارث، أو نتيجة قرصنة مُستهدفة؟ هل ستتعرض إدارة المورد البشري؟ هل سيكون بمقدور المنظمة أن تُعيد الموارد البشرية الإلكترونية للعمل التقليدي؟ أم أن التحول من النمط التقليدي إلى الإلكتروني كان أسهل؟ إن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات لا تزال بحاجة إلى مزيد من الأبحاث المستقبلية التي يُمكن أن يُوَجّه إليها الباحثون مستقبلاً.

5. قائمة المراجع

5.1 المراجع باللغة العربية

- أبو العينين، محمد. (2019). أثر إدارة الموارد البشرية الإلكترونية على جودة الحياة الوظيفية: دراسة ميدانية على قطاع المصارف الإسلامية في مصر، (رسالة دكتوراه)، جامعة عين شمس، مصر.
- أبو صالح، عماد. (2019). التحديات التي تواجه التدريب، متاح من الرابط <https://www.linkedin.com/pulse> تاريخ الدخول: 2024/04/09.
- أحمد، نجلاء. (2022). أثر ممارسات الاستقطاب الإلكتروني على نواتج ما قبل التوظيف، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية، 13(2)، 857-921.
- بابية، خديجة؛ ودقيوس، خديجة. (2023). الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية في تحسين أداء الخدمة العمومية: دراسة حالة الصندوق الوطني لتأمينات الاجتماعية للعمال الأجراء، وكالة أدرار، (رسالة ماجستير)، جامعة أحمد درابعية أدرار، الجزائر.
- الباز، حسن. (2022). الإدارة الإلكترونية لإدارة الموارد البشرية في مؤسسات التعليم العالي، JCES، 13(2)، 223-275.
- برادفورد، ماريان. (2018). النظم الحديثة لتخطيط موارد المنشآت: اختيار تطبيق واستخدام نظم الأعمال، (ترجمة: أحمد عبد الله السند، يزيد صالح السبيعي)، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار جامعة الملك سعود للنشر.
- بصبوص، أمل. (2023). أثر التدريب والتطوير في الموارد البشرية، المجلة العربية للنشر العلمي، 6(54)، 115-123.
- بو بكر، عبد القادر. (2023). تدريب الموارد البشرية في ظل الإدارة الإلكترونية والتحديات التي تواجهها: دراسة حالة: مؤسسة بريد الجزائر، (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر 3، الجزائر.
- بوحلفاية، آسيا. (2022). الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية في الجزائر (2009-2013)، (رسالة ماجستير)، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.
- بودبوس، سامي؛ وزهمول، خالد. (2020). إدارة الموارد البشرية: رؤية استراتيجية وتطبيقات عملية، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، بنغازي، ليبيا.
- بوسدر، فوزي؛ حجاب، عيسى؛ وحمريط، محسن. (2018). أثر تكنولوجيا المعلومات على الموارد البشرية في المؤسسة الاقتصادية، مجلة البحوث الاقتصادية المتقدمة، ع(5)، 9-22.
- بيزان، حنان. (2022). أثر التقادم التكنولوجي على الإسهام المعرفي في تخصص علوم المعلومات والمكتبات والأرشيف: رؤية تحليلية، المجلة العربية الدولية لتكنولوجيا المعلومات والبيانات، 2(1)، 129-152.
- ثابت، وائل والشوا، إيمان. (2022). ممارسات إدارة الموارد البشرية الإلكترونية ودورها في تحسين الأداء المنظمي: دراسة تطبيقية- جامعة فلسطين، مجلة الدراسات الاستراتيجية والبحوث السياسية، 1(2)، 43-67.
- الجبوري، حسين. (2021). الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية وتأثيرها في جودة الخدمة التعليمية: دراسة تحليلية في الجامعات والكليات الأهلية في محافظة كربلاء المقدسة، (رسالة ماجستير)، جامعة كربلاء، العراق.
- الجعفري، حنين. (2023). الذكاء الاصطناعي وسوق العمل: إيجابيات وسلبيات، صحيفة الرأي - النسخة الإلكترونية، متاح من الرابط: <https://alrai.com/article/10789455/> تاريخ الدخول: 2024/04/09

- جميل، عبد الكريم. (2015). إدارة الموارد البشرية، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، الجنادرية للنشر والتوزيع.
- حجازي، نرمين؛ والسيد، أمل. (2021). دراسة العلاقة بين محددات الاستقطاب الإلكتروني وجاذبية المنظمة، المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية، جامعة قناة السويس، 12(3)، 1-21.
- الحريري، رافدة. (2018). اتجاهات حديثة في إدارة الموارد البشرية، عمان، الأردن، دار اليازوري.
- الحسن، دفع الله. (2019). ما هو الأثر الذي تلعبه إدارة الموارد البشرية في تحقيق الخطط الاستراتيجية للمنشأة، منصة بيت، متاح من الرابط: <https://specialties.bayt.com/ar/specialties/q/425316> تاريخ الدخول: 2024/03/16.
- حمدي، موسى. (2008). الصعوبات التي تواجه استخدام الإدارة الإلكترونية في إدارة المدارس الثانوية للبنين بمدينة مكة المكرمة من وجهة نظر مديري المدارس ووكلائها، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، السعودية.
- الحמיד، ياسر؛ لوبيس، أسموليادي؛ وشريف، سوهيلي. (2023). أثر تطبيق الإدارة الإلكترونية في كفاءة وفعالية رأس المال البشري بالمنظمات الحكومية: أمانة القصيم أنموذجاً، المجلة الدولية للدراسات الإسلامية – القناطر، 26(1)، 165-190.
- الحميري، بشار؛ وبريس أحمد. (2020). أثر تكنولوجيا المعلومات في جودة الخدمة الفندقية: دراسة ميدانية على عينة من الفنادق السياحية في محافظة كربلاء، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الثالث لجامعة أهل البيت - العراق، ع(4)، 347-374.
- حيدر، رؤى. (2020). أثر تكنولوجيا المعلومات على أداء العاملين في قطاع البنوك الخاصة التقليدية في دمشق، (رسالة ماجستير)، الجامعة الافتراضية السورية، سوريا.
- خريس، نهاد. (2011). استخدام تكنولوجيا المعلومات وأثرها في الأداء في أجهزة الخدمة المدنية في الأردن، (رسالة ماجستير)، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.
- الخطيب، محمد. (2018). دور الإدارة الإلكترونية في تحقيق الإبداع الإداري: دراسة تطبيقية في وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، (رسالة ماجستير)، أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسة العليا، فلسطين.
- درة، عبد الباري؛ والصباغ، زهير. (2008). إدارة الموارد البشرية في القرن الحادي والعشرين- منحنى نظمي، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع.
- الدوري، زكريا؛ العزاوي، نجم؛ البكارنة، بلال؛ العملة، شفيق؛ وعبد القادر، محمد. (2010). وظائف وعمليات منظمات الأعمال، عمان، الأردن، دار اليازوري.
- ديلمي، أمال. (2015). دور الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية في تعزيز إدارة المعرفة: دراسة حالة مؤسسة سونلغاز - وكالة أم البواقي، (رسالة ماجستير)، جامعة أم البواقي، الجزائر.
- السقا، عمرو. (2013). أثر استخدام نظام معلومات الموارد البشرية الإلكتروني على أداء ديوان الموظفين العام بقطاع غزة، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، فلسطين.
- سنابل، محمد. (2021). هل يمكن أن تسهم التكنولوجيا في حل مشكلة التغير المناخي بالعالم؟ الجزيرة نت، متاح من الرابط: <https://aja.me/xa3dwi> تاريخ الدخول: 2024/04/22.
- عباس، سهيلة. (2006). إدارة الموارد البشرية، الطبعة الثانية، عمان، الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع.
- عبد الله، حسين. (2018). الاستقواء في مكان العمل ودوره في سلوكيات العمل السلبية: دراسة تحليلية لعينة من مستشفيات محافظة كربلاء المقدسة، (رسالة ماجستير)، جامعة كربلاء، العراق.
- عبد المعطي، أحمد؛ وزارع، أحمد. (2012). التدريب الإلكتروني ودوره في تحقيق التنمية المهنية لمعلم الدراسات الاجتماعية، المجلة الدولية للأبحاث التربوية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ع (31)، 285 – 323.
- العجمي، محمد. (2023). دور الوسائل التكنولوجية في مكافحة الفساد، مجلة روح القانون- عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثامن بعنوان: التكنولوجيا والقانون، كلية الحقوق-جامعة طنطا (7-8 مايو/2023)، 1572-1596.
- علون، محمد؛ عيساوي، سهام؛ حوحو، فطوم. (2017). دور تكنولوجيا المعلومات في تنمية وتطوير الموارد البشرية بالمؤسسة الاقتصادية، مجلة العلوم الإدارية والمالية، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، 1(1)، 118-134.
- علي، حسين. (2014). الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية E-HRM كأحد مداخل إدارة المعرفة: دراسة حالة: شركة جازي للاتصالات، (رسالة ماجستير)، جامعة الجزائر، الجزائر.
- عواض، هشام. (2017). 10 أمراض جديدة تسببها التكنولوجيا الحديثة منها اكتئاب الفيسبوك، موقع مصراوي الإلكتروني، (02 مايو 2017)، متاح من الرابط: https://www.masrawy.com/howa_w_hya/relationship/details/2017/5/2/1070874/- تاريخ الدخول: 2024/04/09.
- العيسى، عزيل؛ والعمران، أفنان. (2021). التدريب الإلكتروني – التدريب عن بعد: مبرراته، ومتطلباته، ومعوقاته، من وجهة نظر المدربين والمتدربين- كلية إدارة الأعمال جامعة الملك سعود، المجلة العربية للإدارة، 41(2)، 355-374.
- غنام، تهاني. (2020). الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية في الوزارات الفلسطينية، (رسالة ماجستير)، جامعة القدس، فلسطين.
- غنيم، أحمد. (2004). مداخل إدارية معاصرة لتحديث المنظمات، القاهرة، مصر، المكتبة العصرية.
- الفراج، أسامة. (2014). إدارة الموارد البشرية، الجامعة الافتراضية السورية.
- فوزي، أمنية. (2019). ما هي أضرار التكنولوجيا على المجتمع وهل يمكن تجنبها، مبادرة الأمن والأمان على الإنترنت؟، متاح من: <https://safeonline.najah.edu/ar/awareness/m-hy-drr-ltknology-aal-lmgmtmaa-ohl-ymkn-tgnbh/#gsc.tab=0> تاريخ الدخول: 2024/04/09.
- القحطاني، محمد. (2015). إدارة الموارد البشرية: نحو منهج استراتيجي متكامل، ط4، الرياض، السعودية، العبيكان للنشر.
- قريشي، محمد؛ بومجان، عادل؛ وسلطاني، محمد. (2017). الإدارة الإلكترونية للموارد البشرية: المفاهيم، المتطلبات، ودورها في تطوير الإدارة، مجلة العلوم الإنسانية- جامعة محمد خيضر بسكرة، ع(47)، 147-160.

كشك، حنان. (2023). التحول الرقمي وتغير متطلبات سوق العمل (التحديات والفرص) دراسة حالة على عينة من القطاعات التي اتجهت إلى التحول الرقمي بمدينة المنيا، مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والتنمية، مج (5)، 242-197.

كشواي، باري. (2006). إدارة الموارد البشرية، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، دار الفاروق للنشر والتوزيع.

منصة النجاح. (2023). 9 أضرار تلحقها التكنولوجيا بصحة الإنسان، متاح من الرابط <https://ila.io/m7Z0i>، تاريخ الدخول: 2024/04/09.

منصة مؤشر. (2020). أثر التكنولوجيا الحديثة على الموارد البشرية، متاح من الرابط: <https://hr-excellence.net/blog> تاريخ الدخول: 2024/03/16.

منظمة الأمم المتحدة. (2018). التكنولوجيا الجديدة سيف ذو حدين في وجه المدافعين عن حقوق الإنسان، الأمم المتحدة – حقوق الإنسان- مكتب المفوض السامي، متاح من الرابط <https://www.ohchr.org/ar/stories/2018/12/double-edged-sword> تاريخ الدخول: 2024/04/22.

منظمة الأمم المتحدة. (2020). تأثير التكنولوجيا الرقمية، متاح من الرابط <https://www.un.org/ar/un75/impact-digital-technologies> تاريخ الدخول: 2024/04/09.

منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية؛ و فريق عمل الأمم المتحدة المشترك بين الوكالات المعني بالعلم والتكنولوجيا والابتكار لأهداف التنمية المستدامة. (2022). العلم والتكنولوجيا والابتكار لتحقيق أهداف التنمية المستدامة: مبادئ توجيهية لصياغة السياسات، فيينا.

مهران، ناصر؛ عطية، سماء؛ والطبال، عبد الله. (2023). إدارة الموارد البشرية الإلكترونية كأحد الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية: دراسة نظرية، مجلة البحوث الإدارية والمالية والكمية، 39-70.

الموزان، أمل. (2015). تصور مقترح لبيئة تدريب إلكتروني تشاركي متمايز في ضوء تطلعات أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن والتوجهات المستقبلية للتدريب الإلكتروني، مجلة كلية التربية، (164)، ج(2)، 792-757.

مومن، محمد. (2019). أثر التكنولوجيا الحديثة على تنمية الموارد البشرية – المنشط نموذجاً، مجلة تنمية الموارد البشرية للدراسات والأبحاث – المركز الديمقراطي العربي – برلين – ألمانيا، ع (5)، 70-48.

نجم، عيود. (2004). الإدارة الإلكترونية- الاستراتيجية والوظائف والمشكلات، دار المريخ للنشر والتوزيع، السعودية.

5.2 رومنة المراجع العربية

- Abbas, S. (2006). Human resources management (2nd ed.). Wael Publishing and Distribution House.
- Abdullah, H. (2018). Bullying in the workplace and its role in negative work behaviors: An analytical study of a sample of hospitals in the Holy Karbala Governorate (Unpublished master's thesis). University of Karbala, Iraq.
- Abdul-Moati, A., & Zare', A. (2012). E-training and its role in achieving professional development for social studies teachers. International Journal of Educational Research, (31), 285–323.
- Abu Al-Ainain, M. (2019). The impact of electronic human resources management on the quality of work life: A field study on the Islamic banking sector in Egypt (Unpublished doctoral dissertation). Ain Shams University, Egypt.
- Abu Saleh, I. (2019). Challenges facing training. LinkedIn. <https://www.linkedin.com/pulse>
- Ahmed, N. (2022). The impact of electronic recruitment practices on pre-employment outcomes. Scientific Journal of Business and Environmental Studies, 13(2), 857–921.
- Al-Ajami, M. (2023). The role of technological means in combating corruption. Ruh Al-Qanoon Journal, Special Issue of the 8th International Scientific Conference (Technology and Law), 1572–1596.
- Al-Baz, H. (2022). Electronic management of human resources management in higher education institutions. JCES, 13(2), 223–275.
- Al-Douri, Z., Al-Azzawi, N., Al-Bakarna, B., Al-Amleh, S., & Abdul Qader, M. (2010). Functions and operations of business organizations. Dar Al-Yazouri.
- Al-Essa, A., & Al-Omran, A. (2021). E-training and distance training: Justifications, requirements, and obstacles. Arab Journal of Management, 41(2), 355–374.
- Al-Faraj, O. (2014). Human resources management. Syrian Virtual University.
- Al-Hamid, Y., Lubis, A., & Sharif, S. (2023). The impact of applying electronic management on the efficiency and effectiveness of human capital in government organizations. International Journal of Islamic Studies (Al-Qanater), 26(1), 165–190.
- Al-Hamri, B., & Brais, A. (2020). The impact of information technology on the quality of hotel services. In Proceedings of the Third Scientific Conference of Ahlulbayt University (pp. 347–374).
- Al-Hariri, R. (2018). Modern trends in human resources management. Dar Al-Yazouri.
- Al-Hassan, D. (2019). What is the impact of human resources management in achieving strategic organizational plans? Bayt Platform. <https://specialties.bayt.com/ar/specialties/q/425316>

- Ali, H. (2014). Electronic human resources management (E-HRM) as an approach to knowledge management: A case study of Djezzy Telecom (Unpublished master's thesis). University of Algiers, Algeria.
- Al-Jaafari, H. (2023). Artificial intelligence and the labor market: Pros and cons. Al-Rai Newspaper. <https://alrai.com/article/10789455/>
- Al-Jubouri, H. (2021). Electronic human resources management and its impact on educational service quality (Unpublished master's thesis). University of Karbala, Iraq.
- Al-Khatib, M. (2018). The role of e-management in achieving administrative creativity (Unpublished master's thesis). Academy of Management and Policy for Graduate Studies, Palestine.
- Al-Mozan, A. (2015). A proposed vision for a collaborative e-training environment. Journal of the Faculty of Education, 164(2), 757–792.
- Aloun, M., Issaoui, S., & Houhou, F. (2017). The role of information technology in developing human resources in economic institutions. Journal of Administrative and Financial Sciences, 1(1), 118–134.
- Al-Qahtani, M. (2015). Human resources management: Toward an integrated strategic approach (4th ed.). Al-Obeikan Publishing.
- Al-Saqa, A. (2013). The impact of using electronic HR information systems on organizational performance (Unpublished master's thesis). Islamic University of Gaza, Palestine.
- Basbous, A. (2023). The impact of training and development on human resources. Arab Journal of Scientific Publishing, 6(54), 115–123.
- Bizan, H. (2022). Technological obsolescence and knowledge contribution. International Arab Journal of Information Technology and Data, 2(1), 129–152.
- Boubakr, A. (2023). Human resources training in light of electronic management and the challenges it faces: A case study of Algeria Post Corporation (Unpublished master's thesis). University of Algiers 3, Algeria.
- Boudbous, S., & Zahmoul, K. (2020). Human resources management: A strategic vision and practical applications (1st ed.). National Library, Benghazi, Libya.
- Bouhalfaia, A. (2022). Electronic management of human resources in Algeria (2009–2013) (Unpublished master's thesis). University of Mohamed Boudiaf, M'Sila, Algeria.
- Bousdra, F., Hijab, I., & Hamrit, M. (2018). The impact of information technology on human resources in economic institutions. Journal of Advanced Economic Research, (5), 9–22.
- Bradford, M. (2018). Modern systems for enterprise resource planning: Choosing to implement and use business systems (A. A. Al-Sand & Y. S. Al-Subaie, Trans.). King Saud University Publishing House.
- Dilmi, A. (2015). The role of electronic human resources management in enhancing knowledge management: A case study of Sonelgaz Corporation – Umm Al-Bouaghi Agency (Unpublished master's thesis). University of Umm Al-Bouaghi, Algeria.
- Dura, A. B., & Al-Sabbagh, Z. (2008). Human resources management in the twenty-first century: A systemic curve. Wael Publishing and Distribution House.
- Fawzi, A. (2019). What are the harms of technology on society and can they be avoided? Internet Security and Safety Initiative. <https://safeonline.najah.edu/ar/awareness/m-hy-drr-ltknology-aal-lmgtmaa-ohl-ymkn-tgnbh/>
- Ghanem, A. (2004). Contemporary administrative approaches to modernizing organizations. Modern Library.
- Ghanem, T. (2020). Electronic management of human resources in Palestinian ministries (Unpublished master's thesis). Al-Quds University, Palestine.
- Haider, R. (2020). The impact of information technology on employee performance in traditional private banking in Damascus (Unpublished master's thesis). Syrian Virtual University, Syria.
- Hamdi, M. (2008). Difficulties facing the use of electronic management in secondary schools for boys in Mecca (Unpublished master's thesis). Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.
- Hijazi, N., & Al-Sayed, A. (2021). Determinants of electronic recruitment and organizational attractiveness. Scientific Journal of Business and Environmental Studies, 12(3), 1–21.
- Index Platform. (2020). The impact of new technology on human resources. <https://hr-excellence.net/blog>

- Jamil, A. K. (2015). Human resources management (1st ed.). Al-Janadriyah for Publishing and Distribution.
- Keshwai, B. (2006). Human resources management (2nd ed.). Dar Al-Farouk for Publishing and Distribution.
- Keshk, H. (2023). Digital transformation and changing labor market requirements. *Journal of Social Sciences and Development Research*, 5, 197–242.
- Khrais, N. (2011). The use of information technology and its impact on performance in civil service agencies in Jordan (Unpublished master's thesis). Middle East University, Jordan.
- Mahran, N., Attia, S., & Al-Tabbal, A. (2023). Electronic human resource management as a modern trend. *Journal of Administrative, Financial and Quantitative Research*, 3(1), 39–70.
- Momen, M. (2019). The impact of modern technology on human resources development. *Journal of Human Resources Development for Studies and Research*, (5), 48–70.
- Najm, A. (2004). E-management: Strategy, functions, and problems. Dar Al-Mars for Publishing and Distribution.
- Qureshi, M., Boumjan, A., & Sultani, M. (2017). Electronic management of human resources. *Journal of Human Sciences*, (47), 147–160.
- Sanajla, M. (2021). Can technology contribute to solving climate change? Al Jazeera Net. <https://aja.me/xa3dwi>
- Success Platform. (2023). 9 harms of technology on human health. <https://ila.io/m7ZOi>
- Thabet, W., & Al-Shawa, I. (2022). Electronic human resource management practices and organizational performance. *Journal of Strategic Studies and Political Research*, 1(2), 43–67.
- United Nations Industrial Development Organization, & United Nations Inter-Agency Task Team on Science, Technology and Innovation for the SDGs. (2022). Science, technology and innovation for achieving the sustainable development goals. Vienna.
- United Nations Organization. (2018). New technology: A double-edged sword for human rights defenders. Office of the High Commissioner for Human Rights. <https://www.ohchr.org/ar/stories/2018/12/double-edged-sword-new-technology-human-rights-defenders>
- United Nations Organization. (2020). The impact of digital technology. <https://www.un.org/ar/un75/impact-digital-technologies>

5.3 المراجع الأجنبية

- Alabaddi, Z. A., Rahahlehb, A. H., Muflihc, M. A., Nsourc, S. N., & Salahb, A. A. (2020). The role of electronic human resource management on the practices of green human resource management. *European Journal of Business and Management*, 12(1), 1–18.
- Anand, J., & Chitra, D. (2016). The impact of e-recruitment and challenges faced by HR professionals. *International Journal of Applied Research*, 2(3), 410–413.
- Aral, S., Brynjolfsson, E., & Van Alstyne, M. (2012). Information technology and information worker productivity. *Information Systems Research*, 23(3), 849–867.
- Armstrong, M. (2007). A handbook of employee reward (2nd ed.). Kogan Page.
- Armstrong, M., & Taylor, S. (2020). Armstrong's handbook of human resource management practice (15th ed.). Kogan Page.
- Barasa, E. O. (2020). Information technology and public sector corruption in Kenya. *International Journal of Scientific and Engineering Research*, 8(56), 1–23.
- Berber, N., Dordevic, B., & Milanovic, S. (2018). Electronic human resource management (e-HRM): A new concept for the digital age. *Strategic Management Journal*, 23(2), 22–32.
- Davies, A., Fidler, D., & Gorbis, M. (2011). Future work skills 2020. University of Phoenix Research Institute.
- Dhamija, P. (2012). E-recruitment: A roadmap towards e-human resource management. *Researchers World*, 3(3), 33–47.
- FasterCapital. (2024). How production technology impacts long-run costs. <https://fastercapital.com/content/How-Production-Technology-Impacts-Long-Run-Costs.html>
- Findikli, M. A., & Bayarçelik, B. E. (2015). Exploring the outcomes of electronic human resource management (E-HRM). *Procedia – Social and Behavioral Sciences*, 207, 424–431.

- Fred, M. O., & Kinange, U. M. (2018). Effectiveness of e-recruitment in organization development. *Management and Economics Journal*, 2(4), 294–301.
- Ganeshan, M., & Vethivajan, C. (2020). Electronic human resource management practices and employee perception in the IT industry. *International Journal of Scientific Research and Technology*, 9(3), 86–90.
- Holm, A. B. (2012). E-recruitment: Towards a ubiquitous recruitment process and candidate relationship management. *German Journal of Research in Human Resource Management*, 26(3), 241–259.
- Johnson, R. D., Stone, D. L., & Lukaszewski, K. M. (2021). The benefits of e-HRM and AI for talent acquisition. *Journal of Tourism Futures*, 7(1), 40–52.
- Kaur, P. (2015). E-recruitment: A conceptual study. *International Journal of Applied Research*, 1(8), 78–82.
- Malekano, M. (2021). Effectiveness and efficiency of e-recruitment in public organizations. *International Journal of Social Science and Humanities Research*, 9(4), 197–203.
- Malkawi, N. (2018). Using electronic human resource management for organizational excellence. *International Journal of Engineering Technologies & Management Research*, 5(5), 146–166.
- Mishel, & Situmorang, O. (2024). E-HRM use on organizational performance: A mediation analysis. *Jurnal Riset Manajemen Sains Indonesia*, 15(1), 70–82.
- Muchsam, Y., Arafah, W., Aseanty, D., & Usman, B. (2024). Relational e-HRM practices and employee productivity. *International Journal of Humanities Education and Social Sciences*, 3(5), 2448–2457.
- Mukherjee, S., Bhattacharjee, S., Paul, N., & Banerjee, U. (2020). Assessing green human resource management practices. *TEST Engineering & Management*, 82, 221–240.
- Nenwani, P. J., & Raj, M. D. (2013). E-HRM perspective in the present scenario. *International Journal of Advance Research in Computer Science and Management Studies*, 1(7), 424–426.
- Obinna, G. B. E., & Jaja, I. S. (2024). Electronic human resource practices and worker satisfaction. *International Journal of Information, Technology and Innovation in Africa*, 12(7), 41–54.
- Osoba, O. A., & William, W. IV. (2017). The risks of artificial intelligence to security and the future of work. RAND Corporation. <https://www.rand.org/pubs/perspectives/PE237.html>
- Panneerselvam, M. (2017). Electronic human resource management. *International Journal of Multidisciplinary Research and Modern Education*, 3(1), 55–58.
- Raja, S., Christiaensen, L., & Sala, E. (2017). The future of work: The number of jobs is not the only thing at stake. World Bank Blogs. <https://blogs.worldbank.org/en/jobs/future-work-number-jobs-not-only-thing-stake>
- Schramm, J. (2006). HR technology competencies. HR Magazine. <https://www.shrm.org>
- Shah, N., Michael, F., & Chalu, H. (2020). The influence of electronic human resource management on organizational success. *Global Journal of Management and Business Studies*, 10(1), 9–28.
- Shilpa, V., & Gopal, R. (2019). Implications of implementing E-HRM systems. *International Journal of Systems and Communication*, 2(1), 10–29.
- Stone, D. L., Lukaszewski, K., Stone-Romero, E. F., & Johnson, T. (2013). Factors affecting acceptance of e-selection systems. *Human Resource Management Review*, 23(1), 50–70.
- Swaroop, K. R. (2012). E-HRM and cost reduction in organizations. *Journal of Marketing & Management Review*, 1, 133–139.
- West, D. M. (2018). The future of work: Robots, AI, and automation. Brookings Institution Press.
- Wiley, J., & Sons. (2020). The digital future of internal staffing. *Journal of Intelligent Systems in Accounting, Finance and Management*, 27(1), 182–196.
- Yuvaraj, S., & Suganthiya, M. S. (2021). Impact of technology on human resource management. *International Journal of Business Intelligence & Innovations*, 4, 449–456.

The Future of Human Resources at the Digital Age: An Analytical Literature Review on the Positives and the Negatives

Alaedin Alsayed

Business Administration Department, Faculty of Administration and Finance, Al-aqsa University,
Palestine

Corresponding Author: alaedina@hotmail.com

Received: 11/07 2024.

Revised: 20/07/2024.

Accepted: 05/12/2024.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.9

Abstract

This study sought to anticipate the future of Human Resource Management (HRM) in light of the growing technological development. Therefore, it reviewed and diagnosed the most prominent positives and negatives in light of the digital age, which cast their shadows on the various HRM functions, and how each function could be affected positively or negatively. Accordingly, the organization takes appropriate measures to reduce the negatives and employ the positives when managing HR. This also helps in enlightening the decision-makers to avoid problems and seize the available opportunities, which makes the organization's plans more effective in general, and enhances effective planning for HRM in particular. This study provided a theoretical review of the positive and negative impact of technology on six basic HRM functions, namely: HR planning, recruitment, selection and appointment, training and development, performance evaluation, wages and compensation, and occupational health and safety, in an attempt to conclude recommendations that enhance the future of HRM, which could be employed to benefit from the opportunities available in HRM for various organizations.

Keywords: Human Resources Management, e HRM, Positives of Technology, Negatives of Technology



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

مستوى الثقة الرياضية وتأثيرها في مستوى الأداء الرقمي لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى، في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن في السعودية

سامر أبو عيد¹، إسلام عباس^{2*}، مايسة عبد الرحمن³
¹ قسم علوم الرياضة، كلية علوم الرياضة، الجامعة العربية الأمريكية
² قسم علوم الرياضة البدنية، كلية علوم الرياضة والنشاط البدني، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
³ الباحث المراسل: Islam.abbas@aaup.edu

Received: 13/08/2024.

Revised: 18/09/2024.

Accepted: 03/11/2024.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.10

الملخص

هدفت الدراسة إلى تعرف مستوى الثقة الرياضية وتأثيرها في مستوى الأداء الرقمي لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن والعلاقة بينهما، إلى جانب تحديد الفروق في مستوى الثقة الرياضية تبعاً لمتغير الفعالية (عدو 100 متر، عدو 200 متر، الوثب الطويل). ولتحقيق ذلك استخدم الباحثون المنهج الوصفي الارتباطي؛ نظراً لملاءمته لطبيعة الدراسة. وتكون مجتمع الدراسة من جميع لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن للعام 2022 – 2023، والبالغ عددهم (32) لاعبة، أما عينة الدراسة، فتكونت من (25) لاعبة، تم اختيارهن بطريقة عشوائية، وشكلت ما نسبته (78%) من مجتمع الدراسة الأصلي، فاستبعدت لاعبتان؛ لعدم الانتظام في التدريب وخمس لاعبات للتجربة الاستطلاعية. واستخدم الباحثون مقياس سمة الثقة الرياضية لروبين فيلي (Vealey 1986) والمكوّن من (13) عبارة. كما تم قياس المستويات الرقمية لسباقات (عدو 200 متر، عدو 100 متر، وثب طويل) للاعبات. ولتحليل البيانات استخدم برنامج الرزم الإحصائي (SPSS). وأشارت أهم النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين الثقة الرياضية ومستوى الأداء الرقمي للاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن وارتفاع مستوى الثقة الرياضية بدرجة عالية لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، إلى جانب عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الثقة الرياضية لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، يعزى لمتغير نوع الفعالية (عدو 100م، 200م، والوثب الطويل). وأوصى الباحثون بضرورة استثمار مستوى الثقة الرياضية العالية لدى اللاعبات في توسيع رقعة الممارسة والمنافسة لفعاليات ألعاب القوى المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الثقة الرياضية، مستوى الأداء الرقمي، ألعاب القوى.

1. المقدمة

يعتمد التدريب الرياضي على أسس تربوية وعلمية حديثة، تهدف إلى تحسين الأداء الرقمي وتحقيق الإنجازات والمستويات الرياضية العالية. كما يسعى إلى تطوير قدرات الرياضي من جميع الجوانب، سواء أكانت بدنية أم مهارية أم خطية أم نفسية، مع الحرص على النمو الشامل والمتوازن. ويعدّ الإعداد النفسي أحد أهم هذه الجوانب. حيث يُعد علم النفس الرياضي من العلوم التي تناولت عديداً من الحالات النفسية، سواء أكانت تلك التي تعزز الأداء الرياضي وترفع مستواه، أم تلك التي تعيقه. وهذا ما أكدّه عباس (2024) والذي أشار إلى أن علم النفس الرياضي يأتي في مقدمة العلوم المساعدة على نجاح المدرب وتطوير الأداء الرياضي.

ومن بين المواضيع التي يتناولها هذا العلم، هو موضوع الثقة الرياضية، الذي يُعد عاملاً مهماً لتحقيق الأداء الرياضي العالي والوصول إلى الإنجازات والأهداف التي يسعى إليها الرياضي. وقد أثار موضوع الثقة الرياضية اهتمام العاملين في المجال الرياضي، ما أدى إلى طرح بعض التساؤلات، مثل: إلى أي مدى يمكن أن تساعد الثقة اللاعب في تحقيق الفوز؟

فهناك من الرياضيين من يفقدون الثقة بأنفسهم عندما يتعرضون لظروف خارجية، لا يستطيعون التحكم بها، ما يؤدي إلى فقدان الثقة الرياضية، وبالتالي تتأثر قدراتهم على تحقيق الإنجازات. وعلى الجانب الآخر، فهناك رياضيون يتمتعون بدرجة مفرطة من الثقة بالنفس، أو ما يُعرف بالثقة الزائفة، في حين يتمتع آخرون بمستوى كافٍ من الثقة الرياضية، يمكنهم من الأداء بما يتناسب مع قدراتهم الرياضية دون التأثير بعوائق نفسية، سواء أكانت ناجمة عن نقص الثقة بالذات أم الإفراط فيها. (الغريري والشمري، 2011)

وأظهرت دراسة عباسي ودخيه (2017) أن حراس المرمى الذين تميزوا بمستوى عالٍ من الثقة الزائفة، كان مستوى قدراتهم وأدائهم ضعيفاً. فقد عزا الباحثان هذا الاختلال بين مستوى الثقة وبين القدرات الفنية إلى غياب الإعداد السيكولوجي لحراس المرمى، وعدم وجود المرشدين النفسيين في الفرق المحترفة الجزائرية. وأشار ربيعة (2017) إلى وجود نوعين من الأعراض التي قد تظهر على الرياضيين قبل المنافسة، وهي أعراض نفسية وأعراض جسمية والتي قد تحدث معاً أو يكون أحدها مسبباً للآخر، ومن العوامل التي قد تكون مسببة لهذه الأعراض خوف الرياضي من الفشل أو قلة الثقة أو عدم الكفاءة وعدم القدرة على السيطرة، إلى جانب نوع المنافسة ومدتها ومتطلباتها والتي تؤثر - أيضاً - في الأعراض النفسية والجسمية.

وتظهر الثقة الرياضية بوضوح في أداء اللاعب في أثناء المباراة، فالأداء بالسرعة المثالية وعدم التسرع مع دقة الأداء المهاري والتصرف الخططي السليم، كلها تعدّ من مظاهر الثقة بالنفس. ويكتسب اللاعب الثقة بالنفس نتيجة للتدريب العلمي المنظم المستمر، ومهمة المدرب - هنا - هي وضع التمرينات المتدرجة وفقاً لقدرات اللاعب، ما يكسبه اللياقة البدنية العالية والمقدرة على الأداء المهاري والخططي، إلى جانب الإعداد الذهني، فعندما يطمئن اللاعب إلى قدرته على أداء التمارين والمباريات بصورة سليمة، فإن ذلك يشعره بالثقة النفسية (محمد، 2020).

وأشار العتيبي (2020) إلى أن الرياضيين في السباقات القصيرة، يميلون إلى الشعور بتوتر نفسي أقل مقارنة بالرياضيين في المسابقات الأطول أو الأكثر تعقيداً. ويُعزى ذلك إلى طبيعة هذه السباقات، التي تتطلب تركيزاً أكبر على الأداء البدني المكثف في وقت قصير. حيث تتطلب رياضة ألعاب القوى بشكل عام قدرات بدنية ونفسية عالية لمواجهة الضغوط المرتبطة بالمنافسة. ولتحقيق الأداء الرياضي المثالي والإنجازات المرجوة، فيجب أن يكون الرياضي متوازناً من جميع الجوانب النفسية والبدنية والمهارية. ويساعد هذا التوازن على تقليل تأثير أعراض ما قبل المنافسة واستغلالها دافعاً إيجابياً لتحقيق الأهداف الرياضية بدلاً من أن تكون عقبة أمام الأداء.

وبعدّ العامل النفسي من أحد أهم الجوانب الرئيسية التي تؤثر في أداء لاعبي مسابقات ألعاب القوى؛ كونه يلعب دوراً هاماً في تحقيق الاتزان بجوانب اللاعب البدنية والمهارية، لذلك يعدّ من أهم العوامل التي تحرك تعزيز الثقة بالنفس في منافسات ألعاب القوى، وكلما خفت حدة أعراض قلة الثقة بالنفس، استطاع اللاعب أن يؤدي الأهداف والإنجازات التي تتناسب مع قدراته، ويعمل على تعزيزها، فيكون أكثر فاعلية في رؤية أخطائه في أثناء المنافسة، ويعمل على تصحيحها (زهران، 2005).

ومن هنا برزت أهمية الدراسة؛ كونها أفادت بحقائق عن سمة الثقة بالنفس، والتي من شأنها أن تغني الميدان الرياضي عامةً، ورياضة ألعاب القوى بشكل خاص، فضلاً عن مساعدة المدربين والمدرسين على تنمية الثقة بالنفس عند إعداد مناهج التدريب. كما أنّ دراسة الثقة الرياضية تساعد في التنبؤ بسلوك اللاعبين مستقبلاً واستجاباتهم المتوقعة في مختلف المواقف التي قد تواجههم، ومحاولة السيطرة عليها، وضعف الثقة والتوقعات السلبية قد تضعف كفاءة الأداء وتؤدي إلى قلق، وضعف التركيز، أو عدم التركيز على الهدف. ومن خلال الدراسة يمكن تقليص العوامل المعيقة للأداء الرقمي بحل مشكلة التمايز الحاصل في مستوى الثقة لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، ويساعد ذلك في رفع مستوى الأداء الرقمي لهم.

مشكلة الدراسة: تعد الثقة الرياضية من أهم السمات النفسية للرياضيين؛ فهي تعني إدراك الرياضي كفاءته، ومهارته، وقدرته على التعامل بفعالية مع المواقف المختلفة. كما تشير إلى إحساس الرياضي بقيمته، وأن لديه من الإمكانيات ما يجعله قادراً على العطاء، ومواجهة الصعاب والتحديات والتغلب عليها دون الاعتماد على الآخرين. إلى جانب ذلك، تتضمن الثقة الرياضية قدرة الرياضي على اتخاذ القرارات في الوقت المناسب وعدم الحساسية للنقد (نصاري وز غول، 2016).

في ضوء ما تقدم، ومن خلال تعرف الباحثين لأهمية الجانب النفسي، وبخاصة مقدار الثقة الرياضية التي يمتلكها الرياضي لتعلم المهارات الرياضية، الأمر الذي كان دافعاً للباحثين لدراسة مستوى الثقة الرياضية لدى طالبات علوم الرياضة البدنية، وعلاقتها بمستوى الأداء المهاري في بعض مسابقات ألعاب القوى. وتُعد هذه المسابقات من أكثر المهارات التي قد تتأثر بعامل الثقة، نظراً لما تتطلبه من المثابرة، والجرأة، والشجاعة. كما تُعد الثقة بالنفس مطلباً نفسياً لجميع مسابقات ألعاب القوى. ونظراً لندرة الدراسات التي تناولت هذه العلاقة على حد علم الباحثين، فقد جاءت فكرة الدراسة التي تهدف إلى قياس مستوى الثقة الرياضية وتأثيرها في الأداء الرقمي لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة التعرف إلى:

- 1- مستوى الثقة الرياضية لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
- 2- مستوى الأداء الرقمي لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن تبعاً لمتغير فاعلية (عدو 100م، 200م والوثب الطويل).

3- العلاقة بين مستوى الثقة الرياضية ومستوى الأداء الرقمي في فعالية (عدو 100م، 200م والوثب الطويل) لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.

4- الفروق في مستوى الثقة الرياضية لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن تبعاً لمتغير فعالية (عدو 100م، 200م والوثب الطويل).

تساؤلات الدراسة: سعت الدراسة الحالية إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- 1- ما مستوى الثقة الرياضية لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن ؟
- 2- ما مستوى الأداء الرقمي لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن تبعاً لمتغير فعالية (عدو 100م، 200م والوثب الطويل) ؟
- 3- هل توجد علاقة ارتباطية بين الثقة الرياضية ومستوى الاداء الرقمي في فعالية (عدو 100م، 200م والوثب الطويل) لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن ؟
- 4- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في مستوى الثقة الرياضية لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن تبعاً لمتغير فعالية (عدو 100م، 200م والوثب الطويل) ؟

مجالات الدراسة:

- المجال البشري: لاعبات (100-200متر عدو) – لاعبات (الوثب الطويل) بمنتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
- المجال المكاني: نادي الطالبات في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
- المجال الزماني: يوم الأحد بتاريخ 15-1-2023، الوقت 8 صباحاً – 12 مساءً، الفصل الدراسي الثاني.

مصطلحات الدراسة:

- الثقة الرياضية (Sports confidence): القدرة والمهارة في أداء رياضي معين، وتعدّ من أهم السمات التي تميز اللاعبين ذوي دافعية الإنجاز العالي. (سليم، 2022)
- مستوى الأداء الرقمي (digital performance level): تعريف إجرائي: قياس المسافة والزمن التي يحققها اللاعب في أثناء المنافسة في ألعاب القوى.
- مسابقات ألعاب القوى (Athletics sport): هي نشاط بدني يتضمن حركات طبيعية كالمشي والجري، والوثب، والرمي، ولألعاب القوى مسابقاتها التي تعتمد على الأرقام المنجزة التي تقاس بالزمن أو بالمسافة، وتختلف هذه المسابقات عن بعضها وما تتطلبه من مهارات فنية، وصفات بدنية وفيزيولوجية ونفسية لتحقيق أعلى الإنجازات الرياضية. (مدادة، 2018).

2. الدراسات السابقة

في ضوء اطلاع الباحثين على الأدب التربوي والدراسات السابقة، وانسجاماً مع أهداف الدراسة، يعرض الباحثون بعضاً منها:

أجرى محمد و نور الدين (2020) دراسة، هدفت إلى التعرف إلى أثر برنامج نفسي على الثقة بالنفس لدى لاعبي كرة السلة والتعرف إلى الفروق بين اللاعبين في تنمية الثقة بالنفس، استخدم الباحثان المنهج التجريبي بأسلوب المجموعتين المتكافئتين (الضابطة والتجريبية) واشتملت عينة البحث على 20 لاعبا من نوادي المسلية لكرة السلة بواقع (10) لاعبين من نادي اتحاد المسيلة لكرة السلة و(10) لاعبين من نادي شباب المسيلة، وأجرى الباحثان الاختبار القبلي باستخدام مقياس الثقة بالنفس، بعدها تم تطبيق البرنامج الذي يتكون من (16) وحدة، وبعد إكمال تطبيق البرنامج أجرى الباحثان الاختبارات البعدية، وأشارت النتائج إلى أن البرنامج المطبق كان له تأثير إيجابي في تنمية الثقة بالنفس لدى عينة الدراسة.

وقام الباحثان عبد القادر ومحمد (2019) بدراسة هدفت إلى إبراز العلاقة بين الثقة بالنفس وممارسة النشاط الرياضي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، مستخدمين المنهج الوصفي، وذلك باستخدام مقياس الثقة بالنفس أداة لجمع المعلومات، وبلغت عينة البحث (60) طالبا وطالبة في المرحلة الثانوية، وأسفرت النتائج عن أن مستوى الثقة بالنفس عند الأداء كان جيدا، وعدم وجود فروق في مستوى الثقة بالنفس، تعزى لمتغير الجنس.

وأجرى عباسي ودخيه (2017) دراسة هدفت إلى معرفة تأثير مستوى الثقة في النفس في أداء حراس مرمى النخبة لكرة القدم في أثناء المنافسة، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي، وتم اختيار عينة، عددها (26) حارسا، وأسفرت نتائج البحث عن أن حراس المرمى يملكون الثقة الزائفة في النفس، أما أدائهم الرياضي، فقد كان بعيدا عن المستوى العالي.

وأجرى رضوان (2016) دراسة بهدف التعرف إلى قياس مستوى الثقة بالنفس ودورها في رفع مستوى الأداء في المنافسات، مستخدما المنهج الوصفي، وأجريت الدراسة على عينة قوامها (45) لاعبا في كرة القدم، من خلال توزيع استبانة روبن فيلي (1968) على اللاعبين، والذي يتكون من (13) عبارة، يجيب اللاعب عنها على مقياس مكون من (9) درجات، وأسفرت نتائج البحث عن أن للثقة دورا في رفع الأداء عند لاعبي كرة القدم خلال المنافسة.

وقدّم الباحث جابر (2012) دراسة هدفت إلى التعرف إلى مستوى الثقة بالنفس لدى لاعبي كرة الطاولة في فلسطين، تبعاً لمتغيرات درجة اللعب، وطول اللاعب، واليد المستخدمة في اللعب، والخبرة في اللعب، وتصنيف اللاعب. واستخدم

الباحث المنهج الوصفي، وبلغت عينة البحث (96) لاعبا، وتوصلت نتائج البحث إلى أن مستوى الثقة بالنفس لدى لاعبي كرة الطاولة في فلسطين، كانت جيدة، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الثقة بالنفس لدى اللاعبين، تعزى لمتغير درجة اللعب، واليد المستخدمة في اللعب. ووجود فروق ذات دلالة إحصائية في الثقة بالنفس، تعزى لمتغير الخبرة في اللعب. وفي دراسة حلاوة (2011) التي هدفت إلى التعرف إلى مستوى الأعراض النفس جسمية التي تسبق المنافسة الرياضية لدى لاعبي ألعاب القوى وعلاقتها بالمستوى الرقمي، مستخدما المنهج الوصفي لدراسة الظاهرة باستخدام مقياس أعراض النفس جسمية لعلوي (1998)، على عينة قوامها (90) لاعبا بألعاب القوى من المشاركين في نهائيات المسابقات ضمن بطولة نادي عمان الأولى للأندية العربية لألعاب القوى، التي أقيمت في الأردن، وأسفرت نتائج البحث عن وجود علاقة ارتباطية معنوية بين هذه الأعراض والمستوى الرقمي في بعض مسابقات ألعاب القوى. وقام Gali (2015) بدراسة تهدف إلى التعرف إلى العلاقة بين الثقة بالنفس والأداء المهاري في الكرة الطائرة لطالبات كلية التربية الرياضية للبنات في جامعة بغداد، مستخدما المنهج الوصفي، وأجريت الدراسة على عينة من (30) طالبة، تم اختيارها بالطريقة العشوائية، والبالغ عددهن (110) طالبات، واستخدم استبانة من تصميم روبن فيلي (1986)، أداة لجمع البيانات، وأسفرت نتائج البحث عن وجود علاقة معنوية بين الثقة بالنفس والأداء المهاري في الكرة الطائرة، وأن زيادة مستوى الثقة بالنفس كان له أثر إيجابي في تحسين مستوى الأداء المهاري في الكرة الطائرة. وأجرى Hasan (2015) دراسة هدفت إلى التعرف إلى العلاقة بين الثقة بالنفس والدافعية لدى لاعبي الهوكي في تركيا، مستخدما المنهج الوصفي، وأجريت الدراسة على عينة تكونت من (110) لاعبين ولاعبات، يشاركون في المنافسات المحلية، لمرحلة عمرية أقل من (16) سنة، مستخدما الاستبانة أداة لجمع المعلومات من تصميم (روبن فيلي 1986) لقياس سمة الثقة بالنفس، وأسفرت نتائج البحث عن وجود علاقة إيجابية قوية بين عناصر الدافعية الداخلية والخارجية وبين الثقة بالنفس. وقام Heper et al (2014) بدراسة هدفت إلى التحقق من مستوى توجيه الأهداف والثقة بالنفس الرياضية، لدى لاعبي كرة القدم، واستخدم الباحثون المنهج الوصفي، وتم اختيار عينة الدراسة من (87) لاعبا في دوري الهواة في كرة القدم في تركيا، مستخدمين استبانة أداة لجمع البيانات من تصميم (روبن فيلي 1986) لقياس مستوى الثقة بالنفس، وأسفرت نتائج البحث عن وجود فروق دالة إحصائية في الثقة الرياضية بالنفس بين الهواة والمحترفين في كرة القدم ولمصلحة الهواة، وعدم وجود فروق دالة إحصائية بينها في سمة الثقة الرياضية بالنفس، ووفقا لهذه النتائج، فإن الفروق في الثقة بالنفس الرياضية وتوجيه الأهداف بين لاعبي كرة القدم المحترفين والهواة يعتمد على المستوى المختلف للمنافسات. وقام Skinner (2013) بدراسة هدفت إلى التعرف إلى العلاقة بين الثقة والأداء في المنافسات الرياضية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وتم اختيار عينة الدراسة من (48) لاعبة في كرة القدم والكرة الطائرة، في معهد رياضي غرب الولايات المتحدة، وتم جمع البيانات على خمس مراحل في أثناء الموسم الرياضي، وذلك من خلال استخدام مقياس الفعالية الجماعية (ثقة الفريق) وفعالية التدريب (ثقة المدرب) لدى اللاعبين. وأسفرت نتائج البحث عن وجود علاقة إيجابية بين ثقة الفريق وثقة المدرب في الكرة الطائرة، مقارنة بثقة الفريق والمدرب في كرة القدم التي أظهرت نتائجهم على العكس من ذلك. وفي ضوء هذه النتائج وجد الباحث أن ثقة الفريق وثقة المدرب ترتبطان بنجاح الفريق والفوز خلال الموسم الرياضي، ويجب تطويرها. وقام Bebetos & Antoniou (2003) بدراسة هدفت إلى التعرف إلى الفروقات في المهارات النفسية بين لاعبي الريشة الطائرة في اليونان تبعاً لمتغيرات العمر والجنس، واستخدم الباحثون المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (85) لاعبا ولاعبة، شاركوا في بطولة اليونان لعام (2002) للريشة الطائرة، ومتوسط أعمارهم (22.3) سنة، وزعوا على ثلاث فئات عمرية، واستخدم الباحثون الاستبانة أداة لجمع البيانات، والتي صممها (1998) Goudas, et al موزعة على سبعة مجالات، منها الثقة بالنفس، وقد أظهرت النتائج قدرة اللاعبين في التعامل مع الضغوط النفسية المؤثرة في الأداء خلال المشاركة في البطولة، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في المهارات النفسية، كالثقة بالنفس، وأوصت الباحثة بالاهتمام بالمهارات النفسية والعمل على تطويرها.

2.1 التعليق على الدراسات السابقة

- من خلال عرض الدراسات السابقة في مجال الثقة الرياضية تبين الآتي:
- يتضح من عرض الدراسات تنوع أهدافها، فبعضها هدفت إلى التعرف إلى مستوى الأعراض النفس جسمية التي تسبق المنافسة الرياضية لدى لاعبي ألعاب القوى وعلاقتها بالمستوى الرقمي، كما في دراسة حلاوة (2011) وبعضها استهدف معرفة العلاقة بين الثقة بالنفس والأداء المهاري في كرة الطائرة، كما في دراسة Gali (2015).
 - هناك دراسات اهتمت بالثقة بالنفس ودورها في الرفع من مستوى الأداء في المنافسات، كما في دراسة رضوان (2016) ودراسة عباسي، دخيه (2017).
 - هناك دراسات بينت وجود علاقة إيجابية بين ثقة الفريق وثقة المدرب وارتباطهم بنجاح الفريق، كما في دراسة Skinner (2013).
 - هناك دراسات اهتمت بدراسة مستوى الثقة عند ممارسة النشاط الرياضي للطلاب والطالبات تبعاً لمتغير الجنس، وتبين عدم وجود فروق في مستوى الثقة بالنفس، تعزى لمتغير الجنس، كدراسة عبد القادر ومحمد (2019).

- اتفقت جميع الدراسات على استخدام المنهج الوصفي وسيلة للتعرف إلى تأثير الثقة في مستوى الأداء في بعض الألعاب الرياضية.
- تتراوح حجم العينة في الدراسات التي استخدمت المنهج الوصفي ما بين (26) لاعبا ولاعبة إلى (110) لاعبين ولاعبات.
- تنوعت الاختبارات والمقاييس المستخدمة في الدراسات تبعا لنوع الدراسة ومتغيراتها.
- اختلفت وتعددت الأساليب الإحصائية المستخدمة في تحليل البيانات كل دراسة على حدة، إلا أنها اتفقت على استخدام بعض الأساليب الإحصائية مثل: (الوسيط - المتوسط الحسابي - الانحراف المعياري - معامل الالتواء - معامل الارتباط)، ويرجع ذلك إلى هدف الدراسة المراد تحقيقه.
- في ضوء ما أشارت إليه الدراسات السابقة، فقد استفاد الباحثون من هذه الدراسات الآتي:
 - 1- تحديد مشكلة الدراسة والخطوات الواجب اتباعها.
 - 2- تحديد منهجية الدراسة.
 - 3- طريقة اختيار العينة وحجمها.
 - 4- اختيار أداة القياس المناسبة لهذه الدراسة وطرق تقنيها.
 - 5- استخدام الأساليب والمعالجات الإحصائية المناسبة.
 - 6- طريقة عرض الجداول الإحصائية.
 - 7- مناقشة نتائج الدراسة وتفسيرها.

3. الطريقة والإجراءات

3.1 منهج الدراسة

استخدم المنهج الوصفي الارتباطي في جميع إجراءاته من حيث: تحديد مجتمع الدراسة، وعينته، وتطبيق مقياس سمة الثقة بالنفس للرياضيين، وذلك نتيجة ملائمة لطبيعة الدراسة.

3.2 مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن لعام 2022-2023م، والبالغ عددهم (32) لاعبة، وذلك وفقاً لسجلات عمادة شؤون الطلبة، كما في جدول رقم (1).

جدول 1: توزيع مجتمع الدراسة تبعاً لمتغير الفعالية (ن=32)

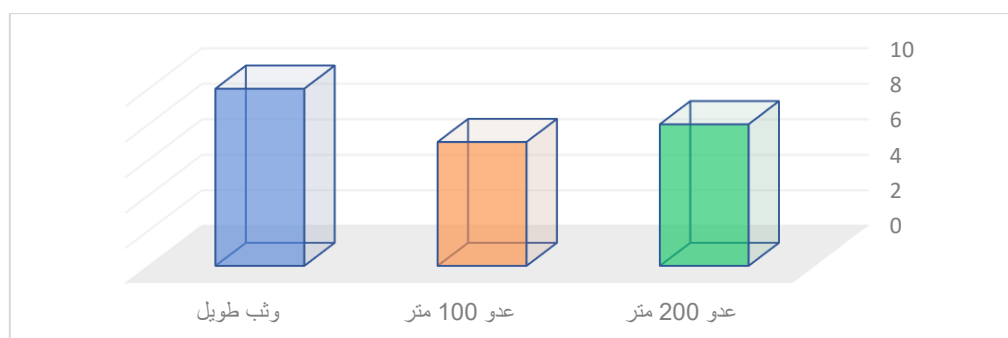
الفعالية	العدد	النسبة المئوية (%)
عدو 100 متر	12	37.5
عدو 200 متر	9	28.1
وثب طويل	11	34.3
المجموع	32	% 100

3.3 عينة الدراسة

أجريت الدراسة على عينة يبلغ قوامها (25) لاعبة من لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، خلال سنة 2022-2023م، وذلك بعد استبعاد لاعبتين من العينة لعدم الانتظام في التدريب و (5) لاعبات لإجراء الدراسة الاستطلاعية، وكان ذلك وفقاً لسجلات المدرب وبيانات الاستبانة. وتمثل عينة الدراسة (78%) من المجتمع الكلي للدراسة، واعتمدت الطريقة العمدية في اختيار العينة. ويوضح جدول رقم (2) توزيع العينة تبعاً لمتغير الفعالية.

جدول 2: توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير الفعالية (ن=25)

الفعالية	العدد	النسبة المئوية (%)
عدو 100 متر	8	32
عدو 200 متر	7	28
وثب طويل	10	40
المجموع	25	%100



الشكل 1: النسب والتكرارات لتوزيع أفراد العينة وفقاً لنوع الفعالية

جدول 3: المتوسطات الحسابية والوسيط الحسابي والمنوال والانحراف المعياري وأقل مفردة وأكبر مفردة للبيانات الأساسية لعينة الدراسة (ن=25)

المتغيرات	العمر	الكتلة	الطول	العمر التدريبي
العدد	25	25	25	25
المفقود	0	0	0	0
المتوسط	21.62	57.32	167.08	13.28
الوسيط	21.6	57.0	167	13.0
المنوال	20.90	55.0	165	12.0
الانحراف المعياري	1.676	1.796	1.777	1.814
أقل مفردة	19.80	55.0	165.0	11.0
أكبر مفردة	23.50	60.0	170.0	16.0

يوضح جدول (3) الإحصاءات الوصفية للبيانات الأساسية لعينة الدراسة، فنجد أن متوسط أعمار عينة الدراسة 21,6 سنة، بينما أصغر الأعمار كانت 19,8 وأكبرهن 23,5 سنة، ومتوسط أوزان عينة الدراسة 57,32 كيلو، بينما أصغر الأوزان كان 55 كيلو، وأكبر وزن 60 كيلو، وباقي الإحصاءات موضحة بالجدول.

3.4 تجانس العينة

من أجل أن يكون هناك تجانس بين أفراد العينة على الأقل فيما يتعلق بالمتغيرات المؤثرة بالدراسة، وقد كان تجانس العينة في المتغيرات التالية:

- السن مقاساً بالسنوات.
- الكتلة مقاساً بالكيلو غرام.
- الطول مقاساً بالسنتيمتر.
- العمر التدريبي مقاساً بالشهور. ويوضح الجدول (4) مدى تجانس العينة:

جدول 4: نتائج اختبار ليفين (Levene) لتجانس المتغيرات الكمية لأفراد عينة الدراسة (ن = 25)

القيمة	درجات الحرية	مستوى الدلالة
5.425	3	.002

يوضح الجدول (4) تجانس المتغيرات الكمية: (العمر، والوزن، والطول، والعمر التدريبي) باستخدام اختبار ليفين (Levene) وبما أن قيمة الدلالة الإحصائية (0,002) أقل من مستوى المعنوية (0,05)، دل ذلك على أن المتغيرات متجانسة.

3.5 أدوات الدراسة

في ضوء أهداف الدراسة، تم استخدام الأدوات الآتية:

- أداة قياس سمة الثقة الرياضية.
- المراجع والمصادر العربية والأجنبية.
- استمارة استطلاع آراء الخبراء.
- استمارات جمع البيانات وتفرغها.
- اختبارات الأداء الرقمي، وتشمل قياسات الوثب الطويل، والعدو 100 متر، والعدو 200 متر.
- شريط القياس لقياس مسافات الوثب الطويل.

- الساعة الرقمية Stop watch لحساب الزمن في 200/100 عدو.

3.6 إجراءات الدراسة الميدانية

- تم إجراء الدراسة وفق الخطوات الآتية:
- تحديد مجتمع الدراسة وعينتها.
- استخدام أداة قياس سمة الثقة بالنفس.
- استخدام مقياس سمة الثقة الرياضية لروبين فيلي (Vealey 1986) ويحتوي المقياس على (13) عبارة، يقوم اللاعب بالإجابة عن العبارات القائمة على مقياس مدرج من 9 نقاط، ويتم بعد ذلك جمع الدرجات في جميع العبارات.

3.7 مفتاح التصحيح

- تجمع الدرجات التي حددها اللاعب في جميع العبارات، وكلما اقترب مجموع هذه الدرجات من الدرجة القصوى وقدرها (117) درجة، تميز اللاعب بدرجة أكبر من سمة الثقة الرياضية.
- عدّل الباحثون الاستبانة بالجوء إلى استطلاع آراء الخبراء، وبناءً على ذلك، أجريت التعديلات الآتية:
 - إضافة تعريف الثقة الرياضية في مقدمة الاستبانة.
 - إضافة العمر التدريبي.
 - إضافة عبارة (درجة ثقتي) في بداية السؤال.
 - تعديل في صياغة بعض الأسئلة.
 - الأخذ بآراء الخبراء، وتعديل الاستبانة وفقاً لذلك لتصل إلى شكلها النهائي.
 - صياغة تعليمات أداة الدراسة بغرض تعريف أفراد العينة على الهدف من أداة الدراسة، مع مراعاة وضوح العبارات وملاءمتها لمستوى المستجيبين.
- توزيع أداة الدراسة (الاستبانة) على أفراد عينة الدراسة الاستطلاعية.
- إجراء المعاملات العلمية للاستبانة كما يلي:
 - صدق استبانة سمة الثقة الرياضية:
 - للتحقق من صدق أداة الدراسة في قياس ما وضعت لقياسه، عرضت على (4) محكمين، وأجريت التعديلات التي طلبها المحكمون، وعلى وجه الخصوص المتعلقة بصياغة الفقرات. إلى جانب معامل الصدق في الجدول رقم (5)، تبين أنه عال في كل العبارات، وهذا يدل على أن الاستبانة تمتاز بالصدق.
 - ثبات استبانة سمة الثقة الرياضية:
 - للتحقق من مدى ثبات أداة الدراسة (الاستبانة)، فقد تم تطبيق المقياس على عينة استطلاعية مكونة من (5) طلاب، تم استبعادهم من العينة الكلية للدراسة، واستخرج الباحثون معامل الثبات بطريقة كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha) والجدول رقم (5) يوضح معاملات الثبات على مستوى كل محور والمستوى الكلي.

جدول 5: معاملات ألفا كرونباخ لكل عبارة والأداة ككل (ن = 25)

درجة ثقتي	العبارات	معامل الثبات	معامل الصدق
	عند أداء مهارات حركية ضرورية للتفوق في المنافسة	0.675	0.82
	على اتخاذ قرارات حاسمة خلال المنافسة	0.806	0.90
	في القدرة على الأداء تحت ضغوط عصبية	.72	0.85
	في تنفيذ خطط ناجحة	0.862	0.93
	في تركيزي لتحقيق النجاح	0.609	0.78
	في التكيف مع مواقف اللعب المختلفة لتحقيق الفوز	0.491	0.7
	في قدراتي على إنجاز أهداف المنافسة	0.802	0.90
	في أن أكون ناجحة في المنافسة	0.763	0.87
	في استمرار نجاحي	0.691	0.83
	في قدراتي على التفكير والاستجابة في ثناء المنافسة	0.795	0.89

0.88	0.768	في مواجهة التحدي في أثناء المنافسة
0.78	0.602	في النجاح ولو كان المنافس قويا
0.85	.72	في قدراتي على القيام بأداء ناجح بعد أداء فاشل

يوضح الجدول رقم (5) معامل الثبات والصدق بطريقة (ألفا كرونباخ) لأداة الدراسة. ونلاحظ أن معامل ألفا كرونباخ مرتفع عدا العبارة: (في التكيف مع مواقف اللعب المختلفة لتحقيق الفوز)، لذلك يمكن التوصل إلى أن الأداة تمتاز بالثبات، ما يجعل الباحثين مطمئنين لإجابات أفراد العينة عن الاستبانة، وبالتالي فإن النتائج التي سيتم التوصل إليها من خلال الاستبانة ستكون موثوقة، ويعتمد عليها في الوصول إلى القرارات السليمة.

3.8 التجارب الاستطلاعية

- التجربة الاستطلاعية (1): طبق الباحثون استبانة قياس الثقة الرياضية لروبين فيلي (Vealey)، على عدد 5 لاعبات من منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، وذلك يوم الأحد الموافق 2023/1/11 م، في نادي الطالبات.
- التجربة الاستطلاعية (2): طبق الباحثون قياسات الأداء الرقمي المتمثلة في (عدو 100 م – عدو 200 م- وثب طويل)، على عدد مكون من 5 لاعبات من منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، وذلك يوم الأحد بتاريخ 2023/1/1 م.

وقد استفاد الباحثون من الدراسات الاستطلاعية فيما يلي:

- مناسبة أداة الاستبانة لعينة الدراسة.
- إمكانية تطبيق الاختبارات الرقمية في التجربة الرئيسية.
- تحديد مدى ملائمة المكان ومناسبتها لتطبيق التجربة الرئيسية.
- سهولة تطبيق الاستبانة ووضوحه على عينة التجربة الرئيسية.

3.9 التجربة الرئيسية

طبقت الاستبانة والاختبارات لقياس الأداء الرقمي على العينة الرئيسية، في يوم الأحد بتاريخ 2023/1/15، حيث تم توزيع استبانة سمة الثقة الرياضية، إلى جانب إجراء اختبارات لقياس الأداء الرقمي في (100 متر عدو، 200 متر عدو، والوثب الطويل) على عينة الدراسة البالغ عددها (25) لاعبة، وتوزيع الاستبانات وتفرغها، ولهذا الغرض استخدمت الوسائل الإحصائية لتحقيق أهداف الدراسة.

3.10 متغيرات الدراسة

لقد اشتملت الدراسة على المتغيرات الآتية:

- المتغير المستقل: مستوى الثقة الرياضية.
- المتغير التابع: مستوى الأداء الرقمي: (100م، 200م، وثب طويل).

3.11 المعالجات الإحصائية

تم تحليل بيانات هذه الدراسة باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، كما تمت الاستعانة ببرنامج (إكسل) لعمل الرسوم البيانية، وتم استخدام المعالجات الإحصائية التالية:

- معامل ألفا كرونباخ لإيجاد معامل الثبات.
- المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والتكرارات والنسب المئوية لوصف عينة الدراسة وفقاً للمتغيرات الأولية.
- اختبار معامل الارتباط لبيرسون لإيجاد العلاقة بين مستوى الأداء الرقمي ومقياس الثقة الرياضية.
- تحليل التباين الأحادي ANOVA لتحديد الفروق في مستوى الثقة الرياضية تبعاً لمتغير فعالية (عدو 100م، 200م، الوثب الطويل).
- اختبار ليفين (Levene) للتحقق من تجانس أفراد العينة.

4. عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها

أولاً: النتائج المتعلقة بالتساؤل الأول والذي ينص على: "ما مستوى الثقة الرياضية لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن؟"

وللإجابة عن هذا التساؤل، استخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة على فقرات المقياس، والجدولان (6+7) يبينان ذلك.

جدول 6: متوسطات الانحرافات المعيارية وترتيب درجات الثقة الرياضية لجميع أفراد العينة (ن=25)

الترتيب	مستوى الثقة	التباين	متوسط الدرجات	حجم العينة	العبارة (درجتي ثقتي)
7	عالي	2.50	7.44	25	عند أداء مهارات حركية ضرورية للتفوق في المنافسة
12	عالي	2.22	6.84	25	على اتخاذ قرارات حاسمة خلال المنافسة
11	عالي	4.58	6.92	25	في القدرة على الأداء تحت ضغوط عصبية
5	عالي	1.86	7.76	25	في تنفيذ خطط ناجحة
4	عالي	1.42	8.0	25	في تركيزي لتحقيق النجاح
8	عالي	1.50	7.4	25	في التكيف مع مواقف اللعب المختلفة لتحقيق الفوز
1	عالي	1.03	8.12	25	في قدراتي على إنجاز أهداف المنافسة
1	عالي	1.11	8.12	25	في أن أكون ناجحة في المنافسة
3	عالي	0.91	8.08	25	في استمرار نجاحي
10	عالي	2.12	7.04	25	في قدراتي على التكبير والاستجابة في أثناء المنافسة
6	عالي	1.04	7.72	25	في مواجهة التحدي في أثناء المنافسة
13	عالي	2.14	6.68	25	في النجاح ولو كان المنافس قويا
9	عالي	2.77	7.24	25	في قدراتي على القيام بأداء ناجح بعد أداء فاشل
	عالي	1.84	7.49		المتوسط العام

يوضح الجدول (6) المتوسطات والانحرافات المعيارية وترتيب درجات الثقة الرياضية لجميع أفراد العينة، فكانت العبارتان: (في قدراتي على إنجاز أهداف المنافسة، في أن أكون ناجحة في المنافسة)، هما الأكثر ثقة لعينة الدراسة بمتوسط درجات (8.12) وانحراف معياري (1.01، 1.05) على الترتيب، بينما نجد أن العبارة: (في النجاح ولو كان المنافس قويا) هي الأقل ثقة لدى عينة الدراسة حيث متوسط درجة الثقة لدى العينة (6.68) بانحراف معياري (1.46)، ويدل المتوسط على أن العينة تنسم بالثقة الرياضية العالية. حيث قام الباحثون عند التعليق على المتوسط الحسابي باعتماد ثلاثة مستويات (عال، متوسط، منخفض) بناءً على معادلة طول الفترة كما هي موضحة

$$\text{طول المدة} = \frac{\text{الحد البديل الاعلى (9) - الحد البديل الادنى (1)}}{\text{عدد المستويات المطلوبة (3)}} = 2.66$$

وبذلك تكون المستويات كالتالي: منخفض من 1 - 3.66 متوسط 3.67 - 6.33 مرتفع 6.34 - 9

جدول 7: درجات الثقة الرياضية لكل لاعبة (ن = 25)

اللاعبة	مجموع درجات الثقة	متوسط درجاتها	التباين	مستوى الثقة
1	96	7.38	1.93	عالي
2	91	7	1.49	عالي
3	98	7.54	1.77	عالي
4	77	5.92	0.90	متوسط
5	96	7.38	1.25	عالي
6	97	7.46	1.10	عالي
7	84	6.46	2.76	عالي
8	117	9	0.00	عالي
9	105	8.08	0.90	عالي
10	86	6.62	2.10	عالي
11	97	7.46	2.10	عالي
12	104	8	0.67	عالي
13	89	6.85	1.30	عالي
14	117	9	0.00	عالي
15	101	7.77	3.20	عالي
16	94	7.23	1.69	عالي
17	117	9	0.00	عالي
18	82	6.31	6.25	متوسط
19	91	7	2.16	عالي
20	96	7.38	2.76	عالي

21	102	7.85	0.81	عال
22	108	8.31	0.56	عال
23	89	6.85	2.46	عال
24	99	7.62	0.76	عال
25	101	7.77	1.37	عال
المتوسط العام	97.36	7.49	1.30	عال

جدول (7): يوضح الثقة الرياضية لكل لاعبة، ويشير الجدول إلى أن الثقة عالية بوصفها نتيجة عامة، فقد بلغ المجموع النهائي (97.36) من أصل 117، بمتوسط عام 7.49 وانحراف معياري 1.14، ويظهر الجدول أن اللاعبة رقم 14 احتلت المرتبة الأولى بحصولها على الدرجة الكاملة للثقة 117 من 117، كما نلاحظ أن اللاعبة رقم 4 لديها درجة ثقة منخفضة بمجموع 77 من أصل 117. ويتضح من الجدول رقم (6)، و(7) أن مستوى الثقة الرياضية لدى اللاعبات عالية، فقد وصل المتوسط الحسابي إلى (7.49) وانحراف معياري (1.36). كما أن العبارتين: (في قدراتي على إنجاز أهداف المنافسة، في أن أكون ناجحة في المنافسة)، هما الأكثر ثقة لعينة الدراسة، بمتوسط درجات (8.12)، على الترتيب، وانحراف معياري (1.01، 1.05) على الترتيب، بينما نجد أن العبارة: (في النجاح ولو كان المنافس قويا) هي الأقل ثقة لدى عينة الدراسة، حيث متوسط درجة الثقة لدى العينة (6.68) بانحراف معياري (1.46).

ويرى الباحثون أن سبب ارتفاع الثقة الرياضية عند اللاعبات قد يرجع إلى خبرات النجاح التي حصلوا عليها في أثناء المنافسات، إلى جانب الاهتمام بالصحة البدنية والجسدية وممارسة النشاط البدني، الأمر الذي يؤدي إلى رفع مستوى الأداء البدني عند اللاعبة، ما يزيد لديهن من مستوى الثقة الرياضية، كما يعد الاحتكاك باللاعبات في أثناء التدريب أمراً ذا تأثير إيجابي على رفع مستوى الثقة الرياضية لدى اللاعبات، وهو ما أكدته كل من جرعوب (2015)، والغريزي والشمري (2011).

واتفقت نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة كل من عبد القادر ومحمد (2019)، اللذان أشارا إلى أن مستوى الثقة بالنفس تزداد عند ممارسة النشاط البدني. كما اتفقت مع دراسة جابر (2012) التي أشارت إلى تحسن مستوى الثقة بالنفس لدى لاعبي كرة الطاولة في فلسطين.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالتساؤل الثاني، والذي ينص على: "ما مستوى الأداء الرقمي لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، تبعاً لمتغير فعالية (عدو 100م، 200م والوثب الطويل)؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، استخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الأداء الرقمي لبعض مسابقات ألعاب القوى (عدو 100-200م - وثب طويل) لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.

جدول 8: المتوسطات الحسابية والوسيط الحسابي والتباين والمنوال والانحراف المعياري وأقل مفردة وأكبر مفردة لنتائج القياسات الرقمية (ن = 25)

نوع الفعالية	وحدة القياس	النتيجة	مستوى النتيجة
عدو 200 متر	ثانية	المتوسط	26,58
	ثانية	الوسيط	33,16
	ثانية	التباين	105,52
	ثانية	الانحراف المعياري	10,27
	ثانية	أقل مفردة	13,23
	ثانية	أكبر مفردة	36,1
عدو 100 متر	ثانية	المتوسط	15,27
	ثانية	الوسيط	15,72
	ثانية	التباين	1,34
	ثانية	الانحراف المعياري	1,15
	ثانية	أقل مفردة	14,25
	ثانية	أكبر مفردة	17,3
وثب طويل	متر	المتوسط	3,92
	متر	الوسيط	3,85
	متر	التباين	0,161
	متر	الانحراف المعياري	0,4
	متر	أقل مفردة	3,5
	متر	أكبر مفردة	4,84

يوضح جدول (8) إحصاءات نتائج عينة الدراسة وفقاً لنوع الفعالية، فنجد أن متوسط نتيجة فعالية عدو 200 متر (26.58 ثانية) ومن خلال المحك تعد النتيجة ممتازة، بينما متوسط نتيجة فعالية عدو 100 متر (15.27 ثانية) تعد نتيجة متوسطة، متوسط نتيجة فعالية وثب طويل (3.92 متر) هي نتيجة ممتازة، ومن خلال المحك يتوضح لنا أن مستوى نتيجة فعالية عدو 200متر (ممتاز 33 - متوسط 35 - ضعيف 37)، بينما عدو 100متر (ممتاز 14 - متوسط 16 - ضعيف 18) والوثب الطويل (ممتاز 4 - متوسط 3.5 - ضعيف 3)، وبناء على ذلك اتضح أن مستوى الأداء الرقمي بشكل عام عال عند العينة. ويرى الباحثون أن ارتفاع المستوى قد يرجع إلى اتباع عينة الدراسة الأسس العلمية الصحيحة في التدريب والتركيز على التدريبات التي من شأنها رفع عناصر اللياقة البدنية المرتبطة بتلك السباقات، كما في عنصر السرعة الانتقالية والحركية وسرعة الاستجابة إلى جانب القوة المميزة بالسرعة، والالتزام بالتدريب كما هو مخطط له، ما ينعكس بشكل إيجابي على مستوى الأداء الرقمي، ويؤكد ذلك الويسي وآخرون (2016)، والحسيني (2019)، والاقرع والعيسي (2021)، ودراسة اقزوح (2016) ودراسة تريش والعياضي (2014) ودراسة منصوري (2014).

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالتساؤل الثالث، والذي ينص على: "هل توجد علاقة ارتباطية بين الثقة الرياضية ومستوى الأداء الرقمي في فعالية: (عدو 100م، 200م، والوثب الطويل) لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن؟"

وللإجابة عن التساؤل فقد استخدم اختبار معامل الارتباط البسيط (Persons Correlation)، ونتائج الجدول رقم (9) تبين ذلك.

جدول 9: معامل الارتباط البسيط (بيرسون) بين مستوى الأداء الرقمي ومجموع درجات مقياس الثقة	
معامل ارتباط بيرسون	القيمة الاحتمالية
0.79	0.013

يوضح الجدول (9) معامل الارتباط بيرسون بين مستوى الأداء الرقمي ومجموع درجات مقياس الثقة، فتشير النتائج إلى أن معامل الارتباط بيرسون المستخدم وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين الثقة الرياضية ومستوى الأداء الرقمي، حيث إن قيمة معامل الارتباط بلغت (0.79)، أي أكبر من القيمة الاحتمالية (0.013)، وهذا يدل على وجود علاقة ارتباطية بين الثقة الرياضية ومستوى الأداء الرقمي، وهي علاقة متبادلة، فكل من الثقة الرياضية والممارسة الرياضية يتأثران كل منهما بالآخر، فالثقة الرياضية تزداد مع كثرة الممارسة الرياضية والاشتراك في المسابقات بصفة مستمرة وتحسن المستوى البدني والمهاري لدى اللاعب، كما أن مستوى الأداء الرقمي وإحراز مستوى متقدم يتأثر بمقدار ثقة الرياضي بنفسه، وهذا ما أكدته كل من شتيوي (2017) وعابد وآخرون (2016). وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع دراسة رضوان (2016) الذي أشار إلى أن للثقة دوراً هاماً في رفع مستوى الأداء المهاري عند لاعبي كرة القدم خلال المنافسة، ودراسة Gali (2015) والذي أشار إلى أن زيادة مستوى الثقة بالنفس كان له أثر إيجابي في تحسين مستوى الأداء المهاري في كرة الطائرة.

رابعاً: النتائج المتعلقة بالتساؤل الرابع، والذي ينص على: "هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في مستوى الثقة الرياضية لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن تبعاً لمتغير فعالية: (عدو 100م، 200م، الوثب الطويل)؟"

وللإجابة عن هذا التساؤل استخدم تحليل التباين الأحادي (One way ANOVA)، ونتائج الجداول (10) تبين ذلك.

جدول 10: جدول تحليل التباين الأحادي لإيجاد قيم اختبار ف		
قيمة ف المحسوبة	درجتي الحرية	القيمة الاحتمالية
0.491	2\22	0.618

يتضح من جدول (10) أنه تم استخدام اختبار اف المستخرج من جدول تحليل التباين ANOVA مع مراعاة الافتراضات المستخدمة وهي: (المتغير الأول: نوع الفعالية)، (المتغير الثاني: مجموع درجات مقياس الثقة) وأشارت النتائج إلى أن القيمة الاحتمالية للاختبار (0.645) أكبر من مستوى القيمة الاحتمالية (0.05)، وهذا يدل على عدم وجود فروق في مستوى الثقة الرياضية بين لاعبات منتخب ألعاب القوى تبعاً لمتغير نوع الفعالية (100م-200م-وثب طويل). ويرى الباحثون أن ذلك قد يرجع إلى مشاركة لاعبات منتخب ألعاب القوى في البطولات المحلية نفسها، ولتلقينهم التدريبات نفسها مع المدربة نفسها، وكذلك لوجود دعم نفسي بين اللاعبات، وهو ما يؤكد كل من skinner (2013)، ومقابلة ومخادمة (2015) وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع كل من عبد الرضا (2004) ودراسة جابر (2012)، الذين أشاروا إلى عدم وجود فروق في حالة الثقة بالنفس لدى اللاعبات، تعزى لمتغير نوع اللعب أو درجته.

5. الاستنتاجات والتوصيات

5.1 الاستنتاجات

- في ضوء نتائج الدراسة، توصل الباحثون إلى الاستنتاجات التالية:
1. ارتفاع مستوى الثقة الرياضية لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
 2. ارتفاع المستوى الرقمي لسباقات (عدو 200 متر، عدو 100 متر، وثب طويل) لدى لاعبات منتخب ألعاب القوى بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
 3. وجود علاقة طردية بين الثقة الرياضية ومستوى الأداء الرقمي.
 4. عدم وجود فروق في مستوى الثقة الرياضية بين لاعبات منتخب ألعاب القوى في سباقات (عدو 200 متر، عدو 100 متر، وثب طويل).

5.2 التوصيات

- في ضوء أهداف الدراسة ونتائجها يوصي الباحثون بما يلي:
1. استثمار مستوى الثقة الرياضية العالية لدى اللاعبات في توسيع رقعة الممارسة والمنافسة لفعاليات ألعاب القوى المختلفة.
 2. الاهتمام بتصميم المدرب للبرامج التدريبية للاعبات ألعاب القوى؛ لتراعي تنمية الثقة الرياضية لأهميتها في تحقيق مستويات رياضية عالية.
 3. الاهتمام بعمليات التدريب الرياضي وطرق التدريب المختلفة، ودمجها مع برامج تهتم بالإعداد النفسي للاعبين.
 4. إجراء المزيد من الدراسات في موضوع الدراسة الحالية نفسها، على فئات عمرية متنوعة وأنشطة رياضية مختلفة.
 5. إجراء الدراسة على جميع منتخبات ألعاب القوى المتواجدة في الجامعات الأخرى في المملكة.

6. قائمة المراجع

6.1 قائمة المراجع باللغة العربية

- الأقرع، هشام، العبيسي، تامر. (2021). تأثير تدريبات القوة المميزة بالسرعة في المنحدرات على القدرة الهوائية القصوى والمستوى الرقمي للاعبين منتخب فلسطين لألعاب القوى. مجلة جامعة الأزهر - غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، 23(2)، 293 - 304.
- أقزوح، سليم. (2016). أثر برنامج تدريبي مقترح لتنمية القوة الانفجارية لدى عدائي سباقات السرعة U19. مجلة المعيار، 13(1)، 178 - 184. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1169807>.
- تريش، حسن، لعياضي، عبد الحكيم. (2014). اقتراح برنامج تدريبي رياضي وأثره في تنمية صفة تحمل السرعة لدى عدائي المسافات النصف طويلة فئة (16-18) سنة. مجلة الإبداع الرياضي، 14(14)، 544-525.
- جابر، رمزي. (2012). الطلاقة النفسية لدى لاعبي الكرة الطائرة في فلسطين وعلاقته ببعض المتغيرات. مجلة الرياضة المعاصرة جامعة بغداد كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات، 18(11)، 1-19.
- جرعوب، عبد الرحمن. (2015). دراسة تحليلية لبعض العوامل النفسية والاجتماعية المؤثرة في الانجاز والتفوق الرياضي لمشاركي البطولة الوطنية المدرسية. مجلة المنظومة الرياضية، 2(2)، 73-93.
- الحسيني، محمد. (2019). تأثير تدريبات السرعة التنافسية على خطوة العدو وعلاقتها بتطوير المستوى الرقمي لعدائي 100م. مجلة أسبوط لعلوم وفنون التربية الرياضية، 50(2)، 400-430.
- حلاوة، رامي. (2011). الأعراض النفس جسمية قبل المنافسة الرياضية وعلاقتها بالمستوى الرقمي لدى لاعبي ألعاب القوى العرب. مجلة العلوم التربوية، 38(2)، 17-44.
- ربيعه، جمال. (2017). واقع الأعراض النفس جسمية قبل المنافسة وعلاقتها بالإنجاز لدى لاعبي أندية الدرجة الممتازة بالكرة الطائرة في الأردن. دراسات، 44(2)، 31 - 41.
- رضوان، خالد. (2016). الثقة بالنفس ودورها في الرفع من أداء لاعبي كرة القدم خلال مرحلة المنافسة [رسالة ماجستير غير منشورة]، جامعة محمد بوضياف، كلية علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضة.
- زهران، حامد. (2005) التوجيه والإرشاد النفسي: ط1، القاهرة، عالم الكتاب، ص28-29.
- سليم، عبد العزيز. (2022) علم النفس الرياضي: ط1، القاهرة، دار ميرنا للنشر، ص45.
- شتيوي، ثابت. (2017). مستوى الثقة بالنفس وعلاقتها بدافعية الإنجاز الرياضي لدى لاعبي منتخبات الألعاب الرياضية الجماعية في الجامعات الفلسطينية. مجلة الدراسات النفسية والتربوية، 11(3)، 483 - 500.
- عابد، خديجة زابدي، وداد، الأطرش، زبير. (2016). الثقة بالنفس وتأثيرها على دافعية الإنجاز الرياضي لدى لاعبي الكاراتيه [رسالة ماجستير غير منشورة]، جامعة العربي بن مهيدي، معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، قسم التربية البدنية والرياضية.
- عباس، محمد. (2024). تأثير برنامج نفسي باستخدام الحديث الذاتي على تنمية الثقة بالنفس ومستوي الأداء المهاري لدى ناشئ كرة القدم. مجلة الوادي الجديد لعلوم الرياضة، 8(7)، 45 - 75.

- عباسي، زهرة، دخية، عادل. (2016). العلاقة بين مستوى الثقة بالنفس والأداء المهاري لحراس المرمى الجزائريين لكرة القدم [رسالة ماجستير منشورة] ، جامعة العربي ابن مهيدي.
- عبد الرضا، عصام. (2004). دراسة مقارنة لحالة الثقة بالنفس لدى لاعبي كرة السلة في جامعة الموصل. مجلة أبحاث كلية التربية، (1) 4، 176 - 185.
- عبد القادر، رفيق، محمد، أمين. (2019). مستوى الثقة بالنفس عند ممارسة النشاط البدني الرياضي لدى تلاميذ الطور الثانوي {رسالة ماجستير غير منشورة} ، جامعة الجبلاني بونعامة.
- العتيبي، سلطان. (2020). الأعراض النفسية الجسدية وعلاقتها بالأداء الرياضي في مسابقات ألعاب القوى. مجلة التربية البدنية وعلوم الرياضة، (2) 18، 140-123.
- الغريزي، وفاء. الشمري، فاضل (2011). الاستقرار النفسي وعلاقته بتقدير الذات لدى لاعبي كرة اليد في العراق. مجلة علوم التربية الرياضية، (9) 5.
- محمد، حسام (2020) علم النفس الرياضي: ط1، دسوق، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع، ص95-96.
- محمد، فيلال، نورالدين، بن حامد (2020). أثر برنامج نفسي في تنمية الثقة بالنفس لدى لاعبي كرة السلة صنف أكابر - دراسة ميدانية لنوادي كرة السلة بالمسيلة. مجلة الابداع الرياضي. (2) 11، ص 105 - 121.
- مدادة، نوار. (2018). ألعاب القوى 1: سوريا، مركز التصوير كلية التربية، 2018، ص4.
- مقابلة، معاذ ومخادمة، عبد الكريم. (2015). العلاقة بين بعض السمات النفسية ومستوى الانجاز لدى عدائي المسافات القصيرة في الجامعات الأردنية، [رسالة ماجستير غير منشور] . جامعة اليرموك، مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/743048>
- منصوري، إسماعيل. (2014). أثر برنامج تدريبي مقترح في تنمية القوة المميزة بالسرعة لدى عدائي المسافات القصيرة، [رسالة ماجستير منشورة] ، جامعة محمد بوضياف المسلية، معهد الرياضة والتربية البدنية.
- نصارى، احمد كمال، زغلول، محمد حمدي. (2016). الثقة الرياضية وعلاقتها بحالة التدفق النفسي لدى طلاب كلية التربية الرياضية. مجلة أسبوط لعلوم وفنون التربية الرياضية، (2) 43، 393-425.
- الويسبي، نزار، عبد الرزاق، بسام، الداود، راتب، اخويلا، سميرة. (2016). تأثير تدريبات البليومتر على تطوير بعض القدرات الحركية والمستوى الرقمي لفعالية الوثب الثلاثي. مجلة المنارة للبحوث والدراسات، (3) 22، 299 - 325.

6.2 رومنة المراجع العربية

- Abbas, M. (2024). The effect of a psychological program using self-talk on developing self-confidence and skill performance level among youth football players. New Valley Journal of Sports Sciences, 8(7), 45-75.
- Abbasi, Z., Dakhia, A. (2016). The relationship between self-confidence level and skill performance of Algerian football goalkeepers. [Published Master's thesis], Arabi Ben Mhidi University.
- Abdelkader, R., Mohamed, A. (2019). The level of self-confidence in physical sports activities among secondary school students: [Unpublished master's thesis], Guelma University.
- Abdel-Rida, A. (2004). A comparative study of self-confidence among basketball players at the University of Mosul: Journal of Educational Research, (1) 4, 176 - 185.
- Abid, K., Zaydi, W., & Attarsh, Z. (2016). Self-confidence and its impact on achievement motivation among karate players: [Master's thesis], Arabi Ben Mhidi University, Institute of Physical Education and Sports Sciences, Department of Physical Education and Sports.
- Al-Ghurairy, W., Al-Shammari, F. (2011). Psychological stability and its relationship to self-esteem among handball players in Iraq. Journal of Sports Education Sciences, 5(9).
- Al-Husseini, M. (2019). The impact of competitive speed training on running stride and its relation to improving the digital performance of 100m sprinters. Assiut Journal of Physical Education Sciences and Arts, 50(2), 400-430.
- Al-Otaibi, S. (2020). Psychosomatic symptoms and their relationship with athletic performance in track and field events. Journal of Physical Education and Sports Sciences, 18(2), 123-140.
- Al-Qura', H., & Al-Absi, T. (2021). The impact of speed-specific strength training on slopes on the maximum aerobic capacity and digital performance of the Palestinian national athletics team players. Al-Azhar University Journal - Gaza, Series of Humanities, 23(2), 293-304.
- Al-Waisi, N., Abdul-Razzaq, B., Dawood, R., Akhouila, S. (2016). The effect of plyometric training on developing some motor abilities and digital level of triple jump efficiency. Al-Manarah Journal for Research and Studies, 22(3), 299-325.
- Aqzuoh, S. (2016). The impact of a proposed training program to develop explosive strength in U19 sprinters. Al-Mi'yar Journal, Issue 13, 178-184. Retrieved from <http://search.mandumah.com/Record/1169807>

- Halawa, R. (2011). Psychosomatic symptoms before sports competition and their relationship with the digital performance of Arab track and field athletes. *Journal of Educational Sciences*, 38(2), 17-44.
- Jaber, R. (2012). Psychological fluency among volleyball players in Palestine and its relationship with some variables. *Journal of Contemporary Sport*, University of Baghdad, College of Physical Education and Sports Sciences for Women, 18(11), 1-19.
- Jerboa, A. (2015). An analytical study of some psychological and social factors affecting achievement and sports excellence among participants in the National School Championship. *Sports System Journal*, 2(2), 73-93.
- Maddah, N. (2018). Track and Field 1: Syria, College of Education Imaging Center,
- Mansouri, I. (2014). The impact of a proposed training program on developing speed-specific strength among short-distance runners, [Published master's thesis], Mohamed Boudiaf University of M'sila, Institute of Sport and Physical Education.
- Maqableh, M., Makhadma, A. (2015). The relationship between some psychological traits and achievement level among short-distance runners in Jordanian universities [Unpublished master's thesis]. Yarmouk University, Retrieved from <http://search.mandumah.com/Record/743048>
- Mohammed, F., Nouraldin, B. (2020). The impact of a psychological program on developing self-confidence among senior category basketball players - A field study of basketball clubs in M'sila. *Journal of Sports Creativity*, 11(2), 105-121.
- Mohammed, H. (2020). *Sports Psychology: 1st edition*, Damanhour, Dar Al-Ilm Wal-Iman Publishing and Distribution House, Dar Al-Jadid Publishing and Distribution, pp. 95-96.
- Nassary, A, Zaghloul, H. (2016). Sports confidence and its relationship to the state of psychological flow among students of the Faculty of Physical Education. *Assiut Journal of Sciences and Arts of Physical Education*, 43(2), 393-425.
- Rabieh, J. (2012). The status of psychosomatic symptoms before sports competition and its relationship with achievement among elite volleyball players in Jordan. *Studies Journal*, 44(2) Jordan, 31 – 41.
- Radwan, K. (2016). Self-confidence and its role in enhancing the performance of football players during the competition phase: [Un Published Master's thesis], Mohamed Boudiaf University, Faculty of Physical and Sports Activities Sciences.
- Salim, A. (2022). *Sports psychology: 1st edition*, Cairo, Dar Mirna Publishing House, p. 45.
- Shtaywi, Th. (2017). The level of self-confidence and its relation to achievement motivation among players of team sports in Palestinian universities. *Journal of Psychological and Educational Studies*, 11(3), 483 - 500.
- Trich, L., & Laayadi, A. (2014). Proposing a sports training program and its impact on developing speed endurance in middle-distance runners aged 16-18 years. *Journal of Sports Creativity*, , (14). 525-544.
- Zahran, H. A. (2005). *Psychological counseling and guidance: 1st edition*, Cairo, Alam Al-Kutub, pp. 28-29.

6.3 المراجع الأجنبية

- Bebetsos, E., & Antoniou, P. (2003). Psychological skills of Greek badminton athletes. *Perceptual and motor skills*, 97(3), 1289-1296.
- Gali F (2015) The Relationship of Self-Confidence to the Skill Performance in Volleyball for Female Students of Physical Education College for Girls. *Contemporary Sports Journal*, 14 (4), 200.
- Heper, E., Yolacan, S., & Kocaeksi, S. (2014). The examine goal orientation and sports self confidence level of soccer players. *Procedia-Social and Behavioral Sciences*, 159, 197-200.
- HSAN, S., Ekici, S., Soyer, F., & Eskiler, E. (2015). Does self-confidence link to motivation? A study in field hockey athletes. *Journal of Human Sport and Exercise*, 10(1), 24-35.
- Skinner, B. R. (2013). The relationship between confidence and performance throughout a competitive season.[Unpublished master thesis], Utah State University.

Sport confidence and its relationship to the level of digital performance of the female athletics players at Princess Nourah bint Abdul Rahman University- Saudi Arabia

Samer Abu Eid¹, Islam Abbas^{2*}, Mayisah Abd al-Rahman³

^{1, 2} Department of Sports Science, College of Sports Science, Arab American University

³ Department of Physical Education and Sports Science, College of Sports Science and Physical Activity, Princess Nourah bint Abdulrahman University

Corresponding Author: Islam.abbas@aaup.edu

Received: 13/08 2024.

Revised: 18/09/2024.

Accepted: 03/11/2024.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.10

Abstract

The study aimed to identify the level of sports confidence and its impact on the digital performance level among the female athletics team at Princess Nourah bint Abdulrahman University, as well as the relationship between them in addition to examining the differences in this effect based on the event variable (100-meter sprint, 200-meter sprint, long jump). To achieve this, the researchers employed the descriptive correlational method, given its suitability for the nature of the study. The study population consisted of all members of the track and field team at Princess Nourah bint Abdulrahman University for the 2022-2023 academic year, totaling 32 athletes. The study sample included 25 athletes who were randomly selected, representing 78% of the original study population, with 2 athletes excluded for irregular training and 5 athletes excluded due to a pilot study. The researchers used the sports confidence scale by Robin Vealey (Vealey, 1986), which consists of 13 items. They also measured the digital performance levels in the 200-meter sprint, 100-meter sprint, and long jump events for the athletes. For data analysis, the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS) was used. The main findings indicated a positive correlation between sports confidence and the digital performance level among the athletes of Princess Nourah bint Abdulrahman University's track and field team, with a high level of sports confidence observed among the athletes. Additionally, no statistically significant differences were found in the level of sports confidence based on the type of event (100-meter sprint, 200-meter sprint, and long jump). The researchers recommended utilizing the high level of sports confidence among the athletes to expand participation and competition across various athletics events.

Keywords: Sports confidence, digital performance level athletics team.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY

مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

توحيد الدعاوى وتطبيقاته القضائية - دراسة قانونية مقارنة

أثير جودة

محكمة نابلس الشرعية، ديوان قاضي القضاة/المحاكم الشرعية في دولة فلسطين

الباحث المراسل: athier1998joudeh@gmail.com

Received: 11/07/2024.

Revised: 04/03/2024.

Accepted: 30/12/2024.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.11

الملخص

جاء هذا البحث بعنوان "توحيد الدعاوى وتطبيقاته القضائية-دراسة قانونية مقارنة"، وذلك لبيان أثر توحيد الدعاوى في إجراءات سير الدعاوى في المحاكم الشرعية. ونظراً لكثرة الدعاوى التي تُرد إلى المحاكم الشرعية وتنوعها وازدياد أعدادها بشكل ملاحظ وواضح، وبما أن توحيد الدعاوى هو إجراء يتم فيه توحيد النظر بالدعاوى التي يوجد بينها ارتباط، والفصل في إحداها متوقف على الفصل في الدعوى الأخرى، وذلك من أجل تسريع إجراءات التقاضي، وبالتالي الإسهام في تقليل أعداد الدعاوى التي تُنظر أمام المحاكم الشرعية.

واستوضحت الدراسة جدوى توحيد الدعاوى في ظل تزايد أعداد الدعاوى المرفوعة أمام المحاكم وتعقيد إجراءاتها وطول أمد التقاضي، ما يحتم البحث عن إجراءات قانونية وقضائية، تسهم في اختصار عدد الدعاوى المنظورة أمام المحاكم وتقليل أمد التقاضي وتخفيف العبء على المحاكم والمتقاضين.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الدعوى، توحيد الدعاوى، الارتباط بين الدعاوى، شروط توحيد الدعاوى، استئناف القرار بتوحيد الدعاوى.

1. المقدمة

يُعدّ اللجوء إلى القضاء بوصفه جهة محايدة وعادلة لحل النزاعات بين الأفراد، هو الطريق الأمثل للوصول إلى حلٍ مرضٍ للأطراف كافة، من خلال رفع الدعاوى أمام المحاكم؛ من أجل استرداد الحقوق وتوفير الحماية اللازمة لها، وتعدد الخلافات والمشاكل بين الأفراد وتنوعها نتج عنه تعدد المحاكم وتنوع اختصاصاتها ودرجاتها.

وما سبق أدّى إلى ازدحام المحاكم بالدعاوى المنظورة أمامها، الأمر الذي يُشكّل ضغطاً كبيراً على عمل القضاة وعلى عمل المحاكم بشكل عام، والذي - بدوره - يُكلّف ميزانية الدولة مبالغ كبيرة لتغطية تلك النفقات والمحافظة على سير عمل المحاكم، لذلك كان لا بُدّ من وجود مخرج قانوني كالقرار بتوحيد الدعاوى؛ للتقليل من عدد الدعاوى المرفوعة أمام المحاكم واختصار إجراءاتها.

مشكلة الدراسة: تُعدّ مسألة طول الإجراءات ومُماطلة النظر في الدعاوى مشكلة ذات أهمية كبيرة فيما يتعلّق بإجراءات التقاضي أمام المحاكم؛ لذلك فإنّ تعدد الدعاوى المنظورة أمام المحاكم وكثرتها يؤخّر النظر في باقي الدعاوى المعروضة أمام القضاء، ويُطيل أمد إجراءات التقاضي، ما يُعيق تنفيذ الأحكام القضائية، الأمر الذي يتطلب البحث عن حل يختصر عدد الدعاوى المنظورة أمام المحاكم، ويُسرّع إجراءات التقاضي، وذلك بما يكفل حقوق الأفراد ويحافظ على حسن سير القضاء، وهذا ما يقودنا إلى سؤال البحث، والذي نصّه: هل استطاع المُشرّع الفلسطيني تنظيم أحكام القرار بتوحيد الدعاوى بقواعد قانونية وتطبيقها بما يكفل حسن سير القضاء ومُراعاة قواعد العدالة؟ وهذا ما سنُجيب عنه في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة العلمية للبحث في توضيح الكيفية التي تناولت فيها التشريعات المُطبقة في فلسطين لمفهوم توحيد الدعاوى، والشروط الواجب توافرها لذلك، والإجراءات المُتبعة لتوحيد الدعاوى؛ الأمر الذي يُسهّم في وجود منظومة قانونية متكاملة، تتناول القرار بتوحيد الدعاوى والشروط والإجراءات اللازم توافرها للقيام بذلك. فيما تبرز الأهمية العملية للبحث، في أنّ وجود النصوص القانونية التي تتناول كل ما يتعلّق بتوحيد الدعاوى يُسهّم في تخفيف الجهد والمشقة

المُلَاقاة على عاتق القضاة في النظر بالدعاوى والحكم فيها، ويُسهّم - كذلك - في تجنُّب صدور الأحكام المُتناقضة، ما يُؤثر - بدوره - إيجاباً في حسن سير القضاء ويضمن - أيضاً - الحفاظ على حقوق الأفراد وحمايتهم. أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. تناول مفهوم الدعوى وشروطها وأنواعها، والقرار بتوحيد الدعاوى.
 2. تحليل النصوص القانونية المُتعلقة بتوحيد الدعاوى، وشروط التوحيد، والإجراءات القانونية المُتبعة في ذلك، وكيفية تطبيقها، وتوحيد الدعاوى فيما يتعلق باستئناف القرار.
 3. الوصول إلى إجراءات قانونية سريعة ومختصرة، تُطبق القرار بتوحيد الدعاوى بما يحفظ حقوق الأفراد ويحميها.
- نطاق الدراسة:** تتمثل حدود الدراسة المكانية في الضفة الغربية من فلسطين. وحدود الدراسة الزمانية في الفترة ما بين عام 1867م حتى الآن. وتتمثل حدود الدراسة القانونية في التشريعات المطبقة في الضفة الغربية، والتي تتمثل بما يلي: مجلة الأحكام العدلية الصادرة سنة 1867م، والقانون الأساسي الفلسطيني المُعدّل لسنة 2003م، وقانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية الفلسطيني رقم (2) لسنة 2001م، وقانون أصول المحاكمات الشرعية رقم (31) لسنة 1959م، وقانون المحامين الشرعيين رقم (12) لسنة 1952م وتعديلاته، والقرار بقانون رقم (21) لسنة 2019م المُعدّل للتشريعات النازمة للأحوال الشخصية بشأن تحديد سن الزواج في فلسطين.

خطة الدراسة: حاولت هذه الدراسة الوقوف على الاشكاليات والمسائل المُتعلقة بموضوع البحث كافة، الأمر الذي اقتضى تقسيم هذا البحث إلى أربعة مباحث رئيسية؛ الأول عنوانه مفهوم الدعوى وأركانها، والثاني تناول توحيد الدعاوى وشروطها، والثالث تحدث عن الإجراءات المُتبعة لتوحيد الدعاوى وأسباب التوحيد، والرابع بحث في استئناف القرار بتوحيد الدعاوى.

2. المبحث الأول: مفهوم الدعوى وأركانها

تثار عديد من النزاعات والمشاكل بين الأفراد، التي قد يَصْغُب حُلّها ودّيّاً، ما يدفع الأفراد للجوء إلى القضاء بوصفه جهة مُحايدة، يُمكن - من خلالها - تحصيل الحقوق، والمطالبة بها، وحمايتهم من أي إعتداء، ويكون ذلك عن طريق الدعوى القضائية، التي تُرفع أمام المحاكم؛ كلّ حسب اختصاصها الذي يحدده القانون، ما أدّى إلى ظهور عديد من الدعاوى التي تعددت أنواعها، وبناءً على ما سبق فسيتم التطرّق - في هذا المبحث - لكل ما يتعلق بمفهوم الدعوى وأركانها.

في البداية لا بُدّ من ذكر أنّ النزاعات تقوم بين الأفراد في كل مكان، بغض النظر عن أفكارهم أو دياناتهم، وفي ظلّ الانتشار الواسع لتلك النزاعات ظهرت الحاجة إلى اللجوء للمحاكم، بصفتها الجهة المحايدة والعادلة التي تنظر في تلك النزاعات، ويكون ذلك برفع الدعوى لدى المحكمة المختصة.

ومن الجدير ذكره أنّ حق التقاضي أو حق اللجوء إلى القضاء، هو من الحقوق العامة، فلا يجوز التنازل عنه، وقد كفله القانون الأساسي الفلسطيني في المادة (1/30) والتي نصت على: "التقاضي حق مصون ومكفول للناس كافة، ولكل فلسطيني حق الالتجاء إلى قاضيه الطبيعي، وينظم القانون إجراءات التقاضي بما يضمن سرعة الفصل في القضايا" (القانون الأساسي الفلسطيني المعدّل، 2003).

وُثِّدَ الدعوى عنصراً من عناصر الحق، كما أنها الوسيلة الأساسية لحماية الحق، وبالحديث عن مفهوم الدعوى فلا بدّ من تعريف مفهوم الدعوى لغةً، وتعريفها اصطلاحاً بحسب آراء الفقهاء، وبحسب تعريف مجلة الأحكام العدلية.

1. تعريف الدعوى لغةً: هي اسمٌ، وجذرها من الفعل الثلاثي دَعَوْ، فيُقَالُ الدَّعْوَى وهي إسمٌ لما يدَّعيه، والدَّعْوَى تَصْلُحُ أن تكون في معنى الدُّعَاء، ويُقال: لي فيهم دَعْوَةٌ، أي قرابة وإخاء، ودَّعَيْتُ على فلان كذا، ودَّعَيْتُ الشيء أي زعمته لي حقاً كان أو باطلاً، ومنها تَدَّعَوْنِ والتي فُسِّرَتْ بمعنى تكذبون، ومنها القول: تَدَّعَى الباطل وتَدَّعَى ما لا يكون (ابن منظور، 2003، الصفحات 366-369).

2. تعريف الدعوى اصطلاحاً: عند تعريف الدعوى اصطلاحاً يَتَبَيَّنُ أنّ هنالك عديداً من التعريفات الفقهية لمصطلح الدعوى، فقد عرفتها المذاهب الفقهية الأربعة، وكذلك التشريعات، كما عرّفها الفقهاء القانونيون. وتتوّعت تعريفات فقهاء الشريعة الإسلامية للدعوى، فقد عرّفها المذهب الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، وجميعها تدور حول أنّ الدعوى هي قول مقبول قضاءً، يقصد به طالب الحق إثبات حَقِّه المسلوب، وإعادته إلى صاحبه والدفاع عن هذا الحق، وإمكانية ضمان توفير الحماية القانونية اللازمة للحق المسلوب (البريشي، 2022).

وبالرغم من اختلاف التعريفات الفقهية لمصطلح الدعوى، فإنه يتّضح أنّ جميعها جاءت تحمّل الفكرة نفسها، وهي مطالبة الإنسان لحَقِّه المسلوب، مع اختلاف في الصياغة والأسلوب الفقهي في التعبير عن مفهوم الدعوى.

أمّا بالنسبة لتعريف الدعوى من منظور تشريعي، فقد عرّفت مجلة الأحكام العدلية الدعوى في المادة (1613) منها، والتي نصّت على أنّ "الدَّعْوَى هي طلب أحد حَقِّه من آخر في حضور القاضي، ويُقال له المُدَّعَى، وللآخر المُدَّعَى عليه" (مجلة الأحكام العدلية، 1867)، وفيما يتعلق بقانون أصول المحاكمات الشرعية رقم (31) لسنة 1959م والمطبّق في الضفة الغربية، فإنّه لم يتناول مفهوم الدعوى في نص خاص، وكذلك الحال في قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية الفلسطيني رقم (2) لسنة 2001م، فإنّ المشرع الفلسطيني لم يضع تعريفاً لمفهوم الدعوى، تاركاً ذلك لآراء الفقهاء واجتهادهم.

وفيما يتعلق بمفهوم الدعوى الشرعية تحديداً فإنه يمكن تعريفها قانوناً على أنها وسيلة للمطالبة بالحقوق الشرعية في حال الإعتداء عليها، كالإرث والنسب، والمحاكم الشرعية هي صاحبة الاختصاص الأصلي في النظر فيها (مفهوم الدعوى القضائية وما يتعلق به، 2021).

وترى الباحثة أن معظم التعريفات السابقة لمفهوم الدعوى تدور حول معنى واحد، وهو أن الدعوى عبارة عن مجموعة من الإجراءات القانونية والتي يُمكن لصاحب الحق من خلالها مطالبة المحكمة بحقه بوصفها الوسيلة التي يُمكن - من خلالها - الحصول على حقه واسترداده، وتوفير الحماية القانونية لهذا الحق.

وعند الحديث عن الدعوى، فلا بُدَّ من تناول الأركان التي تقوم عليها، فأركان الدعوى هي العناصر الأساسية للدعوى والتي لا تقوم إلا بها، فغياب أحد هذه الأركان يعني هدم الدعوى بأكملها، بالتالي يتوجب على القاضي ردّ الدعوى وعدم قبولها (البدارين، 2007، صفحة 48)، وقد اتفق أغلب الفقهاء على أن أركان الدعوى هي:

1. المدعى: وهو من يلتزم بقوله أخذ شيء من يد غيره، أو إثبات حق في ذمة ذلك الغير (الفحصي، 2019).
2. المدعى عليه: وهو المطلوب منه شيء في يده أو في ذمته، وهو الذي عليه عبء نفي تعلق الشيء بذمته أو يده، أو إنكاره (الفحصي، 2019).
3. المدعى به: وهو الحق الذي يطلبه المدعي من المدعى عليه، وهو الحق ذاته، الذي جرى الخلاف عليه بين المدعي والمدعى عليه (أبو البصل، 2005، الصفحات 50-55).
4. المدعى عنده: وهو كل من ينفذ حكمه سواء أكان قاضياً أم مُحكماً (الشرعي، 2020)، فالقاضي هو من يملك - بحكم صفته الوظيفية - فضّ النزاعات والخصومات بين الأفراد، ملتزماً بذلك اتباع النص القانوني وتطبيقه بعدالة ونزاهة، (موقع الأنطولوجيا العربية - جامعة بيرزيت، بلا تاريخ)، والمُحكّم هو من يتولى مهمة الفصل في النزاعات القائمة بين الأطراف، وقد يكون شخصاً طبيعياً أو هيئة كاملة، وهو مُعترف به قانونياً (قانون التحكيم رقم (3) لسنة 2000م، 2000م).

3. المبحث الثاني: توحيد الدعاوى وشروطها

بعد التطرق لمفهوم الدعوى وأركانها، فلا بُدَّ من تناول توحيد الدعاوى وشروطها، فيتناول هذا المبحث مفهوم توحيد الدعاوى والمفاهيم المرتبطة به وشروط توحيد الدعاوى.

ويعرّف مُصطلح توحيد الدعاوى بأنه قيام المحكمة بالجمع بين دعويين أو أكثر، للنظر فيهما في مُحكمة واحدة، ويكون ذلك عند اتحاد أطراف الدعوى، أو اتحاد سببها أو موضوعها، وإذا كان الفصل في إحداها مرتبطاً بالفصل في الدعوى الأخرى (موقع الأنطولوجيا العربية - جامعة بيرزيت، بلا تاريخ)، ويترتب على توحيد الدعويين اندماجهما حتى تفقد كل دعوى استقلالها (معوض، 1989، صفحة 51).

ومن الجدير ذكره في هذا الصدد أن هنالك علاقة بين مصطلحي "توحيد الدعاوى" و"الارتباط بين الدعاوى" فيُعَرّف الارتباط بين الدعاوى بأنه الصلة التي تتواجد بين دعويين أو أكثر كوحدة الخصوم، ووحدة المحل، ووحدة السبب، ويكون الارتباط بين الدعاوى؛ إما في اتحاد الخصوم بين الدعاوى، أو في اتحاد السبب للدعاوى، أو في اتحاد موضوع الدعاوى، ويجوز لأحد الخصوم طلب إحالة الدعوى للارتباط، ويكون للمحكمة السلطة التقديرية في قبول هذا الطلب أو رفضه، أما فيما يتعلق بتوحيد الدعاوى، فإنه يكون بوجود ارتباط بين الدعاوى المُراد توحيدها، ويجوز لأحد الخصوم طلب توحيد الدعاوى، ويكون للمحكمة السلطة التقديرية في قبول هذا الطلب أو رفضه، وما يفسّر ذلك ورود عبارة: "حسبما تقتضيه الحالة"، وذلك في نص المادة (33) من قانون أصول المحاكمات الشرعية رقم (31) لسنة 1959م، كما يجوز للمحكمة من تلقاء نفسها إذا كانت الدعاوى المُراد توحيدها مُقامة أمامها، أن تأمر بإحالة هذه الدعاوى إلى المحكمة المرفوعة أمامها الدعوى الأولى، ويكون ذلك مع مراعاة قواعد الاختصاص (مصلح، 2015).

ويتضح من الربط بين المفهومين أن الارتباط بين الدعاوى مصطلح أعم وأشمل من مصطلح توحيد الدعاوى؛ فإن وجود الارتباط بين الدعاوى يُعدّ مقتضى لتوحيد تلك الدعاوى، وأن نتيجة وجود الارتباط بين الدعاوى هو توحيدها، كما أن الارتباط بين الدعاوى لا يعني - بالضرورة - جمع الدعاوى للنظر فيها أمام محكمة واحدة، ومثال ذلك الدعاوى المدنية والجزائية، على العكس من توحيد الدعاوى، والذي يعني حتمية النظر في الدعاوى أمام محكمة واحدة (الكعبي و شناعة، 2019)؛ فإن لتوحيد الدعاوى شروطاً يجب توافرها، كأن تكون الدعاوى كافة، المُراد توحيدها في محكمة من الدرجة نفسها، ومن الاختصاص ذاته؛ النوعي والوظيفي، وأن يكون الحكم في أي منها مؤثراً في الحكم في الأخرى، ما يعطي السلطة التقديرية للقاضي ليجمع بين الدعاوى للنظر فيها أمام محكمة واحدة؛ من أجل المحافظة على حسن سير الدعاوى (أبو البصل، 2005). وفي المُحصلة يمكننا القول: إن الارتباط بين الدعاوى هو تمهيد لإجراءات توحيد الدعاوى، وجزء لا يتجزأ منها، وأن توافر الارتباط يُعدّ أحد الأسباب للقيام بإجراءات توحيد الدعاوى.

فإذا ورد إلى المحكمة دعويان أو أكثر، وتبين وجود ارتباط بين هذه الدعاوى، وكان الفصل في هذه الدعاوى يُعدّ في حكم الفصل في الدعوى الأخرى، ففي هذه الحالة يجوز للمحكمة أن تقوم بتوحيد هذه الدعاوى في دعوى واحدة، وأن تفصل فيهما حسبما يقتضيه الحال، وذلك وفقاً لما جاء في نص المادة (33) من قانون أصول المحاكمات الشرعية، والتي جاء فيها: "إذا ظهر للمحكمة أن هناك ارتباطاً بين دعويين أو أكثر وكان الفصل في إحداها متوقفاً على الفصل في الأخرى أو في حكم

الفصل للأخرى، فيجوز لها أن تقرر توحيدها، وتفصل فيها حسبما تقتضيه الحالة". (قانون أصول المحاكمات الشرعية رقم (31)، 1959).

أما فيما يتعلق بمفهوم استئثار الدعوى والفرق بينه وبين مفهوم توحيد الدعاوى، فإن استئثار الدعوى يكون في حال توقف موضوع الفصل في دعوى على دعوى أخرى، فإنه يتم وقف الدعوى المنظورة لحين البت في الدعوى الأخرى، مثال ذلك أن يرفع الزوج لدى المحكمة الشرعية دعوى طاعة زوجية، سببها إخلال الزوجة بواجباتها الزوجية، وتركها منزل الزوجية دون سبب وهجرانها له، وفي الوقت ذاته وجود دعوى تفريق للنزاع والشقاق، مرفوعة من الزوجة نفسها على زوجها تطلب فيها من القاضي تطبيقها لوجود النزاع والشقاق المُستحكم بينها وبين زوجها، وبما أن مناط دعوى التفريق للنزاع والشقاق هو وجود ضرر قولي أو فعلي يقع على الزوجة التي رفعت الدعوى، ومناط دعوى الطاعة هو إخلال الزوجة بواجباتها الزوجية وتركها منزل الزوجية دون سبب، شرط عدم وجود أي ضرر - يتسبب به الزوج - يمنع الزوجة من السكنى مع زوجها أو القيام بواجباتها الزوجية على أكمل وجه، بالتالي فإن القرار في دعوى الطاعة يتوقف على الفصل في دعوى التفريق للنزاع والشقاق؛ أي على وجود الضرر من عدمه، بمعنى أنه على المحكمة أن تقرر وقف السير في دعوى الطاعة لحين البت في دعوى التفريق للنزاع والشقاق وثبوت وجود الضرر من عدمه (الصلة بين أحكام استئثار الدعوى وتوحيدها، بلا تاريخ).

بالتالي يتضح الفرق بين مفهوم توحيد الدعاوى واستئثارها في أن توحيد الدعاوى يُفقد كل دعوى استقلاليتها وتصبح دعوى واحدة، ويتم توحيد الإجراءات المُتخذة كافة، بينما يعني استئثار الدعوى ألا يُفقد الدعاوى استقلاليتها، إنما يتم تأخير النظر في الدعوى ووقف النظر فيها لحين البت في الدعوى الأخرى، فيتوقف الفصل في الدعوى الأولى لحين البت فيها. وتكمن الحكمة في سماح القانون للقاضي بتوحيد الدعاوى؛ لاختصار الإجراءات ومنع مآطلتها، ومن أجل تحقيق سرعة البت في الدعاوى، كما أن القيام بإجراء توحيد الدعوى يُوفر الجهد والمشقة على القاضي الذي ينظر في الدعاوى، وإجراء توحيد الدعاوى يساهم في توفير النفقات العامة والعمل على اقتصاد أوجه صرفها، وكذلك فإن توحيد القاضي بين الدعاوى يُسهم في تجنب صدور الأحكام المتناقضة، ويمنع صدور أحكام قضائية يصعب التوفيق بينها (أبو البصل، 2005، الصفحات 90-100).

ويمكننا تعريف توحيد الدعاوى بأنها إجراء قانوني، يمارسه القاضي من تلقاء نفسه أو بناءً على طلب أحد الأطراف، بتوحيد النظر في الدعاوى التي تتحد في الموضوع نفسه، أو السبب أو الأطراف، فتتظرها محكمة واحدة وهيئة قضائية واحدة (مصلح، 2015)، ما يساهم في اختصار الوقت والإجراءات على الأفراد والمحكمة في الآن ذاته، والقرار بتوحيد الدعاوى هو سلطة تقديرية، منحها القانون للقاضي لتقدير مدى توافر أسباب توحيد الدعاوى، واتخاذ القرار بتوحيد الدعاوى من عدمه (قانون أصول المحاكمات الشرعية رقم (31)، 1959).

وبالرغم من أن القاضي الذي ينظر الدعوى يملك سلطة تقديرية في تقرير توحيد الدعوى المنظورة أمامه مع دعوى أخرى مُقامة، إذا وجد الأسباب الكافية لذلك، كما يملك الصلاحية في تقرير رفض توحيد الدعويين، فإن لتوحيد الدعوى عدة شروط، وضعها القانون، واتفق عليها الفقهاء القانونيون، وتتمثل في الآتي:

1. أن تكون الدعاوى كافة، المراد توحيدها في محكمة من الدرجة نفسها، ومن الاختصاص ذاته؛ النوعي والوظيفي، فلا يجوز توحيد دعوى يتم النظر بموضوعها أمام محكمة الاستئناف، ودعوى أخرى منظورة أمام محكمة البداية (معلومات قانونية حول توحيد دعوتين وإعتبار الدعوى مستأخرة، بلا تاريخ)؛ كون قواعد الاختصاص النوعي والوظيفي من قواعد النظام العام، فلا يجوز مخالفتها، وإلا فسيعدّ الإجراء باطلاً ومخالفاً للقانون (تعريف الإختصاص الوظيفي، بلا تاريخ).
2. أن تكون الدعاوى المراد توحيدها قيد المرافعة، فإنه لا يجوز أن يتم توحيد دعويين؛ إحداها قيد المرافعة والنظر مع دعوى أخرى تقرّر فيها ختام المرافعة لأغراض إصدار الحكم (معلومات قانونية حول توحيد دعوتين وإعتبار الدعوى مستأخرة، بلا تاريخ).
3. أن يتقدم أحد أطراف الدعاوى بطلب التوحيد - سواء أكان مُدعياً أم مُدعى عليه - إذا كانت الدعوى المطلوب توحيدها مُقامة أمام محكمة أخرى (مصلح، 2015)، ولا يُشترط وحدة الخصوم كافة بين الدعاوى المراد توحيدها دون وجود الخصم الآخر، كأن يقيم عدة أشخاص دعوى لطلب تمليك عقار، فمن الممكن - هنا - أن تتصرف المحكمة إلى توحيد الدعاوى ونظرها معاً؛ للحيلولة دون صدور غير حكم تمليك على العقار ذاته، ما يتعدّر تنفيذ أحدهما دون الآخر، ومن الجدير ذكره أنه لا يجوز للمحكمة أن تقرر توحيد الدعوى من تلقاء نفسها ودون أن يقوم أحد الأطراف بتقديم طلب إلى المحكمة إلا في حالة كون الدعاوى المراد توحيدها مُقامة أمام المحكمة ذاتها (إجراءات توحيد الدعوى في القانون العراقي، بلا تاريخ).
4. وجود مصلحة تستدعي توحيد الدعاوى، وهذه المصلحة لا تقتصر - فقط - على مصلحة الخصوم، وإنما تشمل مصلحة سير العدالة والحيلولة دون إصدار أحكام قضائية متناقضة في دعاوى مُتحدة الخصوم أو الموضوع أو السبب، هذا إلى جانب مصلحة تقليل القضاة والمحاكم للوقت والجهد المبذول (أبو البصل، 2005، الصفحات 95-100).

ومن الجدير ذكره - فيما يتعلق بسلطة القاضي في اتخاذ القرار بتوحيد الدعاوى من عدمه - فقد اتخذ الفقهاء القانونيون عدة اتجاهات في تفسير النص القانوني، منهم من فسّر أن سلطة القاضي في توحيد الدعاوى مُقيّدة بحدود القانون، فالعبرة بتوافر

الارتباط بين الدعاوى، والذي - بدوره - يُوجب توحيدها، وأنَّ الأمر الجوازي الوارد في نص القانون هو من أجل قيام القاضي بتقدير مدى توافر شروط التوحيد من عدمها، فمضى يجد القاضي أنَّ شروط التوحيد قد توافرت، يصبح واجباً عليه القيام بتوحيد الدعاوى، أما الاتجاه الآخر، فيرى أنَّ القرار بتوحيد الدعاوى سلطة تقديرية بيد القاضي؛ كون القاضي يملك الصلاحية بتحديد مدى تحقق شروط التوحيد وتقديره من عدمه (الكعبي و شناعة، 2019).

وفيما يتعلق بالشروط الواجب توافرها لتوحيد الدعاوى، فتري الباحثة أنَّ وجود تلك الشروط له أهمية كبيرة في تقييد سلطة القاضي في قبول توحيد الدعاوى من عدمه؛ فمن المهم وجود تلك الشروط لتقف عائناً أمام قيام القاضي باستغلال سلطاته وإمكانية التعسف في استخدام هذه السلطة، فلو ترك أمر توحيد الدعاوى من عدمه بوصفه سلطة تقديرية بيد القاضي، لوجد نوع من الاضطراب في إجراءات التقاضي، وتزعزعت ثقة الأفراد بالقضاء والعدالة؛ كون جعل القرار بتوحيد الدعاوى سلطة بيد القاضي يخلق الجهالة بالنسبة للأفراد حول إجراءات التقاضي والمال الذي ستُفضي إليه تلك الدعاوى، كما ترى الباحثة أنَّ شرط المصلحة لتوحيد الدعاوى هو شرط واسع وفضفاض؛ فقد تتعدد وتتغير المصلحة؛ لذلك لا بُدَّ من تقييد هذا الشرط، ويكون ذلك بوضع ضوابط لهذه المصلحة، كأن تكون قائمة وحالة وغير محتملة، لتعمل على زيادة تقييد سلطة القاضي فيما يتعلق بتوحيد الدعاوى.

4. المبحث الثالث: الإجراءات المُتبعة لتوحيد الدعاوى وأسباب التوحيد

عندما تجد المحكمة أنَّ هناك تلازماً بين دعويين، وأنَّ هذا التلازم يُؤثر في الحكم في الدعوى، فلها أن تقوم بتوحيد الدعويين؛ من أجل مصلحة السير في الدعوى، وفي هذا المبحث سنتناول كل ما يتعلق بالإجراءات المُتبعة لتوحيد الدعاوى وأسباب التوحيد.

لقد دأبت المحاكم على اتباع إجراءات وآليات محددة في حال تبين وجود ارتباط بين دعويين، وكان الفصل في إحداها متوقفاً على الفصل في الأخرى، وعلى القاضي القيام بها واتباعها، وهذا ما يتناوله هذا المبحث.

وبعد توضيح مفهوم توحيد الدعاوى والشروط الواجب توافرها حتى تتمكن المحكمة من القيام بتوحيد الدعاوى، فإنَّه يتوجب علينا شرح الإجراءات التي يجب اتباعها وتوضيحها؛ من أجل القيام بتوحيد الدعاوى، والتي يُمكن توضيحها كما يلي:

في حال تبين للمحكمة وجود دعوى مُقامة قبل الدعوى المنظورة، ووجود ارتباط بينهما، إلى جانب توافر شروط التوحيد فيهما، فإنَّ لها أن تطلع على الدعوى المُقامة مُسبقاً، وتتنظر محتويات هذه الدعوى وأطرافها، وتتمعن موضوعها وسببها ومدى توافر شروط التوحيد فيها وانطباقها عليها؛ للقيام بتوحيدها مع الدعوى الحالية المنظورة أمامها. (العكيلي، 2011م).

وبعد أن تدرس المحكمة الدعوى الأولى وتتنظر في مدى توافر شروط التوحيد فيها، فإنَّه يجب عليها أن تثبت أسانيدها بما يتعلق بمدى جاهزية تلك الدعوى للتوحيد، مع الدعوى الحالية المنظورة أمامها في محضر الجلسة، ومن ثم تقرر إعادة الدعوى الأولى إلى المحكمة التي تنتظر تلك الدعوى، ثم ترسل إضبارة الدعوى الحالية إلى المحكمة التي تنتظر بالدعوى المُقامة مُسبقاً، وفي موعد الجلسة القادمة للدعوى الأولى يطلع القاضي على الدعوى الواردة إليه، والتي قد تتضمن قراراً بتوحيدها مع الدعوى التي ينظر فيها، أو رفض التوحيد (إجراءات توحيد الدعوى في القانون العراقي، بلا تاريخ).

ومن ثم فإنَّ للقاضي الذي يَنتظر الدعوى المُقامة مُسبقاً، صلاحية توحيد الدعويين في حال توافر أسباب كافية للتوحيد، وله أن يرفض توحيد الدعويين وأن يعيد الدعوى المنظورة للمحكمة التي أرسلتها؛ شريطة أن توضح المحكمة أسباب هذا الرفض، وذلك في حال لم يجد معه القاضي الأسباب المُوجبة لتوحيد الدعويين؛ كأن لا يكون هناك أي ارتباط بين الدعاوى يسوغ التوحيد، أو أنَّ قرار التوحيد يُخالف القانون لأسباب أخرى، كعدم الاختصاص، أو أن تكون الدعوى المنظورة في مراحلها النهائية، أو أن تكون مصلحة الخصوم أو أحدهم تتعارض مع هذا التوحيد (العكيلي، 2011م).

ونضرب مثلاً على توحيد الدعاوى، وذلك أنَّه في حال أقام شخص دعوى تفريق للنزاع والشقاق على زوجته، ووصلت في إجراءاتها - سنداً للمادة (132) من قانون الأحوال الشخصية - إلى الإهمال، وبعد أن رفع الزوج دعوى تفريق للنزاع والشقاق على زوجته، رفعت هي الأخرى دعوى تفريق نزاع وشقاق على زوجها لدى المحكمة نفسها أو غيرها، فهنا يجوز للمحكمة التي تنتظر دعوى الزوجة، أن تبحث في الأسباب المُوجبة للتوحيد إن وجدت موجبات لتوحيد الدعويين، ومن ثم تقرر إعادة الدعوى - دعوى الزوجة - إلى المحكمة التي تنتظر في دعوى الزوج، معللةً فيه أسباب التوحيد وموجباته، ومن ثم تطلع المحكمة المُحال إليها الدعوى، على الدعوى الواردة إليها في موعد الجلسة المقبل، وإن وجدت صلاحية الدعويين للتوحيد بحثت في الدعويين وقررت الفصل بهما معاً؛ لارتباطهما ببعضهما البعض، من حيث الأطراف والسبب والموضوع ووجود مصلحة مشتركة للأطراف في توحيد الدعويين؛ ليوّدي ذلك إلى تخفيض الرسوم والمصاريف القانونية المترتبة على رفع الدعويين حتى يتم اقتصارها على دعوى واحدة بدل دعويين، إلى جانب اختصار الوقت والجهد على الأطراف وعلى المحكمة كذلك، ويكون الحكم الصادر حكماً فاصلاً في الدعاوى كافة، التي تقرر توحيدها.

ونذكر مثلاً آخراً على توحيد الدعاوى، وهو توحيد دعوى أجرة المسكن مع دعوى أجرة الحضانه، ففي حال رفعت الزوجة على زوجها دعوى أجرة مسكن؛ لتحضن فيه أولادها الصغار منه، وفي الوقت ذاته أقامت دعوى أجرة حضانه عن حضانتها لأولادها الصغار منه، ووصلت كلتا الدعويين إلى مرحلة الإثبات، فإنَّه يجوز للمحكمة أن توحد الدعويين والنظر فيهما، بوصفهما دعوى واحدة، ونموذج ذلك ما جاء به قرار القاضي في أثناء النظر في دعوى أجرة حضانه بتوحيد الدعوى المذكورة مع دعوى أجرة المسكن التي رفعتها الأطراف ذاتها، فكلتا الدعويين وصلت إلى مرحلة الإثبات، وكُلّفت المحكمة

المدعية إثبات الدعوى؛ لأن المدعى عليه مُتَقَرَّرَ مُحَاكَمَتُهُ غِيَابِيًّا؛ فقد جاء في ضبط الجلسات: "وبسؤال المدعية عما أمهلت من أجله فقالت: قبل تسمية البينة أطلب ضم دعوى أجرة المسكن رقم 2024/1134 إلى هذه الدعوى -والتي هي أجرة حضانة- والنظر فيهما معاً، والمحكمة تقرر -سنداً لأحكام المادة (33) من قانون أصول المحاكمات الشرعية- إجابة الطلب وتوحيد الدعويين والنظر فيهما لوحدة الحال بينهما" (دعوى أجرة حضانة المثل، 2024)، وبالرجوع إلى قرار المحكمة نجد أن المحكمة الابتدائية الشرعية قد خالفت صحيح القانون والقضاء في قرارها التمهيدي بتوحيد الدعويين؛ إذ أن من شروط توحيد الدعاوى أن يكون الفصل في إحدى الدعاوى متوقفاً على الفصل في الأخرى، وبالرجوع إلى موضوع الدعويين نجد أن الفصل في دعوى الحضانة غير متوقف على الفصل في دعوى المسكن، بالرغم من أن الدعويين قد اتحدت أطرافهما، وهما منظورتان أمام محكمة من الدرجة نفسها، ومن الاختصاص ذاته؛ النوعي والوظيفي، وكلتا الدعويين قد وصلت في الإجراءات إلى المرحلة ذاتها، وقيد المرافعة.

5. المبحث الرابع: استئناف القرار بتوحيد الدعاوى

ومن الجدير ذكره أن القرار المُتَعَلِّق بتوحيد الدعاوى الذي يصدر عن القاضي، والذي يكون باتخاذ قرار التوحيد بين الدعاوى أو برفض توحيد الدعاوى، فلا يُمكن للأطراف استئنافه استقلاً، وإنما يتم استئنافه مع القرار القاطع في الدعوى؛ أي الحكم، وذلك بوصفه قراراً إعدادياً غير فاصل في الدعوى، فحصر المشرع في قانون أصول المحاكمات الشرعية ما يجوز استئنافه، فقد نصت المادة (137) على أنه: "يجوز استئناف الأحكام الفاصلة في موضوع الدعوى وقرارات الوظيفة والصلاحيّة ومروور الزمن" (قانون أصول المحاكمات الشرعية رقم (31)، 1959)، ويتخذ القاضي تدبيراً من أجل تسهيل النظر في الدعاوى، ومن أجل التمهيد لأسباب الحكم فيها، وكون هذا القرار الإعدادي لا يتناول ما سيكون عليه الحكم الأخير في الدعوى، كما تستطيع المحكمة الرجوع عن القرار الإعدادي أو القيام بتعديله، وبالتالي فإن استئناف القرار بتوحيد الدعاوى يكون مع استئناف الحكم، وينطبق عليه من الشروط ما ينطبق على استئناف الحكم الفاصل في الدعوى، وذلك يشمل -أيضاً- قرار القاضي المُرسَل إليه الدعوى المطلوب توحيدها برفض توحيد الدعويين، فقراره برفض التوحيد يُعد -كذلك- قراراً تمهيدياً غير فاصل، ولا يجوز استئنافه استقلاً، وإنما يمكن استئنافه مع الحكم الصادر في الدعوى (البدارين، 2007، الصفحات 94-97).

ومن التطبيقات القضائية التي وردت حول توحيد الدعاوى التي بينها ارتباط، والتي تناولت ما يتعلق بالسلطة التقديرية للقاضي في توحيد الدعوى من عدمه، هو ما ورد في حكم المحكمة العليا الشرعية رقم (2013/62)، حيث جاء فيه: "وذلك أن دعوى النشوز هي دعوى قائمة بذاتها، وإن تضمنت دعواً موضوعياً، الهدف منه التأثير في دعوى النفقة المنظورة، وما دام الأمر كذلك، فإنه ليس لزاماً أن يتم توحيد هذه الدعوى القائمة بذاتها مع دعوى النفقة المنظورة بين الطرفين نفسيهما، هذا بالإضافة إلى أن توحيد القضايا التي بينها ارتباط هي مسألة جوازية سنداً لأحكام المادة (33) من قانون أصول المحاكمات الشرعية" (قرار المحكمة العليا الشرعية رقم (2013/62)، 2013)، بالتالي يتضح من الحكم السابق أنه ظاهرياً قد توافرت أسباب توحيد الدعويين، وأن دعوى النفقة موقوفة على الحكم في دعوى النشوز، إلا أن المحكمة العليا الشرعية أيدت قرار محكمة الاستئناف برفض توحيد الدعويين -وقد أصابت في حكمها- باعتداد النظر في مدى توافر أسباب التوحيد من عدمه هو سلطة تقديرية ممنوحة للقاضي، ويُعزى السبب في تأييد قرار المحكمة العليا لمحكمة الاستئناف في رفض توحيد الدعويين رغم وجود الارتباط بينهما، هو أن الارتباط بين الدعويين لم يكن جوهرياً، وإنما تمثّل في وجود دفع في إحدى الدعاوى يؤثر في الدعوى الأخرى؛ أي أن الارتباط كان بين الدفع المثّر في دعوى النشوز وبين دعوى النفقة، وليس بين الدعويين، الأمر الذي قد يدفع القاضي إلى رفض توحيد الدعويين وفقاً للسلطة الممنوحة له بموجب القانون، إلا أنه يؤخذ على قرار المحكمة العليا أنها لم تُسبّب قرارها برفض توحيد الدعويين رغم أن المادة (1/8 د) من القرار بقانون بشأن إجراءات التقاضي أمام المحكمة العليا الشرعية، نصت على وجوب تسبب القرارات الصادرة عن المحكمة (قرار بقانون رقم (44) لسنة 2022م بشأن إجراءات التقاضي أمام المحكمة العليا الشرعية، 2022)، والذي كان من الممكن تفاديه من خلال قيام المحكمة العليا الشرعية بذكر الأسباب التي رفضت من أجلها توحيد الدعوى.

غير أن المشرع الفلسطيني في نص المادة (33) من قانون أصول المحاكمات الشرعية لم يذكر بالتفصيل ولم يحدد إن كانت سلطة القاضي التقديرية في توحيد الدعاوى هي سلطة متعلقة فقط بالبحث في أسباب التوحيد أم في تقدير مدى توافر تلك الأسباب التي تقتضي التوحيد؛ أي أن سلطة القاضي الشرعي الفلسطيني في توحيد الدعاوى الشرعية هي سلطة تقديرية مُفِيْدَةٌ بالحدود التي يضعها القانون، كأن تكون الدعاوى المُراد توحيدها في محكمة من الدرجة نفسها ومن الاختصاص ذاته؛ النوعي والوظيفي، وأن تكون قيد المرافعة.

6. الدراسات السابقة

بالرغم من شح الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع توحيد الدعاوى الشرعية وقیمها، فإن هناك القليل من الدراسات تناولت مفهوم الدعوى وتوحيد الدعاوى والشروط اللازم توافرها لاتخاذ القرار بالتوحيد والإجراءات المُتبعة في ذلك، منها على مستوى فلسطين، والآخر على مستوى الوطن العربي، نذكر منها:

1. هادي الكعبي، مروي شهابه: الارتباط في إجراءات التقاضي (دراسة مقارنة)، مجلة المحقق المحلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد الأول، 2019م.
- تناولت هذه الدراسة الارتباط بين إجراءات التقاضي عند النظر في الدعاوى ووجود الروابط المشتركة بين إجراءات الدعاوى والتي تخلق عاملاً مشتركاً أو رابطاً قانونياً يربط بين تلك الإجراءات وتوجد صلةً بينها، وأن الهدف من وجود الارتباط بين الدعاوى هو توحيدها؛ من أجل العمل على اختزال الدعاوى والتقليل من أعدادها، وتوفير الوقت والجهد على الأطراف والمحاكم، كما تطرقت هذه الدراسة إلى التنظيم القانوني للارتباط بين الدعاوى وإجراءات التقاضي في القانون المدني العراقي والمصري والفرنسي.
- وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية من حيث تناول الأسباب التي تقتضي توحيد الدعاوى من خلال وجود ارتباط بين الدعاوى، الأمر الذي يُحتم على القاضي القيام بتوحيدها، كما تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في البحث عن السلطة الممنوحة للقاضي فيما يتعلق بتوحيد الدعاوى، وذلك من حيث سلطة القاضي في تقدير الأخذ بقرار توحيد الدعاوى من عدمه. وفيما يتعلق بنقاط الاختلاف بين هذه الدراسة والدراسة الحالية، فإن هذه الدراسة تناولت توحيد الدعاوى بوصفها حالة من حالات وجود الارتباط بين الدعاوى، وعدت الارتباط بين الدعاوى أوسع وأشمل من توحيد الدعاوى، بينما تناولت الدراسة الحالية فقط ما يتعلق بتوحيد الدعاوى، كما عدت هذه الدراسة أن الارتباط بين الدعاوى لا يعني - بالضرورة - جمع الدعاوى للنظر فيها أمام محكمة واحدة، ومثال ذلك الدعاوى المدنية والجزائية؛ فوجود الارتباط بين هذه الدعاوى لا يعني ضرورة جمعها والنظر فيها أمام محكمة واحدة، وإنما يتم وقف النظر في الدعوى المدنية لحين البت في الدعوى الجزائية، على العكس من توحيد الدعاوى، والذي يعني حتمية النظر في الدعاوى أمام محكمة واحدة، وهذا ما جاءت به الدراسة الحالية.
2. القاضي رحيم حسن العكلي: الصلة بين أحكام استئثار الدعوى وتوحيدها، موقع مجلس القضاء الأعلى العراقي الإلكتروني، 2011م.
- جاء في هذه الدراسة ما يوضح مفهوم استئثار الدعوى وتوحيد الدعاوى بشكل عام وفي مجلة الاحكام العدلية والقانون العراقي، وكذلك الفرق بين المفهومين ونقاط الاتفاق بينهما، وكذلك إجراءات توحيد الدعاوى والإجراءات المتبعة في حال عدت دعوى مُستأخرة عن الأخرى.
- وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في تناول مفهوم توحيد الدعاوى وتوضيح الإجراءات المتبعة في حال تبين وجود مسوغ قانوني لتوحيد دعويين مع بعضهما البعض، وكذلك تناول مفهوم استئثار الدعوى والفرق بين المفهومين، والحالات التي يجب فيها استئثار الدعوى والحالات التي تتم فيها توحيد الدعاوى.
- وتختلف الدراسة الحالية مع هذه الدراسة في أن الدراسة الحالية توسعت بالبحث عن مفهوم توحيد الدعاوى والإجراءات المتبعة في ذلك، والأسباب التي تقتضي توحيد الدعاوى والشروط الواجب توافرها من أجل التوحيد، وكذلك استئناف القرار بتوحيد الدعاوى وإجراءات القيام بذلك.

7. منهجية الدراسة

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، فقد تم اتباع المنهج الوصفي في وصف مفهوم الدعوى وأركانها، وكذلك فيما يتعلق بمفهوم توحيد الدعاوى والمصطلحات ذات العلاقة، كالارتباط بين الدعاوى واستئثار الدعوى، هذا وقد تم اتباع المنهج التحليلي في دراسة الأسباب التي تقتضي توحيد الدعاوى، وكذلك الشروط الواجب توافرها حتى تتمكن المحكمة من توحيد الدعاوى، وفيما يتعلق بالإجراءات المتبعة من أجل القيام بتوحيد الدعاوى حتى يتمكن القاضي من القيام بعمله، وأيضاً فيما يتعلق بإمكانية استئناف القرار بتوحيد الدعاوى من عدمه.

8. الخاتمة

بالرغم من أهمية القرار بتوحيد الدعاوى في اختصار الكم الهائل من الدعاوى المنظورة أمام المحاكم، وفي توفير النفقات العامة، فإنه - في الوقت نفسه - قد يُعدّ سلطة في يد القاضي قد يتعسف في استعمالها؛ لذلك كان لا بُدّ من إيجاد نصوص قانونية تُقيّد سلطة القاضي في توحيد الدعاوى، وفي الوقت نفسه تُبقي عليها، وهذا ما تناولته الباحثة في هذا البحث، وبناءً عليه خلّص هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1. الدعوى هي وسيلة تُمكن صاحب الحق من المطالبة باسترداد حقه وحمايته، كما أن هنالك عدداً من التعريفات لمفهوم الدعوى؛ إلا أنه لم يرد في قانون أصول المحاكمات الشرعية تعريفاً يوضّح مفهوم الدعوى الشرعية.
2. توحيد الدعاوى يعني قيام المحكمة بالجمع بين دعويين أو أكثر للنظر فيها مُحاكمةً واحدة إذا توافرت الشروط اللازمة لذلك، فتفقد كل دعوى استقلالها، ولم يرد في القانون الشرعي الفلسطيني ما يتناول وضع إجراءات قانونية واضحة ومحددة وشروط ومعايير قانونية لغرض توحيد الدعاوى.
3. استطاع المُشرّع الفلسطيني تنظيم أحكام القرار بتوحيد الدعاوى بقواعد قانونية تكفل حسن سير القضاء وتطبيق قواعد العدالة؛ فأعطى لمحكمة الموضوع السلطة التقديرية للنظر في أسباب توحيد الدعاوى وفقاً لمقتضيات العمل القضائي ووفقاً لما تقتضيه مصلحة العدالة، إلا أن هذه المصطلحات، كمصطلح مصلحة العدالة ومقتضيات العمل القضائي هي

مصطلحات فضفاضة لا يمكن حصر معناها وتحديده، وبالتالي فإن ذلك يُوسع الصلاحية التقديرية الممنوحة للقاضي في تقدير توحيد الدعاوى من عدمه.

وأهم التوصيات التي استطاعت الباحثة التوصل إليها في هذا البحث، تتمثل في الآتي:

1. اقتراح تعديل نص المادة (33) المتعلق بتوحيد الدعاوى في قانون أصول المحاكمات الشرعية رقم (31) لسنة 1959م، لتصبح تتناول الإجراءات القانونية الواجب على المحكمة اتباعها لغرض توحيد الدعاوى إذا وجدت الأسباب الكافية لذلك، ووجوب تقييد المحكمة الالتزام بتلك الإجراءات.
2. اقتراح تعديل نص المادة (33) المتعلق بتوحيد الدعاوى في قانون أصول المحاكمات الشرعية رقم (31) لسنة 1959م، فمن الأمثل على المشرع الفلسطيني أن يقوم بتحديد الشروط الواجب توافرها من أجل توحيد الدعاوى، وبالتالي تنتفي سلطة القاضي التقديرية في تقدير مدى توافر تلك الشروط من عدمها؛ أي تنتفي سلطته التقديرية في تقرير توحيد الدعاوى من عدمه.
3. فيما يتعلق بالأسباب القانونية الواجب توافرها من أجل تقرير المحكمة بتوحيد الدعاوى من عدمه، فإن الباحثة توصي بتقييد شرط المصلحة ووضع الضوابط والقيود له بوصفه سبباً موجباً لتوحيد الدعاوى ووجوب تحديد المقصود به في نص القانون؛ كأن تكون المصلحة مؤكدة وقائمة؛ وذلك حتى يكون هناك أسباب محددة موجبة للتوحيد، وذلك من أجل الوصول إلى إجراءات قانونية سريعة ومختصرة، تتناول كل ما يتعلق بتوحيد الدعاوى وبما يحفظ حقوق الأفراد ويحميها، ولغرض تقييد السلطة التقديرية للمحكمة في تقرير توحيد الدعاوى من عدمه، والتي منحها المادة (33) من قانون أصول المحاكمات الشرعية رقم (31) لسنة 1959م للقضاة فيما يتعلق بتقديرهم لوجود أسباب توحيد الدعاوى من عدمها.

9. قائمة المراجع

9.1 قائمة المراجع باللغة العربية

- ابن منظور، (2003)، لسان العرب (المجلد 3)، القاهرة: مصر، دار الحديث للنشر.
- أبو البصل، عبد الناصر، (2005)، شرح قانون أصول المحاكمات الشرعية ونظام القضاء الشرعي، عمان-الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- البدارين، محمد، (2007)، الدعوى بين الفقه والقانون، عمان-الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- البريشي، محمد، (2022)، الدعوى الفاسدة: مفهومها ومدى اعتبارها عند فقهاء الشريعة الإسلامية، مجلة البحث العلمي الإسلامي، 18(4)، 55-82، تاريخ الاسترداد 27 8، 2023 من <https://search.mandumah.com/Record/1320042>
- التميمي، قصراوي، (2017)، الأصول القضائية في المرافعات الشرعية، القدس-فلسطين، دار القدس للنشر والتوزيع.
- العابدي، محمد، (2005)، شرط الصفة في أطراف الدعوى القضائية وتطبيقاتها المعاصرة، أطروحة ماجستير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن.
- الفحسي، محمد، (2019)، الدعوى المدنية تعريفها - طبيعتها - شروطها - خصائصها، مجلة المتوسط للدراسات القانونية والقضائية، 7، 39-67.
- إجراءات توحيد الدعوى في القانون العراقي، (بلا تاريخ)، تم الاسترداد من موقع قانون العرب الإلكتروني: <https://www.law-arab.com>
- الشرعبي، عبد السلام، (2020)، الدعوى الصحيحة وما يترتب عليها من أحكام وآثار في الفقه الإسلامي والقانون اليمني: دراسة مقارنة، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية (31)، 102-107.
- الصلة بين أحكام استنخار الدعوى وتوحيدها، (2011)، تم الاسترداد من موقع مجلس القضاء الأعلى العراقي الإلكتروني: <https://www.hjc.iq/view.1021>
- القانون الأساسي الفلسطيني المعدل، (19 آذار، 2003)، (2)، 10، جريدة الوقائع الفلسطينية.
- الكعبي، هادي وشنايه، مروى، (2019). الارتباط في إجراءات التقاضي (دراسة مقارنة)، مجلة المحقق الحلي للعلوم السياسية والقانونية، (1)، 176-218، تم الاسترداد من <https://search.emarefa.net/ar/detail>.
- تعريف الاختصاص الوظيفي، (بلا تاريخ)، تم الاسترداد من موقع موضوع الإلكتروني: <https://mawdoo3.com>
- حطاب، مؤيد، (2021). التنظيم القانوني لمراحل الأهلية وفق القانون الفلسطيني النافذ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، 35(5)، 770-779.
- دعوى أجرة حضانة المثل، 2024/1136 (محكمة نابلس الشرعية 09، 10، 2024).
- قانون أصول المحاكمات الشرعية رقم (31)، (1 كانون الثاني، 1959)، (1449)، 931، جريدة الوقائع الفلسطينية.
- قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية الفلسطينية رقم (2)، (5 أيلول، 2001)، (38)، 5، جريدة الوقائع الفلسطينية.
- قانون التحكيم رقم (3)، (30 آب، 2000)، (33)، 5، جريدة الوقائع الفلسطينية.
- قانون المحامين الشرعيين رقم (12) وتعديلاته، (1 آذار، 1952)، (1101)، 117، جريدة الوقائع الفلسطينية.
- قرار المحكمة العليا الشرعية رقم (2013/62)، (29 أيار، 2013).
- قرار بقانون رقم (21) المعدل للتشريعات النازمة للأحوال الشخصية بشأن تحديد سن الزواج في فلسطين، (28 تشرين الثاني، 2019)، (161)، 7، جريدة الوقائع الفلسطينية.
- مجلة الأحكام العدلية، (1867).

مصلح، إسرائ، (2015)، إجراءات السير في الدعوى الشرعية (دراسة مقارنة مع الدعوى المدنية)، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
 معلومات قانونية حول توحيد دعوتين وإعتبار الدعوى مستأخرة، (بلا تاريخ)، تم الاسترداد من موقع محاماة الإلكتروني: <https://www.mohamah.net/law>
 معوض، عبد التواب، (1989)، الدعوى الشرعية، الإسكندرية-مصر، دار المطبوعات الجامعية.
 مفهوم الدعوى القضائية وما يتعلق به، (بلا تاريخ)، تم الاسترداد من موقع حماية الحق الإلكتروني: <https://jordan-lawyer.com/2021/08/25/definition-of-a-lawsuit>
 موقع الأنطولوجيا العربية - جامعة بيرزيت: <https://ontology.birzeit.edu/term>

9.2 رومنة المراجع العربية

- Abd-Aljaleel, E. (2016). The Pillars of the Lawsuit and its conditions between jurisprudence and the law (in Arabic). 9anonak electronic Journal. Retrieved from: <https://www.9anonak.com>
- Abu Al-Basal, A.-n. (2005). Explanation of the code of due Process the Legal Justice System (in Arabic). Amman: Dar Al-thaqafah for publishing and distribution.
- Al-Aide, M. (2005). The Codition of Capacity in the Parties to the Judicial Lawsuit and it's Contemporary Applications (in Arabic). [Published Master thesis]. Amman: University of Jordan.
- Al-Anzi, F. (2021). Unheard Cases of interest Applied jurisprudence (in Arabic). Journal of Arabic Studies, 887-918. Retrieved 9 2, 2023, from <https://dram.journals.ekb.eg/article>
- Al-Arab, Q. (n.d.). Procedures for the consolidation of Cases in Iraqi Law (in Arabic). Retrieved from <https://www.law-arab.com>
- Al-Arab, Q. (n.d.). Terms and conditions for acceptance Valid case (in Arabic). Retrieved from <https://www.law-arab.com/2016/11/Terms-lawsuit-admissibility-Corners.html>
- Al-Badarin, M. (2007). The Case among Jurisprudence and Law (in Arabic). Amman: Dar AL-thaqafah for Publishing and Distripution.
- Al-braishi, M. (2022). The Corrupt Case: it's Conception and the extent to which it is considered by Islamic Sharia Jurisprudence (in Arabic). Journal of Scientific Islamic Research, 18(42), 55-82. Retrieved 8 27, 2023, from <http://search.mandumah.com/Record/1230042>
- AlFahsi, M. (2019). Civil Litigation defined by nature- conditions- Characteristics (in Arabic). Al-Mutwaset Journal of Judicial and Legal Studies(7), 39-67. Retrieved from <http://Search.madumah.com/Record/1082827>
- Alfar, A.-Q. (2008). Introduction of studing Legal Science, Legal Principles-general theory of right (in Arabic). Amman: Dar Al-thaqfah for publishing and distribution.
- Al-Ka'bi, H, & Shanabah, M. (2019). The connection between Litigation Procedures (in Arabic). Al-Mouhakiq Al-Hilly Journal for Legal and Political Science(1), 176-218. Retrieved from: <https://search.mandumah.com>.
- Al-Shara'bi, A.-A. (2020). The Right Procedures and their Consequnces (in Arabic). Al-Andalus Journal for Humanities and Social Science(31), 102-107.
- Al-Tamimi, Q. (2017). Judicial Procedures in Religous Proceeding (in Arabic). Jerusalem. Code of Arbitration Law no. 3 of 2000. (2000, July 30). The Palestinian Chronicle(33), 5. Code of Proceeding Religous Law no. 31 of 1959. (1959, January 1). The Palestinian Chronicle(1449), 931.
- Concept and Related matters of Case (in Arabic). (n.d.). Retrieved from 7omat Al-Haq: <https://jordan-lawyer.com/2021/08/25/definition-of-a-lawsuit>
- Council, I. J. (n.d.). Relationship between Delay and Consolidation of Case (in Arabic). Retrieved from <https://www.hjc.iq/view.1021/>
- Decision on the Law No 21 Amending Personal Status Legislation on Determining Marriage Age in Palestine . (2019, November 28th). Palestine chronicle(161), 7.
- Hattab, M. (2021). The legal regulation of capacity phases according to the law in force in Palestine (in Arabic). An-Najah National Journal for Research- B (Humanities), 35(5), 770-779.
- Ibn Taa', Z. (2020). Interest Clause and its Demise during Proceeding- Comparative analysis in light of the Provisions of Legislation and the Jurisprudence of scholars (in Arabic). 12(2), 394-396. Journal of Justice Judgments (in Arabic). (1867).
- Legal Information on the Consolidation of two casae and Considration of the Case as Overdue(in Arabic). (n.d.). Retrieved from Mo7ama: <https://www.mohamah.net/law/>

- Manzur, I. (2003). Lisan Al-Arab (Vol. 3) (in Arabic). Dar Al-Hadeth for bublication.
- Mawad, A.-A. (1989). The Religious Case (in Arabic). Alexandria: Dar al-matbo'at Al-Jami'eah.
- Mawdoo3. (n.d.). Defination of Functional Competence (in Arabic). Retrieved from <https://mawdoo3.com/>
- Mesleh, I. (2015). Legal Proceeding in the Religious Case (Comparative study with Civil Case) (in Arabic). [Unpublished Master thesis]. Nablus, Palestine: An-Najah National University.
- Palestinian Basic Law Amended 2003. (2003, March 19th). The Palestinian Chronicle(2), 10.
- Proverbial Nursery Fare Suit, 1136/2024 (Nablus Sharia Court 09, 10, 2024).
- Religious Highest court decision, 62 (Religious Highest court May 29, 2013).
- Rustom, B. (1923). Sharh Al-Majjulah (3 ed.) (in Arabic). Beirut: Al-Matba'a Al-Adabiah.
- The Religious Lawyers Law and its amendments No 12 for 1952. (1952, April 1st). Palestine Chronicle(1101), 117.
- Code of Civil and Commercial Procedure No 2 for 2001. (2001, May 5). The Palestinian Chronicle(38), 5.
- University, B. (n.d.). Arabic Ontology (in Arabic). Retrieved from Arabic Ontology: <https://ontology.birzeit.edu/term/>

The impact of the consolidation of the proceedings in the Shari'a courts: a comparative legal study

Atheer Joudeh

Nablus Sharia Court, Office of the Chief Justice/Sharia Courts in the State of Palestine

Corresponding Author: atheer1998joudeh@gmail.com

Received: 11/07 2024.

Revised: 04/03/2024.

Accepted: 30/12/2024.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.11

Abstract

This study demonstrated the impact of the consolidation of the proceedings in the Shari'a courts. The study also explored the usefulness of consolidating cases in the light of the increasing number of court cases, the complexity of their proceedings and the length of the litigation. Therefore, legal and judicial proceedings must be sought to reduce the number of court cases, reduce the length of litigation and reduce the burden on the courts and litigants.

Keywords: Concept of case, consolidation of proceedings, association of proceedings, delay of case, conditions for consolidation of proceedings, appeal of decision to consolidate proceedings.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

عتبة الغلاف في رواية "مخاوفي السبعة" - رواية عن حرب البوسنة والهرسك - سراييفو

عمر عاصي

باحث، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين

الباحث المراسل: Oassi600@gmail.com

Received: 22/12 2024.

Revised: 20/01/2025.

Accepted: 03/03/2025.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.12

الملخص

يسعى البحث إلى دراسة عتبة الغلاف في رواية "مخاوفي السبعة" للكاتب البوسني (سلافيدين أفيدتش)، والرواية تتناول بصورة جلية أثر الحرب في البوسنة والهرسك، تحديداً مدينة سراييفو، وما يعزز ذلك هو أنّ الرواية واحدة من الروايات القليلة التي تركز على الجانب النفسي للحرب، لقد كان الإيغال في القتل والمبالغة فيه، بسبب أو بغير سبب، واحداً من أبرز العوامل التي كان لها دور واضح في تشكّل صراع نفسي مزعج. وكان السبب الرئيس من اختيار عتبة الغلاف، هو الدور البارز الذي يلعبه في الكشف عن دلالات الرواية؛ فمن خلاله نستطيع أن نلج النصّ سريعاً، ونبلغ الأفكار التي يقدمها قبل أن نقرأه. ويستند البحث على المنهج السيميائي الذي يعالج الإشارة والرمز والصورة؛ للوقوف على عتبة الغلاف، ما يمكن من استنطاقه؛ ومن ثمّ فإنّ الكشف عن فحوى النصّ يساعد في فهمه وسبر دلالاته، إلى جانب أدوات المنهج النفسي لربط دلالات الغلاف النفسية بفحوى الرواية. وكشفت عتبة الغلاف عن أنّ هناك علاقة واضحة بين الغلاف والنصّ الذي غُلف به؛ فقد كان له دور واضح في إدخال القارئ الجوّ العام للرواية قبل قراءتها من خلال إثارة أسئلة مسبقة في نفس المتلقي؛ ليجد الإجابة عنها في متن الرواية.

الكلمات المفتاحية: الحرب، العتبات، الأساطير، المخاوف السبعة.

1. المقدمة

إنّ واحدة من أهمّ العتبات التي يتكئ عليها القارئ قبل ولوجه النصّ، هي صفحة الغلاف، وهذا الموضوع واسع الدراسة شائع التداول، لكن لم تكن الغاية من التوقف عنده لغرض التعريف به أو بيان أهميته، بالقدر الذي فرضه عليه موضوع الرواية، في البداية لم أكن أنوي أن أقف على عتبة الغلاف بالرغم من أنّ صفحة الغلاف تعدّ عتبة أساسية ومهمّة في دخول النصّ؛ لأنّ الرواية تعالج جانباً نفسياً خاصاً بالكاتب، قد يعجز مصمم الغلاف عن تصويره بدقة؛ لذلك نجد بعضها أقدر على القيام بدورها من بعض؛ فبعض الغُلف تضعنا في جوّ الرواية بمقدار بسيط أو ربما يشيح بنا بعيداً عن موضوع الرواية، ما يجعل منه عتبة لا عتبة لدخول الرواية، في مقابل بعض الغُلف التي نشعرنا وكأننا نقرأ الرواية مرة أخرى؛ فصورة الغلاف في رواية "مخاوفي السبعة" كانت لافتة جداً؛ فبعد أن قرأت الرواية وحللتها وجدتها تستحق الدراسة.

في الدرس النقديّ الحديث يهتمّ النقاد بدراسة الصورة التي أصبحت أقرب إلى العقل وأسرع في إيصال الدلالة، لكن إذا نجح المصمّم في فهم المشاعر وتصويرها، فإنه يجعل الصورة تتفوق على الكلمة التي لا تراعي الجانب النفسي كثيراً كما تفعل الصورة؛ فهي تتخطى الحواجز الإنسانية؛ لأنها تخاطب العيون التي تقرأ من خلالها في لحظة تأمل واحدة، ما يعجز عن وصفه غير كاتب؛ من ثمّ فإنه يمكن القول: إنّ السرد في الرواية مُلَكّ للكاتب، يصوغه كيفما يشاء كما يتحكم بمختلف مدخلاته، لكن صورة الغلاف مُلَكّ للقارئ، ونفسه يفهمها وفقاً للغلاف الذي يُعدّ عالماً واسعاً من النصوص الموضوعية، يختار منها ما يشاء، وبالرغم من أنّ صاحب الصورة يختار ألوانها وتقاسيلها، فإنه في مرحلة ما تخرج عن إرادته إلى إرادة القارئ وهواه.

إنّ "المعرفة البصرية للكاتب الروائي تلازم معرفته السمعية من حيث الضرورة والأهمية؛ فكلهما يمثلّ الحادي الذي يقود القارئ إلى متن ما بنوي الكاتب تبليغه للعموم عبر نصّه الأدبي، وأقصد بالمعرفة البصرية - هنا - اختيار الكاتب لغلاف الرواية والذي ينمّ عن الخلفية والذائقة البصرية (الصور والبيئة المحيطة) المكوّنة لذنية الكاتب وإرثه الثقافي... فتجد أنّ الجاذبية الأولى المعتمدة على المؤشرات والدلالات البصرية "الانطباع" التي تتصارع عندها نفسية القارئ وعقليته وتكهّناته

عن ما تحتضنه دنيا الكاتب "الرواية بنصوصها السردية ومشاهدها المتنوعة" وعن كل ما يمور فيها، هذا إلى جانب الشعور العام الذي يعتري القارئ من العنوان (اسم الرواية)، والذي يقود - بدوره - إلى فهم بسيط عن النصّ السردى وما يرمي إليه" (ضرار، 2018).

يعرضُ البحث عن تناول بعض عناصر بناء الرواية المهمة في مثل هذا النوع من الأبحاث، مثل الشخصيات والمكان والزمان وغيرها؛ والسبب هو أنّ الرواية ليست رواية شخصيات أو أماكن؛ فعدد الشخصيات في الرواية كان قليلاً جداً، وكذلك حضورها؛ وذلك أنّ الرواية تدور في فلك واحد، وهو الحالة النفسية السيئة للكاتب، وتعالج أسئلة خاصة به وهي: بماذا يفكر؟ يحلم؟ يتخيل؟ يخطط؟ يحب؟ يكره؟ يخاف؟ لذلك نجد أنّ جلّ أحداث الرواية تدور في عقل الكاتب ومخيلته، والمتأمل يلحظ حديث (أفيدتش) المتكرر عن علم النفس والمختصين فيه، يقول: "وجدت في فكرة ما قائمة بخاوفي القديمة، كتبتها منذ سنوات عدّة لا لسبب إلا قراءتي في جريدة يومية لأحد علماء النفس ينبّه على كون أهمّ خطوات محاربة المخاوف هي الاعتراف بوجودها" (سلافديين، 2015، صفحة 59)، أمّا الشخصيات، فتحضر سريعاً وتخفي دون عودة، من ثمّ فإن لم يكن لها أثر مهمّ في بناء السرد وتشكله، فقد كانت الشخصيات في الرواية ضيوف الاسترجاع، والمتأمل في الرواية يجد فيها ملامح السيرة الذاتية الروائية؛ فهي تعالج فترة عمرية مهمة من حياة الكاتب يبوّح - من خلال الكتابة - بكلّ تفاصيلها.

ويطرح البحث عدداً من الأسئلة التي يسعى للإجابة عنها

- هل يلعب الغلاف دوراً مهماً في مساعدة القارئ على ولوج النصّ وسبر دلالته قبل قراءته؟
- هل أحسن الرسام في وضع الغلاف؛ ليكون متعلقاً مع النصّ، غير متنافر معه؟
- هل يلعب الغلاف دوراً مهماً في الروايات التي تعالج الجانب النفسي؟ وإن كان ذلك كذلك، فما الأثر الذي يتركه في نفسية المتلقي؟

يتخذ هذا البحث من المنهج السيميائي سبيلاً لتحليل الغلاف، إلى جانب بعض أدوات المنهج النفسي في بيان أثر الألوان والرموز في نفس المتلقي.

ولعلّ من أبرز المشكلات التي يواجهها الباحث في تحليل عتبة الرواية، هي أنّها تندرج في فنّ السيرة الذاتية، ومن ثمّ فإنّ معالجتها تحتاج جهداً وافراً للدخول في أغوار شخصية الكاتب ومكوناته النفسية؛ لرصد دلالة الصورة بكلّ تفاصيلها، خصوصاً أنّ بعض الرموز والألوان تتباين دلالاتها وفقاً للثقافة الهامشية للأشخاص في المجتمع الواحد.

2. الدراسات السابقة

يمكن للباحث أن يهتدي إلى دراسات عدّة، تدور في فلك العتبات ونقدها؛ بيد أنّ هذا البحث يخالفها من حيث المادة المقصودة، وهي رواية "مخاوفي السبعة" التي لم تُدرس من قبل، كما أنّه يحلّل العتبات نفسياً بما يتوافق وخصوصية الرواية، أذكر من تلك الدراسات على سبيل المثال وليس الحصر:

- "مرجعية الغلاف في رواية أحمر حانة، (2023م)" للباحث محمود صلبى: ينهض البحث لدراسة أثر عتبة الغلاف في الكشف عن أسرار النصّ ودلالته، ودورها في إثارة الأسئلة عند القارئ، كما يبحث في دور الغلاف في التسويق المادي للرواية، والملاحظ أنّ الدراسة لم تتجاوز دائرة البحث التحليلي إلى الدراسات السيميائية التي تبرز جرأة الناقد في الخروج عن المؤلف النقدي، ومن ثمّ فإنّ هذا البحث يتقدم الدراسات سالفة الذكر في الكشف عن الجانب النفسي للمؤلف من خلال البحث في ثقافته الهامشية في ظل السياق الثقافي العام الذي حددت معالمه الحرب، وأبرز إرهاباتها النفسية، وقد تجلّت من خلال عتبة الغلاف.
- "سيميائية عتبة الغلاف في الفن الروائي عند أحمد خالد توفيق، (2022م)" للباحثة مروة زكي: وهي رسالة ماجستير، سعت الباحثة من خلالها إلى دراسة عتبة الغلاف في روايات أحمد توفيق خالد، وبيان علاقتها بالمتن الروائي، وهو قريب من هذا البحث، غير أنّ الأخير يسعى إلى دراستها نفسياً.
- "سيميائية الغلاف في الرواية النسوية الأردنية، (2018م)" للباحث سالم المومني: وهي رسالة ماجستير، سعى الباحث من خلالها إلى دراسة العتبات في الرواية النسوية الأردنية، وربط تلك العتبات بفحوى الروايات؛ للكشف عن مدى قدرة تلك العتبات للتعبير عن المضمون، بيد أنّ الباحث لم يلتفت إلى أثر الألوان في الجانب النفسي.
- "عتبة الصورة المصاحبة للغلاف الخارجي في رواية كراف الخطايا، (2018م)" للباحثة: مفيدة بوفنارة، ينهض البحث للوقوف على العتبات النصّية في الرواية بقصد استجلاء مكونات الصورة، بالتالي الكشف عن قدرة الروائي الجزائري بعلم العتبات ودورها في خدمة النصّ، وهذا بعيد عن غاية هذا البحث الذي يسعى إلى دراسة العتبة نفسياً وبعده صورة لنفسية الكاتب.

وغيرها من الدراسات المشابهة التي يضيق المقام بذكرها.

بيد أنّ البحث تناول الموضوع في بحثين: الأول مدخل عام إلى الرواية، والمبحث الثاني: تحليل عتبة الغلاف سيميائياً ومحاولة فكّ دلالاتها النفسية، وينقسم إلى مطلبين: المطلب الأول: تحليل صفحة الغلاف، والمطلب الثاني: عتبة العنوان وتعالقه مع النصّ دلاليّاً.

3. المبحث الأول

3.1 مدخل إلى الرواية

اختارت جريدة الجارديان الرواية البوسنية "مخاوفي السبعة" للكاتب البوسني (سلافيدين أفيدتش) بوصفها أفضل كتب عام 2014 م، وترجم الرواية إلى العربية محمد أسامة، وصدرت عن دار العربية للنشر والتوزيع في القاهرة، عن عام 2015 م، وتعدُّ الرواية واحدة من أهم الروايات التي ألقت الضوء على حرب البوسنة والهرسك وما نتج عنها من آثار صعبة، كان في مقدمها الصدع الكبير في بنية الدولة وانحراف مسار الحياة القويم باتجاه ألا حياة في البوسنة عامة وفي مدينة سراييفو خاصة، التي شهدت أسوأ الصراعات التي دارت في تلك الفترة، وقد نتج عنها تحولات كبيرة في الناحيتين النفسية والاجتماعية، ما يجعلها رواية نفسية بامتياز؛ فهي تصوّر حالة الخوف التي سادت المجتمع عامة، ونفسية الكاتب بشكل خاص، وهذا ما حملته دلالة العنوان "مخاوف" وهي ما يتعلق بالنفس ومكامن التأثير فيها، ويقف في مقدمتها شعور الخوف.

3.2 بداية الحكاية

يخرج الراوي إلى الحياة بعد عزلة استمرت تسعة أشهر قبل أن يعلن العودة ومواجهة العالم، لكنّه يصطدم بحالة نفسية صعبة، خلفتها في نفسه، كان من أبرز إرهاباتها مخاوف سبعة، مثلت معاناته التي بدأ بها رحلة علاج حافلة، انتهت بقرار الانتحار في أجواء ثقافية دخيلة، غلبت عليها الأساطير وحكايات الجنّ والشياطين. لم تتناول الرواية أحداث الحرب إبان حدوثها؛ إنما توقفت على الأوضاع بعد الحرب وما خلفته من آثار اجتماعية ونفسية سلبية، وحتى يكون الأمر أقرب إلى الواقع المعاش وأكثر أثرًا في نفس القارئ، فلم يخلق (أفيدتش) بطلًا خارجيًا يتلو الأحداث من خلاله مشيحًا بنفسه عن موضع التهمة، بل جعل البطل ناطقًا بلسانه ممثلًا عنه؛ فبطل الرواية هو (أفيدتش) نفسه؛ ليردّ كلّ الصفات السيئة التي يعاني منها البطل إلى الكاتب، ما يجعل الرواية تحمل نفحة من نفحات السيرة الروائية وذلك من خلال سرد أحداث عاشها البطل خلال فترة مهمة من فترات حياته، وهي السنين التي عاشها خلال الحرب. تصوّر الرواية عمل البطل في المنجم مع عدد من أصدقائه والمخاوف الكثيرة التي كانوا يشعرون بها في كلّ لحظة من لحظات عملهم في ذلك المنجم، فإلى جانب الإرهاق الجسدي كان التعب النفسي ملازمًا لهم بسبب تبعات الحرب، فما كان لمشاهد الحرب أن تفارق تفكيرهم، تحديدًا بطل الرواية الذي عاش حياة نفسية قاسية انخرقت به إلى عالم الأشباح والشياطين وأدخلته دائرة الأساطير.

يحاول البطل جاهدًا أن يتغلب على الواقع المؤلم الذي آل إليه، وأن يندمج في مجتمعه من جديد، لكن لم ينجح إلا في اكتشاف مزيد من مخاوفه ليضيفها إلى قائمتها الطويلة، معلنًا بداية رحلة البحث عن طرق يمكن من خلالها التخلص من تلك المخاوف أو نسيانها، فيجرب الاستعانة ببعض تصرفاته الخليعة وتنشيط غرائزه المثيرة للاشمئزاز، فأكثّر من الشرب وبحث عن علاقات عدّة، غير أنّ تلك المحاولات لم تقدم له إلا مزيدًا من الخوف والأسى.

بعد أن تفشل مساعي البطل في الإصلاح، تبدأ وساوسه تراوده بحلّ أخير وهو الانتحار، لكن سرعان ما يتراجع عنه، فهو لا يجد فيه خلاصًا حقيقيًا لنفسه قبل أن يجد الحلّ في الاستسلام، ليس للموت أو اليأس إنما لمخاوفه؛ وبذلك "يستعرض الروائي سيادة نوع من العمى الهستيري في الحرب، ويعتقد أنّ تلك الحالة من التشرد والضياع لا تعود لكلمات كالخوف والنحيب والهرب والاختباء؛ أي معانٍ، وأنّه لم يعد للمرء ما يحميه أو يخشاه، تراه يتملكه السواد ويجد أنّ كلّ الأشياء سوداء في حقيقتها ولا يتبدل ذلك إلا إذا تعرضت للضوء، ويؤكد أنّ كيان الإنسان هو مخاوفه، وأنّه كلما ازدادت مخاوفه ازدادت إنسانيته" (حسين، 2015).

مخاوف أفيدتش كما أوردها في الرواية: "الخوف من المرايا، الخوف من المنازل الفارغة، الخوف من ميتة مخزية، الخوف من الأشياء هائلة الحجم، الخوف من الغابات الشاسعة، الخوف من الجنون، الخوف من الوحدة" (سلافيدين، 2015).

3.3 أثر الحرب في الجانبين النفسي والاجتماعي

تعدُّ رواية "مخاوفي السبعة" من الروايات النفسية بامتياز؛ فهي تصوّر أثر الحرب في المجتمع البوسني عامّة وفي الكاتب بشكل خاص، وهو ما حملته دلالة العنوان "مخاوفي" وهي ما يتعلق بالنفس ومكامن التأثير فيها؛ فمن أبلغ الأثر الذي تخلقه الحرب في النفس هو الخوف، لقد كانت تلك المخاوف كفيّلة بأن تقلب المجتمع رأسًا على عقب، وقد بذل بطل الرواية، في سبيل تجاوز نتائجها، جهده كاملاً، لكنّه سرعان ما كان يقرّ بفشله مع كلّ محاولة، وقد تنوعت بين الجنس والنوم والإكثار من شرب الويسكي وإدمان المخدرات، يقول: "أتريد بعض الكافيين؟ وحدها تلك الأقراص يمكنها مساعدتك أليس كذلك؟" (سلافيدين، 2015)، لكنّ كلّ ذلك لم يقدم له إلا مزيدًا من الخوف.

لقد قرر (أفيدتش) أن يعترف بتلك المخاوف، ثمّ يسلمها زمام أمره، تقوده وتقرر مصيره، وقد رضي بذلك هروبًا من الانتحار، وكان يشجّع نفسه باستدكار شخصيات عانت بعض ما يعانيه وأقدمت على الانتحار، يقول: "فكرت في الانتحار لم لا؟ لدي من الدوافع ما يكفي، ألم ينتحر فرانسوا فابيل؟.. وأنا وحيد يائس ذليل وتلك الدوافع بالتأكيد أكثر قوة للانتحار" (سلافيدين، 2015، صفحة 83)، إنّ الانتحار لا يمثل له الخلاص من تلك المخاوف؛ فالموت يعني أن يعيش وحدة مطلقة هو - أساسا - يخاف منها، كما يعني ظلمة تامة لا خلاص منها، وأخيرًا يعني الانتقال إلى عالم مليء بالعفاريات والشياطين التي بذل جهدًا كبيرًا في البحث عن أجوبة لأسئلة كثيرة كانت تشغل باله بالرغم من خوفه الشديد منها؛ ليلجأ بعد ذلك إلى سبيل

أخير، وهو النوم المتواصل؛ علّه ينسى، أو أن يصحو ذات صباح فيجد الحياة قد عادت كما كانت عليه من قبل، أو يكتشف أن ما حدث بكل تفاصيله مجرد حلم طويل مزعج، فكان ينام ساعات طويلة، تصل في بعض الأحيان إلى أشهر، فقد حدث أن نام تسعة أشهر متواصلة؛ فكان كلما اشتد عليه الأمر ينوي النوم طويلاً، يقول: "نويت النوم شهراً" (سلافيدين، 2015، صفحة 179).

لقد وصل إلى حالة نفسية يخشى معها الحرب في حياته وحتى بعد مماته؛ فهو يخاف أن تلاحقه ذكريات الحرب إلى قبره، يخشى أن يدفن في مقبرة المدينة بين ضحايا وشهود الحرب، بالتالي أوصى أن تُحرق جثته، ثم يُصعد برفاته إلى أعلى مبنى سكني، ثم تُذرى في ربح يوم عاصف فلا يبقى منه أثر يمكن أن يجتمع مجدداً على ذكريات الحرب السيئة، يقول: "أريد أن أختفي، أن أنسى وهذا هو سبيل لا مثيل له" (سلافيدين، 2015، صفحة 53).

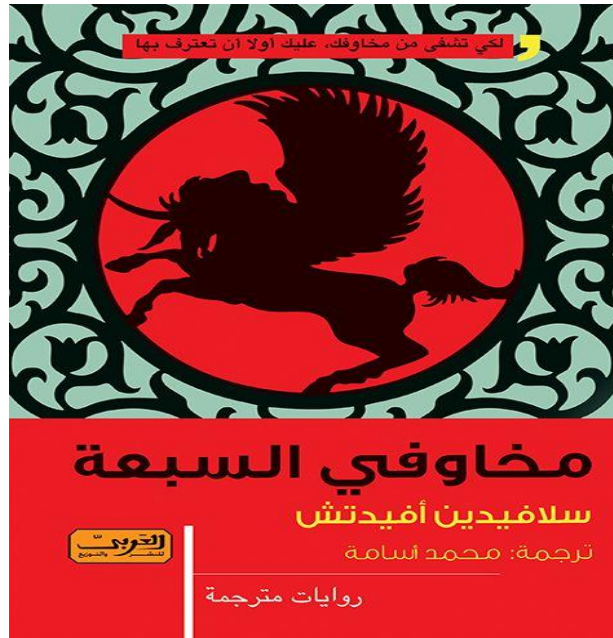
أما الأثر الذي تركته الحرب على الحالة المجتمعية، وهو من بالغ الأثر الذي يمكن أن تتركه الحرب في المجتمعات، فهو أن تقسد عليها بُنياتها الاجتماعية بكل تفاصيلها؛ فالحرب تلغي معالم الأشياء فلا يسلم منها شيء حتى الجُماد تغيرت ملامحه، لقد أخفت الحرب والد صديقه (ميرنا) الذي بحث عنه طويلاً دون جدوى، يقول: "في الحرب يختفي الناس بشكل مبالغ فيه الذي وأهمهم الأشخاص الذين اكتشفوا في مقابر جماعية بعد سنوات عدّة" (سلافيدين، 2015، صفحة 45)، في الحرب يتلاشى القانون وتكثر السرقة والنهب، تخلق في المجتمع قانوناً جديداً، الغلبة فيه للأقوى ولا حظ فيه لمن أبقت عليه من الضعفاء ممن يتجرعون ويلاتها ويعانون حسراتها.

لقد أغلقت الحرب باب العدالة حينما وضعت قانون العدالة وفتحت باباً آخر أمام العائدين؛ لكن ليس للعائدين إلى أوطانهم -فهو لم تبق من الوطن إلا الذكريات المؤلمة- إنما فتحت الباب أمام العائدين للانتقام، لقد وضعت القانون بيد التوأم (بيجساوس) العائدين للانتقام من كل شيء بعد أن وضعا قانونهما الخاص القائم على القتل والتعذيب، وقد ساعدهما في ذلك (سيطهما) السيء؛ فهما شيطانان غامضان لا يمكن مواجهتهما إلا بالفرار والاختباء.

4. المبحث الثاني

4.1 عتبة الغلاف (الألوان/ الرسومات/ العبارات/ اسم الكاتب)

إذا تأملنا غلاف رواية "مخاوفي السبعة" وجدنا أنفسنا أمام عمل فني مُبدع؛ فقد استطاع هذا الرسم البسيط بألوانه، الواسع بمعانيه أن ينقلنا إلى جوّ الرواية؛ لنستشعر محتواها قبل قراءتها، والعنوان الذي تحمله الرواية جزء من تلك العتبة الرئيسية، فإذا تأملنا العنوان "مخاوفي السبعة" ثم عالجنا صورة صفحة الغلاف، وجدنا ترابطاً لافتاً بينهما:



الشكل 1: غلاف الرواية

"لكي تشفى من مخاوفك عليك أولاً أن تعترف بها"، فالتأمل يجد أن هذه العبارة قد تصدّرت الغلاف، وهي الخلاصة التي خرج بها (أفيدتش) من تجربته الطويلة مع الخوف، وهي النصيحة القيّمية التي أراد أن يقدّمها للقارئ في نهاية الرواية التي تدور حول مخاوفه السبعة، لقد أثر (أفيدتش) أن يضع ملخص قصّته على غلافها؛ فالحديث عن مخاوف سبعة يعاني منها الكاتب، وهذا ما أشار إليه في العنوان "مخاوفي السبعة" الذي كُتب بخط أسود عريض، وذلك لأهميته؛ فهو موضوع الرواية الأساسي الذي يأخذ حيزاً واسعاً فيها، ومن ثم فإنّ هذا الجزء البسيط من الغلاف يقدّم للقارئ موضوع الرواية وملخصها،

وفيه بلاغ للقارئ أنه أمام رواية تتحدث عن الخوف وما يدخله جو الرواية، والملاحظ في العنوان أنه نسب المخاوف إلى نفس الكاتب، ما يدل على أن الكاتب هو بطل الرواية؛ بالتالي يمكن القول: إنها رواية سيرة ذاتية.

أما عن اختيار اللون الأسود للكتابة، فهو يرمز إلى الظلام، كما يعمل على امتصاص كل الألوان ويوظف لوصف مختلف الأشياء المخيفة والشريرة؛ فيستخدم في الغالب لإخفاء الأشياء المكروهة للنفس مثل: الوزن والعواطف والمشاعر والخوف وانعدام الثقة، وهو من الألوان التي "يفضلها المرضى المصابون بالاكتئاب؛ فهو يزيد الشعور بالحزن، وهو لون التأمل ولون الحداد" (المحيسني، 2015)، وهذه المشاعر السلبية تتوافق بصورة لافتة والجو العام الذي وقعت فيه مخاوف (أفيدتش) السبعة؛ فقد صرّح أن كل شيء أصبح حالكا في ظلام مطلق فلم يعد يبصر النور أبداً؛ يقول: "كل الأشياء سوداء في حقيقتها" (سلافيدين، 2015، صفحة 164)، وفي سياق منفصل يقول: "ودروب عتيقة تقود إلى الغاية السوداء المخيفة" (سلافيدين، 2015، صفحة 151)، وما يعزّز من هذا التوجه في رمزية اللون الأسود هي إشاراته المتتالية إلى تغير المكان؛ فبعد أن كانت الحياة جميلة مشرقة أصبحت مظلمة باردة، يقول: "قم بتشغيل أنواع مختلفة من الموسيقى في غرفة خالية وسترى كيف تتحرك الظلال وينشط الهواء، وتختلف درجات الضوء... إن الصمت التام ربما له وجود في الفضاء الخارجي أو في باطن الأرض، حيث الظلام والبرودة فقط" (سلافيدين، 2015، صفحة 16).

لقد كان الحديث عن الضوء لافتاً؛ فهو نادر الحضور في المكان، غالباً ما يحمل معه بصيص أمل يمكن أن يغيّر ملامح المكان، يقول: "قالت إنها استمتعت برؤية الكيفية التي يغيّر بها الضوء المظاهر" (سلافيدين، 2015، صفحة 20)، أما الصباح الذي يجلب النور، فهو - وفقاً لثقافة (أفيدتش) - خير ما صنع الله، يقول: "أجد الصباح أكثر ما صنع الله إقناً، لطالما أحببت الصباح" (سلافيدين، 2015، صفحة 58)، لقد آمن (أفيدتش) بالأساطير والتواصل مع الجنّ والسكر وحضور الشياطين ومصاصي الدماء، لقد آمن بكل رمزيات العالم السفلي المظلم التي اجتمعت في المكان يقول: "لا أؤمن فقط بالأسباح بل وبمصاصي الدماء والجنّيات والسحرة والعفاريت، بجهنم والجحيم... لقد اشتدّ الكرب مذ أدركت أن الحياة لن تعود جميلة أبداً كما كانت، إنه لا علم نفس ولا نصيح ولا إغواء ولا رقص شعائري ولا سحر أسود سيأتي لي أن أكون سعيداً مرة أخرى مع زوجتي" (سلافيدين، 2015، الصفحات 24-25)، وفي سياق آخر يقول: "كنت ممدداً على التراب في الظلمة" (سلافيدين، 2015، صفحة 30)، من ثم فإنّ توظيف اللون الأسود يعزّز بصورة صارخة عن الحالة النفسية المظلمة التي يعيشها (أفيدتش)؛ بالتالي ينجح اللون الأسود بتهيئة القارئ نفسياً قبل قراءة الرواية، وهذا هو الدافع الذي جعل للون الأسود الحظ الوافر من صورة الغلاف.

أما اللون الغالب على الصورة، فكان اللون الأحمر الذي يرمز إلى الدم، كما يدلّ على التعب والمشقة والموت والحروب، تقول العرب: موت أحمر، للدلالة على هول الموقف وشدته" (ابن منظور، 1955)، والملاحظ أن الخلفية قد جاءت باللون الأحمر ليغطي على الألوان الأخرى؛ للدلالة على حجم القتل والدماء الموهول في الرواية، ولحضوره البارز في ثقافة الكاتب الذي عبّر عنه بقوله: "كان كل ما حولنا أحمر اللون" (سلافيدين، 2015، صفحة 165)، يدور النصّ في المقام الأول حول حكايات التشرد ومشاهد القتل والدماء التي كانت المسبب الأول لمعاناة الكاتب وخلق تلك المخاوف لديه، وبالرغم من أن العنوان لا يبنى بالحديث عن الحرب والقتل؛ فإنّ اللون الأحمر تكفّل بذلك ليضع القارئ في جو الرواية، وقد أشار إلى ذلك في غير موضع، يقول: "في الحرب يختفي الناس بشكل مبالغ فيه، وأهمهم الأشخاص الذين اكتشفوا في مقابر جماعية بعد سنوات عدّة" (سلافيدين، 2015، صفحة 45)، وفي وصف صورة الموت والدمار يقول: "بدا المكان فضيئاً، كأنما مكث فيه الأرق وانفجر مصدرًا غازاته السامة" (سلافيدين، 2015، صفحة 106)، يصوّر (أفيدتش) كثرة الموت بالجحيم بقوله: "إنه الجحيم أتى ليلتهما جميعاً" (سلافيدين، 2015، صفحة 30).

في منتصف صفحة الغلاف نجد صورة حصان أسود له جناحان وقرن، وهذه الصورة وليدة الأساطير القديمة التي صوّرت حصاناً طائرًا له قرن قوي، ووفقاً للأساطير فإن اسمه هو (بيجاسوس) ورد ذكره في الأساطير اليونانية، وهو وسيلة الآلهة في الانتقال الجوّي، فهو بعد ولادته طار إلى السماء واستقرّ في قصر (زيوس) مع الخالدين (الفاطري، محمود، 2010)، وقد ذُكر ذلك الحصان في النصّ صراحة حيث يقول: "و على جانب الممرّ تصطفّ خيول مجنحة من الجصّ، وأخيراً أبصرت ملهى بيجاسوس بعد مئة من الأمتار وقطيعة خيل" (سلافيدين، 2015، صفحة 153)، وما يعضد هذا التوجه هو أن (أفيدتش) خصّص باباً في الرواية حمل عنوان "حكاية الأخوين بيجاسوس" (سلافيدين، 2015، صفحة 124) يتحدث فيه عن حكاية أسطورية سائرة حول شقيقين يحملان صفات خاصّة مكنتها من السيطرة على المدينة، إلى جانب العالم السفلي. يقع الحصان في دائرة مغلقة، تقع وسط الصورة، ويستحوذ على مساحة كبيرة منها؛ ما ينبّه القارئ إلى أنه بصدد قراءة نصّ يحتوي الكثير من القصص الأسطورية، وهذا شرط على النصّ اشتراطه عليه الغلاف، وبجيء ذلك قياساً بحجم صورة الحصان على الغلاف، وقد بدا ذكر الحصان في الرواية لافتاً، ولعلّ وضع صورة الحصان على غلاف الرواية هو نسخ لصورته المعلقة على الجدار، يقول: "ثم رأيت الصورة كانت تتدلى خلف أحمد قديمة، ذهب اللّمعان عن ألوانها الزيتية منذ زمن، وعلى قطعة القماش رسم لحصان نحيف، لم يكن يحمل على صهوته أي مريض بالتيفوس بل كان يقف وحيداً في العتمة، ووحدها عيونه البليدة يمكن تبيينها في الظلام، ما إن فهمت الصورة حتى جفّ فمي تماماً، كان حصان منجم أعمى، حيوان مسكين يحسب العالم نفقاً مظلماً" (سلافيدين، 2015، صفحة 111)، وربّما هذا من أبرز الأسباب التي صبغت صورة الحصان على الغلاف باللون الأسود؛ فحضوره دائماً ما يكون في الظلام، يقول: "سمعت وقع حوافر خيل قادمة من الظلام، وبينما صوت الحوافر يعلو ويعلو سمعت أصوات الصهيل أيضاً... وأحسست حينئذ أن عشرة خيول تتجه نحوي" (سلافيدين، 2015، صفحة 31)، والمتأمل في النصّ يجد أن الحديث عن الأساطير قد احتلّ مساحة مهمّة من السرد، من ذلك قوله: "إنّ

في تلك الدفاتر قوائم بكلّ الشياطين والأشباح والأرواح ومصاصي الدماء والمشعوذات والجنّيات والكائنات المشابهة التي ظهرت في البوسنة والهرسك على مدى الخمسين عامًا الماضية... تحتوي الملفات وصفًا لكلّ معارك جبابرة السماء" (سلافيدين، 2015، صفحة 112).

أما الدائرة المغلقة فهي ترمز إلى إيمان الكاتب العميق بالأساطير وتبنيه لها، ما تسبب له حالة نفسية، جعلته رهين دائرة مغلقة، يعجز عن الخروج منها، وهو ما تفصح عنه الرواية؛ فيعد أن بدأ البطل يلاحق (بروكلمان) ويقرأ عن الأساطير لم يستطع التراجع أبدًا بالرغم من محاولته المتكررة، وفي سياق حديثه عن الأساطير يورد المعتقد الأسطوري الثابت المتعلق بتقديم القرايين للآلهة، يقول: "من الواضح أنّ منجمي قد حصل على قربانه البشري" (سلافيدين، 2015، صفحة 47). تحيط بالدائرة رسومات متشابكة تملأ الفراغ المتبقي في الصفحة؛ معبرة عن الحالة النفسية الصعبة والمعقدة والمتشابكة التي يعانيها الكاتب؛ فهو يعاني كمًا كبيرًا من المتاهات التي تحيط بدائرة الأساطير التي أقحم نفسه فيها؛ فهي بالنسبة له الملاذ الآمن من تلك المتاهات النفسية المتشابكة التي لا خلاص منها - كما يشير - إلا بأحد خيارين أحلاهما مرّ: إما الانتحار والتخلّص من مخاوفه التي تسبب له تعبًا نفسيًا مريبًا، أو دخول دائرة الأساطير التي يجد فيها نوعًا من التخدير النفسي الآني، وقد فضّل الأساطير على الانتحار، وقد عبّر عن الحالة النفسية الصعبة التي وصل إليها بقوله: "تبدّل حاله مع بداية الحرب، تقوقع داخل نفسه والتزم الصمت" (سلافيدين، 2015، صفحة 92).

ومن الرمزية التي يقدّمها اللون الأسود للحصان؛ فهو للدلالة على الظلمة المطلقة التي عايشها فترة ما وما بعدها، فلم يبصر فيها النور أبدًا، فطريق الأساطير الذي اختاره هربًا من الانتحار كان مظلمًا، وما يعضد هذا التوجه هو أنّ الحصان في الأساطير يظهر باللون الأبيض، لكنه استبدل به اللون الأسود؛ دلالة على أنّ قرار ولوج عالم الأساطير لم يكن طريقًا أبيض، يرمز إلى الحرية والحياة كما في أسطورة (بيجاسوس)؛ بل وجده مظلمًا كما المتاهات النفسية المتشابكة المحيطة به، من جانب آخر فإنّ حضور الحصان كان مقترنًا بالظلام، يقول في سياق حديثه عن الأحصنة التي كانت تحضر المنجم: "سمعت وقع حوافر خيل قادمة من الظلام" (سلافيدين، 2015، صفحة 31).

أما اسم الكاتب (سلافيدين أفيدتش) فقد جاء باللون الأصفر الذي يرمز إلى الذبول ونهايات الأشياء الخضراء اليانعة، يدلّ على بداية الموت، فالشحوب والاصفرار الذي يعتري المريض قبل الموت (صبكان، 2018)، من ثمّ فإنّ توظيف اللون الأصفر في اسم الكاتب يرمز إلى حالة اليأس والإحباط التي تعتريه، وهذا تمامًا ما يتجرّع الكاتب مرارته؛ فمذ بداية السرد حتى نهايته نجد الحديث عن النهاية والموت والخلّص والتفكير الحثيث فيه من خلال محاولات الانتحار العديدة، وما يعضد ذلك التوجه هو وصفه نفسه بالطبل الأصفر، ونتائج الحرب السيئة بالصفراء، الأمر الذي جعل منه رهين الخرافات والأساطير التي بحث من خلالها عما يخرجها من مرارته النفسية؛ بيد أنّ الأخيرة خيبت أمله وزادت مخاوفه، يقول "لقد غابت شمس البدايات الخضراء تاركة البطل الأصفر يعالج النهاية وما حملتها الحرب من نتائج صفراء مؤلمة توارت ملامح بؤسها في ظلام عقيم، تؤنسه في غربته حكايات الجنّ والشياطين والكثير من الأساطير الغريبة التي تزيد الأمر بؤسًا وتعقيدًا" (سلافيدين، 2015، صفحة 167)، وفي سياق منفصل يقول: "دفعت الباب لأخطو على أرضية ممزّ من الطوب الأصفر" (سلافيدين، 2015، صفحة 153).

والناظر يجد أن عبارة "لكي تشفى من مخاوفك عليك أولاً أن تعترف بها"، قد سُبقت بفاصلة مقلوبة باللون الأصفر، فما الرمزية التي تحملها تلك الفاصلة؟ أسلفت في الحديث عن العبارة أنّه أوردتها في سياق الخاتمة وملخص تجربته التي خلص إليها ونصح القارئ بها؛ لذلك دخلت الفاصلة الصفراء التي تخبر أنّها سُبقت بكلام يغني اللاحق عن ذكره، لكن ما دلالة اللون الأصفر؟ إنّ الكاتب - كما ورد في الرواية - خلّص إلى هذه النتيجة بعد قرار الانتحار، لقد كان وشيكًا جدًا من النهاية؛ لكنّه وضع فاصلته هذه ليبدأ مرحلة جديدة، عنوانها الاعتراف بالخوف كلّ الخوف، مع إقراره أنّ الاعتراف لن ينقله إلى حياة سعيدة تنسيه آلامه وتخرجه إلى حالة التناول والانشراح، فهو يقرّ أنّها ستكون صعبة؛ لذلك صبغت العبارة باللون الأحمر، ولو كان ذلك كذلك لصبغت باللون الأبيض.

4.2 عتبة العنوان/ تعالق العنوان مع النص دلاليًا

يمثّل العنوان في أيّ عمل أدبيّ المفتاح الرئيس للنصّ والمدخل الأساس إليه؛ فهو أولى العتبات التي يمرّ عليها القارئ قبل ولوجه النصّ، مشكّلة البداية الأهمّ التي تمهّد الطريق أمام القارئ؛ فيسهل عليه دراسته وكشف أسباره والتعرف إلى جوانبه الغامضة، بوصفه دراسة أولية تساهم في الكشف والإغواء والتعيين والوصف" (حميد، 2013)، والعنوان ذلك الملخص المختصر جدًا الذي يتلوه النصّ موضحًا ومفسّرًا، ورواية "مخاوفي السبعة" خير مثال على ذلك؛ فأحداثها تدور حول مخاوف سبعة يعاني منها الكاتب ويسهب في الحديث عنها، إنها مخاوف (سلافيدين أفيدتش) السبعة، وقد أفصح عن ذلك بقوله: "وجدت في فكرة ما قائمة بمخاوفي القديمة كتبها منذ سنوات عدّة" (سلافيدين، 2015، صفحة 59)، والمتأمل يجد الحديث عن تلك المخاوف يوردها في غير موضع، يقول "أصابني ذلك بالخوف، لم أكن أميل حينئذٍ للحديث عن نفسي، كان الإفصاح - في ظني - بمثابة إقرار بأبديّة الحال المُفصح عنه إضافة إلى ما كنت فيه من خزي" (سلافيدين، 2015، صفحة 25).

بالرغم من أنّ الكاتب نسب تلك المخاوف إلى نفسه وخصّها بها من خلال التركيب "مخاوفي"، فإنها مخاوف عامة تسكن أرواح مختلف القراء خصوصًا ممّن شهدوا ويلات الحرب وتجرّعوا مرارتها؛ لكنّهم إمّا أن يكونوا عجزوا عن رصد تلك المخاوف ووصفها أو أن يكونوا خجلوا عن التعبير عنها؛ لما فيها من نقد للذات وكشف عن مكنوناتها النفسية السيئة، غير أن

الكاتب كان جريئاً حين وصف تلك المخاوف وكشفها للعلن، معلناً عزمه التخلص منها غير مبالٍ بالطريقة أو الثمن الذي يمكن أن يدفعه في سبيل ذلك، وقد كان الموت أحد تلك الخيارات.

قبل الحرب لم يكن البطل يعاني تلك المخاوف؛ فيعيش حياة هانئة، حاله حال الناس في مجتمعه؛ لكن لما وقعت الحرب وأحدثت كمّ المآسي والأحزان، حضرت تلك المخاوف التي سكنت روح الكاتب رغماً عنه، وبعض تلك المخاوف تسكن أرواحنا دون أن نعيش ويلات الحرب التي يمكن أن تذيبنا مرارة فقد الأحياء ودمار المسكن ومشاهدة الدماء والأشلاء؛ فكيف لو عايشنا ذلك كله؟، هل كنا سنسلم منها متشبثين بالأمن المفقود والسلامة الغائبة؟

إنّ الجواب ما أجاب به الكاتب، وهو أنّ تلك المخاوف لا تطرق الأبواب مستأذنة الدخول بل تدخلها عنوة؛ فالكاتب بعد ذكر مخاوفه والتعقيب على أسبابها ونتائجها، ترك للقارئ مساحة واسعة في نهايتها، يكتب فيها ما شاء من مخاوفه، وقد جعل نهاية الرواية مفتوحة، إلى جانب سبع صفحات فارغة بعدد مخاوفه، تاركاً للقارئ حرية الكتابة، تاركاً له مجالاً رحباً يسجل فيه ما شاء من مخاوفه التي تخلفها الحرب في نفس الإنسان؛ أيّ أنسان وأيّة حرب.

لكن، هل نجح الكاتب في اختبار العنوان المناسب لروايته، فيكون قد مثّل تلك العتبة المهمة للنص؟ بعد القراءة والتحليل يمكن القول: إنّ الكاتب قد أحسن اختيار العنوان وأصاب فيه؛ فالرواية جاءت مفسرة لتلك المخاوف التي حملها عنوان الرواية ولم يخرج السرد عن الحديث عنها، وبالرغم من أنّ الرواية كانت رواية حرب؛ فإنها ركزت - وبشكل كبير - على أهمّ النتائج النفسية التي تركتها الحرب والتي كان لها دور كبير في خلق تلك المخاوف؛ فالرواية هي رواية نفسية بالمقام الأول، تمزج بين الجنون والعقل والواقع والخيال والحضور والغياب واليأس والكتمان، وهي كلّها من تجليات تركت الحرب في نفس الإنسان البوسني بشكل عام و(سليفيدين أفيدتش) بشكل خاص.

5. النتائج

- لقد اتضح جلياً أنّ الغلاف عتبة مهمة من عتبات النصّ الروائي؛ فهي تعدّ أولى العتبات وأهمّها وبوابته الأولى التي يلج إليها القارئ؛ ما يجعل منها لغة ثانية يجتهد الرسّام - من خلالها - اختزال النصّ وتوجيه رسالة أولية عن فحوى الرواية، ومن خلال دراسة رواية "مخاوفي السبعة" نجد ارتباطاً واضحاً بين عتبة الغلاف ومضمون الرواية؛ فقد نجح الغلاف في التعبير عن متن الرواية وكشف دلالاتها قبل قراءتها، ما يجعل منه نصّاً موازياً يتداخل مع النصّ تداخلاً قوياً، ومن ثم فقد نجح الرسّام في وضع الصورة الملائمة للرواية، وهذا يحسب للرسّام الذي استطاع أن يتجرد من تجربته الشخصية وثقافته الهامشية ويتمثّل تجربة الكاتب وثقافته، وهذا أمر صعب لا يتقنه إلا قلة من الرسّامين.
- جاءت ألوان الغلاف متعلقة مع النصّ بشكل ملحوظ؛ فقد سبّرت أغوار دلالاته وعبرت عن ملامح الكاتب النفسية بشكل مباشر؛ فكلّ لون في الغلاف يكشف عن سمة من سمات الكاتب النفسية؛ فيكشف اللون الأسود عن سوء الحالة النفسية التي يعانيها البطل، ويرمز اللون الأحمر إلى الدماء، بسبب كثرة القتل التي كانت من أبرز إرهابات الحرب، أمّا اللون الأصفر، فيرمز إلى قرب النهاية ودنو الأجل.
- كان اختيار الرسومات في عتبة الغلاف موفّقاً إلى حدّ كبير؛ فقد نجح في تلخيص جزء كبير من النصّ الذي يدور حول صراع البطل مع الأساطير، تحديداً الحصان الطائر "بيجاسوس".
- لقد سعى الكاتب - من خلال روايته - إلى نقل تجربته، وقد لخصّها في جملة قصيرة "لكي تشفى من مخاوفك عليك الاعتراف بها" وقد صدّرها الرسّام صفحة الغلاف؛ بالتالي يكون القارئ قد ولج إلى النصّ واستخلص الخاتمة من خلال عتبة الغلاف.
- يتعلّق العنوان مع النصّ على المستويين؛ اللغوي والدلالي؛ فعلى المستوى اللغوي نجده دائم الحضور في النصّ، فمخاوف الكاتب السبعة كانت غاية الرواية التي بنى عليها نسيجها، وعلى المستوى الدلالي فإنّ القراءة تكشف عن دلالات العنوان بصورة مباشرة ساعدت المتلقي في فهم فكرة النصّ وسير أغواره وعوالمه.
- لقد مثّلت رواية "مخاوفي السبعة" النتائج النفسية للحرب أفضل تمثيل؛ فنجحت في نقل القارئ إلى ذلك الجو واستشعاره أنّه جزء من ذلك المجتمع من خلال أسلوب سرديّ مشوق ومتربط.
- يمكن أن تدخل الرواية ضمن رواية السيرة الذاتية؛ كونها تناولت فترة مهمة من حياة الكاتب التي سجلها بأدقّ تفاصيلها، خصوصاً أنّه كان هو السارد والبطل.
- احتوت الترجمة بعض الأخطاء النحوية؛ لكنّها لم تؤثر في جماليات السرد وترابطه.
- تحتاج الرواية إلى مزيد من البحث والدراسة، ما يرفد المكتبة العربية بمراجع نقدية مهمة في علم العتبات.

تعهد وإقرار

أقرّ وأتعهد بأنّ هذا البحث - والذي يحمل عنوان: عتبة الغلاف في رواية "مخاوفي السبعة" رواية عن حرب البوسنة والهرسك، سراييفو - بحث أصيل، وغير منقول أو مستل من أي عمل آخر، وأتحمل أية تبعات قانونية، وللمجلة الحق في اتخاذ الإجراءات المترتبة على ذلك.

أقرّ بالالتزام بأخلاقيات البحث العلمي، والأمانة العلمية في كتابة البحث العلمي المعنون أعلاه، وأتحمل المسؤولية القانونية لحقوق الملكية الفكرية والمادية للغير.

6. قائمة المراجع

6.1 المراجع باللغة العربية

- ابن منظور. (1955). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- أفيدتش سلافيدين. (2015). رواية مخاوفي السبعة. (محمد أسامة، المترجمون) القاهرة: دار العربي للنشر والتوزيع.
- القطاطري، محمود. (2010). وسائل الانتقال في الأساطير اليونانية المصورة في الفن. ليبيا: الاتحاد العام للآثاريين العرب.
- خالد صبكان. (2018). دلالة الألوان في الشعر العربي القديم. مركز دراسات البصرة والخليج العربي، صفحة 146.
- دعفر حميد. (2013). العنوان في الشعر العراقي الحديث. العارِق: دار ومكتبة البصائر.
- عبد الرحيم ضرار. (23 يوليو، 2018). غلاف الرواية عتبة من عتبات النص السردي. الشرق.
- محمد المحيسني. (مايو، 2015). الألوان ودلالاتها النفسية والاجتماعية. صفحة 21.
- هيثم حسين. (20 8، 2015). "مخاوفي السبعة".. مشاعر البوسنيين في الحرب. الجزيرة.

6.2 رومنة المراجع العربية

- Ibn Manzur. (1955). Lisan al-Arab. Beirut: Dar Sader.
- Avditch Slavidin. (2015). The novel of my seven fears. (Mohammed Osama, translators) Cairo: Dar Al-Arabi for Publishing and Distribution.
- Al-Fatatri, Mahmoud. (2010). Means of transportation in Greek mythology depicted in art. Libya: General Union of Arab Archaeologists.
- Khaled Sabkan. (2018). The significance of colors in ancient Arabic poetry. Basra and the Arabian Gulf Studies Center, page 146.
- Daafar Hamid. (2013). The title in modern Iraqi poetry. Al-Iraq: Dar and Library of Al-Basaer.
- Abdul Rahim Darar. (July 23, 2018). The cover of the novel is a threshold of the thresholds of the narrative text. Al-Sharq.
- Mohammed Al-Muhaisni. (May, 2015). Colors and their psychological and social connotations. Page 21.
- Haitham Hussein. (20 8, 2015). "My Seven Fears"... Bosnian feelings in the war. Al Jazeera.

Cover Threshold in the novel "My Seven Fears"

A novel about the Bosnian and Herzegovinian war - Sarajevo

Omar assi

Researcher, An-Najah National University, Palestine

Corresponding Author: Oassi600@gmail.com

Received: 22/12 2024.

Revised: 20/01/2025.

Accepted: 03/03/2025.

Published: 31/03/2026.

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.12

Abstract

The research aimed to study the cover threshold in the novel "My Seven Fears" by the Bosnian writer (Slaviden Avdic). The novel clearly dealt with the impact of the war on Bosnia and Herzegovina, specifically the city of Sarajevo, and what reinforced this was that the novel was one of the few novels that focused on the psychological aspect of the war and the exaggeration in killing with or without reason which formed the psychological conflict. **Objective:** The main reason for choosing the cover threshold was the prominent role it plays in revealing the connotations of the novel; through it we can quickly enter the text, and reach the ideas it presents before we read it. **Methodology:** The research was based on the semiotic approach that deals with the sign, symbol and image to stand on the cover threshold, which enables it to be interrogated; thus, revealing the content of the text helps in understanding it and exploring its connotations, in addition to the tools of the psychological approach to link the psychological connotations of the cover to the content of the novel. **Results:** The cover threshold revealed that there is a clear relationship between the cover and the text it is wrapped in. It had a role in introducing the reader to the general atmosphere of the novel before reading it by raising preliminary questions in the mind of the recipient of the novel, the answers to which he finds in the text of the novel.

Keywords: War, thresholds, myths, Seven Fears.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

الهجرة والهوية في سياقات الانتقال الهجري: دراسة سوسيولوجيا المهاجرين من إفريقيا؛ جنوب الصحراء، في المجتمع المغربي

ياسين البجديني

قسم العلوم الإنسانية، كلية اللغات والفنون والعلوم الإنسانية بـسطات، جامعة الحسن الأول، المغرب

الباحث المراسل: y.elboudjadaini@uap.ac.ma

Received: 20/08/2024. Revised: 05/11/2024. Accepted: 27/05/2025. Published: 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.13

المخلص

تحاول هذه الورقة البحثية فهم التجارب الهجرية والاستراتيجيات الهويةية لدى المهاجرين المتحدرين من المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء، وفقاً لمقاربة سوسيولوجية، بالاعتماد على عمل إميريقي نوعي. وقد توصلت إلى أن الهجرة في المجتمعات الإفريقية هي نتيجة للاستعمار والتقسيم الدولي للعمل، إلى جانب هشاشة الروابط الاجتماعية والسعي إلى ترميمها وتقويتها عبر الانتقال إلى فعل المغامرة. كما أن السياسات الهجرية والتنمية المعتمدة على المستويين الإفريقي والأوروبي لم تسهم في جعل الهجرات آمنة، كما يراهن الخطاب الدولي والإقليمي الذي تقدمه المنظمات الدولية والدول الأوروبية؛ أي الدول التي حددتها الذات المهاجرة بوصفها وجهات لمشاريها الهجرية، بناءً على الواقع الاجتماعي والتنموي والحقوق الذي أنتجته الأفعال السياسية للدول الرأسمالية خلال الاستعمار، والنخب الوطنية في مرحلة ما بعد الاستعمار الأوروبي. بل جعلتها هذه السياسات مكلفة على المستويات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعائقية، كما يظهر في تجارب المهاجرين الاجتماعية واستراتيجياتهم الهويةية لتحقيق مشاريعهم الهجرية والتكيف في مجتمعات العصور.

تحتاج الورقة بأنه بدلاً من بناء الهجرة الإفريقية، بوصفها مشكلة اجتماعية، فينبغي على الدول التعاون لمحاربة أشكالها غير النظامية، مع النظر إلى المهاجرين بوصفهم ضحايا شبكات الاتجار بالبشر، فيجب أن ينظر إليهم بوصفهم ذواتاً إنسانية واعية ومدركة، قادرة على التفكير العقلاني والاستراتيجي، وتقدير الحسابات الاقتصادية لمغامراتها. فالفعل الهجري لديها تعبير عن الواقع التنموي لبلدانها الأصلية، الذي هو نتاج للتدخلات الكولونيالية والأفعال السياسية للنخب المحلية، إلى جانب فقدانها الأمل في المستقبل واقتناعها الذاتي بضرورة الإسهام في التغيير المجتمعي من خلال تغيير واقع الذات وجماعات الانتماء.

وتشكل التجارب الهجرية لدى المهاجرين الأفارقة تجارب اجتماعية، تمنح لها معاني مبنية على مساراتهم البيوغرافية وديناميات تفاعلاتهم الاجتماعية، ما أسهم ويسهم في بلورة استراتيجيات هويةية، تهدف إلى تحقيق التماسك الهويي والتكيف الاجتماعي في المجتمع المغربي، تمهيداً لتحقيق المشروع الهجري في أوروبا من خلال تعبئة الذات، بعدما تم حرمانها من فرص تحصيل الخبرات المادية والرمزية التي يمكن أن تمكنها من الخوض في تجربة الحياة وفقاً للمشروع الشخصي. وفي ذلك تدبير للحظتها الوجودية، وإبراز لقدراتها على اختيار نموذج للعيش والصراع من أجل إثبات الذات في مناخ سياسي دولي، يسعى إلى تكريس الهشاشة وقهر الذات الإنسانية وجعلها تابعة، تخدم غايات الإمبريالية والطبقات المهيمنة.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، الهوية الاجتماعية، التجارب الهجرية (أو الهجراتية)، الاستراتيجيات الهويةية (أو الهويةية)، المهاجرون الأفارقة جنوب الصحراء، المجتمع المغربي

1. المقدمة

تعدّ علاقة الهجرة بالهوية من أبرز القضايا السوسيوولوجية المطروحة على طاولة العلوم الإنسانية والاجتماعية، خاصة السوسيوولوجيا، والسيكولوجيا، والسيكوسوسيوولوجيا، والأنثروبولوجيا في العصر الراهن، وذلك نظرًا لارتفاع معدلات الهجرة في جميع أنحاء العالم، وارتباطها بقضايا وظواهر غير وطنية من قبيل: ظواهر التطرف الديني والإرهاب، وقضايا الانتماءات والهويات الجماعية، وقضايا التنمية المستدامة، وحقوق الإنسان ... وتعدّ الأبعاد المتحركة في دينامياتها: (البعد المجالي، والاقتصادي، والسياسي، والجيوسياسي، والاجتماعي، والثقافي ...). فالهجرة أصبحت تيمة أساسية في كل الخطابات السياسية والإعلامية ... ويستثمرها الفاعلون السياسيون في استعراض البرامج السياسية والمشاريع الاجتماعية والسياسات العمومية. كما أصبح المهاجرون واللاجئون جماعة أساسية في ديناميات التغيير الاجتماعي وسيرورات التنمية المستدامة في جميع المجتمعات الإنسانية، ما دفع مجموعة من الباحثين إلى اعتداد عصرنا الحالي عصر الهجرة بامتياز (ستيفن مارك، 2013؛ غيدنز، 2005).

وعلى المستوى الدولي، قدرت الأمم المتحدة خلال سنة 2020، عدد المهاجرين على مستوى العالم بـ 281 مليون مهاجر دولي، وهو عدد يعادل نسبة 3.6 % من السكان عبر العالم. وهذا يعني أنّ الأقلية فقط هي التي تهجر، أما الأغلبية فتمكث في بلدانها الأصلية التي ازدادت فيها. إذن فعدم الهجرة هو المعيار الأساسي، كما أنّ أغلبية المهاجرين يتحركون وينتقلون داخل الدول والقارات، والأقلية هي التي تنتقل عبر الحدود الدولية (Vitorino, 2021, p. xii). وخلال السنة نفسها استضافت البلدان العربية 41.4 مليون مهاجر ولاجئ، يمثلون نحو 15 % من المهاجرين الدوليين واللاجئين في العالم (الأمم المتحدة، 2022، صفحة 5).

وتحليلنا المعطيات السابقة إلى أن النقاشات التي تصاحب معدلات الهجرة على المستويات الدولية والإقليمية والمحلية، مبالغ فيها، وأن التعبير عن القلق والخوف من المهاجرين في إطار ما يسمى برهاب الأجانب أو الإسلام فريباً وغيرها، ما هي إلا محاولات لبناء الهجرة بوصفها مشكلة اجتماعية، ينبغي معالجتها والتحكم في تدفقاتها وفق الرهانات السياسية والأيدولوجية الضيقة، والتغاضي عن الحقوق الكونية الإنسانية للمهاجرين وأفراد أسرهم، ونكران حقيقة الهجرة التي تتمثل في كونها جزءاً أساسياً من الحياة البشرية، وفعلاً إنسانياً وكونياً لجأ إليه الإنسان منذ القدم. وقبل اتخاذ الهجرة ورقة سياسية-انتخابية، فينبغي التذكر بأنها وضعية إنسانية ينبغي تدبيرها بطريقة إنسانية كونية، وأن التجارب الهجرية للمهاجرين تجارب اجتماعية إنسانية، من خلالها ينجح الفاعلون معاني للعالم الذي يعيشون فيه، وللحياة التي يخوضون غمار عيشها (البجديني، 2024 ب، الصفحات 5-6).

وتحتل الفئة الاجتماعية، التي تحاول هذه الورقة تسليط الضوء عليها، موقعاً مختلفاً، فقد انتقلت داخل القارة الإفريقية، من إفريقيا جنوب الصحراء إلى شمال إفريقيا، وطموحها هو القارة الأوروبية بالدرجة الأولى. لكن السياسات الهجرية المعتمدة جعلت منها فئة "مقيمة بالفعل". سياسياً هي فئة اجتماعية مقيمة نظراً لسياسات الهجرة واللجوء المعتمدة، وهنا نشير، بالدرجة الأولى، إلى قانون 2003 المتعلق بدخول الأجانب إلى المملكة المغربية وإقامتهم فيها، وبالهجرة غير الشرعية منذ نوفمبر سنة 2003، والاستراتيجية الوطنية للهجرة واللجوء (الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج، 2014)، التي تم صياغتها بناءً على خلاصات تقرير المجلس الوطني لحقوق الإنسان لسنة 2013 (المجلس الوطني لحقوق الإنسان، 2013). ولكن اجتماعياً هي فئة اجتماعية تعيش أوضاعاً سوسيو-اقتصادية هشة (البجديني، 2024 أ) لها مشروع هجري نحو أوروبا. وقد حاولت هذه الفئة التعبير عن رغباتها تلك بكل الأساليب الفردية، وقد صارت الآن تعبر عنها بشكل جمعي وجماعي، عن طريق تنظيم اقتحامات جماعية للحدود.

2. مراجعة الأدبيات السابقة

توصل المجلس الوطني لحقوق الإنسان (2013) إلى أنّ المقاربة القائمة على حقوق الإنسان، سواء على المستوى الوطني أو الدولي، هي البعد الأساسي والوحيد الذي من شأنه ضمان حقوق المهاجرين الأساسية، بغض النظر عن وضعهم الإداري. كما أنها بُعد ضروري لبلورة سياسات هجرية طويلة المدى، تضمن الحقوق وتتيح إمكانية التعايش الديمقراطي والتبادل المثمر بين الثقافات والحضارات. وقد خلص المجلس إلى أنّ المغرب يعد أرض هجرة بامتياز منذ موجة الهجرة الأولى التي انطلقت مع الحرب العالمية الأولى، وهو أرض استقبال وتوافد، بالرغم من أنّ الوعي الجماعي لم يستوعب بعد هذا المعطى التاريخي. ولا يمكن أن يبقى بعيداً عن الوضع المضطرب في بعض الدول الإفريقية، ولا عن آثار السياسات الصارمة التي تعتمدها أوروبا لمراقبة حدودها الخارجية. وبذلك دخل المغرب في خانة الدول المعنية بعولمة التنقلات البشرية. لذلك أوصى المجلس بسن سياسات إنسانية تجاه المهاجرين، واحترام المواثيق والصكوك الدولية في التعامل معهم بغض النظر عن أصلهم ووضعهم القانوني. كما أوصى بتنظيم عملية التسوية الاستثنائية، ودعا هيئات المجتمع المدني والمنظمات الدولية والبلدان الأوروبية إلى دعم هذه العملية بشرياً ومالياً. كما شدد على ضرورة انطلاق المؤسسات الدستورية

والوطنية لبحث قضية المهاجرين والأجانب بالمغرب، وسن سياسات تدمجهم في المجتمع المغربي، وفق مقارنة حقوقية إنسانية كونية، يمكن أن تجعل المغرب نموذجًا يحتذى به في هذا المجال، على مستوى دول الجنوب على الأقل (المجلس الوطني لحقوق الإنسان، 2013، الصفحات 1-8).

وتوصل الباحث "صبري أحو" (2016) في دراسته حول المغرب والهجرة القادمة من إفريقيا جنوب الصحراء، إلى أن الموقع الجغرافي للمغرب، القريب من أوروبا، وطباع المجتمع المغربي المتسامح، جعله نقطة جذب ومسارًا مفضلاً للمهاجرين الأفارقة، الذين يتجمعون في غابات محيطة بمدن شمال المغرب وشرقه، في انتظار "الفرصة الذهبية" للهجرة إلى "الفردوس الأوروبي". غير أن عسر المراقبة على الحدود الخارجية لدول شينغن، وشدها، وتبنيها سياسة موحدة في ميدان الهجرة، وخلقها وكالات مختصة في المراقبة "فرونتكس"، إلى جانب تعاقدها مع دول الجنوب، ومنها المغرب، في إطار التدبير التعاوني للهجرة، من أجل محاربة الهجرة غير "النظامية"، كل ذلك جعل المغرب بلد استقبال (الصفحات 2-3).

ويسعى المغرب إلى نهج خطة سياسية واستراتيجية جديدة لتعزيز موقعه في إفريقيا. كما أن حاجته لضمان ود الدول الإفريقية، وفك ألباز العملية الأمنية في إطار نهجه الاستباقي، وتقديره للجانب الإنساني والتضامني، جعله يقر بوجود أعداد من المهاجرين يمثلون المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء فوق إقليمه، يقدر بالآلاف، معلنا تسوية استثنائية. لكن التطبيع مع أوضاع المهاجرين الإدارية، لن يكون مكتملا إلا إذا اقترن بإجراءات وتدابير مادية، من خلال فتح المنافذ الحقيقية للاندماج، لضمان حقوق المهاجرين وحرياتهم وأبنائهم في التعليم، والشغل، والصحة، والسكن، وغيرها من الحقوق التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموارد المالية للمغرب. كما يتطلب الأمر تنفيذ حملات توعية حول دور الهجرة والتنوع في إغناء المجتمعات ومناعتها، درءاً لأعمال عنصرية قد تتولد عن فعل الاحتكاك اليومي. والتحسيس نفسه مطلوب بين المهاجرين ليراعوا قيم مجتمع الاستقبال المغربي ومشاعره في سلوكهم وتصرفاتهم؛ تجنباً لسقوطهم في المحظورات التي يعاقب عليها القانون. فالهجرة معادلات صعبة، وفي خضمها يوجد الإنسان، الذي يجب أن يستأثر باهتمام الجميع (أحو، 2016، الصفحات 2-3).

وفي إطار بحثها الوطني حول الهجرة الدولية، أكدت المندوبية السامية للتخطيط أن المغرب أصبح بلدا للعبور والهجرة الوافدة في العقود الأخيرة. فقد سجل الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 وجود 86000 مقيم. ويعرف المغرب توافد مجموعة من المهاجرين من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ما دفعه إلى اعتماد الاستراتيجية الوطنية للهجرة واللجوء منذ سنة 2013، والتي مكنته من تسوية أوضاع 50000 مهاجر بين عامي 2014-2018 (Haut-Commissariat au Plan, 2020, p. 3).

ويتضح من الدراسات السابقة المنجزة حول موضوع المهاجرين الأفارقة بالمغرب أن توافد هذه الفئة على المجتمع المغربي يعد مستجداً، ويرتبط بسياسات هجرية تعاونية بين أوروبا ودول الجنوب. كما تقترح ضرورة إدماجهم في المجتمع المغربي وفق مقارنة إنسانية وحقوقية كونية. ومع ذلك، يظهر الحرص، سواء بشكل قصدي أو غير قصدي، على تجنب تعميق النقاش حول التحديات الاجتماعية والاقتصادية والمالية التي يمكن أن تطرحها سيروية الإدماج الاجتماعي للمهاجرين في السياق المغربي، الذي تتحدد ملامحه الكبرى بازواجية ثقافية بين التقليد والحداثة، وبهيمنة واضحة للخطاب، فضلاً عن تعثر النماذج التنموية السابقة، ومزلق الفعل الحكومي، وضعف ثقافة المسؤولية المجتمعية والحضارية، التي يمكن أن تنقل مبدأ ربط المسؤولية بالمحاسبة من الخطاب الدستوري إلى الفعل العمومي.

إن توافد المهاجرين الأفارقة على المغرب، ليس أمراً جديداً، وإنما هو أمر تاريخي. وتواجههم في مختلف المدن المغربية، يرتبط بالدرجة الأولى بالهشاشة التي صارت تعرفها روابطهم الاجتماعية (البجديني، 2024 أ)، والتغيرات التي تطرأ على هوياتهم الاجتماعية والثقافية (البجديني، 2021). إن تأمل أوضاع هذه الفئة يعكس ملامح الانتقال الهجري الذي يعرفه المجتمع المغربي، الذي هو نتاج لعوامل جيو-سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، ورهانات أمنية وأيديولوجية.

لقد أصبحت هذه الفئة جزءاً أساسياً من الهندسة الاجتماعية للمجتمع المغربي، وتسعى جاهدة إلى انتزاع الاعتراف الاجتماعي والمؤسسي بكيانها. والحق أن أوضاعها تكشف عن مستوى دول الشمال والجنوب معاً في مجال حقوق الإنسان والديمقراطية. فتتناضل بأساليبها الخاصة من أجل انتزاع أبسط حقوقها، وهي الحق في الوجود، والتمتع بحقوق المواطنة على تراب من اختيارها، والإسهام في تغيير المجتمعات، والتبادل الثقافي، والتعبير عن انتمائها للإنسانية. وفي سعيها هذا، تجد نفسها أمام وضعيات أنطولوجية لا مفكر فيها، قد تشكل لحظات فارقة في مساراتها البيوغرافية، وقد تؤثر في سيرورات البناء الاجتماعي لهوياتها الفردية والجماعية والحضارية، ما قد يدفعها إلى مقاومة السياسات الوطنية والإقليمية والدولية، الأمر الذي لا تمنح له الأدبيات السابقة ما يستحقه من الدرس والتحليل، وهو ما تحاول هذه الورقة طرحه للنقاش السوسيولوجي في دراسات الهجرة، مع الوعي بحدودها الإبيستيمولوجية.

3. منهجية البحث

كان المغرب لمدة طويلة بلداً مرسلًا للمهاجرين ومستقبلاً لهم، وتحول انطلاقاً من التسعينيات إلى بلد للعبور نحو "الفرانس الأوروبي". وفي الوقت الذي يواجه فيه مجموعة من التغيرات الديموغرافية التي تتمثل في تباطؤ النمو السكاني، حيث بلغ معدل متوسط النمو السكاني بالمغرب قدر 0.85% بين سنة 2014 و2024 بعد أن كان 1.25% بين 2004 و2014، و1.38% بين 1994 و2004 (المنشورية السامية للتخطيط، 2024، صفحة 7). فإنه أمام تحديات تنموية وهجرية وحقوقية جديدة، ذلك أن انخراطه إلى جانب الدول الأوروبية في الاتفاقيات الهادفة إلى محاربة الهجرة السرية أو غير النظامية، جعله يواجه تحديات متنوعة بخصوص استقبال المهاجرين واللاجئين، الشيء الذي فرض سياسات جديدة في مجال الهجرة واللجوء، ليتحول المغرب -رسمياً- إلى بلد استقبال للمهاجرين سواء من إفريقيا جنوب الصحراء أو الشرق الأوسط أو من دول أخرى، مثله في ذلك مثل البلدان الأوروبية الغربية. لكن، للسياسة المغربية الهجرية خصوصية، فالمملكة المغربية لم تعتمد هذه السياسات لمجابهة نقص اليد العاملة أو من أجل تحقيق إقلاص اقتصادي، وإنما فرضتها عليها ظروف إقليمية ودولية وواقع اجتماعي يتعين تدبيره. وهذا مؤشر مهم على وجود انتقال هجري عالمي، يتمثل في تحول الدول إلى احتلال كل المواقع الهجرية (دول مرسل، مستقبل، للعبور)، دون أن يعكس ذلك النماذج الكلاسيكية للدول المستقبلية، التي كانت نماذج للدول الاجتماعية، لها القدرة على الإدماج الاقتصادي والاجتماعي في الحياة العامة. وأطلقت المملكة المغربية ما بين 2014 و2018 عمليتين استثنائيتين لتسوية الأوضاع الإدارية والقانونية للمهاجرين وطالبي اللجوء، وقد بلغ عدد طلبات تسوية الوضعية التي تم التقدم بها أكثر من 56000 طلب، وتم تسوية أوضاع 50000 مهاجر (Haut-Commissariat au Plan, 2020, p. 3؛ المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2018/37، صفحة 14). وهنا لا بد من التأكيد على أن العدد الحقيقي للمهاجرين "السريين" ما زال خفياً، في ظل تضارب الأرقام التي تدلي بها المؤسسات ومنظمات المجتمع المدني. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد صرح وزير الداخلية المغربي، بمناسبة الإفصاح عن نية المغرب لتسوية أوضاع 850 لاجئاً و25 ألف مهاجر، بأنه يوجد في المغرب ما بين (25 - 40) ألف مهاجر (الحو، 2016)، لكنه سرعان ما تم الاعتراف بـ 56000 مهاجر ولاجئ، تقدموا بطلبات لتسوية أوضاعهم القانونية فوق التراب المغربي. ويصعب كثيراً تقدير العدد الحقيقي في ظل توافد المهاجرين بشكل سري إلى المغرب، وبالرغم من ذلك، فإن بعض المؤسسات الاستشارية تقدر عددهم بـ 20000 (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2018/37، صفحة 14)، وقد لا نبالي إذا اعتقدنا أن العدد الحقيقي للمهاجرين واللاجئين والحالمين بالهجرة بالمغرب هو "رقم أسود"، مادام أن دينامياتها تتم خارج ضوابط النسق ورهائاته الأمنية والأيدولوجية (البجديني، 2021، صفحة 145).

إن تزايد الاهتمام بالهجرة في الوقت المعاصر، لا يعني بالضرورة أنها موضوع جديد للسوسيولوجيا. لأن هذه الأخيرة اهتمت بها خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، خاصة في المجتمعات الأنجلوسكسونية، غير أن رواد "مدرسة شيكاغو"، الذين دشّنوا هذه الانطلاقة الأولى لسوسيولوجيا الهجرة، اهتموا بها من زاوية تأثيرها في ظهور مجموعة من المشكلات الحضرية في المجتمعات المضيفة (المالي، 2015، صفحة 115). الشيء الذي رسخ تقليداً في سوسيولوجيا الهجرات، تمثل في دراسة الهجرة بوصفها مشكلة اجتماعية تستدعي التدخل الاجتماعي. ونرى أن النظر إلى الهجرة بوصفها مشكلة، وليس بناءً اجتماعياً، يشكل عائقاً إستيمولوجياً، وأن سوسيولوجيا الهجرة في الوقت المعاصر عليها أن تشتغل وفق جبهتين: الأولى هي فهم الديناميات الهجرية الدولية والمحلية، والثانية التأسيس لسوسيولوجيا الهجرية. ذلك أن سوسيولوجيا المعرفة صارت معطى أساسياً لتطوير البحث العلمي في سياقتنا (البجديني، 2024 ب).

وتعرضت النظريات الكلاسيكية التي تعدّ الهجرة مشكلة اجتماعية محكومة بعوامل الجذب وعوامل الطرد، لانتقادات لاذعة طرحتها مجموعة من الباحثين في مختلف التخصصات العلمية؛ لأنها تقدم تفسيرات ساذجة ومغالية في التبسيط لعملية مركبة ومعقدة، في حين حاول السوسيولوجيون المحدثون النظر في الممارسات الهجرية، بوصفها نظاماً ينجم عن التفاعل بين ما هو ماكروسوسيولوجي وما هو ميكروسوسيولوجي (غيدنز، 2005، صفحة 334).

إن تجديد المقاربات والبراديجمات الكلاسيكية لا ينكر وجود أسباب تدفع الفرد إلى الانتقال إلى الفعل الهجري، وإنما يحاول فهم تلك الأسباب في إطارها البنوي الذي يشمل — إلى جانب ما هو اقتصادي-اجتماعي (الفقر، والبطالة، ...) — ما هو سياسي (الحروب والصراعات الإثنية...)، وعلائقي (يرتبط بالشبكات الاجتماعية وشبكة العلاقات الاجتماعية المؤطرة في عمليات اجتماعية...). فالانتقال من مجتمع إلى آخر ليس انتقالاً من مجال جغرافي إلى آخر فحسب، وإنما فعل اجتماعي بالمعنى الفايبري، الذي يقتضي فهم الحوافز التي أنتجته (Weber, 1995). لأنها تكتسي أهمية بالغة في دفع الفاعلين للانتقال إلى الفعل الهجري، الذي يُصاحب - بدوره - مجموعة من المشاعر والوضعيّات الاجتماعية الهجرية والتثقيفية. الشيء الذي قد يدفع الفاعلين إلى بلورة مجموعة من الاستراتيجيات التدييرية والهجرية والهوياتية بقصد تحقيق مشاريعهم الهجرية من جهة، والتكيف الاجتماعي في المجتمعات المضيفة من جهة أخرى. وعلى هذا الأساس يمكن صياغة إشكالية هذه الورقة البحثية في الأسئلة الآتية:

كيف تشكل التجارب الهجرية لمهاجري إفريقيا جنوب الصحراء، تجارب اجتماعية ومسارات بيوغرافية فارقة؟ وبأي كيفية تؤثر هذه التجارب في هوياتهم الاجتماعية وتدفعهم إلى إعادة بنائها وفق رهانات هجرية وأنطولوجية؟ وما طبيعة الاستراتيجيات الهوياتية التي يعتمدها المهاجرون الأفارقة؟ وهل تمكنهم من تدبير أوضاعهم الاجتماعية المعيشة ومشاريعهم الهجرية؟

لقد حاولنا استقراء الإشكالية المطروحة من خلال إنجاز بحث ميداني (البجداني، 2019) هدف إلى فحص مدى صدقية الفرضية التي انطلقنا منها، والتي افترضت أن التجارب الهجرية للمهاجرين الأفارقة هي تجارب اجتماعية محكومة بمنطقيات اجتماعية واستراتيجية وذاتية، وتشكل لحظات فارقة في مساراتهم الأنطولوجية؛ لأنها تمكنهم من إبراز ذواتهم وفاعليتهم في جميع المجتمعات، خاصة في سياقات العبور والانتقال الهجري. وهذه الفعالية البشرية تظهر في الاستراتيجيات الهوياتية التي يعتمدها بقصد التكيف مع البيئة الاجتماعية-الثقافية والاقتصادية والجيوسياسية، وإعادة بناء هويتهم الاجتماعية وفق رهاناتهم الأنطولوجية والبراغماتية، وفي ذلك مقاومة للسياسات التي تحاول تحريم الذات الإنسانية من حقوقها الكونية، خاصة الحق في الهجرة والحركة والمواطنة العابرة للأوطان.

وشارك في العمل الإثنوجرافي خمسة عشر مهاجرًا، يتحدرون من دول إفريقيا جنوب الصحراء (غينيا، وساحل العاج، والكاميرون، ومالي)، مقيمون بشكل مؤقت بمدينة الرباط عاصمة المغرب. وتم اعتماد أداتين لجمع المعطيات وهي: الملاحظة المباشرة والمقابلات شبه الموجهة، ومنهجين لبناء فهم سوسيولوجي للتجارب الهجرية والاستراتيجيات الهجرية للمهاجرين الأفارقة في المجتمع المغربي، وهما التصنيف الموضوعاتي Thematic Analysis وتحليل المحتوى Content Analysis.

وطور البحث مقاربه في الفهم والتأويل استنادًا إلى أطر نظرية تستلهم أسسها من سوسيولوجيا التجربة الاجتماعية وسيكوسوسيولوجيا الهوية. بناءً على ذلك، قدمنا محاولة سوسيولوجية لفهم الديناميات الهجرية والهوياتية في عالمنا المعاصر من زاوية تجارب الفاعلين الاجتماعيين، بالمعنى الذي يشمل تأويلاتهم لها، واستراتيجياتهم في تدبير أوضاع اجتماعية لا مفكر فيها، وفي تحقيق مشاريع هجرية مكلفة وغير مضمونة الأرباح. وقد انطلقنا في ذلك من مراجعة الأدبيات السابقة وصولًا إلى عرض النتائج التي توصل إليها العمل حول الهجرة والهوية لدى الذوات المهاجرة في السياقات الإفريقية والمغربية التي تعرف انتقالات هجرية حاسمة، التي تسهم — بدورها، في الوقت الراهن — في هندسة البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجيوسياسية-استراتيجية والثقافية للمجتمعات في عالم اللاتين واللامعنى، فلم يعد القلق من المستقبل فحسب، وإنما من الحاضر الذي لا يطاق كذلك.

4. النتائج ومناقشتها

يدافع هذا العمل عن أهمية البناء السوسيولوجي للمعرفة العلمية حول الهجرة وعلاقتها بالهوية في عالم اليوم، بالاستناد إلى التجارب الهجرية للذوات الإنسانية، بوصفها تجارب اجتماعية تؤثر في تشكيل استراتيجياتها الهوياتية (Camilleri C., 1989; Camilleri C., 1998; Camilleri, et al., 1998)، التي تمكنها من الاستعادة الذاتية لهويتها الشخصية والاجتماعية وإعادة بنائها وفق أسس جديدة تدمج خبراتها الفردية في التكيف مع الشروط الموضوعية للمجتمعات البشرية.

4.1 التجارب الهجرية والاستراتيجيات الهوياتية لدى الذوات المهاجرة

توصل البحث إلى أن الهجرة، بوصفها فعلًا اجتماعيًا، لا ينبغي فهمها بوصفها معطى مستقلًا عن الخبرات الفردية، وكذلك عن الشروط الموضوعية، بل بوصفها تجربة اجتماعية مشبعة بالدلالات والمعاني الاجتماعية. وفي هذا السياق، تطور الفاعلون في إطارها استراتيجيات تدبيرية وهوياتية تهدف إلى تحقيق رهانات وغايات تتعلق بتدبير أوضاعهم الاجتماعية، والجماعية، والإثنية، والهجرية داخل المجتمعات المضيفة.

ومن الجدير بالذكر أن المهاجرين الأفارقة لا يستخدمون مفهوم الهجرة للتعبير عن تجاربهم، وإنما يفضلون مصطلح المغامرة. فيرون أن الأول عاجز عن استيعاب ما يختبرونه من مشاعر الألم، والخوف، والاستغلال خلال مساراتهم. وتشكل هذه التجارب لحظات بيوغرافية فارقة، تؤثر بعمق في مساراتهم الأنطولوجية، وتعيد تشكيل رؤيتهم للعالم الذي يعيشون فيه.

لفت عدد من الباحثين، من بينهم "جفري كوهين وإبراهيم سيركيتشي" (Cohen & Sirkeci, 2016) الانتباه إلى الإشكالات التي تطرحها الهجرة، لاسيما في سياق العالم المعاصر. وقد دعا بعضهم إلى ضرورة إعادة النظر في مفهوم "الهجرة" ذاته، فبالرغم من أن المصطلح يتضمن دائمًا حركة من دولة إلى أخرى، من خلال اتباع أنماط هجرية معينة (مثل هجرة العمل أو الهجرة الاستيطانية)، فإن هذه الأنماط/التصنيفات ترتبط بسياقات تاريخية تعود إلى القرنين التاسع عشر والعشرين.

أما في القرن الحادي والعشرين، الذي يتسم بالسيولة والانفتاح، فإن التغيرات الجذرية في مجالات التنقل، والتكنولوجيا، والثقافة، تعكس تحولات عميقة في أنماط الحركة البشرية. الشيء الذي جعل الأفراد يفكرون بطريقة "طبيعية" خارج حدود الدول القطرية، وفي طريقة عبورها (Urry, 2007). فالهجرة باتت تتخذ أشكالاً جديدة تتماشى مع متطلبات العصر. فعلى سبيل المثال، نجد اليوم أنماطاً هجرية ترتبط بالدراسة، والارتقاء المهني، والزواج، والتقاعد، وحتى باتخاذ التنقل أسلوب حياة... ويعتقد بعض الدارسين أن هذه الأشكال الحديثة من الهجرة تحمل دلالات ومعاني خاصة بها، لا يمكن احتواؤها ضمن الإطار النظري للأطروحات الكلاسيكية (Castles, 2016, p. 20) في سوسيولوجيا الهجرات.

وبالرغم من أن التكنولوجيا الرقمية تُجسد مظاهر اللامساواة العالمية بين الدول، وتسهم في إعادة إنتاج التقسيم الدولي الكلاسيكي للعمل، كما أنها قد تدفع الأفراد إلى التأمل في تفوق الآخرين بدلاً من التركيز على تطوير ذواتهم والإسهام في نهضة مجتمعاتهم، فإنها في الوقت ذاته تتيح إمكانية الإدراك الاجتماعي للواقع والنخب التي تعيد إنتاجه. كما أنها تحفز الأفراد على التفكير خارج الحدود المحلية والوطنية والإقليمية. إنها تتيح إمكانية التفكير الشبكي في القضايا التي تمس الذات وجماعات الانتماء، تفكير يربط بين الظروف الذاتية والشروط الموضوعية، بين الخصوصي والكوني، ويعيد مجموعة من الوقائع إلى الأصول والسيروقات التي أنتجت اجتماعيا وبطريقة عابرة للأوطان والقارات.

ومع ذلك، فلا تزال سياسات العولمة تعيق تحقيق مفهوم المواطنة الكونية، فتكرس انفتاح الحدود أمام تدفق البضائع، والسلع، والأسلحة، بينما تفرض قيوداً مشددة على تنقل الأفراد. ونتيجة لذلك، يُحرم الإنسان من حقه في التعايش العالمي والتنمية الشاملة، ويواجه مساعي تهدف إلى تجريده من إنسانيته عبر تقييد حريته في التنقل على المستوى الدولي. الأمر الذي يجعله يعبئ نفسه في مواجهة هذه السياسات عبر المغامرة، التي قد تكلفه حياته. فانتقائية السياسات الهجرية جعلت الذوات الإنسانية تضحي بنفسها، وتواجه الموت وحدها، إنها الكارثة التي تسهم الأنظمة السياسية في إنتاجها من خلال جعل الهجرة انتقائية والحرمان من الحق في التنمية.

4.1.1 الفعل الهجري لدى المهاجرين الأفارقة بوصفه تجربة اجتماعية

يؤكد المهاجرون الأفارقة أن مغادرتهم لبلدانهم الأصلية ليست فعلاً اعتباطياً أو مجرد خيار شخصي، بل هي نتيجة لتفاعل معقد بين مجموعة من العوامل، تشمل الأبعاد العائلية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والطائفية، والعرقية. وتعكس المسوّغات التي يقدمونها لتجاربهم الهجرية حضوراً مزدوجاً لكلٍ من البعدين؛ الذاتي والموضوعي في آنٍ واحد.

كما يُلاحظ وجود ترابط وثيق بين هذه العوامل والأهداف التي يسعى الأفراد إلى تحقيقها من خلال الهجرة. ففي هذا السياق، تصبح الأسباب الدافعة إلى الهجرة ليست مجرد معطيات موضوعية فحسب، بل أيضاً وضعية أنطولوجية وتجارب اجتماعية يتفاعل معها الأفراد من خلال بناء مشروع هجري، والكفاح من أجل تحقيقه، بأشكال فردية أو جماعية، وبالطريقة التي تعكس الانتماءات الاجتماعية والإثنية، والفعالية الفردية، والقدرة الجماعية على تحقيق التغيير الفردي، بعد أن تم فقدان الثقة في المشاريع القطرية الرامية إلى النهضة والتنمية المستدامة والمتوضع في المشهد الدولي.

ويستلزم تدبير وضعية اجتماعية هشة في البلد الأصلي، وفقاً لتصوير المهاجرين المعاصرين، تحديد أهداف واضحة للهجرة، بوصفها تشكل الإطار الناظم للمشروع الهجري. غير أن تحقيق هذه الأهداف يتطلب الاعتماد على مجموعة من الموارد المتنوعة، خاصة المالية، والمعرفية، والاجتماعية، والاستراتيجية.

وفي هذا السياق، لا يمكن إغفال الدور الذي لعبه الاستعمار وما خلفه من تقسيم دولي للعمل، فضلاً عن السياسات التي انتهجتها النخب السياسية الإفريقية بعد الاستقلال، في تشكيل أنماط الهجرة المعاصرة. فهذه الهجرات ليست مجرد حركات فردية منعزلة، بل هي تعبيرات اجتماعية وجماعية تعكس الواقع السائد، كما تجسد فقدان الأمل في إمكانية تحقيق التغيير الاجتماعي على المستوى الوطني. فعندما يفقد الأفراد الثقة في مستقبل يسمح بتحقيق التغيير المجتمعي المنشود، يتحول اهتمامهم نحو تحقيق هذا التغيير على المستوى الفردي.

علاوة على ذلك، فإن العوامل الدافعة إلى الهجرة ترتبط — بشكل وثيق — بالروابط الاجتماعية، وفق المفهوم الذي طوره سيرج بوغام (Paugam, 2008)، التي تتجسد في روابط القرابة، والمواطنة، والمشاركة الاختيارية، والمشاركة العضوية.

4.1.2 الهجرة وروابط القرابة في المجتمعات الإفريقية

تُعد الأسرة ركيزة أساسية في تشكيل المشروع الهجري لدى الأفراد، فهي تلعب دوراً محورياً في تحديد مساراتهم وفرصهم داخل النسق الاجتماعي. فالهجرة، في هذا السياق، ليست مجرد قرار فردي مستقل، بل هي نتاج شبكة من العلاقات البين-ذاتية والأسرية والالتزامات الاجتماعية العائلية والقرابية، التي تجعل من التنقل الدولي وسيلة لإعادة توزيع الموارد داخل الأسرة، وضمان استدامة التكافل الاجتماعي. وفي المجتمعات

الإفريقية، حيث تُعد الأسرة وحدة اقتصادية واجتماعية مركزية، فغالبًا ما يكون قرار الهجرة مدفوعًا برغبة في تحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية أكثر من كونه بحثًا عن تحقيق الذات بشكل فردي.

وفي هذا الصدد، يعبر أحد المشاركين في الدراسة عن العلاقة الوثيقة بين وضعية أسرته وقراره الهجري قائلاً: "لم يكن قرارى بالهجرة مجرد رغبة شخصية، بل شعرت بأنه واجب عليّ. لم أستطع تحمّل رؤية أسرتي تعاني في بلدي دون أن أفعل شيئاً. لقد كان خوض هذه المغامرة ضرورة، ليس فقط من أجل مستقبلتي، ولكن لضمان حياة أفضل لأسرتي أيضاً" (1، 2018).

تعكس هذه الشهادة تصورًا سائدًا لدى عديد من المهاجرين الأفارقة، فلا تُفهم الهجرة بوصفها فعلًا فرديًا معزولاً، بل جزءاً من استراتيجية جماعية، تتجاوز البُعد الشخصي إلى أفق أوسع يشمل الأسرة بأكملها. ويشير هذا الأمر إلى أن قرار الهجرة في السياق الإفريقي لا يتوقف عند حدود الرغبة الفردية في تحسين الظروف الاقتصادية، بل يرتبط برابط القرابة، الذي يمنح للفعل الهجري شرعيته الاجتماعية، ويجعله نوعاً من "الالتزام الأسري" الذي يحمل في طياته بُعداً أخلاقياً واقتصادياً في آنٍ واحد.

إنّ هذا التفاعل بين الهجرة والأسرة يُظهر كيف أن المشاريع الهجرية ليست مجرد استجابات لميول وأهواء ذاتية أو لحوافز اقتصادية موضوعية فحسب، بل هي — أيضاً — مشاريع اجتماعية موجهة بالتوقعات الأسرية وبطبيعة العلاقات الاجتماعية. ووفقاً لسيرج بوجام (Paugam, 2008)، فيمكن فهم هذه الديناميات من خلال شبكة الروابط الاجتماعية التي تحدد موقع الفرد داخل مجتمعه، مثل روابط القرابة، والمواطنة، والمشاركة الاختيارية، والمشاركة العضوية. ففي عديد من الحالات، تصبح الهجرة حلًا جماعياً لمشاكل الفقر والهشاشة، ويُنظر إلى المهاجر ليس — فقط — مستفيداً وحيداً من تجربة التنقل، بل فاعلاً اجتماعياً مسؤولاً عن إعادة توزيع الفرص والمكاسب داخل أسرته ومجتمعه.

وبذلك يمكن القول: إنّ الهجرة في المجتمعات الإفريقية لا ترتبط — فقط — بحلم فردي في تحقيق حياة أفضل، وإنما تُعدّ امتداداً لاقتصاد التكافل الأسري، لتصبح الموارد المادية والمعنوية للمهاجر جزءاً من استراتيجيات الأسرة الكبرى للصدوم في مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية. وهذا ما يفسر استمرار الحركية الدولية للأفراد، بالرغم مما تحمله من مخاطر، بوصفها أفقاً وحيثاً لتحقيق الأمن الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، في ظل انسداد الآفاق التنموية في عديد من الدول الإفريقية. إنها نوع من النضال والمقاومة ضد الظروف القائمة، والتزام اجتماعي ينبغي على الفاعل الالتزام به وأداؤه، وفي ذلك تحقيق لذاته ولطموحات جماعات الانتماء في سياقات الانتقال الهجري.

ويتبنى المهاجر الإفريقي مفهوم "المغامرة" بوصفها وسيلة لتدبير وضعه الاجتماعي الهش، ولتعزيز الروابط القرابية التي تمثل عنصراً محورياً في بناء هويته الاجتماعية. فالهجرة في هذه الحالة، لا تقتصر على الأبعاد الاقتصادية فحسب، بل تشمل — أيضاً — رهانات اجتماعية ذات أبعاد ثقافية وعاطفية. فمن خلالها، يسعى الفاعل الاجتماعي إلى إعادة بناء الهوية الاجتماعية التي يسند لها إليه المجتمع الأصلي، ليتم تصنيفه عاجزاً عن تحقيق النماذج المثالية للنجاح الاقتصادي-الاجتماعي داخل سياق اجتماعي ضيق، لا يوفر له فرصاً ملائمة للتطور الشخصي واستكشاف عظمة الذات الإنسانية. فبذلك، تُصبح الهجرة وسيلة للهروب من الهوية الاجتماعية المقررة سلفاً، ومحاولة لإعادة بناء هوية جديدة أكثر توافقاً مع طموحاته ومعتقداته ورهاناته.

يُضاف إلى ذلك أن الهجرة بالنسبة للمهاجر الإفريقي تُعد فرصة حقيقية لتحسين استقلاليته الاجتماعية، وتحقيق الذات من خلال الوفاء بالتزاماته الأسرية، في مجتمع يعتمد تقسيمياً جنسياً صارماً للعمل، ويسعى إلى تكريس الهيمنة الذكورية والدونية الأنثوية لرهانات تتمثل في تحقيق التماسك الاجتماعي. لذلك، تُعد الهجرة بالنسبة له أكثر من مجرد عملية انتقال جغرافي، بل هي فعل اجتماعي ينطوي على سعي حثيث لتغيير موازين القوى داخل النسق الاجتماعي الذي نشأ فيه. إنها محاولة لانتزاع الاعتراف الاجتماعي بوصفه ذاتاً فاعلة، قادرة على مجابهة الشروط الموضوعية القهرية من خلال مراكمة خبرة ذاتية في الهجرة الإنسانية.

ومع ذلك، تظل الأسرة، بوصفها مؤسسة اجتماعية رئيسية، تؤدي وظائف حيوية في تأمين البقاء الاجتماعي لأفراد المجتمع وأدوارهم فيه، خاصة من حيث تقديم الحماية والاعتراف (Paugam, 2008). فبالرغم من سعي الأسرة لتقديم الدعم العاطفي والمادي لأفرادها، فإنّ هذه المؤسسة قد تتحول إلى عائق أمام الفاعلين الاجتماعيين، عندما تسعى إلى فرض قيود اجتماعية على اختياراتهم الفردية. وغالبًا ما تكون هذه القيود مستمدة من تماثلها الثقافية والاجتماعية حول الهجرة السرية، والتي تستند إلى الواقع الفعلي للمهاجرين السريين وما يواجهونه من مخاطر. فالأسرة، التي غالبًا ما تكون حريصة على حماية أفرادها، تتأثر بالصور السلبية المرتبطة بـ "الهجرة غير القانونية"، بدءاً من التنقل عبر المسارات المحظورة سياسياً، ووصولاً إلى المخاطر الجسدية المترتبة على تلك الرحلات الخطرة، ما يعزز ترددها في دعم قرارات الهجرة التي قد تهدد سلامة أفرادها.

في هذا السياق، يوضح أحد المشاركين في الدراسة قائلاً: "في البداية لم أصرح لوالدي بأنني أخطط للهجرة. وقد أخبرتهما بذلك بعد أن غادرت بلادي الأصلي. لذلك، فالآن وافقاً؛ لأنه ليس لديهما أي خيار آخر" (11، 2018). تُبين هذه الشهادة الصراع الداخلي الذي يعيشه الفرد بين رغبته في تحقيق أهدافه الشخصية عبر الهجرة، وبين الضغط الاجتماعي والنفسي الذي يمارسه المحيط الأسري. في بداية الأمر، يرفض الوالدان فكرة

الهجرة نظرًا لما تحمله من مخاطر، وللمثلثات السلبية المرتبطة بها. ومع مرور الوقت، وعندما تدرك الأسرة عجزها عن التأثير في القرار، تبدأ في قبول واقع الهجرة بوصفه الخيار المثالي لتدبير الأوضاع الأنطولوجية. من هنا، يمكننا استنتاج أن الهجرة، في السياق الإفريقي المعاصر، تتجاوز كونها مجرد رد فعل اقتصادي على الظروف المعيشية القاسية، لتصبح وسيلة لإعادة بناء هوية الفرد الاجتماعية وتحقيق طموحاته الشخصية والمهنية، في إطار مغامرة محفوفة بالمخاطر، تكسر القيود التي فرضها المجتمع على مكانته وهويته، وكذلك القيود التي وضعتها الدول في سبيل منعه من بناء مواطنة عابرة للأوطان.

يستعين المهاجرون بمجموعة من الاستراتيجيات الهوياتية بهدف تحقيق الذات والتوافق مع القيم الاجتماعية للأسرة، ومنها: إخفاء نية الهجرة عن الأسرة حتى يتم الانتقال إلى الفعل الهجري، أو تقديم مسوغات بديلة لترك البلد الأصلي غير متعلقة بالهجرة إلى الخارج. ويجب التأكيد - هنا - على أن التجربة الهجرية قد تسهم في هشاشة الروابط الاجتماعية للفرد، خاصة تلك المتعلقة بالأسرة، وذلك بسبب التكاليف المرتبطة بها. أحيانًا، فتعجز الأسرة عن توفير الحماية لأفرادها بعد الهجرة، وهو ما يظهر في شهادة أحد المشاركين الذي قال: "بعد المغامرة، ليس هناك أحد يقدرني أو يقدرني، أتصل بهم ولا يقبلون اتصالاتي. لأنهم يعرفون بشكل مسبق أن المسألة تتعلق بالمال وطلب المساعدة" (2018، 13). وبناءً على هذه المعطيات، يمكننا أن نستنتج أن التجارب الهجرية في العصر الحالي تؤثر بشكل ملموس في الروابط الاجتماعية في المجتمعات، ما يعكس هشاشة الروابط القربانية والاجتماعية، وعجز المؤسسات الاجتماعية عن أداء وظائفها التقليدية، مثل الحماية المستدامة. ففي ظل هذه التحولات البنيوية، يتعين على المهاجرين بناء استراتيجيات شخصية لإدارة أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية، ما يؤدي إلى تعزيز الفردانية على حساب الجماعة.

4.1.3 تجربة الهجرة ورابط المواطنة في المجتمعات الإفريقية

استنادًا إلى شهادات المشاركين في الدراسة، تبين أنه توجد - من بين العوامل التي دفعتهم إلى الهجرة - عوامل ذات طابع سياسي، تتمثل في غياب حقوق الإنسان والديمقراطية في بلدانهم الأصلية. إلى جانب الحروب الأهلية والصراعات الطائفية والسياسية، خاصة في المناطق التي تسيطر فيها الجماعات المتمردة، مثل "جماعة بوكو حرام". وفيما يلي إحدى الشهادات التي تم التوقف عندها في البحث الميداني: "في بلدنا ليس لدينا أي شيء. ليس لدينا العمل، وليس لدينا حقوق الإنسان. لذلك، تركناه. نحن في الكاميرون لدينا عائلات تعاني، إضافة إلى مجموعة من المشاكل الأخرى مثل الحروب والصراعات التي تتعلق بالجماعات المتمردة، مثل بوكو-حرام" (1، 2018).

يعتمد المهاجر الإفريقي على تجاربه الاجتماعية في تشكيل مجموعة من التمثلات الاجتماعية حول الواقع السياسي والحقوق للبلدان الأصلية. وهي تمثيلات يمكن اختزالها في انتشار الصراعات والحروب الأهلية وغياب حقوق الإنسان، نظرًا للاستبداد السياسي، وغياب الإرادة السياسية للاعتراف بحقوق الجماعات الإنسانية. وهي تمثيلات تبني من خلال فعل المقارنة الذي يقوم به الفرد بين الواقع الحقوقي لبلده من جهة، والواقع الحقوقي للبلدان الأوروبية من جهة أخرى. وعلى أساس هذه المقارنات، يحدد المهاجر البلدان المستهدفة من خلال فعله الهجري.

في المقابل، أصّر المهاجرون على العودة إلى بلدانهم الأصلية فور تحقيق أهدافهم من الهجرة. ويُفهم هذا الموقف في إطار بعدين أساسيين: الأول هو حيثيات الانتقال إلى الفعل الهجري، بينما الثاني يتعلق بالهوية الاجتماعية المشتركة. فبالرغم من أن المهاجرين لا يغادرون بلدانهم بناءً على دوافع هوياتية محضة، فإنهم يتخذون هذا القرار استنادًا إلى مجموعة من الأسباب البنيوية المركبة، إلى جانب اختيارات ذاتية وأوضاع اقتصادية واجتماعية هشة.

في هذا المنحى، يسعى المهاجر إلى تحقيق مجموعة من الأهداف ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي. غير أن مغادرته لبلاده لا تعني - بالضرورة - التخلي عن هويته الاجتماعية وعلاقاته الاجتماعية، بل يظل محافظًا عليها ومتشبثًا بها، مستخدمًا مجموعة من الاستراتيجيات الهوياتية التي تمكنه من الاندماج في نسق مجتمع الاستقبال من جهة، والحفاظ على هويته الأصلية من جهة أخرى. وقد عبّر أحدهم عن ذلك بالقول: "سأعود إلى بلادي، فنحن نهاجر من أجل تحقيق أهدافنا وتحسين حياتنا وتغيير أوضاع أسرنا. أما مسألة الهجرة من دون عودة فلا نفكر بها بتاتا، لأننا في النهاية أفارقة، وأوروبا ليست لنا" (8، 2018).

بالرغم من غياب الاعتراف في البلاد الأصلية، يظل المهاجرون مرتبطين بها بوصفها جماعة انتماء، إلى جانب جماعات أخرى مثل الأسرة وجماعة الأصدقاء. وهذا يعكس حقيقة مفادها أن الشعور بالانتماء إلى البلاد الأصلية هو بناء اجتماعي، الذي يبنيه الفرد من خلال خضوعه لسيرورات اجتماعية متعددة مثل التنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي. ولا يعني هذا أن الفرد مجرد موضوع سلبي خاضع لتأثير المجتمع فقط، بل إنه يسهم - بدوره - في طبع المجتمع، بالطريقة التي يسلكها في اتخاذ قراراته، استمدت طابعها الاجتماعي من علاقاته بالغير عبر سيرورة اجتماعية وترويض طبيعته (الياس، 2014). وهذا الترويض لا يقتصر على مسألة اتخاذ

القرارات فحسب، وإنما يمتد إلى مختلف الطرق التي يعتمد عليها الفاعل في التفكير والشعور والفعل والتفاعل. ومن خلالها تبنى هويته الاجتماعية، التي تبقى قابلة لإعادة البناء تبعاً لتجاربه الاجتماعية وأوضاعه المعيشية ولحظاته البيوغرافية الفارقة.

إذا كان الفاعلون يتكبدون معاناة جراء عدم اعتراف الجماعات التي يشعرون بالانتماء إليها، فإنهم يعانون - كذلك - من انعدام شعورهم بالانتماء إلى البلدان التي يتواجدون فيها، ويتعلق الأمر بالبلدان التي يمرون بها من قبيل الجزائر وليبيا والمغرب. ذلك أنّ الثقافة والإثنية والقومية تلعب أدواراً جوهرية في بلورة الفاعلين لمجموعة من الاستراتيجيات، بقصد الحفاظ على الهوية الاجتماعية المشتركة. كما أنّ الوضعيات الاجتماعية البين-ذاتية والبين-جماعية المعيشة تعزز هذا الشعور بالانتماء إلى الجماعة الأصلية "النحن"، وتبرز الجماعات الأخرى المختلفة عنهم، والتي تمثل "الهم".

من هذا المنطلق، نلاحظ أن تجربة الهجرة والوضعية الاجتماعية الهشة التي يعيشها المهاجر، تؤثر بشكل كبير في بناء رابط المواطنة لديه. فالمهاجر يعيد بناء هويته الاجتماعية بوصفه مهاجراً إفريقياً، مختلفاً عن المهاجر القانوني وعن المواطن المغربي. ويطور في هذا السياق مجموعة من الاستراتيجيات الهوياتية التي تهدف إلى تحقيق نوع من التماسك بين الرهان البراغماتي (أي تحقيق المشروع الهجري) والرهان الأنطولوجي (أي التثبيت بالهوية الأصلية). كما أن أوضاعهم في المجتمع المغربي تعكس معاناة متواصلة من الغياب المزدوج (Sayad, 1999). في هذا السياق، يُعدّ المهاجر غريباً في البلد الذي يعيش فيه الآن، وهنا لأنه لا يشعر بالانتماء إليه، وفي الوقت ذاته يُعدّ مهاجراً في بلده الأصلي، الذي لم يعترف به ودفعه دفعاً إلى المغامرة والتضحية بالذات وإرثها المادي والرمزي. هذه المغامرة التي تحمل في طياتها الألم والمعاناة والاستغلال، وتخلف مشاعر الخزي والعار والدونية الاجتماعية، في سياقات اجتماعية لا توفر لهم الظروف المناسبة لتحقيق مشاريعهم الهجرية، ولا تساعد في إدماجهم اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. هذا الوضع المركب لا يؤثر في تقويم الفرد لتجربته الهجرية ولطبيعة المجتمعات والجماعات التي تفاعل معها فحسب، بل إنه يؤثر في رويته للكون، وفي تكوين موقفه من الإنسانية جمعاء.

4.1.4 تجربة الهجرة ورابط المشاركة العضوية في المجتمعات الإفريقية

في خطاب المهاجرين حول حيثيات اتخاذهم للقرارات الهجرية، يظهر بوضوح تأثير غياب فرص العمل في البلدان الأصلية بوصفه عاملاً دافعاً رئيسياً للهجرة. فالمهاجرون يرون أن غياب هذه الفرص في بلادهم يُجبرهم على البحث عن بدائل في الخارج. ولذلك، تُعدّ الهجرة بالنسبة لهم وسيلة استراتيجية ورأسماً يعزز مشاركتهم في المجتمعات المعاصرة. فمن خلال هذا القرار، يسعى الفرد إلى تحقيق نوع من الاستقلالية الاقتصادية والاجتماعية التي تُسهم في تكوين رابط المشاركة العضوية في المجتمعات التي يهاجر إليها.

وقد عبر أحد المهاجرين عن هذه الفكرة بوضوح حين قال: "إذ حصلت على العمل، فإنني سأبقى هنا. أنا لم أختَر أوروبا هكذا موضحة... وإنما بحثت عن فرصة شغل... ولم أعرَ عليها" (14، 2018). تعكس هذه الشهادة كيف أن الهجرة بالنسبة للمهاجرين ليست مجرد بحث عن مكان بديل للعيش (حركية مجالية)، بل هي محاولة واقعية للاستفادة من الفرص الاقتصادية التي قد لا تتوفر في البلد الأصلي (حركية اقتصادية-اجتماعية). وبالتالي، تبرز الهجرة أداة لتحقيق التماسك الاجتماعي والاقتصادي، وتسهم في إعادة تشكيل الروابط الاجتماعية الفردية والجماعية، وفقاً للفرص التي تتيحها بيانات الاستقبال.

وغالباً ما يُعدّ غياب فرص العمل في البلد الأصلي، إلى جانب طبيعة العلاقة التي كان يُقيمها المهاجر مع الأعمال والمهن التي كان يمارسها، من العوامل الرئيسية التي تدفعه إلى اتخاذ القرار الهجري. فيؤدي الغياب القسري للعمل، جنباً إلى جنب مع عدم رضا المهاجر عن نوعية العمل الذي يزاوله، إلى شعوره بعدم الاستقرار الاجتماعي والمادي، ما يجعله يعيش الهشاشة الاقتصادية-الاجتماعية (البجديني، 2024 أ). وتؤثر هذه الوضعية بشكل كبير في علاقته بالمجتمع الأصلي، فيصبح الاندماج فيه أمراً مكلفاً على المستوى الشخصي والعائلي، وبالتالي تزداد احتمالية اتخاذه للقرار الهجري في محاولة منه لتحسين وضعه الاجتماعي والاقتصادي، في عالم يتسم باللايقين، وبهيمنة البعد الاقتصادي في تشكيل المخيال الاجتماعي حول "الناس"، وفي هندسة العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الأفراد. إنه عالماً الذي تراجعت فيه الروابط والعلاقات الاجتماعية، وهيمنت فيه البراغماتية مخيلاً وممارسة.

في هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن الدراسات الكلاسيكية للهجرة كانت تربط بين ظاهرة الهجرة ومشكلة الاندماج الاجتماعي في بلد الاستقبال. إلا أن التجربة الميدانية بينت أن مسألة الاندماج الاجتماعي تطرح بشكل مكثف في البلد الأصلي قبل أن تظهر في بلد الاستقبال. ذلك أن غياب فرص العمل يخلق فجوة اجتماعية ونفسية، فيشعر الفرد بأنه غير قادر على أداء الدور الاجتماعي المنتظر منه، خاصة في مجتمعات غالباً ما تكون متركزة على معايير اجتماعية متشابهة مع العمل بوصفه مؤشراً للقيمة الاجتماعية، وهو ما يُعرّضه للشعور بالدونية. فالعمل ليس مجرد علاقة أدائية بين العامل وصاحب العمل، بل هو عنصر أساسي في تشكيل الهوية الاجتماعية والرابط الاجتماعي لدى الفرد (Hamzaoui, 2007/2, p. 34).

في هذا السياق، يقول "حمزاوي ماجد" في تفسيره لهذا الوضع: "إن الغياب اللاإرادي للعمل لا يدفع الفرد إلى الفقر الاقتصادي فحسب، بل يتسبب - أيضاً - في العزلة والقلق وفقدان الإحساس بالجدوى، ما يؤدي إلى شعور الفرد بالاعتراف بكرامته." (Hamzaoui, 2007/2, p. 37). من هنا، نلاحظ أن ارتباط مسألة الانتقال إلى الفعل الهجري بما هو عائلي وعلمي لا يعني بالضرورة أن الجماعات التي يخطر فيها الفرد بشكل اختياري (كجماعة الأصدقاء مثلاً) لا تلعب أي دور في بناء المشروع الهجري. بل على العكس من ذلك تماماً، تلعب هذه الجماعات دوراً محورياً في تشكيل القرارات الهجرية والانتقال إلى الممارسة، فتعدّ بمنزلة شبكة دعم اجتماعي وأداة تسهيلية لتحقيق الطموحات الفردية والجماعية في سياقات تعرف تعثراً تنموياً واضحاً ولا مساواة بنيوية وانتقالاً هجرياً.

4.1.5 تجربة الهجرة ورابط المشاركة الاختيارية في المجتمعات الإفريقية

تُعد جماعات الأقران والأصدقاء من أبرز الجماعات الاختيارية التي تلعب دوراً جوهرياً في تشكيل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، كما تؤثر في قراراتهم الذاتية المتخذة في حالة من الحرية. وتعكس الشهادة التالية هذا التأثير: "لم أكن أعاني كثيراً في بلدي الأصلي، فالأمر - يقصد الانتقال إلى فعل المغامرة - كان مرتبطاً بأصدقائي الذين شجعوني على ذلك، وأثروا في قراري بالمغامرة معهم" (3، 2018). تأسيساً على ذلك، يتبين أن الهجرة لا ترتبط بأسباب طردية وحسب، وإنما تُعدّ قراراً يتخذه الفاعلون في إطار جماعات اختيارية وشبكات اجتماعية، ولا سيّما جماعة الأصدقاء. ذلك أن عضوية فرد معين في جماعة اجتماعية ما تقتضي منه استدعاء قيمها ومعاييرها. وبما أن الجماعات الاختيارية تتكوّن من أعضاء يتقاسمون الوضعية الاجتماعية ذاتها، فإن الاستراتيجيات التي تبلورها لتدبير هذه الوضعية تكون مشتركة. فالمهاجرون، بالرغم من اتخاذهم للقرارات الهجرية في إطار جماعات اجتماعية اختيارية، فإنهم يصفون عليها بعداً فردياً، فيسوّغون انتقالهم إلى الفعل الهجري بمسوّغات ترتبط بذواتهم بالدرجة الأولى. وهذا يبيّن كيف يتداخل البعد الفردي والجمعي في تشكيل الفعل الهجري لدى الذات الإنسانية المعاصرة.

وعليه، فإن الهجرة فعل اجتماعي ونتاج لمجموعة من الأسباب البنيوية المركبة، بعضها موضوعي مرتبط بالنسق، وبعضها ذاتي مرتبط بالخبرات الذاتية وتجاربها الأنطولوجية. كما أن الفاعل، في إطار فعله الهجري، يعيش مجموعة من الوضعيات الاجتماعية الخاضعة لنظام اجتماعي رمزي محدد، وهي وضعيات تفاعلية بين-ذاتية وبين-جماعية، يقوم بتدبيرها من خلال مجموعة من الاستراتيجيات الهجرية، بهدف تدبير الحياة اليومية وإنجاح المشروع الهجري (الرهانات البراغمية)، إلى جانب مجموعة من الاستراتيجيات الهويةانية، قصد التكيف في البيئة الاجتماعية الجديدة مع الحفاظ على الهوية الاجتماعية-الثقافية الأصلية (الرهانات الأنطولوجية). هذا المعيش هو ما يجعل من الهجرة فعلاً اجتماعياً ذا معان اجتماعية، وتجربة اجتماعية بالمعنى السوسيولوجي للمفهوم (Dubet, 1994) تحكمها ثلاث منطقيات:

المنطق الاجتماعي: ذلك أن الفاعلين استدعوا فكرة الهجرة ودمجوها انطلاقاً من التنشئة الاجتماعية، وكذلك من التفاعل الاجتماعي البين-ذاتي في البلدان الأصلية، دون أن يعني ذلك انعدام الأسباب والظروف الاقتصادية والاجتماعية التي قد تدفع الفرد إلى اتخاذ القرار الهجري. كما أن رهانات الفاعلين من وراء الفعل الهجري ليست رهانات فردية وحسب، بل هي - أيضاً - رهانات ترتبط بمجموعة من المؤسسات الاجتماعية (الأسرة، العائلة...)، ما يجعل الهجرة وسيلة لتعزيز الرابط الاجتماعي (Paugam, 2008)، وتقادي العقاب الرمزي الذي قد يلحق بالفاعل جراء عدم تحقيقه لذاته بوصفه عضواً في مجموعة من المؤسسات الاجتماعية (الجماعة الإثنية، الأسرة...)، فالهجرة اليوم صارت أداة للمقاومة والنضال ضد الظروف القهرية، ونمطاً للعيش في عالم السيولة واللايقين والشعبوية، والتنكر للحقوق الكونية للذوات الإنسانية.

المنطق الاستراتيجي: ذلك أن الفاعل، قبل أن ينطلق في فعله الهجري، يبلور مجموعة من الاستراتيجيات بهدف الانتقال إلى الفعل الهجري، والتي تتمثل في السعي إلى تحصيل الموارد المالية الكافية، وكذلك جمع المعطيات حول المجالات الهجرية، إلى جانب الانخراط في مجموعة من الجماعات الهجرية. كما أنه، في إطار المسار الهجري، يبلور مجموعة من الاستراتيجيات، بعضها لتدبير الحياة اليومية، وبعضها لتدبير الوضعيات الاجتماعية الهجرية الخاضعة لمحددات اجتماعية وإثنية، وبعضها ذات طابع هوياتي لتحقيق التوازن المركب بين الرهانات الأنطولوجية والبراغماتية (Camilleri, et al., 1998)، وبعضها ذات طابع هجري غائي يرتبط بالسعي إلى تحقيق المشروع الهجري وإنجاحه. فالهجرة تمكن الذات الإنسانية من توليد استراتيجيات في أية لحظة وفي أي مكان، ومن بناء رؤية استراتيجية حول العالم ومعيش الذات في المستقبل، رؤية تأخذ بعين الاعتبار الاعتبارات كافة؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعية-الثقافية العابرة للأوطان.

المنطق الذاتي: بالرغم من اعتراف الفاعلين بوجود أسباب دفعتهم إلى الهجرة، فإنهم يصفون عليها بعداً ذاتياً، مادام أنهم يربطون بين مشاريعهم الهجرية ومشاريعهم الحياتية. كما تظهر هذه الذاتية في رهانات الفاعلين من الهجرة، وكذا في استراتيجياتهم الهويةانية بقصد تحقيق التكيف الاجتماعي في المجتمعات المضيفة. وهذا معناه: إنّ الهجرة -بوصفها مشروعاً شخصياً، وفعلاً اجتماعياً، وتجربة سيكوسوسيولوجية- تمثل لحظة فارقة في المسار

البيوغرافي للمهاجر-الفاعل، تسهم في إبراز فاعلية الذات الإنسانية، وقدرتها على الفعل بشكل واع، مع الصراع من أجل التوضع في الفضاء الأنطولوجي الكوني. وفي هذا، تحاول جاهدة تجاوز الشروط الموضوعية التي تحاول الحد من حريتها وفعاليتها البشرية.

4.2 من التجارب الهجرية إلى الاستراتيجيات الهويةية في سياقات العبور

تُعدّ التجارب الهجرية لدى المهاجرين الأفارقة مسارات اجتماعية ولحظات بيوغرافية فارقة تتخللها مشاعر الألم والمعاناة، ومحفوفة بمجموعة من المخاطر. فيركزون في سرد مساراتهم الهجرية على أهم المعاناة التي واجهوها، سواء الناتجة عن طبيعة علاقاتهم مع الغير أو تلك الناتجة عن مواجهة صعوبات في تدبير الحياة اليومية، وتحقيق المشروع الهجري، والتكيف السيكوسوسيولوجي في بلدان العبور.

في إطار سرده لتجربته الهجرية، يقول أحد المشاركين (7، 2018): "خرجت خلال شهر أكتوبر، دخلت إلى مالي، منه إلى "بامكو"، ثم "سيفاري"، ثم "غاو" (...) بخصوص المعاناة التي واجهناها في طريقنا، كانت في "غاو"، حيث تم اصطيادنا من قبل الطوارق وعذبونا. ففي البدء، كانوا يعذبوننا لكي ندفع لهم 1000 أورو، وهم سيلتزمون بإيصالنا إلى الجزائر، وإذا بهم يقومون باقتيادنا إلى محاجزهم السرية، وهنا عذبونا وقاموا بسلبنا كل ما نملك، بل وفرضوا علينا الاتصال بأسرنا وعائلتنا لكي نتقذنا، إنهم يتخذوننا رهائن... ما رأيناه مؤلماً وصعباً وقاسياً ونحن في إطار مغامرتنا. لكن نحن المهاجرون مؤمنون بفكرة هي: ينبغي إنجاح المغامرة. لأنه إذا عدنا إلى أباننا فهي مأساة أخرى، فنحن تركنا آبائنا وأمهاتنا والعديد من الأشياء، واختبرنا حظنا من أجل إنقاذ عائلتنا وضمن مستقبلنا."

يشعر المهاجرون الأفارقة بالدونية الاجتماعية جراء اتخاذ المتمردين لهم، بوصفهم رأسمال لكسب المال والمتاجرة فيهم باستخدام أساليب عنيفة وغير إنسانية. أبرز هذه الأساليب نذكر: الحجز، والتعذيب اليومي، والتشغيل الشاق، والتهديد بالقتل والتصفية الجماعية... ويواجهون على طول مساراتهم الهجرية أربع جماعات اجتماعية على الأقل: الأولى هي جماعة الطوارق، والثانية هي جماعات التهجير، والثالثة هي جماعة المنحرفين والمجرمين، والرابعة هي جماعة حراس الحدود والشرطة. وتختلف رهانات هذه الجماعات حسب المشاركين في البحث باختلاف الأطر المرجعية المؤطرة لأنشطتها وشخصيات أعضائها.

يُؤول المهاجرون معيشتهم في إطار علاقاتهم مع هذه الجماعات معيش معاناة وألم مستمرين، خاصة في ظل عدم وفاء مجموعة من المهاجرين بالتزاماتهم الاجتماعية تجاه الجماعة الإثنية التي ينتمون إليها، وذلك نظراً لتعاونهم مع جماعات اجتماعية تتخذ من المهاجرين رهائن ومواضيع للاستغلال، ما يؤثر في طبيعة مواقعهم الاجتماعية وطبيعة الخيارات والاستراتيجيات المعتمدة، وكذا في عملية إعادة بناء مواقعهم وتمثلاتهم الاجتماعية بخصيص ذاتهم في مرحلة أولى، وبخصوص الغير في مرحلة ثانية.

إن احتجاز المجموعات المنحرفة والمتطرفة للمهاجرين، يؤثر في مساراتهم الهجرية، خاصة أنه غير متوقع، ما يفرض عليهم اعتماد استراتيجيات جديدة لتدبير المعيش الهجري، أبرزها قبول العمل الشاق. قائلين في هذا الصدد: "نحن نقبل بأي عمل كيفما كان، لأننا في حاجة ماسة إلى المال من أجل إكمال الطريق نحو المغرب. لا تفرض علينا ممارسة مثل هذه الأعمال، ولكن نضطر لمزاوتها. نحن السود نقبل بمزاوتها شريطة أن يقوموا بصرف مستحقنا، لأن الله يتعاون معنا" (11، 2018).

يعدّ العمل في إطار المغامرة وسيلة لا غنى عنها لتدبير الحياة اليومية وحفظ البقاء، خاصة فيما يتعلق بتلبية الحاجيات البيولوجية الذاتية. وفي هذا الإطار، يكتسب المهاجر هوية اجتماعية، لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة العلاقة التي تربطه بالعمل ومدى رضاه عنه. ففي الغالب، يكون العمل المسند إلى المهاجر شاقاً، ما يجعله في وضعية هشاشة اجتماعية واقتصادية. وهنا لا بدّ من التأكيد على أن "الأعمال الشاقة" التي تُسند إلى المهاجرين الأفارقة لا تُسند إليهم بناءً على أوضاعهم القانونية، وإنما بوصفهم أعضاء في جماعات اجتماعية إثنية، تسود بشأنها تمثلات اجتماعية وأحكام عرقية مسبقة تختزل أعضاء جماعة "السود" في كونهم "عبيداً".

وبالرغم من وعي المشاركين بذلك، فإنهم ينظرون إلى تلك الأعمال بوصفها "فرصاً" لإنجاح مشاريعهم الهجرية. وهذا يعكس جوهر الاستراتيجيات الهويةية التي يلجأ إليها المهاجر في إطار تدبيره لمجموعة من الوضعيات الهجرية غير المتوقعة، فيدمج الهوية السلبية لرهانات براغماتية، ويحافظ في الوقت نفسه على هويته الأصلية الإيجابية لرهانات أنطولوجية.

وإلى جانب التحديات المرتبطة بالعمل، يواجه المهاجرون صعوبات كبيرة في التفاعل الاجتماعي مع الفاعلين الآخرين في المجتمعات المضيفة (المجتمع المغربي نموذجاً)، وذلك جراء أوضاعهم القانونية والإدارية والاجتماعية، إلى جانب انتمايتهم الإثنية ولغتهم ولون بشرتهم. ويتعلق الأمر بنظرة الآخر إلى المهاجرين المكافئين، والتي تختزلهم في صور نمطية مثل "مجرمين"، و"منحرفين" أو "عبيد"، فضلاً عن مجموعة من السلوكيات الصادرة عن الفاعل الأمني، والتي تعكس وجود نظرة سلبية تجاه "السود" و"الأفارقة".

وقد عبّر بعضهم عن ذلك بالقول: "بعض المغاربة يتخوفون منا. ففي بعض الأحيان، نلتقي الأطفال فيهربون منا، وكذلك النساء. في حين أن إنسان إفريقيا السوداء يرمز للكرامة، قسماً. فيحدث أن تقصد أحداً

لاستفساره عن مكان ما، فلا يستطيع أن يرد لأنه خائف، فيجهل وضعيتنا وحقيقتنا... عشنا لحظات غير متخيلة، وما زلنا هنا نعيش المعاناة نفسها، فدانما ما يقومون بترحيلنا ويتعاملون معنا بوصفنا مجرمين أو منحرفين، بالرغم من أننا لم نفعل أي شيء، وهذا ليس منطقياً بتاتاً. إنهم يحكمون علينا بناءً على وضعيتنا، ونحن ضحايا الفقر (...). في الحقيقة، المغرب بلد جيد، ولكن لا يمكنني -في كل الأحوال- أن أفكر في الإقامة هنا، لأنه من المؤكد ألا يتم تقديرنا مهما فعلنا، لذلك ينبغي أن نغادره" (4، 2018).

ينظر المهاجر إلى نفسه نظرة إيجابية، ولعل هذه النظرة إلى الذات هي ما تنقاسمه كل الذوات الإنسانية، كما سبق أن أكد على ذلك "تاجفل" و"تيرنر" (Autin, 2010). غير أنهم يواجهون، في إطار عملية التفاعل بين-ذاتي والبين-جماعي، مجموعة من الوقائع التي تختزلهم في كونهم فئة اجتماعية دونية وأقلية مقارنة بالجماعة المهيمنة. وتكرس هذه الدونية، وما يرافقها من انعدام التقدير الاجتماعي، عن طريق تقديم مبررات بيولوجية وإنتاج أحكام عرقية قبلية مبنية على العنصرية (le racisme) والإقصاء الاجتماعي.

وتظهر هذه الأحكام جلياً في تمثيلاتهم الاجتماعية حول "المغاربة"، والتي تُبنى على أساس ردود أفعالهم ومواقفهم واتجاهاتهم تجاه جماعتهم وإثنياتهم ووضعيتهم الاجتماعية ومشاريهم الهجرية. ولعل هذه المواقف والاتجاهات هي ما تسميه سوسيولوجيا العلاقات بين-إثنية بـ"المؤشرات الدالة على العنصرية" (Véronique, 1991, p. 82).

وتأسيساً على ذلك، يتضح أن العلاقات الاجتماعية بين المهاجرين والمغاربة، أو بين الأقلية والجماعة المهيمنة، مبنية على متغيرات ترتبط بالإثنية والقومية والتراتبية الاجتماعية. ومن خلال الوضعيات الاجتماعية المعيشة، يعيد المهاجر بناء هويته الاجتماعية، على اعتداد أن هذه الأخيرة ليست معطى موضوعياً أو مجرد انتماء إلى جماعة معينة، بقدر ما هي بناء اجتماعي يسهم فيه مختلف الفاعلين، وذلك في إطار مجموعة من الوضعيات الاجتماعية التفاعلية التي تشكل التجارب الهجرية (Potot, 2001, p. 1).

وفي سياق هذه العملية (إعادة بناء الهوية)، يبلور المهاجر مجموعة من الاستراتيجيات الهوياتية، سعياً لتحقيق توازن مركب بين رهاناته البراغمية (تحقيق المشروع الهجري) من جهة، ورهاناته الأنطولوجية (التكيف الاجتماعي في المجتمعات المضيفة، الحفاظ على الهوية الإيجابية، وتقدير الذات) من جهة أخرى.

5. الخاتمة

ختاماً، يمكن القول: إن المسارات البيوغرافية الهجرية للفاعلين والمعاني الاجتماعية الممنوحة لها، إلى جانب المنعطفات التي تتخللها، تجعل من تجربة الهجرة تجربة اجتماعية بالمعنى السوسيولوجي للمفهوم. هذه التجربة محكومة بمنطق اجتماعي واستراتيجي وذاتي، فتؤثر في المواقع الاجتماعية للمهاجرين وتدفعهم إلى بناء مجموعة من الاستراتيجيات الهوياتية بهدف تحقيق التكيف النفسي والاجتماعي في مجتمعات العبور، فضلاً عن السعي لإنجاح مشاريعهم الهجرية.

إن العلاقة بين الهجرة والهوية هي علاقة دياكتيكية ومعقدة، فيطرح سؤال الهوية والانتماء بشكل حاد في المجتمعات التي تعرف ديناميات وانتقالات هجرية. ومن الصعب فهم هذه العلاقة واستقراؤها من خلال الانحياز إلى براديغم واحد. ومع ذلك، فإن البراديغمات الحديثة مثل براديغم الفاعل الاجتماعي، والاستراتيجيات الهوياتية، والتجربة الاجتماعية، تفتح آفاقاً جديدة لفهم الذوات المهاجرة وتجاربها الهجرية واستراتيجياتها الهوياتية في سياق علاقاتها الاجتماعية بين-جماعية والبين-إثنية مع الجماعات المهيمنة في المجتمعات المضيفة. وعلى هذا الأساس، يمكن القول: إن المجتمع المغربي، في الوقت المعاصر، أصبح أمام مجموعة من التحديات المرتبطة بتوافد الجماعات المهاجرة بإثنيات مختلفة. ما يفرض على الفاعل السياسي المغربي بلورة سياسات للاعتراف والضيافة من أجل إدماج هذه الجماعات والأقليات المهاجرة. إذ نرى بأن تحقيق أمل بناء مجتمع المواطنين ودولة الحق والقانون يبقى رهيناً إلى حد بعيد بطبيعة الاستراتيجيات والسياسات المعتمدة لإدماج كل الفئات الاجتماعية في المجتمع المغربي، بغض النظر عن الأصل الوطني، أو الانتماء الإثني، أو اللون، أو اللغة، أو الوضع القانوني.

6. في دليل المقابلات شبه الموجهة المعتمد وقائمة المساهمين في البناء الإمبريقي لموضوع البحث:

6.1 دليل المقابلات شبه الموجهة المعتمد¹

Profil de l'enquêté :

- Sexe :
- Âge :
- Etat matrimonial :
- Pays d'origine :
- Religion / croyances religieuses :
- Niveau Scolaire :

Premier axe : carrière migratoire

Facteurs déclencheurs de l'acte migratoire :

- pouvez-vous me décrire Comment vous avez pris la décision d'émigrer ?
- Pourquoi vous avez quitté votre pays d'origine ? Et quand ?
- Choisissez-vous le Maroc comme un pays de destination ?
- Si oui, Quelles sont les causes de ce choix ?
- Est-ce que vous considérez le Maroc comme pays d'installation définitive ?
- Si vous ne considérez pas le Maroc comme pays d'installation, quelles sont vos stratégies pour traverser le Maroc ?

Stratégies migratoires

- Quelles sont les ressources mobilisées par vous pour émigrer au Maroc ?
- vous avez émigré Avec Qui ?
- Pouvez-vous me raconter votre parcours migratoire, dès le pays d'origine jusqu'à l'arrivée au Maroc ? (Comment vous avez fait pour rentrer au Maroc ? et quand ?)
- Avant d'arriver au Maroc, Quels sont les problèmes et les difficultés rencontrées durant votre trajet migratoire ?
- comment vous êtes arrivé à franchir les frontières des Etats parcourus ?
- Pouvez-vous me raconter votre expérience vécue dans les différents états Parcourus ?
- Comment vous sentez dans votre trajet Migratoire ?
- après votre arrivée au Maroc, quelle a été la première ville marocaine de destination ?

- Pouvez-vous me raconter votre expérience vécue dans les différentes villes marocaines que vous avez fréquentées ?

Comment vous sentez ici au Maroc ?

Avez-vous d'autres expériences migratoires ?

Si oui, pouvez-vous me raconter comment ça s'est passé (conditions d'habitat, relations nouées, événements majeurs, vécu quotidien...) ?

Deuxième axe : conditions de vie et/ou situation vécue :

Situation juridique :

- avez-vous réglé votre situation légale ?
- avez-vous confronté à des obstacles d'accès aux services sociaux à cause de votre situation juridique ?

Conditions d'habitat

- Avez-vous un logement ?
- Actuellement, habitez-vous OÙ ?
- Comment vous avez fait pour trouver un logement ?
- Avec qui vous habitez ?
- Etes-vous satisfait de votre logement actuel ?

Moyens quotidiens de survie

- Comment gérez-vous votre vie quotidienne ?
- Comment faites-vous pour avoir de la nourriture ?
- Quelle est votre source de revenue ?

Rapport au travail

- Avez-vous un travail ?
- Si oui :
- ✓ Comment vous avez trouvé ce travail ?
- ✓ Etes-vous satisfait de votre travail ?
- ✓ Sentez-vous à l'aise dans votre travail ?
- ✓ Sentez-vous qu'il y a une égalité professionnelle par rapport à vos collègues au sein du milieu professionnel ?
- Si non :
- ✓ Avez-vous déjà cherché un travail ?
- ✓ Comment expliquez-vous le non obtention d'un travail ?

¹ تجدر الإشارة إلى أن هذا الدليل هو الذي اعتمد في إجراء المقابلات شبه الموجهة مع المشاركين في الميدان الهجري (البجديني، 2019). ومع ذلك، فإن المقال الذي بين يديك لا يقدم تحليلاً علمياً ومناقشة سوسيولوجية لكل النتائج التي تم التوصل إليها، وإنما يركز فقط على تلك التي تخدم رهانات هذه الورقة. لذلك، يُقترح مراجعة الأبحاث والمقالات التالية (البجديني، 2019؛ البجديني، 2021؛ البجديني، 2024) التي تدرج في سياق المشروع البحثي نفسه حول سوسيو-أنثروبولوجيا الهجرة والثقافة والتغير الاجتماعي بالمغرب.

- Vous avez « fait le feu »² maintenant, est ce que vous êtes alise comme ça ?
- Pouvez-vous me décrire écrire les conditions et les circonstances dans lesquelles déroulent cette pratique ?
- Est-ce que vous avez confronté à des gens qui jugent votre situation ?
- Comment vous voyez les réactions des Marocains lorsque vous faites de la mendicité ?
- Lorsque vous faite le feu Comment vous sentez ?

Troisième axe : la reconstruction de l'identité sociale

Les liens sociaux

Relations familiales (le lien familial) :

- Est-ce que votre famille a accepté votre décision migratoire ?
- Est-ce que vous êtes en contact avec votre famille ?
 - Est-ce qu'il y a un changement de rapport familial après la migration ?

Lien de citoyenneté

- voulez-vous retourner un jour à votre pays ?
- Considérez-vous comme un marocain ?

Liens religieux :

- Quelle est votre Religion d'origine ?
- Pratiquez-vous vos cultes religieux librement au Maroc sans aucun mépris et racisme ?

- Comment pratiquez-vous vos cultes religieux ?
- #### **Relations avec la société marocaine d'accueil et le degré d'acceptation sociale³ :**
- Comment vous voyez les Marocaines ?
 - Comment les marocains vous perçoivent ?

- Est-ce que vous trouvez des difficultés de communication avec les marocains ?
- Comment vous sentez au Maroc ? (Vous êtes accepté ou rejeté par les marocains ?)
- Avez-vous noué des relations amicales avec des Marocains ?

Si Non, pourquoi vous n'avez pas des relations avec marocaines ?

Le sentiment d'appartenance

Pouvez-vous me décrire les groupes que vous sentez appartenir ?

Tenant compte la situation actuelle que vous vivez au Maroc, Avez-vous des sentiments d'appartenance à la société marocaine ?

Expérience de racisme et la discrimination raciale

- Sentez-vous qu'il y a un racisme ethnique ou une discrimination contre vous ?

Si Oui, Pouvez-vous me raconter votre expérience vécue avec le racisme ?

² Nous utilisons la notion « faire le feu » car nous avons découvert dans les premiers entretiens exploratoires que c'est l'expression langagière utilisée par les interviewés pour mentionner qu'ils pratiquent de la mendicité dans l'espace publique.

³ (Nous voulons explorer si les relations que nouent les émigrés avec les marocains provoquent chez eux le sentiment d'être exclus et rejeté, ou par contre elles engendrent chez eux des sentiments d'être acceptés et favorisent leurs appartenances à la société marocaine)

6.2 قائمة المشاركين في البحث

- م: 22 سنة، الكامبيرون، ابتدائي، عازب. (15 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 ع: 18 سنة، غينيا، 4 ابتدائي، عازب. (29 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 ع: 21 سنة، الكامبيرون، إعدادي، عازب. (7 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 ث: 25 سنة، غينيا، جامعي، عازب. (22 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 ب، و: 23 سنة، غينيا، 2 ثانوي تأهيلي، عازب. (10 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 د، أ: 18 سنة، غينيا، إعدادي، عازب. (11 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 س، ع: 18 سنة، غينيا، 2 ثانوي، عازب. (27 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 غ، إ: 18 سنة، غينيا، 2 إعدادي، عازب. (12 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 ف، غ: 21 سنة، غينيا، إعدادي، عازب. (17 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 ك، ع: 24 سنة، ساحل العاج، ابتدائي، عازب. (09 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 ك، ع: 28 سنة، غينيا، غير متمدرس، عازب. (16 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 ع، ه ش: 20 سنة، مالي، ابتدائي، عازب. (8 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 م، ك: غينيا، 25 سنة، جامعي، عازب. (18 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 ه، ش: 19 سنة، غينيا، إعدادي، عازب. (13 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)
 ي، ج: 24 سنة، ساحل العاج، ابتدائي، عازب. (26 غشت 2018). الهجرة والهشاشة والهوية. (ياسين البجديني، المحاور)

7. قائمة المراجع

7.1 المراجع باللغة العربية

- أحو صبري. (2016). المغرب والهجرة القادمة من إفريقيا جنوب الصحراء. قطر: مركز الجزيرة للدراسات.
 الأمم المتحدة. (2022). تقرير حالة الهجرة الدولية لعام 2021: بناء مستقبل أفضل للمهاجرين واللاجئين في المنطقة العربية.
 الأمم المتحدة .
 البجديني ياسين. (2024 أ). الهجرة وتجارب الهشاشة السوسيو-اقتصادية بالمغرب: دراسة سوسولوجية للمهاجرين المنحدرين من المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى. المجلة المغربية للبحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 3(3)، 107-136.
 البجديني ياسين. (2024 ب). البناء الاجتماعي للهجرة الدولية والتغير الاجتماعي في المجتمع المغربي: حالة الريف الشرقي. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب.
 البجديني ياسين. (2021). تجربة الهجرة وأثرها على سيرورة إعادة بناء الهوية الاجتماعية: حالة المهاجرين الأفارقة من دول إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى بالمغرب. تأليف خالد القضاوي، وفؤاد فرحاوي، الهجرة وتفاعلاتها في عالمنا المعاصر (الصفحات 141-159). وجدة-المغرب: مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
 البجديني ياسين. (2019). تجربة الهجرة لدى الشباب في وضعية هشاشة اجتماعية وأثرها على إعادة بناء الهوية: حالة الشباب الإفريقي المتحدر من المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء الكبرى. رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب.
 الدواي عبد الرزاق. (1992). موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر: هيدجر، ليفي ستروس، ميشيل فوكو. بيروت-لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
 المالكي عبد الرحمن. (2015). الثقافة والمجال: دراسة في سوسولوجيا التحضر والهجرة في المغرب. فاس-المغرب: مختبر سوسولوجيا التنمية الاجتماعية-جامعة سيدي محمد بن عبد الله .
 المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي بالمغرب. (2018/37). رأي حول: الهجرة وسوق الشغل، إحالة ذاتية. الرباط-المغرب: المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي.
 المجلس الوطني لحقوق الإنسان. (2013). الأجانب وحقوق الإنسان بالمغرب: من أجل سياسة جديدة في مجال الهجرة واللجوء. الرباط-المغرب: المجلس الوطني لحقوق الإنسان.
 المندوبية السامية للتخطيط. (2024). الإحصاء العام للسكان والسكنى 2024: الخصائص الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية للسكان (مذكرة حول النتائج الرئيسية). الرباط-المغرب: المندوبية السامية للتخطيط.
 الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج. (2014). الاستراتيجية الوطنية للهجرة واللجوء. الرباط-المغرب: الوزارة المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج وشؤون الهجرة.
 ستيفن كاستلز، و ميللر مارك. (2013). عصر الهجرة. (منى الدروبي، المترجمون) القاهرة-مصر: المركز القومي للترجمة.
 غيندنز أنتوني. (2005). علم الاجتماع (الإصدار 4). (فايز الصياغ، المترجمون) بيروت-لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
 نوربرت إلياس. (2014). مجتمع الأفراد. ترجمة: هاني صالح. اللاذقية-سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.

7.2 رومنة المراجع العربية

- Alhou, S. (2016). Morocco and migration from sub-Saharan Africa (in Arabic). Qatar: Al Jazeera Center for Studies.

- United Nations. (2022). International Migration Report 2021: Building a better future for migrants and refugees in the Arab region (in Arabic). United Nations.
- EL BOUJADAINI, Y. (2024a). Immigration and socio-economic vulnerability experiences in Morocco: A sociological study of immigrants from sub-Saharan African communities (in Arabic). Moroccan Journal of Research in Humanities and Social Sciences, 3(3), 107–136.
- EL BOUJADAINI, Y. (2024b). The social construction of international migration and social change in Moroccan society: The case of the Eastern Rif (in Arabic). Doctoral dissertation, Mohammed First University, Oujda, Morocco.
- EL BOUJADAINI, Y. (2021). Immigration experience and its impact on the process of reconstructing social identity: The case of African immigrants from sub-Saharan countries in Morocco (in Arabic). In K. Al-Qadawi & F. Farhawi (Eds.), Migration and its interactions in our contemporary world (pp. 141–159). Oujda, Morocco: Center for Human and Social Studies and Researches.
- EL BOUJADAINI, Y. (2019). Immigration experience among youth in social vulnerability and its impact on identity reconstruction: The case of African youth from sub-Saharan communities (in Arabic). Master's thesis, Mohammed V University, Rabat, Morocco.
- Addouai, A. R. (1992). The death of man in contemporary philosophical discourse: Heidegger, Levi-Strauss, Michel Foucault (in Arabic). Beirut, Lebanon: Dar Al-Taliaa.
- El maliki, A. R. (2015). Culture and space: A study in the sociology of urbanization and migration in Morocco (in Arabic). Fez, Morocco: Laboratory of Social Development Sociology – Sidi Mohamed Ben Abdellah University.
- Economic, Social and Environmental Council of Morocco. (2018/37). Opinion on: Migration and the labor market, self-referral (in Arabic). Rabat, Morocco: ESEC.
- National Human Rights Council. (2013). Foreigners and human rights in Morocco: Towards a new policy on migration and asylum (in Arabic). Rabat, Morocco: CNDH.
- High Commission for Planning. (2024). General Population and Housing Census 2024: Demographic, social, and economic characteristics of the population (Summary of main results) (in Arabic). Rabat, Morocco: HCP.
- Ministry in Charge of Moroccans Residing Abroad. (2014). National Strategy for Migration and Asylum (in Arabic). Rabat, Morocco: Ministry in Charge of Moroccans Residing Abroad and Migration Affairs.
- Castles, S., & Miller, M. (2013). The Age of Migration (in Arabic, M. Al-Droubi, Trans.). Cairo, Egypt: National Center for Translation.
- Giddens, A. (2005). Sociology (4th ed., in Arabic, F. Al-Sayyagh, Trans.). Beirut, Lebanon: Arab Organization for Translation.
- Elias, N. (2014). The Society of Individuals (in Arabic, H. Saleh, Trans.). Latakia, Syria: Dar Al-Hiwar.

7.3 المراجع الأجنبية

- Autin, f. (2010). La théorie de l'identité sociale de Tajfel et Turner. Récupéré sur « Préjugés & Stéréotypes »: www.psychologie-sociale.org
- Camilleri, C. (1998). Identité et gestion de la disparité culturelle: Essai d'une typologie. Dans C. Camilleri, J. Kastarsztein, E. Lipiansky, H. Malewska-Peyre, I. Taboda-leonetti, & A. Vasquez, Stratégies Identitaires (pp. 85-110). Paris: P.U.F.
- Camilleri, C. (1989). La culture et l'identité: champ notionnel et devenir. Dans C. Camilleri, & M. Cohen-Emerique, Choc de cultures: concepts et enjeux pratiques de l'interculturel (pp. 21-37). Paris: L'Harmathan.
- Camilleri, C., Kastarsztein, J., Lipiansky, E., Malewska-Peyre, H., Taboda-leonetti, I., & Vasquez, A. (1998). Stratégies Identitaires. Paris: Presses Universitaires de France.
- Castles, S. (2016). Understanding global migration: a social transformation perspective. Dans A. Amelina, K. Horvath, & B. Meeus, An Anthology of migration and social transformation: European perspective (pp. 19-41). Switzerland: Springer International Publishing.

- Cohen, J. H., & Sirkeci, I. (2016). Cultures of Migration and Conflit in Contemporary Human Mobility in Turkey. *European Review*, 381-396.
- Dubet, F. (1994). *Sociologie de l'expérience*. paris: éditions du seuil.
- Haut-Commissariat au Plan. (2020). *La Migration Internationale au Maroc: résultats de l'enquête Nationale sur la Migration Internationale 2018-2019*. Rabat: Haut-Commissariat au Plan.
- Hamzaoui, M. (2007/2). Question sociale et fragilisation du lien social. *Empan*(66), 34-39.
- Oppenheimer , A. (2002). Identité. Dans DE Mijolla, *Dictionnaire international de la psycanalyse* . Paris .
- Paugam, S. (2008). *le lien social* (éd. Troisième édition mise à jour). (Que sais-je?) Paris: puf.
- Potot, S. (2001). Migrations et construction identitaire: le cas des Roumaines en France. Dans H. Berthleu, *identifications ethniques: Rapport de Pouvoir, Compromis, Territoire* (pp. 155-170). L'Harmathan.
- Sayad, A. (1999). *La double absence*. Paris: du Seuil.
- Urry, J. (2007). *Mobilities*. Cambridge/Malden: Polity Press.
- Véronique, D. (1991). le racisme dans les relations interethniques. *l'homme et la société*(102), 75-92.
- Vitorino, A. (2021). Foreword. In IOM, *World Migration Report 2022* (pp. xii-xiii). Switzerland: International Organization for Migration.
- Weber, M. (1995). *économie et société*. (E. Chavy, & e. de Dampierre, Trads.) Paris: Agora-Pocket.

Migration and Identity in the Contexts of Migratory Transition: A Sociological Study of Immigrants from Sub-Saharan Africa in the Moroccan Society

Yassine El Boujadaini

Department of Human sciences, Faculty of Languages, Arts and Human Sciences, Hassan I University, Settat, Morocco.

Corresponding Author: y.elboujadaini@uhp.ac.ma

Received: 20/08/2024. Revised: 05/11/2024. Accepted: 27/05/2025. Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.13

Abstract

This paper explored the migratory experiences and identity strategies of immigrants originating from sub-Saharan African societies, employing a sociological approach grounded in qualitative empirical research. The study concluded that migration in African contexts is driven by the legacy of colonialism, the international division of labor, and the fragility of social ties, along with the desire to repair and reinforce these ties through migration as a form of existential adventure. Moreover, migration and development policies implemented at both African and European levels have failed to ensure safe migration, contrary to the promises of international and regional discourses promoted by global organizations and European states. These states are often identified by migrants as destinations for their migratory projects, based on the social, developmental, and human rights conditions shaped by colonial-era capitalist policies and post-colonial national elites. Such policies have rendered migration costly across human, social, economic, political, and relational dimensions, as evidenced in migrants' lived experiences and their identity strategies aimed at achieving their migration goals and adapting within transit societies. The paper argued that rather than framing African migration as a social problem, states should collaborate to address its irregular forms. Migrants should not be viewed solely as victims of human trafficking networks, but as conscious, rational, and strategic individuals capable of evaluating the economic dimensions of their journeys. Their migratory actions reflect the developmental realities of their countries of origin, which result from colonial interventions, domestic political dynamics, and a profound loss of hope for the future. Migration thus becomes a personal and collective effort to contribute to societal transformation by reshaping individual and communal realities. The migratory experiences of sub-Saharan African immigrants are deeply meaningful social processes, shaped by their biographical trajectories and the dynamics of their social interactions. These experiences inform identity strategies aimed at achieving cohesion and social integration within the Moroccan society, serving as a preparatory phase for realizing migratory aspirations in Europe. Through self-mobilization, migrants strive to overcome deprivation of material and symbolic resources that would enable them to pursue life projects aligned with their personal aspirations. In doing so, they engage in existential self-management, demonstrating their capacity to choose a way of life and to struggle for self-affirmation within a global political climate that perpetuates vulnerability and subjugation, rendering human beings subordinate instruments in service of imperialist goals and ruling classes.

Keywords: Migration, Social Identity, Migratory Experiences, Identity Strategies, Sub-Saharan African Immigrants, Moroccan Society.



JOURNAL OF THE ARAB AMERICAN UNIVERSITY مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت " دراسة وصفية تحليلية ومقارنة "

غسان عليان^{1*}، سارة أبو الحسن²

¹ أستاذ القانون الجنائي - الجامعة العربية الأمريكية

² محامية وباحثة دراسات عليا - قسم العلوم الجنائية - الجامعة العربية الأمريكية

الباحث المراسل: ghassan.eleyan@aaup.edu

Received: 21/02/2025.

Revised: 03/04/2025.

Accepted: 31/01/2026.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.14

المُلخَص

الأهداف: هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت في كل من التشريع المصري والأردني والفلسطيني؛ لبيان الأساس القانوني الذي تركز عليه هذه الجريمة في تلك التشريعات. المنهجية: استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمقارن في سبيل إتمامها، وذلك من خلال بيان ماهية جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، وكذلك تحليل صور السلوك المادي الذي تقوم عليه، ومن ثم العقوبات الجنائية المترتبة على هذه الجريمة، وذلك وفقاً للتشريع الفلسطيني والأردني والمصري، إلى جانب تناول معالجة هذه الجريمة في القانون الدولي. النتائج: لا يُشترط لإنزال العقاب على مرتكب هذه الجريمة رُكن الاعتداء. الخلاصة: ضرورة إزالة شرط التجريم الوارد في نص المادة (310/1) من قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960م، الساري في الأراضي الفلسطينية، والمتمثل بعمر الأنثى وهو (دون العشرين) من أجل تجريم قيادتها أو محاولة قيادتها للدعارة، وكذلك إزالة شرط التجريم في الفقرة ذاتها والمتمثل بالآلا تكون الأنثى (بغياً أو معروفة بفساد الأخلاق)؛ كون الجميع متساوين أمام القانون فيما لهم وما عليهم من حقوق وواجبات، وهذا ما أكد عليه القانون الأساسي الفلسطيني المعدل لسنة 2003م، ومن ثم فإن الاتفاقيات الدولية التي أفردت حماية تشريعية للنساء من جرائم الاستغلال الجنسي كالدعارة على سبيل المثال، لم تشترط، لتطبيق الحماية القانونية، أن تكون الأنثى بسن معين، كما أنها لم تشترط عفة الأنثى وطهارتها، بل أنها لم تعتد بموافقة الأنثى إن وجدت على أعمال الدعارة، ففي كل الأحوال حمايتها واجبة.

الكلمات المفتاحية: أعمال، دون تمييز، الدعارة والفجور، الآداب العامة، شبكة الإنترنت، العقوبة.

1. المقدمة

شهدت البشرية منذ القدم أنماطاً من الجرائم اللاأخلاقية، أبرزها جرائم البغاء وما تشمله من جرائم الدعارة والفجور وما يشملها من تعرض للآداب العامة، وتعد تلك الجرائم من ظواهر الانحراف الجنسي لدى الأفراد؛ لأن الأصل في العلاقات الجنسية أن يتم تنظيمها من خلال الزواج وفقاً لما جاءت به الشريعة الإسلامية والتي تماشى معها القانون الوضعي، وعليه فكل علاقة جنسية تأتي خارج ذلك الإطار الشرعي، فهي مُحرمة شرعاً، ومن ثم يُعاقب عليها القانون في أغلب صورها التي اشترط لها بعض القيود؛ من أجل الملاحقة ومن ثم إنزال العقاب.

ومن البديهي أن التطورات التكنولوجية في وسائل الاتصال والتواصل ساعدت على استحداث أنماط جديدة من الجرائم، تشبه إلى حد ما الجرائم التقليدية، لكنها أصبحت تُرتكب عبر شبكة الإنترنت التي سهلت للمجرمين تحقيق مآربهم بأسرع الطرق، وأدنى جهد، وأقل خطورة مُمكنة، ومن هذه الأنماط جريمة أعمال الدعارة والفجور وما يشملها من تعرض للآداب العامة عبر شبكة الإنترنت، وهذا النمط من الإجرام لا بُد أن تقف خلفه دوافع ساعدت على ارتكابه، فلا سلوك دون

دافع أو قوة دفعت الشخص إلى القيام بسلوك مُحدد، ولا يُمكن أن يقتصر الدافع على عامل مُعين ما لم يتضافر معه عامل آخر، لكن يبقى الدافع الفطري هو المُحرك الأساسي لارتكاب السلوك الإجرامي أياً كان نوعه، وعلى الأخص السلوكيات الجنسية.

وإيماناً بخطورة هذه الجريمة؛ لما فيها من إفساد واعتداء على الحياء العام، وأن الغاية من ارتكاب هذه الجريمة عبر شبكة الإنترنت، مآلها أن يتم ممارستها على أرض الواقع، سعت أغلب التشريعات الجزائية إلى معالجة هذه الجريمة في قوانينها سواء بقانون خاص يُنظم أحكامها، كما هو الحال في التشريع الأردني، أو من خلال البقاء على النصوص التقليدية الكافية لمعالجة هذه الجريمة، كما هو الحال في التشريع المصري.

والمُعالجة لم تقتصر على القوانين الوطنية فقط، بل كانت هناك مُعالجة في القانون الدولي لمحاولة التصدي لهذه الجريمة عبر الاتفاقيات الدولية والإقليمية، سواء أوقعت هذه الجريمة على البالغين أم الأطفال، كما حثت تلك الاتفاقيات الدول الأطراف فيها، على تجريمها بما يتناسب مع نظامها الوطني، ولهذا تماشت الدول الأطراف في مُعالجة هذه الجريمة مع ما جاء في مضمون تلك الاتفاقيات.

أهمية الدراسة: تكتسب هذه الدراسة أهمية كبيرة من الناحيتين العلمية والعملية؛ كونها تناولت أحد أهم المواضيع المُستحدثة المتعلقة بالجرائم الماسة بالآداب العامة، المُرتكبة عبر شبكة الإنترنت، وتكمن الأهمية العلمية لهذه الدراسة بأنها تتناول توضيح ماهية جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، كون أن هذا النوع المُستحدث من الجرائم يتعلق بالاستغلال الجنسي للأفراد، وأصبح يُرتكب عبر شبكة الإنترنت التي ساعدت المجرمين على تحقيق مآربهم بأسرع الطرق الممكنة. ومن الجانب العملي تكمن الأهمية في انتشار هذا النوع المُستحدث من الجرائم اللاأخلاقية الإلكترونية الماسة بالآداب العامة، إلى جانب قلة الوعي القانوني فيما يتعلق بهذه الجريمة وأعمالها؛ الأمر الذي دفع الباحثين إلى تسليط الضوء على هذه الجريمة؛ لمعرفة التنظيم القانوني لها من حيث التجريم والعقاب، كما أن الباحثين سيصلان إلى بعض النتائج والتوصيات التي سُسهم إلى حد ما في مواجهة هذا النمط المُستحدث من الإجرام.

مشكلة الدراسة: لا شك أن موضوع جرائم الدعارة والفجور احتلت عديداً من التشريعات على المستوى الوطني والدولي، فسعت جاهدة لتجريم كل عمل يُمس بالآداب والأخلاق العامة، كما أن الباحثين قد تعمدوا أن يكون موضوع الدراسة مقارنة بين التشريع الأردني والمصري والفلسطيني؛ للوصول إلى أفضل الطرق التي من شأنها إفراة الحماية الجزائية الرادعة التي تتناسب مع خطورة هذه الجريمة، إلى جانب أن تلك الحماية تُساعد في تحديد أفعال هذه الجريمة وبيانها.

وعليه تتجلى إشكالية البحث الرئيسية بالسؤال الرئيسي التالي: ما مدى مُلاءمة النصوص القانونية الواردة في التشريع الفلسطيني بشأن مُعالجة جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، مقارنةً بالنصوص الواردة في التشريعين؛ المصري والأردني؟

وهذا ما نسعى لبيانه من خلال الإجابة عن بعض التساؤلات التالية:

1. ما المقصود بجريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت؟ وما هي أسبابها؟
2. ما هي صور السلوك المادي الذي تقوم عليه هذه الجريمة؟
3. هل يتطلب القانون توافر رُكن الاعتياة من أجل إنزال العقوبة على مُرتكب هذه الجريمة؟
4. هل يكفي القصد العام وحده لقيام هذه الجريمة؟
5. ما مدى مُعالجة المُشرع الفلسطيني لهذه الجريمة في القوانين الوطنية؟
6. ما موقف كل من المُشرع الأردني والمصري من هذه الجريمة؟ وهل تصدى لها؟
7. هل تصدى القانون الدولي لمُعالجة هذه الجريمة؟

أهداف الدراسة

1. توضيح المعنى المقصود بجريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت وأسبابها.
2. بيان فيما إذا كان القانون قد اشترط توافر رُكن الاعتياة للعقاب على هذه الجريمة.
3. بيان فيما إذا كانت هذه الجريمة تقوم على القصد العام وحده أم لا.
4. استظهار صور السلوك المادي الذي تقوم عليه هذه الجريمة.
5. الوقوف على مقدار المُعالجة التي أفردها المُشرع الفلسطيني لهذه الجريمة.
6. بيان موقف كل من المُشرع المصري والأردني من هذه الجريمة، وكذلك موقف القانون الدولي.

صعوبات الدراسة

- (1) قلة المراجع التي تناولت موضوع الدراسة بصورة مُباشرة ومُفصلة؛ كونه موضوعاً جديداً بالنسبة للدراسات المُتعلقة بالقانون الجنائي.
- (2) ندرة الأحكام القضائية المُتعلقة بموضوع الدراسة في الضفة الغربية، وكذلك قلة الأحكام القضائية القطعية المُتعلقة بموضوع هذه الجريمة في المحاكم الأردنية والمصرية.

حدود الدراسة

- الحدود الموضوعية: قانون الجرائم الإلكترونية الأردني رقم (17) لسنة 2023م، وقانون مكافحة الدعارة المصري رقم (10) لسنة 1961م، وقانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960م، الساري في الأراضي الفلسطينية، وقرار بقانون رقم (38) لسنة 2021م، بشأن الجرائم الإلكترونية وجرائم الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، وقرار

بقانون رقم (43) لسنة 2022م، بشأن تعديل قانون الطفل الفلسطيني رقم (7) لسنة 2004م، وقانون رقم (175) لسنة 2018م، بشأن مكافحة جرائم تقنية المعلومات.

- الحدود المكانية: الضفة الغربية.

مصطلحات الدراسة

- الأدب العامة: "مجموعة الأسس والقيم الأخلاقية التي يقوم عليها البنيان الأساسي للمجتمع، والتي تؤدي مخالفتها إلى تفكك المجتمع وانحلاله" (المختار، 2019).
- البغاء: "هو ممارسة الإناث أو الذكور لأفعال الفحش والرديلة بهدف إرضاء شهواتهم أو حتى شهوات الآخرين مباشرة ودون تمييز، وهو يُطلق على الفجور والدعارة، فإذا وقعت أفعال البغاء من الإناث تُسمى دعارة، وإذا وقعت من الذكور تُسمى فجوراً".
- الفجور: "نوع من البغاء ويُعبر عن الاتصال الجنسي بين الرجال لمجرد إرضاء شهواتهم طالما وقع ذلك دون تمييز، وسواء وقع بأجر أو من دون أجر، فالعبرة منه إرضاء الشهوة الجنسية، إلى جانب فساد الأخلاق".
- الدعارة: "إباحة المرأة نفسها لارتكاب الفحش مع الناس من دون تمييز، سواء بأجر أو من دون أجر، بمعنى آخر سواء لإرضاء شهواتها غير العاطفية أو للحصول على أجر".
- دون تمييز: "أن تُقدم المرأة نفسها لعامة الناس لإرضاء شهواتهم الجنسية دون اختيار أشخاص معينين" (حافظ، 2007).
- المواد الإباحية: "كل مادة من شأنها أن تحتوي على جنس فاضح أو ضمني، بدءاً من الصورة العادية الكاشفة للعودة إلى الفيلم الذي يصور علاقة جنسية كاملة بين أطراف متماثلة أو متغايرة، كباراً كانوا أم صغاراً، بحيث تهدف إلى إثارة الشهوة الجنسية عند القارئ أو المستمع أو المشاهد، مهما كانت الوسيلة التي تُعرض بها".
- استغلال الأطفال في المواد الإباحية: "تصوير أي طفل، بأي وسيلة كانت، يُمارس ممارسة حقيقية أو بالمحاكاة، أنشطة جنسية صريحة أو أي تصوير للأعضاء الجنسية للطفل؛ لإشباع الرغبة الجنسية أساساً" (البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء والمواد الإباحية، 2000).

2. الدراسات السابقة

أ. دراسة (الزعي مخلص، 2021): جرائم الحظ على الفجور، دراسة مقارنة بين التشريعين الأردني والقطري تناولت هذه الدراسة موضوع جرائم الحظ على الفجور وفقاً للنصوص القانونية لدى التشريعين؛ الأردني والمصري، وتم توضيح ماهية الحظ على الفجور من حيث المفهوم، والأركان المشتركة في جرائم الحظ على الفجور، إلى جانب ذكر صور من جرائم الحظ على الفجور. وقد خلصت الدراسة إلى بعض النتائج والتي أهمها: لم ينص كل من المشرع الأردني والمصري على جريمة معينة على أنها جريمة الحظ على الفجور، وأن هذه الجريمة تحتاج إلى أركان لقيامها، شأنها شأن سائر الجرائم الأخرى، وقد أوصت الدراسة ببعض التوصيات والتي أهمها: أن الصور الشائعة لجرائم البغاء هي الدعارة، وهي سلوك يُعاقب عليه القانون، لكن في المقابل هناك ممارسة لأفعال الفجور التي يُمارسها الرجال ومع ذلك لا توجد نصوص قانونية تنظمه كما هو الحال في الدعارة، لذا أوصت الدراسة بتنظيم نصوص قانونية لتجريم الفجور.

ب. دراسة (د/ حافظ مجدي، 2007م): موسوعة الجرائم المخلة بالأداب العامة وجرائم العرض تناولت هذه الدراسة الجرائم المخلة بالأداب العامة كجريمة الفجور والدعارة الواردة في قانون مكافحة الدعارة المصري، كما تناولت جرائم الآداب العامة في قانون العقوبات وفي قوانين خاصة، كجريمة تحريض المارة على الفسق، وجريمة حيازة صور أو مطبوعات مخالفة للآداب العامة، وجريمة الجهر بأغان أو صياح أو خطب مخالفة للآداب العامة، إلى جانب تناول المشكلات الإجرائية والدفع الجهرية في قضايا الآداب العامة، كالتلبس والقبض والتفتيش وضبط المراسلات ومراقبة الاتصالات التليفونية.

3. منهج الدراسة

اتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي والمقارن في سبيل إتمام هذه الدراسة، وذلك من خلال بيان ماهية جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، وكذلك توضيح صور السلوك المادي الذي تقوم عليه، ومن ثم العقوبات الجنائية المترتبة على هذه الجريمة، وذلك وفقاً للتشريع؛ الفلسطيني والأردني والمصري، إلى جانب تناول معالجة هذه الجريمة في القانون الدولي.

4. خطة الدراسة

قسم البحث إلى مبحثين رئيسيين على النحو التالي:

- المبحث الأول: التنظيم القانوني لجريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت.
 - المطلب الأول: الأساس القانوني لجريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت وأسبابها.
 - المطلب الثاني: أركان جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت.
- المبحث الثاني: العقوبات الجنائية المترتبة على أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت وتجريمها في الاتفاقيات الدولية.
 - المطلب الأول: العقوبات الجنائية المترتبة على جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت.
 - المطلب الثاني: الجهود الدولية المرصودة لمكافحة جريمة أفعال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت.
- الخاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

5. التنظيم القانوني لجريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت

حين السماع ببعض الجرائم تبرز بعض التساؤلات التي تتعلق بالجريمة المرتكبة، فهناك جرائم مُستحدثة يصعب فهمها عند وقوعها، وعلى وجه الخصوص الجرائم المرتكبة عبر شبكة الإنترنت؛ لحدثة هذا النوع من الإجرام، ولعدم معرفة البعض بما هو مُتعلق بشبكة الإنترنت، ومن ضمن تلك الجرائم المُستحدثة جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت؛ كونها من جرائم العرض التي يتدخل فيها القانون لإفراد الحماية الجزائية عن طريق التجريم والعقاب (الزعيبي، 2019)، وعليه سنوضح هذه الجريمة من خلال توضيح الأساس القانوني لجريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت وأسبابها (المطلب الأول)، أركان جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت (المطلب الثاني).

5.1 الأساس القانوني لجريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت وأسبابها

يؤدي انتشار الجرائم المُخلّة بالأداب العامة والتي من ضمنها جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت إلى جعل تلك الشبكة جزءاً من هذا السلوك المُجرّم، سواء أوقعت هذه الجريمة عن طريق الشبكة بوصفها وسيلة لارتكابها، أم كانت محلاً للجريمة ذاتها (الطوالبة، 2008)، ولتوضيح هذا المطلب سنتناول الأساس القانوني لجريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت (الفرع الأول)، أسباب جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت (الفرع الثاني).

5.1.1 الأساس القانوني لجريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت

تعدّ أعمال الدعارة والفجور بصورتها التقليدية سلوكاً جرّمته عديد من التشريعات الجزائية على مدار السنوات الماضية، ولقد كانت بداية التجريم لهذا السلوك المُستحدث وفقاً للتشريعات محل المقارنة في التشريع الأردني، الذي نص على تجريم أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت بنص خاص وصريح وفقاً للمادة (14) من قانون رقم (17) لسنة 2023، جاء في نص المادة: "يُعاقب كل من استخدم الشبكة المعلوماتية أو نظام المعلومات أو أنشأ موقعاً إلكترونيّاً للتسهيل أو الترويج أو التحريض أو المساعدة أو الحُض على الفجور والدعارة أو إغواء شخص آخر أو التعرض للأداب العامة..." أما فيما يتعلق بالتشريع المصري، فلم ينص على هذه الجريمة بنص خاص في قانون رقم (175) لسنة 2018م بشأن مكافحة جرائم تقنية المعلومات، ومع ذلك فقد نصت المادة (27) منه على ما يلي: "في غير الأحوال المنصوص عليها في هذا القانون يُعاقب... كل من أنشأ أو أدار أو استخدم موقعاً أو حساباً خاصاً على شبكة معلوماتية يهدف إلى ارتكاب جريمة أو تسهيل ارتكاب جريمة مُعاقب عليها قانوناً".

وبالرجوع إلى القانون الذي يُنظم أحكام جريمة الدعارة والفجور نجد أن قانون مكافحة الدعارة رقم (10) لسنة 1961 قد تضمن أحكاماً تُنظم هذه الجريمة، فقد نصت المادة (1) منه على: "كل من حرض شخصاً ذكراً كان أو أنثى على ارتكاب الفجور أو الدعارة أو ساعده على ذلك أو سهله له، وكذلك كل من استخدمه أو استدرجه أو أغواه بقصد ارتكاب الفجور أو الدعارة يُعاقب..."

وكذلك المادة (6) منه والتي جاء فيها: "يُعاقب... (أ) كل من علون أنثى على مُمارسة الدعارة ولو عن طريق الإنفاق المالي (ب) كل من استغل بأي وسيلة بغاء شخص أو فجوره". والمادة (8) منه والتي جاء فيها: "كل من فتح داراً أو محلاً للفجور أو الدعارة أو علون بأي طريقة كانت في إدارته يُعاقب..."

والمادة (14) منه، حيث جاء فيها: "كل من أعلن بأية طريقة من طرق الإعلان دعوة تتضمن إغراء بالفجور أو الدعارة أو لفت الأنظار إلى ذلك يُعاقب..."

وعليه اقتصر تجريم أعمال الدعارة والفجور على هذا القانون وحده، ولعدم وجود نص خاص في القانون رقم (175) لسنة 2018م، بشأن مكافحة جرائم تقنية المعلومات، فيتم تطبيق أحكام نصوص قانون مكافحة الدعارة رقم (10) لسنة 1961، على اعتداد أن النصوص الواردة فيه لم تُحدد وسيلة مُعينة لارتكاب أعمال الدعارة والفجور، وإنما جعلت ذلك على سبيل العموم.

والمُشرع الفلسطيني - كذلك - حاله حال المُشرع المصري؛ كونه لم ينص على تجريم أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت بنص خاص في القرار بقانون رقم (38) لسنة 2021 بشأن الجرائم الإلكترونية وجرائم الاتصالات وتكنولوجيا

المعلومات، لكن سنداً للمادة (65) منه والتي أكدت على تجريم أي فعل مُجرم بقانون آخر ويتم ارتكابه باستخدام شبكة الإنترنت أو بإحدى وسائل تكنولوجيا المعلومات، ولم يُنص عليه هذا القانون، يتم إحالة أحكامه إلى القانون الذي جرمه. وبالرجوع إلى نصوص قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960م الساري في الأراضي الفلسطينية، في الفصل الثاني وتحت بند الحُض على الفجور والتعرض للأخلاق والآداب العامة، نرى أقرب النصوص التي يُمكن تطبيقها على جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت هو نص المادة (310) التالي:

" يُعاقب... كل من قاد أو حاول قيادة: 1- أنثى دون العشرين من العمر ليوافقها شخص موافقة غير مشروعة في المملكة أو خارجها، وكانت تلك الأنثى ليست بغياً أو معروفة بفساد الأخلاق. 2- أنثى لتصبح بغياً في المملكة أو خارجها.... 4- أنثى لتغادر مكان إقامتها العادي في المملكة، ولم يكن ذلك المكان بيت بغاء، بقصد أن تقيم في بيت بغاء في المملكة أو في الخارج أو أن تتردد إليه أو لأجل مزاوله البغاء. 5- شخص لم يتم الخامسة عشرة من عمره لارتكاب فعل اللواط". وكذلك ما نصت عليه المادة (316) أيضاً على جريمة إرغام امرأة لامرأة أخرى أو مساعدتها لممارسة الدعارة بشكل عام أو ممارستها مع شخص، فجاء في نص المادة: " كل امرأة يُثبت عليها أنها ابتغاء الكسب تؤثر على حركات بغى بصورة تظهر معها بأنها تساعد تلك المرأة أو ترغمها على مزاوله البغاء مع شخص آخر أو على مزاوله البغاء بوجه عام تُعاقب..."

وتختلف هذا المادة عن المادة السابقة بأن الجاني هنا امرأة تحديداً، فتقوم هذه الجريمة متى ثبت أن المرأة الجانية تؤثر بحركات بغى يظهر معها أنها تُساعد بأي وسيلة مهما كانت مادية أو معنوية، أو ترغم امرأة لها سلطة أو نفوذ عليها مهما كان سببه أو مصدره لممارسة الدعارة (د/ السعيد، 1995)، كما نصت المادة (319) على التعرض للآداب والأخلاق العامة، فجاء فيها:

" يُعاقب ... كل من: 1- باع أية مادة بذينة مطبوعة أو مخطوطة أو أية صورة شمسية أو رسم أو نموذج أو أي شيء آخر، أو أحرزه بقصد البيع أو توزيعه، يؤدي إلى إفساد الأخلاق، أو طبع مثل هذه الأشياء والمواد أو أعاد طبعها بأية طريقة أخرى بقصد بيعها أو توزيعها. 2- عرض في محل عام أي تصوير أو صورة شمسية أو رسم أو نموذج بذيء أو أي شيء آخر قد يؤدي إلى إفساد الأخلاق، أو وزع مثل هذه الأشياء لعرضها في محل عام، 3- أدار محلاً يتعاطى بيع أشياء بذينة أو نشرها أو عرضها أو اشترك في إدارتها؛ مطبوعة كانت أو مخطوطة أو صورة شمسية أو رسوماً أو نماذج أو أية أشياء أخرى قد تؤدي إلى إفساد الأخلاق، 4- أعلن أو أذاع بأية وسيلة من الوسائل أن شخصاً يتعاطى بيع هذه المواد والأشياء البذينة أو طبعها أو أعاد طبعها أو عرضها أو توزيعها."

وهناك نص قانوني خاص بهذه الجريمة، لكنه مُقتصر على حماية الأطفال وحدهم دون حماية البالغين، وهو نص المادة (4) من قرار بقانون رقم (43) لسنة 2022م بشأن تعديل قانون الطفل رقم (7) لسنة 2004، حيث جاء فيه: "1- يحظر المساس بحق الطفل في الحماية من الاتجار به أو من الممارسات الشبيهة بالرق بحقه أو ببيعه أو استغلاله جنسياً أو استغلاله في البغاء أو في المواد الإباحية، بما في ذلك عبر الوسائل الإلكترونية، ويكون للطفل الحق في توعيته وتمكينه من مجابهة هذا الاستغلال".

أما الفقرة الثانية، فقد نصت على: "يُعاقب... كل من: 1- تاجر بالأطفال. 2- مارس أو استغل الطفل جنسياً، سواء بمقابل أو من دون مقابل، وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة. 3- استغل طفلاً بالبغاء. 4- عرض طفلاً أو قام بتهيئته لأعمال الدعارة. 5- قام باستغلال طفل في المواد الإباحية".

5.1.2 العوامل المؤدية إلى جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت:

تختلف العوامل التي تؤدي إلى ظهور هذا النوع المُستحدث من الإجرام وانتشاره من مُجتمع إلى آخر، وبالرغم من ذلك الاختلاف فإن هناك عوامل أكثر انتشاراً من غيرها، يُمكن تعميمها على مُجتمع ما وخصوصاً مُجتمعنا الحالي، والتي يُمكن سردها بصورة عامة ومُختصرة كالتالي (درويش، 2021)، (د/ العيسوي، 2004)، (بوزرارة، 2020):

- اتباع الشيطان وهوى النفس وضمع الإيمان بالله.
- التفكك الأسري وتحديد ما ينجم عنه من صعوبة في كسب العيش فيما يتعلق بالمرأة.
- انخفاض التعليم يجعل الأشخاص أكثر سهولة لدى تجار الجنس لاقتراضهم.
- الاغتصاب والعنف الذي تعرضت له الأنثى، وكذلك الاعتداء الجنسي.
- تقصير الزوج بزوجه من الناحية العاطفية والمادية والجنسية، خصوصاً إذا ما وجد فارق في العمر بينهما.
- حاجة المرأة إلى مُصاحبة أصحاب النفوذ؛ للجوء إليهم وقت الحاجة.
- إدمان الكحول والمواد المُخدرة، وكذلك المواد الإباحية؛ وإن لم يؤد بشكل مُباشر إلى ارتكاب مثل هذا السلوك الإجرامي، إلا أنه يؤدي إلى اختلال في التفكير، وتفكك الشخصية.
- الاضطرابات الذهنية والعصبية التي قد يعاني منها بعض الشباب، والتي تتمثل في تخیلات أو انجذاب أو أي تصرف جنسي مُخالف للطبيعة، أهمها: العادة السرية، والشراسة الجنسية، وكشف العورة استدراراً للذة الجنسية.
- الإعلام وما يتعرض له الشباب من تهييج جنسي مُستمر وإن لم يكن بشكل مُباشر، يؤدي إلى جوع جنسي شديد، والبحث عن أية وسيلة لإشباع هذا الجوع.
- ازدياد مُعدلات الفقر والبطالة، يجعل الشباب عازفين عن الزواج، ومن ثم دفعهم إلى إشباع غرائزهم الجنسية بطرق غير مشروعة.

- انتشار شبكة الإنترنت التي سهلت التواصل بين الناس بشكل أسرع، وجعلت المتصفح يجد فيها الخير والشر وما يخدم الفساد والفجور، ومن ثم الدعوة إليها من خلال الصور ومقاطع الفيديو التي تدعو إلى الانغماس فيها.
- الخفاء وسرية الجريمة ساعدت في خلق مجرمين؛ كون أن أعمال الدعارة والفجور واقعياً تتطلب مزيداً من الجراءة.
- افتقار بعض النصوص القانونية المتعلقة بالجرائم الجنسية المرتكبة عبر شبكة الإنترنت إلى الوضوح والشمول؛ كونها جرائم مُستحدثة لم يتطرق المشرعون إلى جوانبها كافة.

5.2 أركان جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت

تتحقق جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت بتوافر أركانها التي يتطلبها القانون، ابتداءً بالركن الشرعي الذي يُبنى عليه كل من الركن المادي والمعنوي للجريمة (د/ المجالي، 2010)، ولتوضيح هذه الأركان سنتناول الركن المادي (الفرع الأول)، والركن المعنوي (الفرع الثاني).

5.2.1 الركن المادي

لا يتصور قيام جريمة بغير الركن المادي الذي يتطلبه النموذج القانوني لقيام الجريمة، فهو يُمثل الأساس لكل جريمة، ومن عناصر الركن المادي الفعل الإجرامي، وهو ما يصدر عن الإنسان من سلوك إرادي، سواء أكان إيجابياً أم سلبياً، وعند البحث في هذه الجريمة، فإن السلوك الجرمي يظهر في صورة السلوك الإيجابي، فيتجسد بعدة صور تشمل في مجموعها جميع السلوكيات المكونة للجريمة، وبذلك يكون المشرع قد ضمن أكبر قدر من العقاب لكل من يقترب أحد السلوكيات الداخلة ضمن نطاق الركن المادي لهذه الجريمة (عبد الكريم، 2018).

وكما بينا سابقاً عند ذكر الأساس القانوني لهذه الجريمة بأن القانون لم يشترط لوقوع هذه الجريمة بأن تتم بطريقة مُعينة، إنما جاء النص بصورة مُطلقة؛ ليتناول أعمال الدعارة والفجور كافة عبر شبكة الإنترنت، لكن في المقابل تم تحديد جميع الأفعال المُجرمة بهذه الجريمة بصورة دقيقة وواضحة؛ وذلك للحفاظ على مبدأ الشرعية الجنائية (حافظ، 2007)، ويُمكن حصر الصور التي يقوم بها الركن المادي لهذه الجريمة بالآتي:

5.2.1.1 التحريض (الحض)

أي التحريض على الدعارة والفجور من خلال دفع شخص ما إلى ارتكاب هذه الجريمة وخلق التصميم عليها لديه، وذلك بالتأثير في إرادته وتوجيهها نحو الوجهة التي يقصدها المُحرّض، ويستوي في المُحرّض أن يكون خالفاً لفكرة الجريمة لدى الغير والتي لم تكن موجودة من قبل، أو أن يُشجع المُحرّض على تحقيق فكرة الجريمة الموجودة أصلاً لدى الغير قبل التحريض، ويستوي في ذلك - أيضاً - أن يكون التحريض على جريمة بصورتها التقليدية أو الإلكترونية، والتحريض قد يكون فردياً؛ أي مُوجهاً إلى شخص أو أشخاص مُعينين، وهنا يُسمى تحريض خاص، وإما أن يكون عاماً؛ أي مُوجهاً لعامة الناس دون تحديد، وهنا يُسمى بالتحريض الجماعي (د/ الحسيني، 2017).

والأصل أن التحريض وسيلة اشتراك لا يُعاقب عليه القانون إلا إذا أدى إلى وقوع جريمة بغض النظر عن جسامتها، فالقانون لا يُعاقب على التحريض بذاته وفقاً لما نصت عليه كل من المادة 40 و 171 من قانون العقوبات المصري (1937)، لكننا نقصد بالتحريض - هنا - جريمة مُستقلة بذاتها وليس وسيلة اشتراك في الجريمة، فقد تم إفراد عقوبة على التحريض على الدعارة والفجور، وذلك دون النظر إلى النتيجة سواء أتحققت أم لا، وكذلك دون النظر إلى الوسيلة التي وقع من خلالها التحريض على الدعارة والفجور وفقاً لما نصت عليه المادة (1) من قانون مكافحة الدعارة المصري رقم (10) لسنة 1961م. وقد أشارت محكمة النقض المصرية إلى فعل التحريض على الفجور في حكمها رقم (8898 لسنة 73) في واقعة تتمثل بقيام المُتهم باستخدام التقنية الحديثة واتخاذ موقفاً على شبكة الأنترنت، يحرض من خلاله على ارتكاب الفسق والفجور، ويعلن عن نفسه لمزاولة النشاط غير المشروع، وأنه يعرض الصور الفاضحة ويتبادل الرسائل والمحادثات فيما بينه وبين عملائه الشواذ، ويعرض على الموقع صوراً له ولعضوه الذكري في أوضاع مختلفة، وكذلك صوراً في أثناء ممارسته للشذوذ مع الآخرين، إذ أكدت محكمة النقض على أن ما قام المُتهم به من سلوكيات هو ضرب من ضروب التحريض على ارتكاب الفجور وإرضاء شهوات الغير وليس إرضاء لمزاجه الخاص فقط والمنصوص عليه في الفقرة الأولى من المادة الأولى، وكذلك المادة الرابعة عشرة من القانون رقم (10) لسنة 1966م في شأن مكافحة الدعارة.

وقد أشارت محكمة النقض المصرية إلى أن التحريض قد يتجسد بصور عديدة، ولم يتم حصره بصورة مُعينة، فقد يدخل في نطاقه أي فعل من الأفعال التي من شأنها إفساد الأخلاق، والتأثير في الضحية لإغوائها بارتكاب الدعارة أو الفجور (نقض جزاء 8898/2005)، وعليه فقد يقع التحريض بالكتابة أو الرموز أو القول المُجرد أو المصحوب بالإغراء أو الوعد بالمتعة الجنسية، أو بنشر صور أو مقاطع إباحية أو قصص جنسية مُثيرة يُراد منها التشجيع على ممارسة الدعارة والمشاركة فيها، أو من خلال أي تأثير كاف على من يوجه إليه التحريض لتهييج شعوره الجنسي، وإذا كان التحريض مُجرد عرض أو نصيحة فلا يُعد تحريضاً (حافظ، 2007).

وقد قضت محكمة النقض المصرية بعدم قيام التحريض إلا في حق من يُحرض غيره على ممارسة الدعارة أو الفجور مع الآخرين، وهذا ما استقر عليه الفقه والقضاء المصري، أما لو عرض المُحرّض نفسه لممارسة الدعارة أو الفجور مع

شخص، فذلك لا يُعد تحريضاً، وتعد مسألة تقدير قيام التحريض على الدعارة والفجور مسألة موضوعية يُترك تقديرها لقاضي الموضوع (نقض جزاء 2016/9228).

5.2.1.2 المساعدة والتسهيل

وهي المساعدة بالوسائل والإمكانات التي يُقدمها الجاني لمرتكب الجريمة قبل تنفيذها، وهي سابقة على سلوك الجاني الذي يُجسد النموذج القانوني للجريمة، وتتضمن المساعدة تقديم العون، بغض النظر عن صورته ودرجته، إلى شخص ما؛ بهدف تمكينه من ممارسة الدعارة أو الفجور، فقد تكون المساعدة مادية أو معنوية، في حين يتضمن التسهيل تذليل العقبات أمام الشخص لممارسة الدعارة أو الفجور، والمساعدة - هنا - عكس التحريض، تستلزم وجود مظهر خارجي إيجابي، مثل تقديم الوسائل والإمكانات التي تُهيئ عملية ممارسة الدعارة أو الفجور وإتمامهما (نقض جزاء، 2015/31472).

والمساعدة والتسهيل في هذه الجريمة تختلف عن المساعدة المنصوص عليها في قانون العقوبات؛ كونها في هذه الجريمة لا تتطلب إتمام الجريمة، عكس المساعدة الواردة في قانون العقوبات، فهي تتطلب وجود جريمة أصلية يُعاقب القانون عليها، ومن ثم تمام هذه الجريمة (المري، 2022).

وقد أشارت محكمة النقض المصرية إلى أن المساعدة والتسهيل لها صور عديدة، فلم يحصرها المشرع بطريق معين، فقد تكون مادية أو معنوية، بغض النظر عن طبيعتها ومقدارها، وعليه فقد تتم بالقول أو بالكتابة أو بالفعل (نقض جزاء، 2016/18048) ومن ضمن تلك الصور إعطاء معلومات أو إرشادات تُبين كيفية ممارسة الدعارة والفجور، كإعطاء معلومات البغايا للزبائن، أو تقديمهن مباشرة لهم من خلال تنظيم اللقاءات بينهم، أو العكس، أو إتاحة الأحاديث الهاتفية الجنسية عبر شبكة الإنترنت.

وأعمال المساعدة والتسهيل تتحقق بأفعال تكون سابقة لأعمال الدعارة والفجور، أو مُعاصرة لهما، ولا تكون بأفعال لاحقة، ومثال ذلك تهديد الزبون بدفع أجر الدعارة أو الفجور الذي يرفض دفعه، ولا يُشترط - أيضاً - أن تقع تلك الأفعال بصورة إيجابية، فقد تقوم بصورة سلبية، ومثال ذلك معرفة رجل الضابطة القضائية بوجود شخص ما يقوم بعمل من أعمال الدعارة والفجور، ويسهله، ولا يقوم بالإبلاغ عنه، هنا يُعد مُسهماً بالتسهيل.

وبذلك تختلف المساعدة والتسهيل عن التحريض؛ في أن المساعدة أو التسهيل تتم حتى ولو لم يكن هناك تحريض، فكلاهما مستقل عن الآخر في جرمه، والمساعدة والتسهيل تتطلب تسهيل حصول الدعارة أو الفجور، فإذا لم تحصل الدعارة والفجور نتيجة المساعدة والتسهيل، تبقى الجريمة بمرحلة الشروع، وهذا عكس التحريض الذي لا يتطلب ذلك (د/حناتة، 1983).

5.2.1.3 الإغواء

يُتَّصَد بالإغواء - هنا - ترغيب الشخص في ممارسة الدعارة أو الفجور؛ وذلك باستغلال نقاط ضعفه، ومن ثم تهيئته ليقبل ويرغب بهذا الفعل، لتتم ممارسته مع الجاني نفسه أو مع الغير، وذلك من خلال الحيلة والترغيب دون إكراه، كالإغواء بالمنفعة المالية أو المُتعة الجنسية (الدرويش، 2023).

5.2.1.4 الاستدراج

يتمثل هذا السلوك بدفع شخص ما لارتكاب فعل الدعارة أو الفجور، وذلك عن طريق الحيلة والترغيب دون إكراه، والاستدراج يقع على مراحل، فقد يقع بصورة تبادل الرسائل مع شخص ما؛ من أجل الحصول على صور إباحية له، ومن ثم استغلاله في الدعارة أو الفجور، أو إنشاء مواقع للبحث عن شريك حياة أو فرص عمل، أو إنشاء موقع إلكتروني ووضع صور إباحية عليه؛ لاستدراج الزبائن لممارسة البغاء، وهذا السلوك يتم بغض النظر عما لو حدثت الممارسة فعلاً أم لم تحدث (لعجال، 2020).

5.2.1.5 الاستخدام

يُعبّر مفهوم الاستخدام عن اتحاد إرادتين أو أكثر لارتكاب سلوك إجرامي، ويُشترط في الاستخدام أن يكون مُتضمناً لمعنى القطعية؛ أي أن تعقد به الإرادات بشكل نهائي، والاستخدام - هنا - يعني استعمال شخص أو استئجاره للحصول على خدماته مع موافقته على ذلك، وبغض النظر عما لو كان مُقابل أجر أو من دون أجر، وبغض النظر - أيضاً - عما لو كان ضمناً أو صريحاً، أما لو كان بشكل أولي، كوجود أفكار أو إبداء رغبات، فذلك لا يُعد اتفاقاً جنائياً بالشكل الذي يتطلبه القانون بشكل عام (عبد التواب، 1983).

5.2.1.6 الترويج (الإعلان):

وهو نشر المادة الإباحية؛ بغية التأثير في آراء أكبر قدر ممكن من الناس أو سلوكهم؛ للتشجيع على ممارسة الدعارة أو الفجور سواء بأجر أو من دون أجر، ودون تمييز بين الأشخاص المُتلقين (استئناف جزاء عمان 2023/44)، والترويج قد يقع بصورة صريحة كالكتابة؛ أي الرسائل المُوجهة، كوضع أرقام الهواتف على الموقع أو الحساب، أو التلميح عن إمكانية ممارسة الدعارة والفجور مع الجاني أو مع غيره، سواء أوقع ذلك بتمييز أم من دون تمييز، وبأجر أم من دون أجر، وقد يقع

ضمنياً كعدم احتوائه على ألفاظ أو عبارات مخالفة للأداب، تتضمن ممارسة الدعارة أو الفجور، ومع ذلك فيتم الانتباه إليه واكتشاف الشيء المقصود منه بكل سهولة، كالترويج لأغراض العلاج الطبيعي أو النفسي، أو علاقات صداقة وهمية (الألفي، 2008).

وقد أشارت محكمة التمييز الأردنية في حكمها رقم (2014/883) إلى فعل الترويج للدعارة عبر شبكة الإنترنت، في واقعة تتمثل بقيام المتهم باستغلال زوجته من خلال تصويرها وهي عارية تماماً من الملابس أو شبه عارية، مدّعيًا بأنه سوف يعمل فيلماً خاصاً لها مع أغنية، ومن ثم تنزيلها على جهاز اللابتوب على أن تكون خاصة بهما، لكن المتهم يعمد إلى وضع تلك الصور عبر مواقع التواصل الاجتماعي الخاصة به، فمكّن الشاهد سامح من الاطلاع على تلك الصور، ومن ثم إرسالها له إلى صفحته عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وطلب منه أن يغوي زوجته لتمارس معه الجنس.

وأكدت محكمة التمييز على أن ما اقترفه الجاني من سلوكيات، تشكل - بالتطبيق القانوني - سائر أركان الجنية وعناصرها، وهي جُحّة قيادة أنثى ليست بغياً أو معروفة بفساد الأخلاق بوسائل خداع؛ ليوافقها شخص آخر الواقعة غير مشروعة، طبقاً لأحكام المادة (311/2) من قانون العقوبات النافذ، إلى جانب جُحّة القيام قصداً باستخدام الشبكة المعلوماتية للترويج للدعارة طبقاً لأحكام المادة (9) من قانون أنظمة المعلومات.

وأشارت محكمة النقض المصرية في حكمها رقم (23466 لسنة 85) إلى فعل الإعلان عن الفجور والدعارة عبر شبكة الإنترنت، في واقعة تتمثل بقيام إحدى الفتيات بالإعلان عن نفسها لممارسة الدعارة مقابل أجر مادي، عن طريق إنشاء صفحة على عدة مواقع عبر شبكة الإنترنت، تُعلن - من خلالها - أنها شاذة جنسياً؛ كون القائم على إنشاء تلك الإعلانات هو المتهم الأول، وهو شاذ جنسياً، وقد اعتاد على ممارسة الفجور مع الرجال دون تمييز، مقابل أجر مادي، ويسهل فجور الرجال داخل مسكنه، يعاونه المتهم الثاني عن طريق اصطياذه الراغبين بالمتعة من أسفل العقار، إلى جانب تحصيل المبالغ النقدية منهم، كما أن المتهم الثاني اعتاد ممارسة الفجور مع الرجال دون تمييز، مقابل أجر مادي، وقد تم ضبط بعض الأشياء التي تستخدم في ممارسة الفجور منها: ملابس نسائية وقصيب صناعي ومجموعة من الأوعية الواقية الذكرية.

5.2.1.7 القيادة

يُشير مُصطلح القيادة هنا إلى: "جميع الأعمال التي يرتكبها الطرف الثالث في البغاء؛ أي في الدعارة والفجور، سواء أكانت من أعمال التوسط فيه أم تسهيله أم التحريض عليه أم استغلاله أم تهيئة الفرصة أم السماح به"، كما يُشير مُصطلح "قواد" إلى كل شخص يعيش من البغاء أو يتكسب من خلاله؛ أي الذي يقوم بالاتفاق أو يجري الاتفاق تحت علمه، مقابل أخذ جزء من المال الذي يدفعه الزبون للأنثى أو الذكر، والقواد عادةً ما يقوم بحماية الأنثى من أي خطر قد يلحق بها؛ من أجل ضمان استمراريتها بالعمل (الزعي، 2019)، والقيادة - هنا - تستلزم وجود علاقة تبعية بين الجاني والمجني عليه، والقواد يُشير إلى سعي الجاني بين الرجل والمرأة لارتكاب الفجور والدعارة، فالجاني لا يرتكب هذه الجريمة لكي يُمارس هو الدعارة أو الفجور، وإنما يرتكبها لجعل الغير هو من يُمارسها (د/ السعيد، 1995).

بعد إظهار صور السلوك الذي تقوم به جريمة أفعال الدعارة عبر شبكة الإنترنت وفقاً للنماذج القانونية للتشريعات محل المقارنة، فلا بُد من الإشارة إلى أن هذه الجريمة تقوم بغض النظر عن جنس الجاني، وفيما إذا كانت الأنثى بكرة أم لا، وفيما إذا كان المجني عليه فاسداً من قبل أم لا، أو كان راضياً بالجريمة أم لا، وبغض النظر - أيضاً - أن تكون تلك السلوكيات مقابل منفعة أو مصلحة، أو أجر كلي أو جزئي، كما نلاحظ بأن المشرع لم يشترط في السلوكيات السابقة توافر ركن الاعتياد، فهي جريمة حتى لو وقع الفعل مرة واحدة (نقض جزاء مصري 2015/23848).

لكن محكمة النقض المصرية كانت قد اشترطت في فعل المساعدة والتسهيل على ممارسة الدعارة والفجور بالذات، شرط الاعتياد، فعُدّت هذه الجريمة من جرائم العادة، كما أكدت على أن إثبات هذا الشرط يُعد من الأمور الموضوعية التي تخضع للسلطة التقديرية لمحكمة الموضوع، على اعتداد أن شرط الاعتياد يتميز بتكرار المناسبة أو الظروف (نقض جزاء مصري 2016/39474).

وهنا نرى أن محكمة النقض في هذا الحكم لها كانت قد اشترطت شرطاً لم تنص عليه النصوص التي جرّمت أفعال المساعدة والتسهيل في الدعارة والفجور وفقاً لقانون مكافحة الدعارة رقم (10) لسنة 1960م، فنحن - وبعد تحليل تلك النصوص - لم نجد أية عبارة أو مُصطلح على الإطلاق يُفيد باشتراط الاعتياد؛ كون المشرع لم ينص على ذلك الشرط صراحةً، ولو اشترط الاعتياد بالفعل لنص صراحةً عليه، أو لكانت هناك إشارة ضمنية عليه من خلال استخدام بعض المُصطلحات التي تُفيد بوجوده، كذكر مُصطلح أشخاص بدل شخص، فمن خلال وجود مُصطلح أشخاص، نفهم أن جريمة المساعدة والتسهيل يجب تكرارها حتى يُطبق النص التجريمي، بمعنى أنه لو ساعد الجاني شخصاً ما بغاءه أو سهله له، فلا تقوم الجريمة، بل تقوم إذا ساعد أشخاصاً أو سهل لهم ذلك؛ أي كرر فعل المساعدة والتسهيل.

ومن جهة أخرى، فإن غالبية النصوص التي تضمنت تجريم أفعال المساعدة والتسهيل، لم تكن مُقتصرة على هذه الأفعال فقط، بل كان هناك جمع بين الأفعال داخل النص الواحد، كفعل التحريض والاستدراج والإغواء، إلى جانب أفعال المساعدة والتسهيل، وأحكام محكمة النقض بشأن تلك الأفعال التي تقوم بها الجريمة، لم تشترط توافر ركن الاعتياد، فكيف تستثني المحكمة فعل المساعدة بالذات واشتراط الاعتياد به لتجريمه دون سائر الأفعال الأخرى داخل النص الواحد؟! وعلى ما يبدو فإن محكمة النقض قد تراجعت فيما بعد عن استلزام شرط الاعتياد في جريمة المساعدة والتسهيل على أعمال البغاء، فهي، ومن خلال النظر في واقعة التسهيل والمساعدة على البغاء، كانت قد أكدت على أن هذه الجريمة تقوم

عندما يقوم الجاني بفعل أو حتى أفعال، يكون الهدف منها تيسير أمور شخص لممارسة البغاء، كالقيام بالتدابير اللازمة، وتهيئة الفرص، وتقديم المساعدة سواء المادية أو المعنوية، وبغض النظر عن طريقة تلك المساعدة، أو مقدارها، لكن بشرط أن تتجه نية الجاني من ورائها إلى مساعدة البغاء وتسهيله لشخص ما بشكل أساسي، فإذا جاءت المساعدة عرضاً أو تبعاً فلا تقوم الجريمة، وهذا ما اكتفت به محكمة النقض في أثناء المعالجة، ولم تتطرق إلى شرط الاعتقاد على الإطلاق (نقض جزاء مصري 2016/18048).

5.2.2 الركن المعنوي

من البديهي أنه لا يكفي لقيام المسؤولية الجنائية القيام بسلوك يُجرمه القانون، بل يُفترض وجود ركن معنوي يُعبر عن الحالة النفسية أو الذهنية للجاني، ويُعد هذا النوع من الجرائم جرائم قصدية، يتوافر فيها القصد العام المُتمثل بالعلم والإرادة، إلى جانب القصد الخاص.

العلم: معنى ذلك أن يكون الجاني عالماً بأنه يقوم بسلوك مُجرّم يُعاقب عليه القانون، ألا وهو الترويج أو التحريض أو المساعدة أو التسهيل أو الاستخدام أو الاستدراج أو الإغواء لممارسة الدعارة والفجور، أو كل ما يمس بالأداب العامة والأخلاق، كما يتعين على الجاني علمه بما يفعل في أثناء قيامه بذلك؛ أي علمه المُفترض بأن السلوكيات التي تصدر عنه أنها غير مشروعة، ومن شأنها أن تؤدي إلى إفساد الأخلاق العامة، فالعلم شرط للإرادة وتكوينها (الألفي، 2008)، وذلك بغض النظر عن النتيجة المُترتبة على تلك السلوكيات، سواء أتركت أثراً لدى الضحية أم لم تترك، وسواء أقبلت بها أم لم تقبل، وسواء أتمت ممارسة الدعارة أو الفجور أم لم تتم، على اعتداد أن علة التجريم ليست في نتيجة تلك السلوكيات أو ردة فعل الضحية، بل بمجرد الإتيان بها، وبغض النظر عن نوع المُتعة الجنسية التي يقصدها الجاني، فقد تكون طبيعية أو غير طبيعية، مُباشرة أو غير مُباشرة، طالما كان القصد إرضاء الشهوة (الزعيبي، 2019).

الإرادة: يستلزم القانون الأخذ بعين الاعتبار إرادة الجاني بارتكاب أحد السلوكيات المُكونة لهذه الجريمة، كالتحريض والإغواء والمساعدة والتسهيل والترويج والاستدراج من خلال استخدام شبكة الإنترنت أو إنشاء موقع إلكتروني (تميز جزاء 5571/2023)، إلى جانب أن تكون تلك الإرادة حرة مُميزة ومُعتبرة قانوناً، ولا مناص من التأكيد على أن الباعث على ارتكاب الجريمة لا يُعد من عناصر القصد الجرمي لا فقهاً ولا قضاءً، وعليه تقوم هذه الجريمة، ولو كان الباعث عليها مجرد كسب المال أو الانتقام أو أي باعث آخر (الألفي، 2008).

القصد الخاص: يتمثل القصد الجنائي الخاص بهذه الجريمة بأنه عندما يقوم الجاني بأي سلوك من السلوكيات المُكونة للركن المادي، أن يكون لديه باعث خاص لارتكاب تلك السلوكيات، وهذا القصد لا يكون إلا في الجرائم القصدية التي لا يتصور وقوعها بالخطأ، وبالرجوع إلى النماذج القانونية التي نظمت هذه الجريمة، نجد أنها تطلبت توافر القصد الخاص إلى جانب القصد العام، والقصد الخاص - هنا - يتمثل بنية الجاني ممارسة المجني عليه للدعارة أو الفجور وتمكينه من ذلك، سواء مع الجاني أو مع الغير لإرضاء الشهوات الجنسية، وبغض النظر سواء أكانت مادية أم عن طريق المشاهدة.

والمصلحة المحمية في هذه الجريمة هي الآداب العامة والحياء، وهذه مصلحة معنوية وعامة، ففي جميع الأحوال لا يُعتمد برضاء المجني عليه لقيام الجريمة، فرضاءه ليس محل اعتبار، وعليه فقد اتجهت التشريعات الجزائية إلى حماية هذه المصلحة من أي سلوك يمس بها، كالسلوكيات التي تقوم بها هذه الجريمة والتي ترمي إلى فساد الأخلاق (الخلي، 2009)، وتُعد هذه الجريمة من جرائم الخطر العام؛ كونها تُعرض المصلحة - محل الحماية - للخطر، وعليه فلا يُستلزم لوقوعها حدوث ضرر بالفعل (تميز جزاء أردني 2023/5571).

6. العقوبات الجنائية المُترتبة على جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت وتجريمها في القانون الدولي

من المعلوم أن العقوبة المُترتبة على أية جريمة قد تختلف من قانون لآخر، وهذا قد يرجع إلى نظرة المشرع في تقديره لخطورة الجريمة، فكلما كان الضرر أو الخطر الناتج عن الجريمة عالٍ، كانت العقوبة المُترتبة على تلك الجريمة مُرتفعة؛ وذلك للتناسب ما بين الخطر والضرر وما بين العقوبة، وكذلك لضمان الردع، وفي جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، اختلفت التشريعات محل المقارنة في ترتيب العقوبة، ولتوضيح ذلك سنتناول العقوبات الجنائية لهذه الجريمة (المطلب الأول)، والجهود الدولية المرصودة لمكافحة جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت (المطلب الثاني).

6.1 العقوبات الجنائية المُترتبة على جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت

تتصف العقوبات الجنائية بكونها قانونية، أي أنها تخضع لمبدأ الشرعية الجنائية الذي يقضي بأنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص، وهذا من شأنه حماية حقوق الأفراد من أي تعسف، وعليه لا يجوز للقاضي إنزال أية عقوبة بغير العقوبات القانونية ضمن حدودها المُقررة، كما تتصف العقوبة بأنها عادلة؛ أي تتناسب مع الجريمة؛ حتى تحافظ على رضاء المجتمع، وطمأنته، وتتصف - أيضاً - بأنها شخصية؛ أي لا تطال غير المتهم سواء أكان فاعلاً أم شريكاً أم مُحرضاً أم مُتدخلاً (بوزارة، 2020)، ولتوضيح العقوبات المُترتبة على جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، سنتناول العقوبة في التشريع الأردني (الفرع الأول)، والعقوبة في التشريع المصري (الفرع الثاني)، والعقوبة في التشريع الفلسطيني (الفرع الثالث).

6.1.1 العقوبات الجنائية في التشريع الأردني

في جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، نرى أن المشرع الأردني في المادة (14) من قانون الجرائم الإلكترونية (2023) قد رتب عقوبة الحبس بمدة حدها الأدنى ستة شهور، وذلك بحق كل من يرتكب فعل التسهيل أو الترويج أو التحريض أو المساعدة أو الحض أو الإغواء؛ وذلك من أجل ممارسة الدعارة أو الفجور أو أي سلوك يمس بالآداب العامة، كما نص على عقوبة الغرامة المالية من (9000 – 10000) دينار أردني.

أما الفقرة الثانية، فقد نصت على ظرف مُشدد للعقوبة السابقة، أي أنه عندما يتم ارتكاب تلك الأفعال بحق طفل أو بحق من هو مصاب بإعاقة عقلية أو مرض نفسي؛ من أجل ممارسة الدعارة أو الفجور أو أي سلوك يمس بالآداب العامة، فيتم فرض عقوبة الأشغال المؤقتة بحق المُتهم، إلى جانب ذلك، فقد ضاعف المشرع الأردني الغرامة المالية لتصبح من (15000-45000) دينار أردني.

أما المادة (28) فقد نصت على مُضاعفة العقوبة، وذلك بحال ارتكب الجاني جريمته تحت غطاء وظيفته أو عمله أو الصلاحيات الممنوحة له، كما تتضاعف - أيضاً - بحال تعدد الأشخاص المجني عليهم، وكذلك بحال تم تكرار ارتكاب الجريمة، ومع ذلك فقد منح القانون للمحكمة سلطة تقديرية لتخفيف أية عقوبة نص عليها إلى النصف وفقاً لما نصت عليه المادة (29)، وذلك في حال قدم الجاني معلومات عن الجريمة، لكن قبل إحالتها إلى المُدعي العام، وكان من شأن تلك المعلومات كشف الجريمة ومُرتكبيها أو حتى القبض عليهم، في المُقابل أجازت المادة (30) تطبيق أية عقوبة أشد من العقوبات التي سبق ذكرها في حال نص عليها قانون آخر غير قانون الجرائم الإلكترونية.

وإلى جانب العقوبات السابق ذكرها، فهناك تدابير احترازية مُرتتبة على هذه الجريمة، نصت عليها المادة (31)، كمصادرة الأجهزة أو الأدوات التي تم استخدامها في ارتكاب الجريمة، لكن مع مراعاة الغير حسن النية وعند الإدانة، وفي حال وجود أموال مُتحصلة جراء ارتكاب هذه الجريمة، فيتم مصادرتها، كما نصت على تعطيل أي نظام معلومات أو موقع الكتروني تم استخدامه في ارتكاب الجريمة أو وقفه أو حجبها لمدة يعود تقديرها لمحكمة الموضوع، وكذلك حذف البيانات والمعلومات، لكن على نفقة الفاعل، وفي حال تم استخدام محل لارتكاب الجريمة فيتم إغلاقه من (3 شهور - سنة)، وكل من يمتنع أو يُعيق تنفيذ أي من القرارات السابقة، فتطبق عليه عقوبة الحبس لمدة لا تقل عن ثلاثة شهور، إلى جانب عقوبة الغرامة المالية من (3000-6000) دينار أردني.

6.1.2 العقوبات الجنائية في التشريع المصري

لقد تباينت العقوبات المُقررة لجريمة أفعال الدعارة عبر شبكة الإنترنت في التشريع المصري وفقاً لقانون مكافحة الدعارة رقم (10) لسنة 1961م؛ وذلك لوجود عديد من النصوص القانونية التي نظمت تلك الأفعال، وهذا عكس ما ذهب إليه المشرع الأردني فنظمها بنص واحد، ففي فعل التحريض والمساعدة والتسهيل والاستدراج والاستخدام والإغواء على ارتكاب الدعارة أو الفجور، وفقاً للفقرة الأولى من المادة الأولى، رتب المشرع المصري عقوبة الحبس من (3-1) سنوات، إلى جانب عقوبة الغرامة المالية من (100-300) جنيه.

كما شدد في العقوبة في حال تم ارتكاب الفعل بحق من لم يبلغ من العمر الحادية والعشرين سنة، وكذلك في حال استخدام الخداع أو القوة أو إساءة استعمال السلطة أو غيرها من وسائل الإكراه، فتُصبح العقوبة بالحبس من (5-1) سنوات، إلى جانب الغرامة المالية من (100-500) جنيه، وذلك وفقاً لما نصت عليه الفقرة الثانية من المادة الأولى، وكذلك الفقرة الأولى من المادة الثانية.

وهناك ظرف آخر مُشدد، وهو ارتكاب الفعل بحق من لم يبلغ من العمر ست عشرة سنة، أو كان الجاني من أصول المجني عليه أو المُكلف برعايته أو له سلطة عليه أو كان خادماً عنده بأجر، فتُصبح العقوبة الحبس من (3-7) سنوات. وفيما يتعلق بتقديم العون لأنثى لكي تُمارس الدعارة ولو عن طريق الإنفاق المالي، أو استغلال دعارة أي شخص أو فجوره بأية وسيلة، يترتب على ذلك العون والاستغلال عقوبة الحبس من (6 شهور - 3 سنوات) وفقاً لما نصت عليه المادة السادسة.

وهناك ظرف آخر مُشدد، وهو ارتكاب الفعل بحق من لم تبلغ من العمر ست عشرة سنة، أو كان الجاني من أصول المجني عليها أو المُكلف برعايتها أو له سلطة عليها أو كانت خادمة عنده بأجر، فتُصبح العقوبة الحبس من (5-1) سنوات وفقاً للمادة أربعة.

أما فيما يتعلق بفعل الترويج للدعارة أو الفجور أو لفت الأنظار إليها، فقد رتب المشرع عقوبة الحبس لمدة أقصاها ثلاث سنوات، إلى جانب عقوبة الغرامة المالية بمقدار حده الأقصى (100) جنيه وفقاً للمادة الرابعة عشرة.

كما نصت المادة الخامسة عشرة على وضع الشخص الذي يُحكم عليه بإحدى الجرائم السابقة تحت مراقبة الشرطة لمدة تتساوى مع المدة التي تم الحكم عليه بها، أما المادة السادسة عشرة، فقد نصت على إمكانية تطبيق عقوبة أشد من العقوبات السابق ذكرها والواردة في قانون آخر غير هذا القانون.

وإذا كان الجاني موظفاً عمومياً وارتكب الجريمة تحت غطاء وظيفته أو بسببها، فيجوز للمحكمة أن تقضي بعزله مؤقتاً وفقاً لما نصت عليه المادة التاسعة والثلاثون من قانون رقم (175) لسنة 2018 بشأن مكافحة جرائم تقنية المعلومات، وكذلك مصادرة الأجهزة أو الوسائل التي تم استخدامها في ارتكاب الجريمة لكن مع مراعاة الغير حسن النية وعند الإدانة، وفقاً لما نصت عليه المادة الثامنة والثلاثون من القانون السابق ذكره، إلى جانب حجب أي نظام معلومات أو موقع إلكتروني تم استخدامه في ارتكاب الجريمة وفقاً لما نصت عليه المادة السابعة، وفي حال وجود أموال مُتحصلة جراء ارتكاب هذه الجريمة فيتم مصادرتها.

في المقابل، ووفقاً للمادة الحادية والأربعين، يُعفى الجاني أو الشريك من العقوبة في حال القيام بإبلاغ السلطات العامة أو القضائية قبل البدء بتنفيذ الجريمة أو كشفها، لكن إذا تم الإبلاغ بعد كشف الجريمة وقبل التصرف بالتحقيق فيها، وكان من شأنه المساعدة في القبض على الجناة الآخرين، أو المساعدة في أثناء التحقيق على كشف حقيقة الجريمة، أو القبض على جناة جريمة أخرى لكن مماثلة لها في النوع والخطورة، فتبقى للمحكمة سلطة جوازية الاختيار بالإعفاء أو التخفيف من العقوبة.

6.1.3 العقوبات الجنائية في التشريع الفلسطيني

بعد البحث في النصوص التي نظمت بعض أحكام هذه الجريمة، وجدنا أن المشرع الفلسطيني يُعاقب على فعل القيادة أو محاولة قيادة أنثى، دون العشرين من عمرها وغير بغية أو معروفة بفساد الأخلاق؛ لممارسة الدعارة سواء داخل البلاد أو خارجها، بعقوبة الحبس من (شهر - 3 سنوات)، إلى جانب عقوبة الغرامة المالية من (5 - 50) ديناراً أردنياً، كما نص على العقوبة ذاتها في حال تم ارتكاب الجريمة بحق شخص لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره من أجل ممارسة الفجور معه، وذلك وفقاً للمادة (310) من قانون العقوبات الأردني النافذ في الأراضي الفلسطينية.

في المقابل شدد المشرع العقوبة وفقاً للمادة (311) في حال كان فعل القيادة أو محاولة القيادة من خلال استعمال وسائل الإكراه كالتهديد لممارسة الدعارة سواء داخل البلاد أو خارجها، لتُصبح العقوبة الحبس من (3-1) سنوات، ورتب العقوبة ذاتها في حال ارتكب فعل القيادة بحق أنثى ليست بغياً أو معروفة بفساد أخلاقها، وذلك من خلال استعمال وسائل الخداع؛ من أجل ممارسة الدعارة.

أما في جريمة مساعدة امرأة لامرأة أخرى لممارسة الدعارة، أو إرغامها عليها، ابتغاء كسب مادي، سواء مع شخص أو ممارستها بشكل عام، فقد أفرد المشرع في نص المادة (316) عقوبة لهذه الجريمة وهي الحبس لمدة أقصاها سنة أو بعقوبة الغرامة المالية بمقدار حده الأقصى (50) ديناراً أردنياً.

كما رتب المشرع عقوبة الحبس في نص المادة (319) لمدة أقصاها (3) شهور أو بغرامة مالية حدها الأقصى (50) ديناراً أردنياً بحق كل من يقوم ببيع أي مادة بذنية أو توزيعها أو طباعتها بأية طريقة، ترمي إلى فساد الأخلاق، وكذلك في حال تم عرضها في مكان عام.

وكذلك في حال كان الجاني مُشتركا في إدارة محل يقوم ببيع تلك المواد البذنية أو نشرها أو عرضها، أو أي شيء آخر يؤدي إلى فساد الأخلاق، أو قام الجاني بالإعلان أو الترويج بأن هناك من يتعاطى ببيع تلك المواد، أو توزيعها، وذلك دون النظر إلى الوسيلة التي يستخدمها الجاني للترويج.

أما فيما يتعلق بسلوكيات هذه الجريمة في حال تم ارتكابها بحق طفل، فقد نص قرار بقانون رقم (43) لسنة 2022م بشأن تعديل قانون الطفل رقم (7) لسنة 2004م على عقوبة الأشغال الشاقة المؤقتة في المادة الرابعة منه، من (5 - 15) سنة، إلى جانب الغرامة المالية من (10000 - 40000) دينار أردني أو ما يُعادلها بالعملة المتداولة قانوناً، أو بغرامة تتساوى مع قيمة النفع الذي حصل عليه الجاني، أيهما أكثر.

وقد نصت المادة (70) من قرار بقانون رقم (38) لسنة 2021م بشأن الجرائم الإلكترونية وجرائم الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات على عقوبة متمثلة بمدة إغلاق المحل، وكذلك حجب الموقع الإلكتروني الذي تم ارتكاب الجريمة بواسطته أو فيه، إلى جانب مصادرة الأجهزة أو الوسائل المستخدمة في ارتكاب الجريمة أو الأموال المُتحصلة منها، لكن مع مراعاة الغير حسن النية، وعلى أن تكون إزالة المخالفة على نفقة الجاني.

كما نصت المادة (71) على تشديد العقوبة في حال كرر الجاني ارتكاب هذه الجريمة، بغض النظر عما لو تم ارتكابها داخل فلسطين، أو خارجها، وأن الأحكام الأجنبية تُعد سابقة في التكرار بحق الفاعل، وكذلك تشديد العقوبة في حال كان مرتكبها عصابة منظمة، وكذلك في حال التهديد أو استغلال الأطفال.

وفي المقابل نصت المادة (73) على الإعفاء من تلك العقوبات في حال قام الجاني بإبلاغ السلطات العامة عن معلومات تتعلق بالجريمة، وبالأشخاص المُشتركين فيها، وذلك قبل أن تعلم السلطات بها، كما يجوز للمحكمة أن تأمر بوقف تنفيذ العقوبة في حال تم الإبلاغ بعد علم السلطات بالجريمة وكان الإبلاغ قد أدى إلى ضبط الجناة.

وبعد استظهار العقوبات المترتبة على بعض أعمال هذه الجريمة، نرى أن تلك العقوبات لا تتناسب مع حجم الخطر الذي يترتب جراء ارتكاب أي عمل من أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، إلى جانب أن تلك النصوص التي وضعناها كانت شبه قاصرة على معالجة جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت بكامل أفعالها، كما أن محاولة تطبيق نصوص المواد الواردة في قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960م الساري في الأراضي الفلسطينية بشأن جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، يتعارض مع مبدأ أساس وجوهري وهو مبدأ الشرعية الجنائية، إلى

جانب ذلك، فإن القياس محظور في قانون العقوبات، وأن هناك جرائم مُرتكبة عبر شبكة الإنترنت سوف تخرج من نطاق التجريم؛ لصعوبة إدراجها تحت غطاء النص التقليدي؛ لعدم تجريمها في النصوص التقليدية من الأساس.

لذا كان من الأجدر على المشرع الفلسطيني عندما وضع قانون الجرائم الإلكترونية معالجة هذه الجريمة بنص خاص صريح؛ وذلك لطبيعة الجريمة وبيئتها، إلى جانب أن النصوص الواردة في قانون العقوبات والتي تُنظم أحكام بعض أعمال جريمة الدعارة والفجور والتعرض للأدب العامة غير كافية ولا عادلة؛ فما نقصده بعدم الكفاية أنه، وبالرجوع إلى قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960 الساري في الأراضي الفلسطينية بسبب عدم وجود نص في قرار بقانون بشأن الجرائم الإلكترونية، لم نجد أي نص قانوني يسعنا في معالجة التحريض أو حتى الإغواء والاعلان عن ممارسة الفجور كما هو الحال في التشريع المصري والأردني، فلو قام شخص بالإعلان عن نفسه لممارسة الفجور المتمثل بفعل اللواط عبر شبكة الإنترنت من خلال إنشاء صفحة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، لن نجد نصاً قانونياً كافياً يُمكنه معالجة هذه الواقعة.

أما ما نقصده بأن النصوص الواردة في قانون العقوبات غير عادلة، فذلك عندما قمنا بتوضيح نص المادة (310/1) من قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960م النافذ في الأراضي الفلسطينية والتي جاءت تحت عنوان الحُض على الفجور، وجدنا أن المشرع اشترط أن يكون عُمر الأنثى دون العشرين، وذلك عند قيادتها أو محاولة قيادتها لممارسة الدعارة والفجور.

وبالمعنى العكسي في حال كان عُمر الأنثى قد تجاوز عُمر العشرين فلا نكون أمام جريمة، ونحن نعلم أن الأنثى بعمر العشرين قد تكون قادرة على التمييز بين ما هو صواب من عدمه، لكن هذا في حال كانت الأنثى سليمة العقل، فماذا لو كانت الأنثى تُعاني من بعض الأمراض العقلية أو النفسية؟!، أليس من العدل حمايتها من أعمال هذه الجريمة دون النظر إلى عمرها؟

ومن جهة أخرى اشترط المشرع في الفقرة ذاتها أن تكون الأنثى غير بغية ولا معروفة بفساد الأخلاق أيضاً، فكان المشرع في هذا القيد، يستثني الأنثى البغية من الحماية الجزائية لها من أعمال جريمة الدعارة والفجور، وهذا يتنافى مع مبدأ دستوري، ألا وهو المساواة بين أفراد المجتمع أمام القانون وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات دون تمييز لأي سبب غير مشروع.

ولأن دولة فلسطين طرف في بعض الاتفاقيات الدولية والتي عالجتها أعمال الدعارة والفجور بأي شكل كانت عليه، ولأن تلك الاتفاقيات لم تشترط - على الإطلاق في أي بند من بنودها - سن الأنثى التي تُرتكب تلك الأعمال بحقها، ولا عفتها وطهارتها، بل إنها - أي الاتفاقيات الدولية - لم تعدد برضاء الأنثى في تلك الأحوال، ولأن تلك الاتفاقيات ألزمت الدول الأطراف فيها بالتماشي مع ما جاء في مضمونها في القانون الداخلي لها، وأن الدستور الفلسطيني كان قد أكد على ذلك، فكيف يتم إفراد مثل ذلك القيد في التجريم أو عدم تعديله؟ وآخر ما نود التأكيد عليه أن تلك النصوص لا تتناسب مع عصر التطور التكنولوجي الذي نعيش فيه.

6.2 الجهود الدولية المرصودة لمكافحة جريمة أفعال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت

هناك اتفاقيات حظرت أفعال هذه الجريمة بصورة خاصة ومباشرة، وهناك اتفاقيات حظرتها على وجه العموم، كما أن هناك اتفاقيات خاصة بحماية البالغين وحماية من هم دون سن الثامنة عشرة من أفعال هذه الجريمة، ولتوضيح ذلك سنتناول الاتفاقيات التي حظرت هذه الجريمة المرتكبة بحق البالغين (الفرع الأول)، والاتفاقيات التي حظرت هذه الجريمة المرتكبة بحق الأطفال (الفرع الثاني).

6.2.1 الجهود الدولية المرصودة لمكافحة جريمة أعمال الدعارة والفجور الماسة بالبالغين عبر شبكة الإنترنت

من الاتفاقيات الدولية التي دعت الدول الأطراف فيها إلى حظر أفعال الدعارة بشكل صريح، اتفاقية حظر الاتجار بالأشخاص واستغلال دعارة الغير، فدعت المادة (1) من هذه الاتفاقية الدول الأطراف فيها إلى إفراد عقوبة بحق كل من يقوم بقوادة شخص أو تضليله بهدف ممارسة الدعارة حتى لو كان هذا الشخص راضياً، إلى جانب ذلك أنها حظرت استغلال دعارة الغير حتى لو رضي الغير أيضاً، كما نصت المادة (27) منها على دعوة كل طرف بهذه الاتفاقية إلى تطبيقها، من خلال اتخاذ تدابير تشريعية وغير تشريعية وفقاً للدستور.

كما جاء في بروتوكول منع الاتجار بالأشخاص، وقمع مرتكبيه ومعاقبتهم، وبخاصة النساء والأطفال، المكمل لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، وفقاً للمادة (2/أ)، منه منع الاتجار بالأشخاص، ومكافحته، مع إيلاء اهتمام خاص بالنساء والأطفال؛ في المقابل نصت المادة (3/أ) منه على حظر استغلال دعارة الغير أو سائر أشكال الاستغلال الجنسي.

وفي المقابل هناك اتفاقيات جرّمت أفعال الدعارة والفجور والتعرض للأدب العامة المرتكبة عبر الإنترنت والتي منها: الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات لعام 2010م، جاء في نص المادة (5) من الفصل الثاني لتلك الاتفاقية: إلزام الدول الأطراف فيها بتجريم أفعال الإباحية، والتي تتضمن نشر مواد إباحية أو مخلة بالحياء أو توزيعها أو بيعها عبر تقنية المعلومات، إلى جانب تشديد العقوبة حال ارتكابها بحق الأطفال أو حيازة مواد إباحية تتعلق بهم، كما نصت الاتفاقية على تجريم الجرائم المرتبطة بالإباحية والتي منها جريمة الاستغلال الجنسي المُرتكب عبر تقنية المعلومات.

6.2.2 الجهود الدولية المرصودة لمكافحة جريمة أعمال الدعارة والفجور الماسة بالأطفال عبر شبكة الإنترنت

هناك اتفاقيات خاصة بحظر هذه الجريمة، لكنها جاءت لحماية الأطفال، ومن ضمن تلك الاتفاقيات: البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال واستغلالهم في البغاء وفي المواد الإباحية لعام 2000م، فقد نصت المادة الأولى منه على أن تحظر الدول الأطراف بيع الأطفال أو استغلالهم في البغاء أو المواد الإباحية. إلى جانب اتفاقية مجلس أوروبا (بودابست) المتعلقة بالجريمة الإلكترونية والتي تناولت - ضمن نصوصها - تجريم كل ما هو متعلق بالمواد الإباحية عن الأطفال، وفقاً للمادة (9) في فقرتها الأولى، فدعت الدول الأطراف فيها لاتخاذ تدابير تشريعية في قانونها الوطني لتجريم السلوكيات الآتية، إذا تم ارتكابها قصداً ودون وجه حق عبر نظام الكمبيوتر: 1- إنتاج مواد إباحية عن الأطفال بغرض توزيعها. 2- عرض مواد إباحية عن الأطفال أو إتاحتها. 3- توزيع مواد إباحية عن الأطفال أو نقلها. 4- الحصول على مواد إباحية عن الأطفال لمصلحة الشخص ذاته أو لفائدة الغير. 5- حيازة مواد إباحية عن الأطفال داخل نظام الكمبيوتر أو على دعامة لتخزين بيانات الكمبيوتر.

في المقابل وضحت الفقرة الثانية من المادة ذاتها كل ما يقع ضمن عبارة مواد إباحية عن الأطفال، كالمواد الإباحية التي تُعرض بشكل مرئي، والتي منها: 1- قاصر وهو يمارس سلوكاً جنسياً واضحاً. 2- شخص يبدو قاصراً وهو يمارس سلوكاً جنسياً واضحاً. 3- صور واقعية تظهر قاصراً وهو يمارس سلوكاً جنسياً واضحاً.

وهناك أيضاً معاهدة لمجلس أوروبا تتعلق بحماية الأطفال من الاستغلال والاعتداء الجنسي لعام 2007م، فقد نصت المادة (1) منها في الفقرة الأولى على هدف هذه الاتفاقية، وهو منع الاستغلال والاعتداء الجنسي على الأطفال، ومكافحته، في حين نصت المادة (19) على تجريم استغلال الأطفال بالدعارة بشكل صريح، فدعت الدول الأطراف فيها لاتخاذ تدابير تشريعية وغيرها لتجريم السلوكيات التالية: " 1. تشغيل طفل في الدعارة أو تشجيع مشاركة طفل في الدعارة. 2. إكراه طفل على ممارسة الدعارة أو جني أرباح أو استغلال طفل بأي شكل من الأشكال لهذا الغرض. 3. اللجوء إلى طفل يُمارس الدعارة".

أما الفقرة الثانية من ذات المادة فقد وضحت المقصود بمصطلح دعارة الأطفال والذي يُشير إلى "استخدام طفل لأغراض جنسية من خلال تقديم مبالغ مالية أو وعود بدفع مبلغ من المال أو أي شكل آخر من أشكال الأجور، أو الدفع أو الامتيازات، سواء كان الأجر، الدفع أو الوعد مقدماً للطفل أو لطرف ثالث".

إلى جانب ذلك نصت المادة (20/1) على تجريم الجرائم القصديّة المتعلقة باستغلال الأطفال في المواد الإباحية، مثل: "أ. إنتاج المواد الإباحية التي تعرض الأطفال. ب. عرض مواد إباحية تعرض الأطفال أو توفيرها. ت. توزيع مواد إباحية تعرض الأطفال أو بثها. ث. الحصول على مواد إباحية تعرض الأطفال أو توفيرها للغير. ج. حيازة مواد إباحية تعرض الأطفال. ح. الولوج - عن علم ومن خلال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات - إلى مواد إباحية تعرض الأطفال".

في المقابل نصت المادة (21) على تجريم فعل تجنيد طفل للمشاركة في عرض إباحي أو تشجيعه أو إرغامه على ذلك، أو جني أرباح من مشاركة الطفل في العرض الإباحي، أو استغلاله بأي شكل لذلك.

كما نصت المادة (22) أيضاً على فساد الأطفال، فألزمت الدول الأطراف بضرورة اتخاذ التدابير التشريعية اللازمة من أجل تجريم فعل حث طفل لم يبلغ السن المحددة في الفقرة 2 من المادة (18)، بشكل مُتعمد، ولأغراض جنسية، على مشاهدة اعتداء جنسي أو نشاطات جنسية حتى لو لم يشارك فيها.

أما المادة (23)، فقد نصت على استمالة الأطفال لأغراض جنسية، فأوجبت على الدول الأطراف اتخاذ التدابير التشريعية اللازمة أو تدابير أخرى لتجريم فعل قيام شخص راشد بشكل متعمد، وبواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بعرض الالتقاء بطفل لم يبلغ السن المحددة في الفقرة 2 من المادة 18، بغية ارتكاب أي من الجرائم المحددة بموجب الفقرة 1 (أ) من المادة 18، أو الفقرة 1 (أ) من المادة 20 بحقه، واتباع هذا العرض بأفعال مادية أدت إلى هذا اللقاء.

كما نصت المادة (24) على تجريم فعل التحريض أو المساعدة والمحاولة، وذلك عندما دعت الدول الأطراف إلى اتخاذ تدابير تشريعية أو أخرى لإقرار أن المساعدة في تنفيذ أي من الجرائم المحددة في الاتفاقية الراهنة أو التحريض على ارتكابها، تُعدان جريمتين جنائيتين في حال ارتكابهما بشكل مُتعمد.

7. الخاتمة

بعد تناول جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، خلص الباحثان إلى بعض النتائج والتوصيات، نبدأ بذكر النتائج أولاً كالتالي:

- 1) تقوم جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت على عمل التحريض والمساعدة والتسهيل والقيادة والإغواء والاستخدام والترويج من أجل ممارسة الدعارة أو الفجور أو أي عمل من الأعمال الماسة بالأخلاق والآداب العامة.
- 2) تتطلب جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت قصداً خاصاً إلى جانب القصد العام المتمثل بالعلم والإرادة لدي الجاني، فيتمثل القصد الخاص بأنه عندما يقوم الجاني بأي عمل من الأعمال المكونة للركن المادي أن يقصد ممارسة المجني عليه الدعارة أو الفجور وتمكينه من ذلك، سواء مع الجاني أو مع الغير لإرضاء الشهوات، وسواء أكانت مادية أم عن طريق المشاهدة، بتميز أم من دون تمييز، وكذلك بأجر أم من دون أجر.
- 3) لا يُشترط لإنزال العقاب على مُرتكب هذه الجريمة الاعتياد.

(4) المصلحة المحمية في هذه الجريمة هي الآداب العامة والحياء، وهذه مصلحة معنوية وعامة، ففي جميع الأحوال لا يُعتمد برضاء المجني عليه لقيام الجريمة، كما تعدّ هذه الجريمة من جرائم الخطر العام؛ كونها تعرّض المصلحة محل الحماية إلى الخطر، وعليه فلا يشترط لوقوعها حدوث ضرر بالفعل.

8. التوصيات

- (1) يوصي الباحثان كلا من المشرع الفلسطيني والأردني بضرورة سد الفراغ التشريعي بشأن تجريم فعل الفجور وعلى الأخص فعل اللواط؛ كون البغاء مجرماً في القانون، وأن كلا المشرعين جرّم البغاء المُتمثل بأعمال الدعارة وحدها في قانون العقوبات، ولم يُجرّم عمل الفجور المُتمثل باللواط، ولكي يتم إفراد التجريم والعقاب على أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت، فلا بد ابتداء من تجريم فعل اللواط؛ فلا يُعقل تجريم عمل الترويج أو التحريض أو الإغواء عبر شبكة الإنترنت لممارسة اللواط، في حين أن فعل اللواط غير مُجرّم ابتداء في القانون، وعليه تقترح الباحثة النص التالي: م (309) عقوبات مكرر: "1- يُعاقب كل شخص مارس اللواط بالحبس مدة لا تقل عن أربع سنوات، وبغرامة مالية لا تقل عن (5000) دينار أردني. 2- تُضاعف العقوبة المنصوص عليها في الفقرة السابقة في حال تم ارتكاب فعل اللواط بحق من لم يُكمل سن الثامنة عشرة ميلادية، وكذلك بحق من يُعاني من أمراض عقلية أو نفسية أو إعاقة جسدية".
- (2) يوصي الباحثان المشرع الفلسطيني بضرورة إفراد حماية جزائية من خلال التجريم والعقاب على جريمة أعمال الدعارة والفجور عبر شبكة الإنترنت اقتداء بالمشرع الأردني، لعدم وجود نصوص خاصة صريحة تُنظم هذه الجريمة في قرار بقانون رقم (38) لسنة 2021م، بشأن الجرائم الإلكترونية وجرائم الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، إلى جانب عجز النصوص التقليدية عن استيعاب أعمال هذه الجريمة، وأن بعض النصوص غير عادلة كما وضحنا، وعليه تقترح الباحثة النص القانوني التالي:
- (4) م (17) قانون جرائم إلكترونية وجرائم الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات مكرر:
- (5) "1- يُعاقب كل من أستخدم الشبكة المعلوماتية أو تقنية المعلومات للتحريض أو المساعدة أو التسهيل أو الاستدراج أو الإغواء أو القيادة أو الاستخدام أو الترويج للدعارة أو الفجور أو أي عمل يمس بالآداب العامة، بالسجن مدة لا تقل عن (4 سنوات)، وبغرامة مالية لا تقل عن (7000) دينار أردني. 2- تُضاعف العقوبة المنصوص عليها في الفقرة السابقة في حال تم ارتكاب الجريمة بحق من لم يُكمل سن الثامنة عشرة ميلادية، وكذلك بحق من يُعاني من أمراض نفسية أو عقلية".
- (6) يوصي الباحثان المشرع الفلسطيني بإزالة شرط التجريم في نص المادة (310/1) من قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960 النافذ في الأراضي الفلسطينية، المُتمثل بعمر الأنثى وهو (دون العشرين) من أجل تجريم قيادتها أو محاولة قيادتها للدعارة، وكذلك إزالة شرط التجريم في الفقرة ذاتها والمُتمثل بالأنثى (بغياً أو معروفة بفساد الأخلاق)؛ لأنه كما وضحنا أن الجميع سواسية أمام القانون فيما لهم وما عليهم من حقوق وواجبات. وهذا ما أكدّه القانون الأساسي الفلسطيني المعدل لسنة 2003م، ومن ثم فإن الاتفاقيات الدولية التي أفردت حماية تشريعية للنساء من جرائم الاستغلال الجنسي كالدعارة على سبيل المثال، لم تشترط لتطبيق الحماية القانونية أن تكون الأنثى بسن مُعينة، كما أنها لم تشترط عفة الأنثى، وطهارتها، بل لم تعدد بموافقة الأنثى إن وجدت على أعمال الدعارة، ففي كل الأحوال حمايتها واجبة.

9. قائمة المراجع

9.1 المراجع باللغة العربية

القوانين

- اتفاقية حظر الاتجار بالأشخاص واستغلال دعارة الغير 1949م.
- قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960م.
- قانون مكافحة الدعارة المصري رقم (10) لسنة 1961م.
- بروتوكول منع الاتجار بالأشخاص، وقمع القائمين عليه ومعاقبتهم، وبخاصة النساء والأطفال، المُكمل لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية 2000م.
- اتفاقية مجلس أوروبا (بودابست) المتعلقة بالجريمة الإلكترونية 2001.
- القانون الأساسي الفلسطيني المعدل لسنة 2003م.
- معاهدة لمجلس أوروبا تتعلق بحماية الأطفال من الاستغلال والاعتداء الجنسي لعام 2007م.
- الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات لعام 2010م.
- قانون رقم (175) لسنة 2018م بشأن مكافحة جرائم تقنية المعلومات.
- قرار بقانون رقم (38) لسنة 2021م بشأن الجرائم الإلكترونية وجرائم الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات.
- قرار بقانون رقم (43) لسنة 2022م بشأن تعديل قانون الطفل الفلسطيني رقم (7) لسنة 2004م وتعديلاته.
- قانون الجرائم الإلكترونية الأردني رقم (17) لسنة 2023م.

قرارات المحاكم

قرار محكمة النقض المصرية بصفتها الجزائية، رقم (2005/8898)، 5/5/2005، منشورات قسطاس.
 قرار محكمة النقض المصرية بصفتها الجزائية، رقم (2015/23848)، 25/2/2015، منشورات قسطاس.
 قرار محكمة النقض المصرية بصفتها الجزائية، رقم (2016/39474)، 2/4/2016، منشورات قسطاس.
 قرار محكمة النقض المصرية بصفتها الجزائية، رقم (2016/18048)، 7/5/2016، منشورات قسطاس.
 قرار محكمة النقض المصرية بصفتها الجزائية، رقم (2016/23466)، 28/1/2016، منشورات قسطاس.
 قرار محكمة النقض المصرية بصفتها الجزائية، رقم (2016/922)، 24/9/2016، منشورات قسطاس.
 قرار محكمة النقض المصرية بصفتها الجزائية، رقم (2015/31472)، 28/5/2015، منشورات قسطاس.
 قرار محكمة التمييز الأردنية بصفتها الجزائية، رقم (2023/5571)، 27/11/2023، منشورات قسطاس.
 قرار محكمة التمييز الأردنية بصفتها الجزائية، رقم (2014/883)، 27/7/2014، منشورات قسطاس.
 قرار محكمة بداية عمان بصفتها الجزائية، رقم (2023/44)، 16/3/2023، منشورات قسطاس.

المراجع العربية

بوزرارة، م. (2020). الإطار القانوني لجرائم المرأة، (رسالة دكتورا، جامعة الإخوة منتوري)، الجزائر.
 د/ حافظ، م. (2007): موسوعة الجرائم المخلة بالأداب العامة وجرائم العرض، ج1، القاهرة: دار العدالة للنشر والتوزيع.
 د/ حتاتة، م. (1983): جرائم البغاء، دراسة مقارنة، ط2، القاهرة: مكتبة وهبة للنشر والتوزيع.
 د/ الحسيني، ع. (2017): جرائم الحاسوب والإنترنت، ط1، بيروت: مكتبة زين الحقوقية والأدبية للنشر والتوزيع.
 الخلي، ش. (2009): الجرائم المستخدمة بطرق غير مشروعة لشبكة الإنترنت، دراسة مقارنة، القاهرة: دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.
 الدرويش، ت. جاسم، أ. (2023). المرأة الضحية في المجال الجنائي، مجلة جامعة دهوك، مج 26، (1).
 الزعبي، م. (2019): جرائم الحظ على الفجور، دراسة مقارنة بين التشريعين القطري والأردني، إربد للبحوث والدراسات، مج23، (2).
 د/ السعيد، ك. (1995): شرح قانون العقوبات – الجرائم الواقعة على الأخلاق والأداب العامة والأسرة، دراسة تحليلية ومقارنة، ط1، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
 د/ الطويلة، ع. (2008). الحماية الجنائية لمواجهة الجرائم الأخلاقية المستحدثة في التشريع الأردني والإماراتي، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، (35).
 عادل، ش. (2016). فعل الدعارة – قراءة نظرية تحليلية في مفهومه وأسبابه، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، (3).
 عبد التواب، م. (1983): الموسوعة الشاملة في الجرائم المخلة بالأداب العامة وجرائم هتك العرض، القاهرة: دار المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع.
 عبد الكريم، ع. (2018). الركن المادي للجريمة، بحث كجزء من متطلبات نيل البكالوريوس في القانون، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة ديالى.
 د/ العيسوي، ع. (2004): الجريمة والشذوذ العقلي، الإسكندرية: منشورات الحلبي الحقوقية.
 لعال، ذ. (2020). تحديات مكافحة جريمة الاتجار بالبشر في ظل التطور التكنولوجي، المحلل القانوني، جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة، مج2، (1).
 الألفي، م. (2008): المسؤولية الجنائية عن الجرائم غير الأخلاقية عبر شبكة الإنترنت، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث للنشر والتوزيع.
 لمرى، ب. (2022): لجنة السوشيال ميديا – ثقافة اجتماعية وقانونية -، ط1، القاهرة: دار الأهرام للنشر والتوزيع.
 المختار، أ. (5، 2019 أغسطس)، العقد والنظام العام والأداب العامة، مجلة القانون والأعمال الدولية.
 مصطفى، د. (2021). جريمة الدعارة في التشريع الجزائري والمقارن، (رسالة ماجستير، جامعة زيان عاشور)، الجزائر.

9.2 رومنة المراجع العربية

Ittifaqiyyat Hadr al-Ittihar bil-Ashkhas wa Istighlal Da'arat al-Ghayr (1949).
 Qanun al-'Uqubat al-Urduni No. (16) li-Sanat 1960.
 Qanun Mukafahat al-Da'ara al-Misri No. (10) li-Sanat 1961.
 Brutukul Man' wa Qam' wa Mu'aqabat al-Ittihar bil-Ashkhas, wa bi-Khassah al-Nisa' wa al-Atfal, al-Mukammil li-Ittifaqiyyat al-Umam al-Muttahida li-Mukafahat al-Jarima al-Munazzama 'Abr al-Wataniyya (2000).
 Ittifaqiyyat Majlis Urubba al-Muta'alliqa bil-Jarima al-Ilktruniyya (Budapest Convention) (2001).
 Al-Qanun al-Asasi al-Filastini al-Mu'addal (2003).
 Mu'ahadat Majlis Urubba al-Muta'alliqa bi-Himayat al-Atfal min al-Istighlal wa al-I'tida' al-Jinsi (2007).
 Al-Ittifaqiyya al-'Arabiyya li-Mukafahat Jara'im Taqniyat al-Ma'lumat (2010).
 Qanun No. (175) li-Sanat 2018 bi-Sha'n Mukafahat Jara'im Taqniyat al-Ma'lumat.
 Qarar bi-Qanun No. (38) li-Sanat 2021 bi-Sha'n al-Jara'im al-Ilktruniyya wa Jara'im al-Ittisalat wa Taqniyat al-Ma'lumat.
 Qarar bi-Qanun No. (43) li-Sanat 2022 bi-Sha'n Ta'dil Qanun al-Tifl al-Filastini No. (7) li-Sanat 2004 wa Ta'dilatihi.

- Qanun al-Jara'im al-Iktruniyya al-Urduni No. (17) li-Sanat 2023.
- Bouzarara, M. (2020). Al-itar al-qanuni li-jara'im al-mar'a (Risalat Dukturah, Jami'at al-Ikhwa al-Munturi), al-Jaza'ir.
- Hafiz, M. (2007). Mawsu'at al-jara'im al-mukhilla bil-adab al-'amma wa jara'im al-'ard (Vol. 1). Al-Qahira: Dar al-'Adala lil-Nashr wa al-Tawzi'.
- Hatata, M. (1983). Jara'im al-bigha': dirasah muqaranah (2nd ed.). Al-Qahira: Maktabat Wahba lil-Nashr wa al-Tawzi'.
- Al-Husseini, A. (2017). Jara'im al-hasub wa al-internet (1st ed.). Bayrut: Maktabat Zayn al-Huquqiyya wa al-Adabiyya lil-Nashr wa al-Tawzi'.
- Al-Khayli, Sh. (2009). Al-jara'im al-mustakhdama bi-turuq ghayr mashru'a li-shabakat al-internet: dirasah muqaranah. Al-Qahira: Dar al-Nahda al-'Arabiyya lil-Nashr wa al-Tawzi'.
- Al-Sa'id, K. (1995). Sharh qanun al-'uqubat: al-jara'im al-waqi'a 'ala al-akhlaq wa al-adab al-'amma wa al-usra (1st ed.). 'Amman: Dar al-Thaqafa lil-Nashr wa al-Tawzi'.
- Al-Tawalba, A. (2008). Al-himaya al-jina'iyya li-muwajahat al-jara'im al-akhlaqiyya al-mustahdatha fi al-tashri' al-urduni wa al-imarati. Majallat al-Shari'a wa al-Qanun, (35).
- 'Adil, Sh. (2016). Fi'l al-da'ara: qira'a nazariyya tahliliyya fi mafhumihi wa asbabihi. Al-Majalla al-Maghribiyya lil-Dirasat al-Tarikiyya wa al-Ijtima'iyya, (3).
- 'Abd al-Tawwab, M. (1983). Al-mawsu'a al-shamila fi al-jara'im al-mukhilla bil-adab al-'amma wa jara'im hatk al-'ard. Al-Qahira: Dar al-Matbu'at al-Jami'iyya lil-Nashr wa al-Tawzi'.
- 'Abd al-Karim, A. (2018). Al-rukn al-maddi lil-jarima (Bahth li-mutatalabat nayl darajat al-bakaluryus fi al-qanun). Jami'at Diyala.
- Al-'Isawi, A. (2004). Al-jarima wa al-shudhudh al-'aqli. Al-Iskandariyya: Manshurat al-Halabi al-Huquqiyya.
- La'jal, Dh. (2020). Tahaddiyat mukafahat jarimat al-ittijar bil-bashar fi dhill al-tatawwur al-tiknulugi. Al-Muhallil al-Qanuni, 2(1).
- Al-Alfi, M. (2008). Al-mas'uliyya al-jina'iyya 'an al-jara'im ghayr al-akhlaqiyya 'abr shabakat al-internet. Al-Iskandariyya: Al-Maktab al-Jami'i al-Hadith lil-Nashr wa al-Tawzi'.
- Lamra, B. (2022). La'nat al-social media: thaqaifa ijtimaiyya wa qanuniyya (1st ed.). Al-Qahira: Dar al-Ahram lil-Nashr wa al-Tawzi'.
- Al-Mukhtar, A. (2019, August). Al-'aqd wa al-nizam al-'amm wa al-adab al-'amma. Majallat al-Qanun wa al-A'mal al-Duwaliyya.
- Mustafa, D. (2021). Jarimat al-da'ara fi al-tashri' al-jaza'iri wa al-muqaran (Risalat Majistir, Jami'at Ziyar 'Ashur), al-Jaza'ir.
- Qarar Mahkamat al-Naqd al-Misriyya (Jina'iyya), No. 8898/2005, 5/5/2005, Manshurat Qistas.
- Qarar Mahkamat al-Naqd al-Misriyya (Jina'iyya), No. 23848/2015, 25/2/2015, Manshurat Qistas.
- Qarar Mahkamat al-Naqd al-Misriyya (Jina'iyya), No. 39474/2016, 2/4/2016, Manshurat Qistas.
- Qarar Mahkamat al-Naqd al-Misriyya (Jina'iyya), No. 18048/2016, 7/5/2016, Manshurat Qistas.
- Qarar Mahkamat al-Naqd al-Misriyya (Jina'iyya), No. 23466/2016, 28/1/2016, Manshurat Qistas.
- Qarar Mahkamat al-Naqd al-Misriyya (Jina'iyya), No. 922/2016, 24/9/2016, Manshurat Qistas.
- Qarar Mahkamat al-Naqd al-Misriyya (Jina'iyya), No. 31472/2015, 28/5/2015, Manshurat Qistas.
- Qarar Mahkamat al-Tamyeer al-Urduniyya (Jina'iyya), No. 5571/2023, 27/11/2023, Manshurat Qistas.
- Qarar Mahkamat al-Tamyeer al-Urduniyya (Jina'iyya), No. 883/2014, 27/7/2014, Manshurat Qistas.

The Crime of Prostitution and Debauchery via the Internet

"A Descriptive, Analytical and Comparative Study"

Ghassan Eleyan^{1*}, Sara Abu Al- Hassan²

¹Assistant Professor of Law at the Arab American University

²Lawyer and Postgraduate Researcher at the Arab American University

Corresponding author: ghassan.eleyan@aaup.edu

Received: 21/02/2025.

Revised: 03/04/2025.

Accepted: 31/01/2026.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.14

Abstract

Objectives: The present study aimed to shed light on the crime of prostitution and debauchery via the Internet in terms of the legislation and laws in Egypt, Jordan, and Palestine. This was to explain the legal basis on which this crime is based .

Methodology: The present study employed the descriptive, analytical and comparative approach by explaining the nature of the crime of prostitution and debauchery via the Internet. Moreover, this study analyzed the forms of physical behavior on which the crime of prostitution and debauchery is based, and then the criminal penalties resulting from this crime in accordance with Palestinian, Jordanian and Egyptian legislation in addition to addressing the treatment of this crime in international law.

Results: The element of habituality is not required to impose punishment on the perpetrator of this crime.

Conclusion: It is necessary to fill the legislative gap regarding the criminalization of the act of debauchery, especially the act of sodomy, in both Palestinian and Jordanian legislation as the fact that prostitution is criminalized in law and that both legislators criminalized prostitution represented by acts of prostitution alone in the Penal Code, but did not criminalize the act of debauchery represented by sodomy. In order for it to be correct to single out the criminalization and punishment for acts of prostitution and debauchery via the Internet, it is necessary to begin by criminalizing the act of sodomy. It is not sensible to criminalize the act of promoting, inciting, or seducing people via the Internet to practice sodomy, while the act of sodomy is not principally criminalized in law.

Keywords: acts, without discrimination, prostitution and debauchery, common sense, the Internet, punishment.



**JOURNAL OF THE
ARAB AMERICAN UNIVERSITY**
مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث

**Stress and resilience in women victims of domestic violence:
Clinical study**

Benghalem Imen

Department of Psychology, Educational Sciences, and Orthophony Clinical Psychology Laboratory
(LPC) Sétif 2 University- Algeria.

Corresponding Author: i.benghalem@univ-setif2.dz

Received: 19/06/2025.

Revised: 25/06/2025.

Accepted: 12/02/2026.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.15

Abstract

Background: Domestic violence, as a recurrent and intentional form of interpersonal trauma aligned with Type II (complex) trauma, inflicts profound psychological and social harm on women, leading to chronic stress, emotional dysregulation, low self-esteem, and persistent feelings of fear and helplessness.

Objective: This study aimed to examine the psychological and social factors shaping women's responses to domestic violence by comparing less resilient and resilient abused women.

Methods: A qualitative clinical design was adopted to analyze eight cases of abused women (five less resilient and three resilient) using in-depth clinical interviews and standardized scales (CD-RISC, PSS, Rosenberg Self-Esteem Scale, SCL-90-R).

Results: Less resilient women showed higher acceptance of violence, elevated stress, and greater psychological symptom severity. They relied on immature defense mechanisms (justification, denial), remained silent to preserve family stability, and displayed economic dependency and lack of social support. Their coping was characterized by submission, fear of stigma, and hope for partner change. In contrast, resilient women demonstrated higher self-esteem, lower stress levels, and greater psychological stability. They showed rapid danger perception, mature coping strategies, active help-seeking, emotional and spiritual support utilization, and future-oriented planning.

Conclusions: The findings emphasized that resilience is shaped by the interaction of personal resources (self-efficacy, self-confidence) and environmental support. Strengthening protective factors and social support networks is crucial for promoting recovery and empowerment among survivors of domestic violence.

Keywords: Domestic violence, Resilience, Stress, women.

1. Introduction

Domestic violence is a long-standing phenomenon in human history, prevalent across all societies regardless of social class or group. It is not confined to a specific country or community but occurs within diverse social, economic, cultural, religious, and ideological contexts. Within the framework of the marital relationship—supposed to be based on love, cooperation, mutual respect, and protection—the wife may be exposed to various forms of violence and abuse arising from social, cultural, educational, and psychological factors,

ultimately leading to suffering and harm. Violence inflicted by the husband constitutes a real threat and causes profound psychological distress (Audet, 2002, p. 127). Consequently, women may experience sadness, frustration, low morale, self-loathing, and difficulty in decision-making, which weakens their capacity to confront or resist this hostile relationship. Over time, this may result in submission to the husband's inhuman practices, leading to instability and imbalance within the family system, as women represent a fundamental pillar of family cohesion.

This phenomenon attracted wide scientific and global interest and was examined from multiple perspectives. Some approaches focused on the forms, causes, and effects of violence against wives, while others explored the mental health of abused women and strategies for intervention. Numerous studies investigated the domestic violence in relation to various psychological and social variables. In this study, the researcher sought to understand the factors that explain the variation in women's responses to spousal violence. Scientific evidence confirms that exposure to domestic violence contributes to the emergence of psychological and physical disorders. Salmona (2010) indicated that abused women are more likely to seek medical consultations, require emergency care, be hospitalized, and take sick leave. Violence is therefore considered a major health risk factor. This is further supported by the World Health Organization's Multi-Country Study, which found that women who experienced domestic violence reported poorer health, recent pain, difficulty in daily functioning, and greater emotional distress, including suicidal ideation (Madhani et al., 2017). These findings demonstrated that violence against women constitutes a global public health problem (Tsirigotis & Łuczak, 2018, p. 202) requiring urgent intervention.

Domestic violence is a traumatic event characterized by its recurrence and intentional nature, as it results from deliberate acts of harm inflicted by one person upon another (Romano, 2013, p. 8). It represents a profoundly negative life experience and a major source of traumatic stress for affected women (Pull, 2004, p. 168). Persistent exposure generates a continuous state of fear, leading to chronic stress and emotional distress (Benes & Bernard, 2003, p. 33). This prolonged suffering often exceeds women's coping capacities, resulting in psychological damage accompanied by feelings of helplessness (Siles, Laforêt, & Costantino, 2011). Consequently, abused women may experience exhaustion, instability, and loss of control over their lives (Al-Dawa & Darwish, 2008, p. 6). Over time, they may come to perceive violence as an inevitable fate, which undermines their self-confidence and self-esteem.

However, women's responses to domestic violence vary. Some women demonstrate resilience and manage to preserve their psychological health, enabling them to adapt positively despite adversity. Resilience refers to reduced vulnerability and the ability to cope effectively (Tsirigotis & Łuczak, 2018, p. 203). This ability to adapt positively to the violence to which they are exposed leads to differences in reactions and levels of vulnerability among abused wives. These variations can be attributed to individual abilities and personal factors, as well as environmental factors that contribute to the resilience or non-resilience of these women in the face of abuse. In fact, resilience is composed of two dimensions: resistance to destruction, which relates to one's ability to protect their integrity under strong pressure, and the ability to build or create a life worth living despite adverse circumstances (Labronici, 2012, p. 630). It emerges from the capacity to assign meaning to stressful events, mobilize internal resources, and develop adaptive strategies (Levesque, 2011, p. 19). While resilience does not eliminate emotional scars, it enables individuals to activate compensatory mechanisms (Lemay, 2001, p. 136). In this context, some women reinterpret violence, while others draw strength from positive aspects of their environment (Lemay, 2001, p. 139).

Through this research, the researcher attempted to identify the resources and capacities available to women victims of violence that enabled them to effectively resist this type of abuse.

At the same time, the researcher also explored the protective factors, both environmental and personal, that helped some of these women to withstand and recover despite living in a family environment that was threatening, shocking, and stressful. Werner-Wilson, Zimmerman, et al. (2000), Davis (2002), Kennedy (2005), and Crête (2009) highlighted this in their studies.

Domestic violence is considered a cumulative traumatic event classified as Type II trauma, characterized by its repeated occurrence over time (Gaucher, 2014, p. 9). Dutton et al. (2005) identified two main responses: traumatic and strategic. While some women develop psychological distress, others demonstrate resilience and protect their mental well-being. Individuals who experience trauma without developing psychological disorders are considered resilient (Kedia et al., 2008, p. 185).

Consequently, the researchers came up with the following research questions:

- What factors determine a woman's reaction to spousal violence?
- Which personal and environmental factors contribute to resilience among abused women?
- What distinguishes resilient women from those who are unable to cope?

2. Hypotheses

To answer these questions, the researcher made the following hypotheses:

1. The response of a woman who is a victim of domestic violence varies depending on her ability to accept or reject the violence inflicted by her husband, as follows :
 - o A less resilient woman accepts the violence directed against her and is unable to confront it.
 - o A resilient woman rejects the violence directed against her, which helps her confront and cope with it.
2. Domestic violence affects the mental health of the battered woman and her ability to face up, depending on whether she accepts or rejects the violence, as follows:
 - o A wife who is exposed to domestic violence and accepts it experiences psychological disorders that limit her ability to cope.
 - o A woman who is exposed to domestic violence and rejects it maintains good mental health, which helps her initiate and cope with the process of resilience.
3. A woman's response (resilient or less resilient) to domestic violence is linked to certain personal (subjective) characteristics and environmental factors, as follows:
 - o Insufficient personal resources (e.g., low self-esteem, low self-confidence) and environmental factors (e.g., economic dependence) generate stress among women victims of domestic violence.
 - o The emergence of resilience in a woman who is a victim of domestic violence is associated with personal factors (e.g., high self-esteem, positive aspirations for the future) and environmental factors (e.g., the presence of social support).

3. Operational Definitions of the Study Terms

Domestic Violence:

Operationally defined as any form of abuse (physical, psychological, verbal, sexual, or economic) perpetrated by the husband within the marital relationship, where he assumes a position of power to control or dominate his wife.

Resilience:

Operationally defined as the ability of the abused wife to engage in positive adaptation and coping strategies that protect her from developing psychological disorders. Resilience is measured by the score obtained on the Connor-Davidson Resilience Scale.

Stress:

Operationally defined as a state of mental tension arising from daily life events—in this study, marital violence—where the intensity of the stressor exceeds the woman's capacity to cope, resulting in psychological and physical suffering. Stress is measured by the Psychological Stress Scale.

Abused Woman:

A woman who is subjected to violence by her husband.

4. Method

The researcher relied on the clinical approach (case study) to shed direct and in-depth light on this phenomenon, especially since the case study enables a detailed and comprehensive examination of the case. It serves as a means of inductive analysis of clinical data and is consistent with the principles of clinical psychology, both in practice and research. The case study refers to two concepts: the first is pragmatic and evaluative, and the second is therapeutic and explanatory. The first concept aims to integrate heterogeneous clinical data from different sources (measurements, tests, interviews, etc.) in order to describe the person as a whole—their various problems and their context—while also seeking to understand the genesis and causes of these problems (Gharbi, 2012, pp. 101–102). This approach is ideal for investigating the causes and factors that contribute, in one way or another, to women's responses to domestic violence, based on the history, life circumstances, and personal experiences of each case.

4.1 Study sample and its characteristics:

Violence may manifest in an immediate, direct, repeated, and unhesitating manner, or it may appear suddenly as an isolated behavior resulting from a long-term process. To define the study sample, the researchers intentionally selected a group of resilient abused women and a group of less resilient abused women meeting the following inclusion criteria:

1. The variable of domestic violence:

- Abused women who were subjected to at least one type of violence (Psychological, physical, sexual, economic) from their husbands for a period, and this violence was not a passing and isolated incident (resulting from specific marital conditions).
- Abused women who still suffer from violence until now, because some longitudinal studies, such as the Quigley Leonard study, have indicated the possibility of mitigating the psychological effects suffered by many women previously exposed to violence (Al-Dawa & Darwish, 2008, p.15). Furthermore, when the researcher talked about resilience, they were talking about the ability to face and adapt to the moment of the blow when exposed to it. Reversibility therefore consists of facing risks and not avoiding them (Levesque, 2011, p.22).
- The duration of the marriage must be more than one year.
- Having children with her husband.

2. Resilience and stress variables:

Concerning these two variables, each group must meet the following conditions:

2.1 Resilient women victims of domestic violence:

The selection of the abused women was based on the appreciation of their social environment. Despite their marital lives were characterized by violence, they demonstrated positive coping skills, an ability to overcome the repercussions of adversity while enjoying of good mental health, self-evaluation, the feeling of worth and self-efficacy, the passing of The Connor and David Son scale, and the availability of a set of conditions that meet the profile of the resilient person, which can be summarized as follows:

- High self-esteem: We know that the abused women suffer from low self-esteem compared to non-abused women. Therefore, the fact that the abused woman scores high on the self-esteem scale indicates her ability to recover. This is done by applying the Rosenberg self-esteem scale.
- Absence of psychological symptoms: Thanks to the results of the application of the SCAL90r and the stress scale.
- High level of resilience on the Conner-Davidson scale

2.2 Less resilient women victims of domestic violence:

- Low self-esteem on the Rosenberg Self-Esteem Scale.
- Presence of psychological disorders thanks to the results of the application of the SCAL90r and the psychological stress scale.
- Low level of resilience on the Conner-Davidson scale.

4.2 Characteristics of the study sample

The study sample consisted of eight wives who were victims of domestic violence, intentionally selected from thirty cases encountered by the researcher at the forensic medicine department. Cases in which the duration of marriage was less than one year, or where domestic violence resulted from transient marital disputes, were excluded. The participants were recruited through the researcher's accompaniment of the forensic physician during medical examinations, followed by individual interviews with women meeting the inclusion criteria. Fieldwork challenges—such as geographical distance and restrictions imposed by husbands—limited follow-up with certain cases, resulting in a final sample of eight participants.

The study was conducted under formal authorization from the host institution. Ethical standards were strictly maintained throughout the research process, particularly regarding confidentiality and anonymity. Each participant was fully informed about the study's objectives and procedures, and gave oral informed consent. Participation was entirely voluntary, with the freedom to decline or withdraw at any time without any consequences.

The explanatory tables below show the characteristics of the sample in terms of age, educational and economic level, length of marriage, as well as the type of violence to which it is exposed.

Table 1: characteristics of the study sample

Characteristics Cases		Age	Level of Education	Economic level	Length of marriage	Number of children	Type of violence
01	(F)	36years	Secondary	Low	13	4 children.	All types of violence
02	(S)	24 years	Secondary	High	7	One child	Physical, psychological and sexual violence.
03	(C)	43years	Secondary	Low	20	4 children.	Violence of all kinds.
04	(N)	34years	Secondary	Low	12	3 children.	Psychological, physical and economic.
05	(w)	43years	Secondary	Medium	14	3 children.	Psychological, physical and economic.
06	(R)	37years	Secondary	Medium	17	4 children.	All types of violence
07	(M)	38years	Secondary	Medium	17	4 children.	All types of violence
08	(L)	41years	University.	Medium	15	4 children.	All types of violence

4.3 The data collection techniques:

In order to obtain accurate information, ensure objectivity in the results, and respond to the research hypotheses, the researcher used the following methods

4.3.1 Semi –structured interview:

In order to obtain a clear vision allowing for the identification of the factors that have helped women who are victims of domestic violence in their trajectory to resilience, the researcher used a series of semi-structured interviews, with specific and progressive axes corresponding to the objectives of this study. These axes were manifested as follows:

- ✓ Biographical and personal data axis.
- ✓ Domestic violence axis
- ✓ Accepting of domestic violence axis.
- ✓ Protective factors axis (environmental and personal).

4.3.2 Observation

The observation was based on the sample's (appearance, behavior during the interview, verbal and non-verbal communication, including facial expressions, gestures, and body language, the pace and intensity of their voice when addressing these issues, silence...).

4.3.3 Scales

- *Connor-Davidson Resilience Scale (CD-RISC)*: The Connor-Davidson Resilience Scale (CD-RISC), developed by Connor & Davidson (2003), in its original version consists of 25 items responded to using a five-point Likert scale. Respondents indicate their level of agreement with each item as follows: Strongly Agree = 4, Agree = 3, Neutral = 2, Disagree = 1, Strongly Disagree = 0. Total scores therefore range from 25 to 100 (Ahmed, 2014, p. 418). Higher or lower total scores indicate higher or lower levels of resilience.

The scale comprises five sub-dimensions:

- Self-efficacy: Items 3, 4, 15, 17, 18, 19, 20, 21
- Emotion Regulation: Items 7, 9, 10, 14, 16, 24, 25
- Positive Affect : Items 1, 5, 6, 12, 13, 22
- Social Support : Items 2, 23
- Spiritual/Religious Dimension : Items 8, 11 (Jarallah, 2014, p. 167)

- *The Perceived Stress Scale (PSS)* by Cohen: The original scale consists of 10 items; each rated on a 1–5 Likert scale. Regarding the scale's dimensions, most researchers (Eskin & Parr, 1996; Wang et al., 2011; Wongpakaran & Wongpakaran, 2010; Orucu & Demir, 2009; Otto et al., 2004; Roberti et al., 2006; Reis et al., 2010) identified two factors as follows:

- The first dimension: Perceived Helplessness or Perception of Stress, is represented by items 1, 2, 3, 6, 9, and 10.
- The second dimension: Perceived Self-Efficacy or Coping/Adaptation to Stress, is represented by items 4, 5, 7, and 8. These items were reverse-scored from 5 to 1 when calculating the total score.

The six items of the first dimension are negatively worded, for example: "Have you felt that you could not control important things in your life?" The four items of the second dimension are positively worded, for example: "Have you felt that things are going according to your wishes?" (Siu-Man Ng, 2013, p. 3).

In this scale, stress levels are evaluated using a Likert scale from 1 to 5. However, for the total score calculation, the four positively worded items are reverse-coded and added to the six negatively worded items. Therefore, the total score ranges from 10 to 50, with higher scores indicating a higher level of perceived stress.

Interpretation of the total score:

- Score < 21: The person can manage stress (*sait gérer son stress*) and can generally adapt, as solutions are usually available.

- Score 21–26: The person can usually cope with stress (*qui sait en général faire face au stress*), but there are certain situations that they cannot handle, often associated with the feelings of helplessness causing emotional disturbances (*perturbations émotionnelles*).
- Score > 27: Life is perceived as a constant threat; the person feels overwhelmed by most situations and unable to act (Giorgio, 2014).

-The Domestic Violence Acceptance Scale (Doua & Drouich, 2008) was used to assess women's acceptance or rejection of domestic violence. It consists of 57 positively worded items across four dimensions:

- Physical Violence: 11 items
- Sexual Violence: 9 items
- Psychological Violence: 37 items
- Overall Violence: Total score of all items

Administration and Scoring:

- Five-point Likert scale: Strongly Agree = 5, Agree = 4, Neutral = 3, Disagree = 2, Strongly Disagree = 1
- Higher scores indicate greater acceptance of domestic violence; lower scores indicate rejection.

- The Symptom Checklist SCL-90-R :The SCL-90-R (Derogatis, Lipman & Covi, 1977 adapted by Abu Hein for the Palestinian context) is a self-report inventory designed to assess psychological and behavioral symptoms. The scale consists of 90 items distributed across 9 dimensions: Somatization, Obsession-Compulsion, Interpersonal Sensitivity, Depression, Anxiety, Hostility, Phobic Anxiety, Paranoid Ideation, and Psychoticism. The tool is easy to administer and uses a five-point Likert scale: Always, Often, Sometimes, Rarely, Never, scored 4, 3, 2, 1, and 0, respectively (Saoud & Kharmoush, 2016, p. 4). A score of 0 corresponds to *Never*, while 4 corresponds to *Always*. The total score across all items ranges from 0 (minimum) to 360 (maximum), with higher scores indicating more pronounced and severe symptoms.

- Rosenberg's Self-Esteem Scale :The scale consists of 10 items, with 5 positively worded (items 1, 3, 4, 7, 10) and 5 negatively worded (items 2, 5, 6, 8, 9). Items are rated on a 4-point Likert scale: Strongly Agree = 4, Agree = 3, Disagree = 2, Strongly Disagree = 1, with reversed scoring for negative items. Total scores range from 10 to 40, with higher scores indicating higher self-esteem and lower scores indicating lower self-esteem (Kamal Al-Sharbini Mansour, 2012, p. 90).

Interpretation of scores :

- < 25: Very low self-esteem
- 25–31: Low self-esteem
- 31–34: Modérâtes self-esteem
- 34–39: High self-esteem
- > 39: Very high self-esteem (Eloiridi et al., 2014, p. 27)

Table 2: Individual Scores of Study Participants on Psychological Scales

Scales Cases	Acceptance of domestic Violence Scale	Perceived Stress Scale (PSS)	Rosnberg's Self-Esteem Scale	Symptom Checklist SCL- 90-R	Connor-Davidson Resilience Scale (CD- RISC)
01 (F)	204	42	18	201	42
02 (S)	182	41	21	194	41
03 (C)	207	41	21	237	43
04 (N)	183	36	26	166	51
05 (w)	185	39	20	158	44
06 (R)	153	22	32	91	67
07 (M)	148	23	33	90	66
08 (L)	111	24	34	62	70

Note:

F = Case 1, S = Case 2, C = Case 3, N = Case 4, W = Case 5, R = Case 6, M = Case 7, L = Case 8.

The first five cases (01–05) represent the less resilient women group, while the remaining three cases (06–08) represent the resilient women group.

Table 3: Descriptive Statistics (Mean $\pm$ SD) of Psychological Measures in Less Resilient and Resilient Women

Measure	Less Resilient Group (n = 5) M $\pm$ SD	Resilient Group (n = 3) M $\pm$ SD
Acceptance of Domestic Violence	192.2 $\pm$ 12.24	137.3 $\pm$ 22.94
Perceived Stress Scale (PSS)	39.8 $\pm$ 2.39	23.0 $\pm$ 1.0
Rosenberg's Self-Esteem Scale	21.2 $\pm$ 2.95	33.0 $\pm$ 1.0
SCL-90-R	191.2 $\pm$ 31.38	81.0 $\pm$ 16.46
Connor-Davidson Resilience Scale (CD-RISC)	44.2 $\pm$ 3.96	67.7 $\pm$ 2.08

Note: Values are presented as mean $\pm$ standard deviation.

As shown in Table (3), the resilient group demonstrated lower acceptance of domestic violence, lower perceived stress, and fewer psychological symptoms, along with higher resilience and self-esteem scores, compared to the less resilient group. These quantitative results supported the qualitative interview findings.

5. Analysis of the results in light of the hypotheses

This section examines the findings in relation to the proposed hypotheses, integrating both quantitative and qualitative data.

The analysis of the Domestic Violence Acceptance Scale and interview data suggests a clear relationship between women's responses to partner violence and their level of acceptance or rejection of such behavior. Less resilient women (F, S, C, N, and W) obtained high scores on the acceptance scale (ranging from 182 to 207), indicating a greater tendency to justify or tolerate abusive behaviors. Qualitative data revealed that this acceptance is influenced by cultural, emotional, and familial pressures, including fear of social stigma associated with divorce, concern for children's well-being, and belief in the possibility of the partner's change. These findings are consistent with Mynard (1993), who identified several factors contributing to women's acceptance of violence, such as hope for partner change, economic dependence, fear of family disintegration, and the desire to raise children in the presence of both parents.

Similarly, cases (F), (W), and (C) expressed the belief that violence within marital relationships is commonplace, which appears to contribute to their acceptance of the violence directed against them. In this regard, Mohammed Yahya (2013) noted that women often perceive violence as an integral part of normal marital life. This perception may stem from the patterns of socialization and cultural norms in which they were raised.

Accordingly, the studied cases demonstrated a certain degree of internalized acceptance of the violence inflicted by their husbands. Supporting this interpretation, the report "*Violence against Women in Iraq: Problems and Options*" highlighted that women are socially prepared to accept violence and consider it a male prerogative. This results from dominant representations of femininity and unequal gender relations that place women in an inferior social position.

This implicit acceptance of violence and domination reflects what Pierre Bourdieu terms *symbolic violence*, a form of domination produced through mechanisms of masculine power. In this process, control over women is not exercised mainly through physical force, but through symbols and meanings imposed by the dominant group.

As a result, women may internalize these representations as unquestionable truths, leading them to share with their oppressors similar perceptions regarding gender roles and the legitimacy of

violence. Symbolic violence thus functions as a subtle form of power sustained by the tacit complicity of those subjected to it.

Even though women presented themselves to forensic medicine to obtain a medical certificate proving they were victims of violence as in cases presented in the study like (F), (C), and (w), they did not intend to resort to forensic medicine with the purpose of filing complaints against their husbands. Rather, it was a means to intimidate and dissuade their husbands from changing their behavior, while expressing their desire to continue the relationship with them. In this context, DEBOUT (2010) emphasized that despite what a woman experiences, she finds it very difficult to complain because she feels ashamed of her situation and revealing the intimacy of her married life. It is difficult for her to file a complaint. Additionally, there is the fear that her social image will be tarnished by revealing what she is suffering.

Moreover, it is often difficult for a woman to hold her husband solely responsible for the violence she endures. Consequently, she tends to make excuses, attributing his behavior to alcohol consumption, unemployment, or occasional kindness. Acknowledging his violence and culpability simultaneously entails admitting that she misjudged him, made a mistake in committing to him, and entrusted him with the responsibility of fathering her children. Complaining about a violent husband may thus be experienced as a personal failure, leading to a contradiction in self-perception: underestimating oneself as a battered woman while also questioning her own judgment. This dynamic often traps women in repeated cycles of violence. The study's results indicated that less resilient women, who accept violence, frequently experience learned helplessness when facing abuse. Their sense of deficiency, powerlessness, and inability to respond effectively drives them to adapt by accepting domestic violence. This finding aligns with the partial hypothesis that less resilient women, as victims of domestic violence, tend to accept the abuse directed against them and struggle to confront it. Sultanah Saleh Al-Dosari (2013) noted that women who accept domestic violence may experience cognitive disorders, which influence their thoughts, emotions, and behaviors, leading them either to resist or coexist with abuse based on their beliefs about marital relationships. Similarly, Lempert (1996) observed that abused women often recognize that the context of violence disrupts their perceptions, leaving them uncertain about what is good or bad for their relationship (Crête, 2009, p. 25).

On the other hand, resilient women (R), (M), and (L) obtained lower scores on the Domestic Violence Acceptance Scale, ranging from 111 to 153, compared to less resilient women. These lower scores reflect a clear rejection of domestic violence and confirm their ability to confront it effectively, particularly as the scale is designed to measure negative coping strategies. This finding supports the second partial hypothesis, which posits that resilient women, as victims of domestic violence, reject the abuse directed against them, thereby enhancing their capacity to confront it.

The results further suggest that the acceptance of violence among women is linked to structural vulnerabilities in personality, shaped by multiple factors. These vulnerabilities may lead women to tolerate spousal abuse, resulting in submissive behavior and diminished psychological identity, including reduced self-confidence, pride, and self-esteem. Consequently, their ability to resist, adapt, and confront violence effectively is compromised, leaving them trapped in harmful environments and at increased risk for both physical and mental health problems.

In contrast, women who reject domestic violence generally exhibit higher self-esteem, enabling them to cope with abuse more positively and demonstrate resilience. High self-esteem appears inversely related to the acceptance of violence, as women with a stronger sense of self find it difficult to tolerate abusive behavior. These conclusions are fully supported by the data collected in the field study.

Building on the findings of the first hypothesis, the second hypothesis examines how domestic violence affects women's mental health, depending on whether they accept or reject the abuse. Analysis of the interview data and results from the applied scales revealed that women who accept domestic violence, including cases (F, S, C, N, W), experience elevated stress levels, ranging from 39 to 42 points on the Cohen Perceived Stress Scale. This indicates that stress functions as an emotional response to ongoing violence, as these women live under constant threats and feel powerless in most situations.

Additionally, these cases obtained high scores on the Symptom Checklist-90-Revised (SCL-90-R), ranging from 158 to 237 points, with case (C) recording the highest score, likely due to prolonged exposure to violence and the duration of her marriage (20 years). These findings are consistent with Karin Larsson (2007), who reported that abused women experience more psychological and physical problems than non-abused women, with symptom severity increasing with longer exposure. Similarly, Al-Her (2008, p. 85) found that women exposed to violence for six years or more exhibit higher levels of psychological stress, depression, and physical pain compared to those exposed for five years or less.

The analysis further revealed that cases (F, S, C, N, W) suffered from symptoms of depression, obsessive-compulsive disorder, anxiety, and somatic complaints. Cases (F, S, C, W) also exhibited high scores in phobic anxiety and interpersonal sensitivity, while case (N) scored high in hostility. Despite variations across dimensions, all five cases experienced severe depressive symptoms, as reflected in the scale and confirmed during interviews. Participants reported sadness, loneliness, loss of vitality, and feelings of despair and hopelessness about the future, often accompanied by intense crying.

Moreover, cases (F, S, C, N) attempted suicide as a means of escaping their reality, suggesting that suicide was perceived as the only available option. This aligns with Seligman's concept of learned helplessness, which posits that prolonged exposure to such cycles can lead victims to experience depression, powerlessness, loss of control, and inability to prevent their husbands' abuse (Rakovec-Felser, 2014, p. 62; Al-Dawa & Darwish, 2008, p. 6). Similarly, Hampton and Gelles (1994) noted that mistreatment is associated with low self-worth, helplessness, pessimism, loss of hope, and difficulty coping with life challenges (Guenifa, 2010, p. 28). Overall, these findings are consistent with the first partial hypothesis.

Conversely, women who reject domestic violence (R, M, L) obtained low scores on the Cohen Perceived Stress Scale, ranging from 22 to 24 points, indicating a general ability to cope with stress, although certain situations may still present challenges. These cases also scored low on the SCL-90-R, between 62 and 91 points, reflecting minimal pathological symptoms. While minor depressive and obsessive-compulsive symptoms were observed—for instance, in the depression dimension, cases (M) and (L) reported mainly loss of sexual desire, and case (S) reported occasional loss—these did not reflect significant psychological distress. Such responses likely indicate dissatisfaction with the marital relationship rather than pervasive psychopathology.

These findings can be interpreted in light of Rosen and Stith (1997), who described experiences within abusive relationships using the metaphor of a "spiral," where its inward turn signifies entrapment and loss of agency to the abuser, and its outward turn represents the woman recognizing the negative impact of the relationship, regaining agency, and reducing the partner's control (Crête, 2009, pp. 27–28). This interpretation aligns with the second partial hypothesis.

Extending the analysis from the previous hypotheses, the third hypothesis examines how a woman's response to domestic violence—whether resilient or less resilient—is influenced by specific personal and environmental factors. To test this hypothesis, the researcher analyzed data from the first and second partial hypotheses, along with information collected from interviews and applied scales.

For less resilient women (F, S, C, N, W), Connor-Davidson Resilience Scale scores ranged from 41 to 51, indicating low resilience. Similarly, Rosenberg Self-Esteem Scale scores reflected low self-esteem, ranging from 18 to 26. Interviews further highlighted negative self-perception, lack of self-confidence, and low self-efficacy, with cases (N, S, J) demonstrating particularly low self-efficacy scores. These women also exhibited learned helplessness in response to their circumstances, feeling humiliated and incapable of confronting violence. Fry (2002) noted that stress arising from abuse distorts women's perceptions, impeding the restoration of self-esteem until the abusive situation is resolved (Crête, 2009, p. 24).

Mohamed El Haj Yahi (2013) emphasized that some victims do not resist violence due to the belief that others will neither believe them nor provide social or legal support. Feelings of guilt, weakness, and shame lead them to perceive their suffering as a consequence of their failure as wives and mothers, which increases hesitation to seek help and reinforces feelings of loneliness, despair, and frustration, in addition to fear, depression, anxiety, suicidal thoughts, and other severe psychological effects. Less resilient women often justify their spouses' behavior, express weakness and indecisiveness, and employ passive coping strategies such as submission, silence, and inhibition, as observed in cases (F), (C), and (W). These behaviors are linked to the belief that violence is a normal part of any marital relationship. Consequently, victims may refuse to acknowledge the problem, maintain traumatic feelings, and avoid disclosure, while holding on to the hope that their husbands will change. This is consistent with Kaukinen (2005), who noted that women, through their traumatic experiences of daily violence and fear, are simultaneously powerless to leave the relationship and hopeful that their partner will change (Crête, 2009, p. 25).

In the same context, the cases consistently exhibited maladaptive responses to spousal violence, primarily through attempts to justify their husbands' behavior, as observed in cases (F) and (W). They also reported internalized feelings of weakness, inadequacy, and difficulty in making decisions that would benefit themselves or their children. Previous research indicates that many women victims of domestic violence tend to rely on negative coping strategies (De Ridder, 1977; Moos, 1987; Waldrop & Resick, 2004, as cited in Al-Dawa & Darwish, 2008, p. 11). In line with these findings, cases (F), (S), (C), and (N) relied on neurotic defense mechanisms, such as repression, as well as immature defenses, including disavowal and rationalization. While cases (C) and (N) employed these mechanisms to devalue their husbands, case (F) appeared to direct them inward, resulting in the devaluation of her own self-esteem. Smith et al. (1999) argue that the loss of power experienced by women in situations of domestic violence may stem from prolonged exposure to abuse, which progressively reshapes their cognitive and behavioral patterns to conform to the demands and expectations of their violent husbands (Crête, 2009, pp. 36–37).

Cases (F), (C), and (N) demonstrated economic dependency on their husbands in the absence of social support. This dependency led them to tolerate and accept their violent husbands as the only perceived means of preserving their own lives and those of their children. Although they attempted temporary separations, economic constraints compelled them to return to their husbands due to their inability to meet basic financial needs, particularly as they were not engaged in paid employment. This finding is consistent with Folkman's (1984) observation that personal constraints play a significant role in the tolerance of domestic violence. Women exposed to violence often develop dependency on others as a result of diminished self-confidence and the inability to achieve financial and psychological independence (Al-Dawa & Darwish, 2008, p. 13).

Most cases revealed a lack of support from the social environment, often due to the husband's control and the resulting isolation from family and friends, as observed in (F), (C), and (S). This lack of social support negatively affected the women's psychological adaptation. In contrast, cases (N) and (W), whose husbands exercised less control, maintained supportive social

relationships and obtained lower scores on the Cohen Stress Scale and the SCL-90-R, indicating better psychological adjustment. This supports Kirmeyer & Dougherty's (1988) finding on the importance of social support in alleviating stress (Diab, 2006, p. 166).

The importance of social support is evident in a woman's life and in her ability to access available resources. Women who are prevented by their husbands from visiting family members, using the phone, or leaving the house are particularly vulnerable to psychological distress. The absence of a social support network, resulting from the husband's controlling behavior, traps women in a harmful relationship and severely limits their coping capacity. Folkman (1984) emphasized that environmental constraints significantly influence coping strategies. Similarly, women exposed to violence often lack social communication and intimate relationships that enable them to reject abuse (Amal Al-Dawh & Zeinab Droueish, 2008, p. 13). These findings support the hypothesis that stress among women victims of domestic violence results from the interaction between insufficient personal resources (e.g., low self-esteem and self-confidence) and adverse environmental factors (e.g., economic dependence).

Resilient women (R), (M), and (L) demonstrated high levels of resilience (66–70 points) and self-esteem (32–34 points), as confirmed by the interview data. They exhibited a positive self-concept, self-confidence, and a strong sense of personal efficacy. This resilience appears to be closely associated with specific personal characteristics that facilitated effective coping with abuse. The most salient characteristics include the following:

A structured understanding of their painful experience:

These women showed a clear awareness of the violence they endured and its consequences. For instance, case (R) explicitly acknowledged the absence of positive aspects in her marital relationship and perceived her husband as a serious threat to her own life and that of her children, which led her to initiate divorce proceedings. As noted by Werner-Wilson, Zimmerman, and Whalen (2000), leaving an abusive relationship is best understood as a gradual process rather than a single act, reflecting personal qualities such as strength, courage, and the capacity to mobilize social support.

- Rapid perception of danger:

This is determined by how the woman perceives the violence directed against her, as well as by her ability to quickly recognize signs of deteriorating situations. This enables her to avoid or modify them. This is manifested by her attempts to avoid situations that may generate violence. This is particularly the case for (M) and (L), where the wife plays a crucial role in avoiding situations of violence directed against her. Thanks to her experience of married life marked by violence, the woman has developed the ability to predict and identify situations that could trigger violence from her husband and then tries to avoid them, while also avoiding certain behaviors that may provoke him, without completely submitting to him. Ellsberg and Heise (2005) pointed out that abused women are not passive victims but rather employ effective strategies to achieve the highest level of safety in their lives and to prevent violence against them. Some resist and reject violence, while others leave their abusive spouses or partners. Some submit to their husbands' demands to maintain their safety and security (Yahya, 2013, p. 64). According to Davis (2002), women who experience domestic violence may develop "manipulative" behaviors such as aligning themselves with the mood of their abusive partner to ensure their safety. Because of their socialization and previous experiences, women in a submissive position are convinced that their security depends on their ability to meet the needs of the dominant partner. While they do not have the power to resist or oppose him, they do have the power to regulate the dominant relationship in a way that ensures their safety. These behaviors are linked to a sense of self-efficacy, as they represent a strength or trait that helps them during periods of violence (Crête, 2009, p. 38). Both (M) and (L) continued the relationship by employing adaptive strategies and searching for alternatives that would help them withstand and face their reality. As noted by Debats et al. (2009), staying for some abused

women represents a way of resistance and resilience, an act through which they demonstrate their courage to preserve family unity.

- Looks ahead to the future, positive mood, and flexibility:

Resilient women maintained hope and a positive outlook by engaging in meaningful activities. For example, (M) coped through her favorite hobby, writing, while both (M) and (L) invested in their children's success, reflecting purposeful action. Davies et al. (1998) argue that finding meaning in adversity allows individuals to extract positive outcomes, regardless of the severity of the situation (Crête, 2009, p. 26). outcomes, regardless of the severity of the situation (Crête, 2009, p. 26).

- Turning to religion:

Reliance on religion provided emotional strength and a sense of purpose, helping women cope with domestic violence, which appeared clearly in all three cases studied, especially (M).

- Use of mature adaptive defense mechanisms:

These include sublimation, humor, self-assertion, altruism, and anticipation.

- Relational skills:

Resilient women demonstrated the ability to establish and maintain social relationships that provided emotional and practical support. This was evident in cases (R) and (M), who relied on close individuals to express distress and seek assistance.

Taken together, these personal resources enabled cases (R), (M), and (L) to adapt positively to their situations. These findings are consistent with Davis (2002), who identified hope, spirituality, a sense of humor, and access to support systems as key resilience-promoting characteristics among abused women.

Beyond personal factors, social and environmental resources played a crucial protective role. Cases (L) and (M) benefited from strong family support, primarily emotional support from relatives. Additionally, (L) received financial assistance from her parents, which enhanced her sense of independence, while (R) relied on support from her mother and sisters. Cutrona and Russell emphasized that social support enhances self-esteem and buffers individuals against the psychological impact of stressful life events.

These findings are consistent with Albee's prevention model, which posits that the risk of psychological disorders decreases when individuals are able to confront negative life events with adequate social support. Similarly, Bowlby's attachment theory suggests that secure relational bonds foster autonomy and psychological security, whereas disrupted relational capacities increase vulnerability to environmental stressors and social isolation (Diab, 2006, p. 58).

In this context, (L) reported that her parents played a central role in strengthening her self-confidence and sense of competence. Despite her husband's restrictions on employment, financial support from her parents allowed her to maintain partial economic independence. Furthermore, additional informal support was provided to (M) by her brother's wife and to (L) by her cousin.

Outside the family context, both (R) and (M) received emotional support from close friends, characterized by care, acceptance, and empathy, as described by House (1981). This form of support, also referred to as social companionship by Cohen et al. (1986), contributed to stress reduction by fulfilling the need for belonging and social connection (Diab, 2006, p. 62).

In sum, resilience in abused women results from the interaction between individual resources (e.g., self-confidence, optimism, future orientation, and adaptive coping) and environmental factors such as social support and spiritual resources. This indicates that responses to domestic violence are shaped not only by personal characteristics but also by the quality of the surrounding social context, underscoring the need for culturally sensitive interventions (Ungar et al., 2013). These results support the second partial hypothesis, which links resilience to both personal and contextual factors.

6. Discussion

Regarding domestic violence, its causes may be multiple. Nevertheless, the outcome is consistent: women are exposed to various forms of abuse within relationships that are expected to provide security and affection. Among the cases, some were in traditional marriages (S), (C), (w), (L), (N) while others were in love marriages (F). Conversely, cases (M) and (R) entered marriage due to circumstantial constraints. Violence may also arise from personal factors related to the abusive husband, including traits that predispose him to aggression and difficulties in marital adjustment, especially when handling inevitable conflicts and disagreements. Such dynamics can create a state of chronic conflict that may trigger violent acts by the husband. In this context, the relationship may progressively deteriorate due to familial pressures, the need to preserve family privacy, fear of divorce stigma, or beliefs that marital conflicts are normal. What emerges from the cases is that women often try to remain silent about their experiences. They may tolerate the violence and attempt to cope, but the abuse often continues, reinforcing the pattern of dominance and submission, as observed in cases (F), (S), (C), (N) and (w).

Through this study, the cases exhibited inhibition and negative adaptive behaviors in response to the violence directed against them. These behaviors were linked to multiple factors, including:

- The belief that such violence is normal in any marital relationship.

Attempts to justify the husband's violence, as observed in cases (N) and (W), which may also be influenced by the emotional attachment to the abusive partner.

- In addition, economic dependency on the husband, the hope for a change in his behavior, and the lack of social support in the event of divorce prevented many women from seeking alternatives. For instance, cases (C) and (N) experienced cycles of domestic violence, placing them in a paradoxical situation of both enduring abuse and expressing affection toward their husbands, which weakened their ability to resist and confront the violence.
- Regardless of the coping strategies used, all cases showed low self-confidence and self-esteem, along with psychological and physical suffering. The absence of familial and social support further exacerbated their situation. Economic constraints and social isolation emerged as key factors preventing women from leaving their abusive husbands. Consequently, many chose to remain in the relationship despite ongoing violence. The interaction of these personal and contextual factors contributed to an escalation of violence by the husbands, due to the women's silence and lack of resistance on personal, social, and legal level.

A woman's perception of the violence directed against her significantly determines both her response and its psychological impact. Some women demonstrate an inability to confront or resist the abuse (less resilient women), whereas others are able to overcome their ordeal and adapt positively (resilient women). Carlson (1997) emphasized that individuals' assessment of stakes in a stressful situation directly influences their emotional reactions and subsequent adaptation (Crête, 2009, p. 24). This underscores the crucial role of both personal characteristics and contextual factors in shaping resilience, as highlighted by Luthar, Cicchetti, and Becker (2000), who assert that such factors are central in determining a person's capacity to adapt to stress and risk.

Here, in the face of the violence they endure from their husbands, women may demonstrate resilience and adaptability, manifesting as latent capacities, personal abilities, or dynamic adaptive responses. The findings of this study indicated that the participants exhibited self-confidence, high self-esteem, a sense of self-efficacy, resilience, and a positive outlook on life, along with future planning or reliance on religious side. They also received support, primarily in the form of emotional support from their family and social environment. The

interaction of these personal and environmental factors played a significant role in helping the abused women adapt and overcome the pressures resulting from their husbands' violence. This interaction ultimately protected them from developing psychological disorders. These findings align with the broader theoretical understanding of resilience, which research indicates is an ordinary and natural process arising from individuals' adaptive capacities. Moreover, resilience can be strengthened through supportive environmental and social systems, highlighting the importance of focusing on protective factors rather than solely on difficulties or deficits (Masten, 2001).

Differences between resilient and less resilient abused women were observed in several aspects:

- All participants reported crying as a coping response, which may reflect gendered emotional expression
- Most participants indicated that one reason for remaining in the relationship was the presence of children.
- Responses to item eight of the Rosenberg Self-Esteem Scale ("I wish I could have more respect for myself") showed that most women selected "Agree," while case (w) selected "Strongly agree," This response can be linked to their experiences of violence and their acceptance of it, particularly for less resilient women. For resilient women, it is associated with the problem of continuing to live with spouses who treat them violently.
- Differences were also noted in legal and medical actions: less resilient women sought forensic examinations primarily to obtain documentation for intimidation, whereas resilient women used such procedures to file formal complaints. For example, case (s) filed multiple complaints and is currently pursuing divorce, while cases (l) and (m) initiated legal actions but later withdrew for personal or social reasons.

(Case (m) returned to her husband under pressure from her social environment despite finding employment while staying with her family Case (l) did not want to involve her children in court proceedings, as she expressed).

- In terms of outlook, resilient women demonstrated hope and a future-oriented perspective, while less resilient women felt resigned and submissive.
- Resilient women did not accept violence and actively sought to overcome its consequences, whereas less resilient women tended to coexist with violence and refrained from confronting it, due to personal and environmental constraints.

7. Conclusion

The topic of domestic violence is deeply rooted and multi-dimensional. It is like the title of a book that encompasses various information and contents, gradually understood when deeply read and understanding it requires a comprehensive perspective on women and men in their biological, psychological, social, religious, and moral dimensions. Violence is a long-term, interactive process that can produce victims or perpetrators, regardless of gender. These dimensions influence thoughts, behaviors, and actions, while individual life experiences shape the likelihood of becoming either a victim or an aggressor. Socialization and personal values further affect behavior, highlighting the complex nature of domestic violence.

Research in this field has provided valuable insights into the psychology of violent and abused spouses, as well as patterns of abusive wives and violent husbands. When two such individuals form a couple, roles of victim and aggressor may emerge, sometimes displaying sadistic/masochistic or submissive/dominant traits, which intensify the violence. Additional factors—including poverty, substance abuse, psychological disorders, economic dependence, or the woman's acceptance of violence—can exacerbate relationship deterioration and reinforce the cycle of abuse.

Even when a wife attempts to adapt or change her husband's behavior, multiple barriers often prevent her from confronting or ending the violence. She may remain trapped, experiencing psychological and physical harm. Personality traits such as low self-esteem, passivity, and submission, combined with limited social support and economic resources, frequently hinder her from seeking help. Children exposed to the violence may also be affected, and the lack of external support can make leaving the marriage nearly impossible. Fear of social stigma surrounding divorce may further bind her to the abusive relationship, perpetuating her suffering.

This study aimed to identify factors that help abused women develop resilience by examining personal and environmental resources that enabled other women to cope positively. The findings indicated that resilience arises from a combination of individual traits and environmental support, helping women overcome adversity. These results provide a foundation for future research and inform preventive and therapeutic strategies for similar cases.

In conclusion, domestic violence is a complex and multi-faceted phenomenon. Individual characteristics, relational dynamics, and societal norms shape both victimization and perpetration. Understanding these factors emphasizes the importance of personal traits, environmental conditions, and socio-cultural norms in supporting abused women. Such knowledge can guide targeted interventions to support victims and prevent further abuse.

8. Recommendations

8.1. Research and Scientific Recommendations

It is recommended to:

- conduct clinical studies aimed at understanding the dynamics and forms of marital violence in Arab societies.
- carry out scientific research, both quantitative and qualitative, to examine the patterns of abused wives and abusive husbands, linking these patterns among different couples. Preferably, studies should be purely Arab to reflect prevailing societal values and provide an accurate picture of marital violence in the community.
- enable psychologists and health professionals to gain comprehensive knowledge from these studies to facilitate early diagnosis and prevention of marital violence.

8.2. Educational Recommendations

It is recommended to:

- develop educational materials integrated into learning programs to raise awareness of the importance of family, healthy familial relationships, cooperation, mutual respect and affection, and the relationship between spouses and their children.
- organize workshops and awareness sessions highlighting the importance of family and social support for abused wives and the negative consequences of marital violence on families and society.

8.3. Social and Therapeutic Recommendations

It is recommended to:

- establish listening and support centers for abused wives, providing psychological, advisory, and legal assistance.
- develop guidance and therapeutic programs, including family therapy and couples therapy, to address and treat violent behaviors in husbands.
- form specialized associations to support abused women, enabling them to receive material and emotional assistance, especially if they decide to separate and lack a safe place to go.

Data availability: The data supporting the findings of this research are accessible and can be provided upon reasonable request.

Competing Interests: no competing interests

Funding: This research received no financial support.

9. References

- Al-Dawa, A., & Darwish, Z. (2008). The relation among some psychological, cognitive, and social variables and levels of women tolerating marital violence. In *Proceedings of the International Conference on the Status of Muslim Women in Contemporary Societies* (International Institute for the Unity of the Islamic Nation, International Islamic University). <https://www.abhathna.com/?q=node/44717>
- Ahmad A., A. (2014). Resilience levels and their relationship to academic adjustment and achievement among graduates of orphanages. *Jordan Journal of Educational Sciences*, 10(4), 411–430.
- Al-Dosari, S. (2013). Levels of Saudi women's acceptance of marital violence in light of psychological and demographic variables (Master's thesis). Naif Arab University for Security Sciences, Riyadh. <https://repository.nauss.edu.sa/handle/123456789/53348>
- Al-Her, K. A. (2008). Violence against wives and its relationship with the mental health of abused Arab wives in Malmö, Sweden (Master's thesis). The Open Arab Academy in Denmark, Denmark. <https://search.emarefa.net/detail/BIM-300187>
- Audet, J. (2002). Violence conjugale : Comment des intervenants dans une communauté algonquienne la conçoivent, l'expliquent et envisagent l'intervention auprès des conjoints violents [Master's thesis, Université du Québec en Abitibi-Témiscamingue]. Papyrus.
- Benes, M., & Bernard, J. M. (2003). *Vaincre la peur de l'agression*. Édition Vives Soleil.
- Crête, C. (2009). Relations entre l'évaluation cognitive, le sentiment d'auto-efficacité et le coping chez des femmes ayant été victimes de violence conjugale (Doctoral dissertation, Université du Québec à Trois-Rivières).
- Davis, R. E. (2002). The strongest women": Exploration of the inner resources of abused women. *Qualitative Health Research*, 12(9), 1248–1263. <https://doi.org/10.1177/1049732302238248>
- Debats, F., Debats, M., Geurts, M., & Prestat, C. (2009). Jour après jour avec des femmes victimes de violences conjugales. *Revue Empan*, 1(73), 57–69. <https://doi.org/10.3917/empa.073.0057>
- Debout, M. (2010). Effets de la violence conjugale sur les victimes. *Réalité familiale*, *Revue de l'Union Nationale des Associations Familiales (UNAF)*, 90, 18-19. <https://www.unaf.fr/expert-des-familles/revue-realites-familiales/realites-familiales/effets-de-la-violence-conjugale-sur-les-victimes/>.
- Diab, M., A. (2006). Social support as a mediating factor between stressful events and the mental health for Palestinian adolescents (Master's Thesis in Psychology, Islamic University of Gaza) <https://www.manaraa.com/upload/c17291da-b97b-4167-abbf-ce73833403ff.pdf>
- Eloiridi, A., Arfaoui, A., & Ahami, A. O. T. (2014). Évaluation de l'impact de l'estime de soi et de l'état dépressif sur la performance sportive chez les jeunes adolescents scolarisés. *Antropo*, 32, 25–34.
- Jarallah, S. (2014). Time perspective and its relationship with resilience in coping with traumatic events (Doctoral dissertation). University of Setif 2, Algeria. <https://dspace.univ-setif2.dz/items/50c7d540-f4ea-4aed-a2e4-3a79b0f2d4c5>
- Dutton, M. A., Mai, E. K., Murphy, M., & Somberg, R. (2005). Women in intimate partner violence: Major advances and new directions. In W. M. Pinsof (Ed.), *Family psychology: The art of science* (pp. 191–221). Oxford University Press.
- Gaucher, T. (2014). L'institution scolaire est-elle facteur de résilience ou de (re)victimation? Diplôme Universitaire en Victimologie, Paris Descartes.
- Gharbi, A. (2012). Psycho sociogénèse de la délinquance juvénile: Approche culturelle du phénomène (Doctoral dissertation, Université Mentouri Constantine, Algeria). <https://bucket.theses-algerie.com/files/repositories-dz/5057906650735252.pdf>

- Giorgio, M. Th. (2014). Échelle de mesure du stress perçu: Perceived Stress Scale (PSS). Atou Santé. <http://www.atousante.com/risques-professionnels/sante-mentale/sante-mentale-echelles-mesure-outils-evaluation/echelle-mesure-stress-percu-perceived/>
- Guenifa, N. (2010). Women and violence in Algerian society: A field study on a sample of abused women at the Forensic Medicine Department of the University Hospital of Constantine (Doctoral dissertation, Mentouri University, Constantine, Algeria). <https://library.alkafeel.net/dic/print/page-book/5382/?show>
- Kedia, M., & Sabouraud-Seguin, A., et al. (2008). *Psycho-traumatologie*. Dunod.
- Kennedy, A. C. (2005). Resilience among urban adolescent mothers living with violence: Listening to their stories. *Violence Against Women*, 11(12), 1490–1514.
- Labronici, L. M. (2012). Resilience in women victims of domestic violence: A phenomenological view. *Texto & Contexto-Enfermagem*, 21, 625–632.
- Lemay, M. (2001). La résilience devant la violence. *Revue québécoise de psychologie*, 22(1), 135–148.
- Levesque, S. (2011). Trajectoire de résilience chez les mères adolescentes victimes de violence de la part de leur partenaire amoureux : Implications théoriques et pratiques pour le domaine de la promotion de la santé (Doctoral dissertation, Université de Montréal) <https://papyrus.bib.umontreal.ca/xmlui/handle/1866/6884>
- Luthar, S. S., Cicchetti, D., & Becker, B. (2000). The construct of resilience: A critical evaluation and guidelines for future work. *Child Development*, 71(3), 543–562. <https://doi.org/10.1111/1467-8624.00164>
- Madhani, F. I., Karmaliani, R., Patel, C., Bann, C. M., McClure, E. M., Pasha, O., & Goldenberg, R. L. (2017). Women's perceptions and experiences of domestic violence: An observational study from Hyderabad, Pakistan. *Journal of Interpersonal Violence*, 32(1), 76–100. <https://doi.org/10.1177/0886260515585533>
- Masten, A. S. (2001). Ordinary magic: Resilience processes in development. *American Psychologist*, 56(3), 227–238. <https://doi.org/10.1037/0003-066X.56.3.227>
- Maynard, M. (1993). Violence Towards Women. In: Richardson, D., Robinson, V. (eds) *Introducing Women's Studies*. Palgrave Macmillan, London. https://doi.org/10.1007/978-1-349-22595-8_5
- Pull, H. (2004). *Stress: Comment reconnaître et soigner vos 150 stress quotidiens*. Grancher.
- Rakovec-Felser, Z. (2014). Domestic violence and abuse in intimate relationship from public health perspective. *Health Psychology Research*, 2(3).
- Romano, H. (2013). *L'enfant face au traumatisme*. Dunod.
- Salmona, M. (2010, November 6). Les violences envers les femmes et les filles. Blog d'information sur les mécanismes et les conséquences des psycho-traumatismes consécutifs à des violences familiales, conjugales et/ou sexuelles. <http://stopauxviolences.blogspot.com/2010/11/les-violences-envers-les-femmes-et-les.html>
- Siles, A. M., Laforêt, N., & Costantino, C. (2011). Urgence institutionnelle : L'institution face à l'événement traumatique. *Cliniques*, (2), 164–185.
- Siu-Man Ng, S. (2013). Validation of the 10-item Chinese Perceived Stress Scale in elderly service workers: One-factor versus two-factor structure. *BMC Psychology*, 1(9), 1–8. <https://doi.org/10.1186/2050-7283-1-9>
- The National Committee for Population Policies in Iraq, & United Nations Population Fund (UNFPA). (n.d.). Violence against women in Iraq: Challenges and options. Central Statistical Organization, Ministry of Planning, Iraq. <https://www.cawtarclearinghouse.org/ar/ar-topic/assets-5462>
- Tsirigotis, K., & Łuczak, J. (2018). Resilience in women who experience domestic violence. *Psychiatric quarterly*, 89(1), 201–211.
- Ungar, M. (2008). Resilience across cultures. *British Journal of Social Work*, 38(2), 218–235. <https://doi.org/10.1093/bjsw/bcl343>
- Werner-Wilson, R. J., Zimmerman, T. S., & Whalen, D. (2000). Resilient response to battering. *Contemporary Family Therapy*, 22(2), 161–188. <https://doi.org/10.1023/A:1007777702757>
- Yahya, M. (2013). *Violence against women in Palestinian society: Presentation and analysis of the results of the survey on domestic violence in Palestinian society 2011 (1st ed.)*. Miftah Publications.

http://www.miftah.org/publications/books/violence_against_women_in_palestinian_society.pdf

الضغط النفسي والمرونة لدى النساء من ضحايا العنف الزوجي: دراسة عيادية

بن غالم إيمان

قسم علم النفس، العلوم التربوية، مخبر علم النفس العيادي، جامعة سطيف 2، الجزائر

الباحث المراسل: i.benghalem@univ-setif2.dz

Received: 19/06/2025.

Revised: 25/06/2025.

Accepted: 12/02/2026.

Published : 31/03/2026

DIO: 10.35517/AAUP-2026.V12.1.15

الملخص

الخلفية: يعد العنف الأسري شكلاً متكرراً ومقصوداً من الصدمات البين-الشخصية، يتوافق مع مفهوم الصدمة من النمط الثاني (الصدمة المعقدة)، فيُحَلِّف آثاراً نفسية واجتماعية عميقة لدى النساء، تتمثل في الضغط النفسي المزمن، واضطراب التنظيم الانفعالي، وتدني تقدير الذات، والشعور الدائم بالخوف والعجز. الهدف: تهدف هذه الدراسة إلى فحص العوامل النفسية والاجتماعية التي تشكل استجابات النساء للعنف الأسري، من خلال المقارنة بين النساء المعنفات الأقل مرونة والنساء الأكثر مرونة. المنهجية: اعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي العيادي لتحليل ثماني حالات لنساء معرضات للعنف الأسري (خمس حالات أقل مرونة، وثلاث حالات أكثر مرونة)، باستخدام المقابلات الإكلينيكية المتعمقة ومجموعة من المقاييس المقننة، كمقياس كونور-ديفيدسون للمرونة النفسية، ومقياس الضغوط المدركة، ومقياس روزنبرغ لتقدير الذات، وقائمة الأعراض (SCL-90-R). النتائج: أظهرت النساء الأقل مرونة مستويات أعلى من تقبل العنف، وارتفاعاً في الضغط النفسي، وشدة أكبر في الأعراض النفسية. كما اعتمدن على آليات دفاع غير ناضجة (كالتسوية والإنكار)، والتزمّن الصمت حفاظاً على استقرار الأسرة، وأبدن تبعية اقتصادية ونقصاً في الدعم الاجتماعي. واتسمت أساليب تكيفهن بالخضوع، والخوف من الوصمة الاجتماعية، والأمل في تغيير سلوك الزوج. وفي المقابل، أظهرت النساء الأكثر مرونة مستويات أعلى من تقدير الذات، وانخفاضاً في الضغط النفسي، واستقراراً نفسياً أكبر، كما تميزن بسرعة إدراك الخطر، واعتماد استراتيجيات تكيف ناضجة، وطلب المساعدة بشكل فعال، والاستفادة من الدعم الاجتماعي والروحي، والتخطيط المستقبلي. الاستنتاجات: تؤكد النتائج أن المرونة النفسية تتشكل من خلال التفاعل بين الموارد الشخصية، كالفاعلية الذاتية والثقة بالنفس، والدعم البيئي. ويُعد تعزيز العوامل الوقائية وتقوية شبكات الدعم الاجتماعي أمراً جوهرياً لتعزيز التعافي والتمكين لدى الناجيات من العنف الأسري.

الكلمات المفتاحية: العنف الأسري، المرونة، الضغط النفسي، النساء.